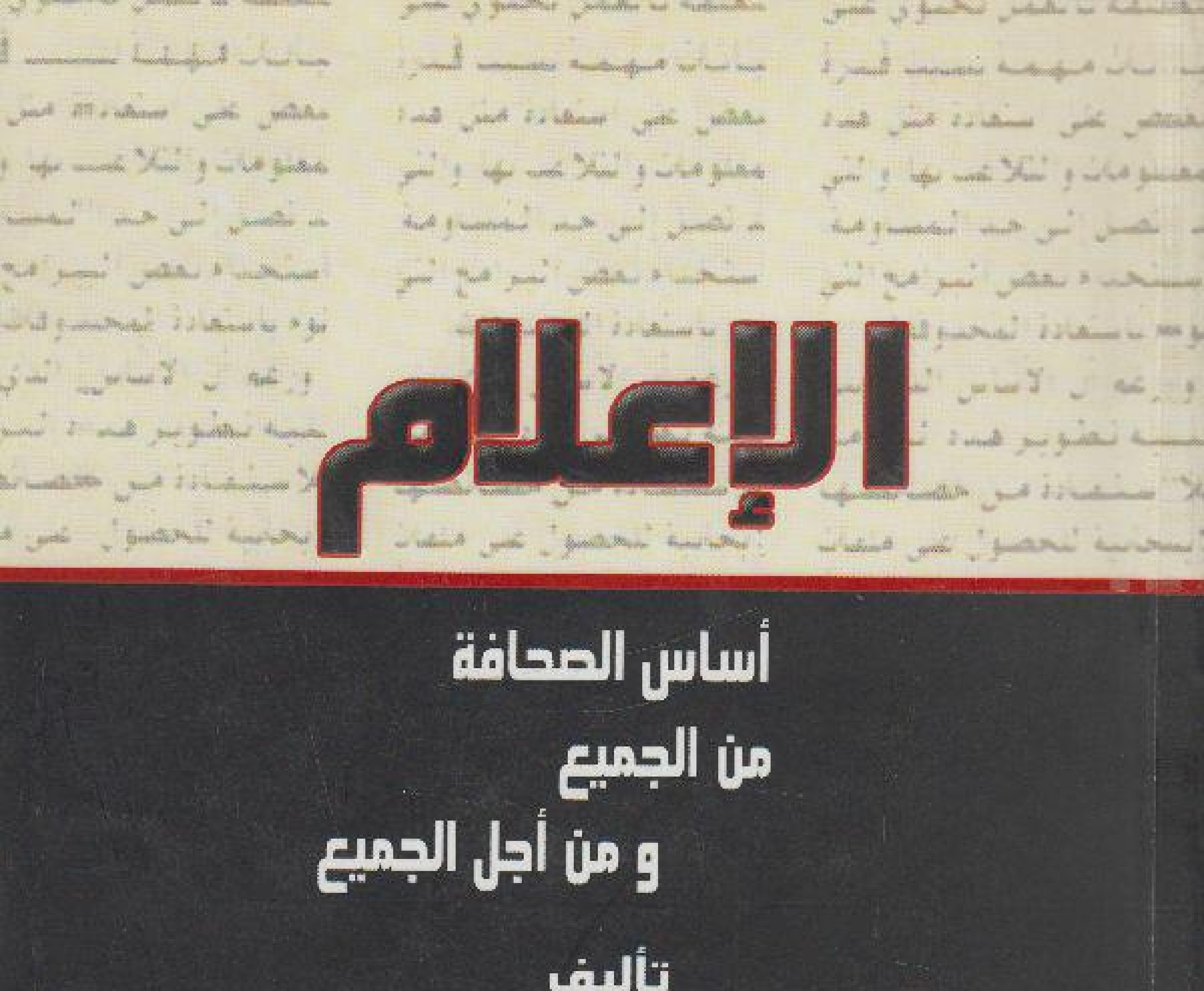


الإعلام

أساس الصحافة من الجميع و من أجل الجميع

تأليف

دان جيلمور

الدار الدولية للاستثمارات الثقافية
القاهرة - مصر

الإعلام

أساس الصحافة

من الجميع ومن أجل الجميع

الدار الدولية

للاستثمارات الثقافية ش.م.م

Copyright © 2006, 2004 Dan Gillmor. All rights reserved.
Published by O'Reilly Media, Inc., 1005 Gravenstein Highway North,
Sebastopol, CA 95472.

We the Media

Grassroots Journalism

by the people, for the People

DAN GILLMOR

الإعلام

أساس الصحافة

من الجميع ومن أجل الجميع

دان جيلمور

© Arabic Book Program 2009, authorized translation of the English edition of We the Media © Dan Gillmor. This translation is published and sold by permission of O'Reilly Media Inc., the owner of the rights to publish and sell the same.

برنامج الكتاب العربي هو برنامج بالسفارة الأمريكية في القاهرة يتعاون مع دور نشر مصرية على ترجمة ونشر كتب تعبر عن القيم والثقافة الأمريكية.

الموقع الإليكتروني: http://egypt.usembassy.gov/pa/rbo.htm

حقوق النشر ©2010 محفوظة للدار الدولية للاستثمارات الثقافية ش.م.م ولا يجوز نشر أي جزء من هذا الكتاب أو اختزان مادته بطريقة الاسترجاع أو نقله على أي نحو أو بأية طريقة سواء كانت اليكترونية أو خلاف ذلك إلا بموافقة الناشر على هذا كتابة ومقدمًا.

رقم الإيداع: 2009/23221
ISBN 978-977-282-400-7

الدار الدولية للاستثمارات الثقافية ش.م.م

122 عثمان بن عفان – الكلية الحربية – مصر الجديدة – القاهرة – مصر

ص.ب: 5599 هليوبوليس غرب/ القاهرة – مصر

تليفون: 26391113 - 26391112 (00202) فاكس: 26372122 (00202)

بريد إليكتروني: ihci@link.net ، info@ihciegypt.com

الموقع الإليكتروني: www.ihciegypt.com

International House for Cultural Investment S.A.E
122 Osman Ebn Affan st., AlKolia AlHarbia - Masr Al-Gedida
P.O.Box: 5599 Heliopolis West, Cairo, Egypt
E-mail: ihci@link.net , info@ihciegypt.com
Website: www.ihciegypt.com

الإعــلام

أساس الصحافة
من الجميع ومن أجل الجميع

تأليف

دان جيلمور

ترجمـة

نفيــن نــور الديــن

الدار الدولية للاستثمارات الثقافية

القاهرة — مصر

إشادة بكتاب دان جيلمور

«الإعلام» أساس الصحافة من الجميع ومن أجل الجميع

«يعد هذا الكتاب أحد الكتب الأكثر استفزازًا وأهميةً عن مستقبل الإعلام الجديد، إن معرفة دان جيلمور الموسوعية درس ليس فقط في أحدث حالة لنشر المعلومات والتكنولوجيا بل أيضًا في ما يخبئه لنا المستقبل. إن الإعلام التقليدي يقف في مهب عاصفة عاتية من التهديدات والأخطار التنافسية التي يجعلها هذا الكتاب قابلة للفهم. وأرجو أن يقرأ هذا الكتاب كل إنسان يهتم بمستقبل الأخبار والمعلومات وجودتها في عصرنا الجديد»

كريستوفر م. شرودر Christopher M. Schroeder

الرئيس التنفيذي السابق وناشر واشنطون

بوست دوت كوم ونيوزويك إنتراكتيف

«إن كتاب نحن الإعلام مادة قراءة أساسية لكل من يهتم بمستقبل الصحافة، فالإنترنت تحدث خللًا واضطرابًا عميقين في أسلوب عمل الصحف ومحطات البث الإذاعي والتليفزيوني. ولا أحد يعرف أفضل من دان جيلمور كيف تنسجم «الأخبار الجديدة» و «الأخبار القديمة» معًا أو ما يمكن أن يخبئه لنا المستقبل»

ريتشارد سامبروك Richard Sambrook

مدير بي بي سي جلوبال نيوز

«لقد انتهيت لتوي من قراءة كتاب دان جيلمور الجديد «نحن الإعلام» وأوصي بقراءته من كل قلبي. ودان جيلمور كاتب عمود قومي في صحيفة سان جوزيه ميركوري نيوز ويكتب مدونة ويب يومية لحساب سيليكون فالي دوت كوم. وهو يذهب بشكل مقنع إلى أن الإعلام الكبير بدأ يفقد احتكاره للأخبار بفضل الإنترنت —

وأن «الصحفيين المواطنين» بكافة شرائحهم آخذون – من خلال تقاريرهم المستقلة وغير المفلترة – في تحويل الأخبار من محاضرة إلى محادثة. إنه يدرك وجود شيء ما.»

بيل مويرز Bill Moyers

في كلمة ألقاها أمام جمعية الصحفيين المهنيين

في سبتمبر 2004

«هذا تحليل شيق لفترة من التغيير العميق ومنذ أن تم الانتهاء من الكتاب، وقع ما لا يقل عن ستة أحداث أثبتت وجهة نظره.. وأي شخص يخطط مستقبل منظمة إعلامية ما سيكون أحمقًا لو فعل ذلك بدون قراءة كتاب جيلمور».

سايمون وايلدمان Simon Waildman ـ ذا جارديان

«لقد أصبح كتاب جيلمور (نحن الإعلام) شيئًا أشبه بالكتاب المقدس بالنسبة لأولئك الذين يعتقدون أن الوسيط الإليكتروني سيغير الصحافة للأفضل».

صحيفة فايننشيال تايمز

«يبين كتاب (نحن الإعلام) كيف يمكن للمواطنين والصحافة على حد سواء أن يساهما في الحقيقة والمعلومات الدقيقة والرأس المستفز دون الحاجة إلى ما يسيطر عليه كارتيل الملكية الحكومية الخاصة»

ويليام وو William Woo

مدير برنامج الصحافة بجامعة ستانفورد ورئيس التحرير

السابق لصحيفة سانت لويس بوست ديسباتش

«إنس كل شيء كنت تعتقد أنك تعرفه عن الصحافة واقرأ هذا الكتاب»

دوك سيرلز Doc Searls

أحد مؤلفي بيان كلوترين

«باعتباره كاتب عمود، كان دان جيلمور في قلب التغطية الصحفية للتكنولوجيا. والآن في كتاب نحن الإعلام هو في قلب قضية كيف تغير التكنولوجيا الصحافة. ومن الشائع أن يتذمر النقاد الإعلاميون من الكيفية التي يؤذي بها الإعلام الكبير الصحافة وينضم هذا الكتاب إلى الجوقة. ولكن ينقل نقاشه إلى مكان آخر من خلال شرح مفعم بالحيوية للكيفية التي يمكن بها للتكنولوجيا أن تساعد في إنقاذ الصحافة عن طريق إخفاء

الصبغة الديمقراطية على المعلومات وأسلوب توزيعها مع السماح بوجود محادثة مستمرة بين الصحفي والمواطن في ذات الوقت. ويحلل جيلمور مجموعة من الأحداث والحقائق المتفرقة ويربطها معًا على نحو مدهش، تاركًا عند القارئ إحساسًا بأنه اختلس نظرة للمستقبل».

كين أوليتا Ken Auletta

مؤلف كتاب «القصة الخلفية داخل أعمال الأخبار»

«إن لدى دان جيلمور، المنخرط هو نفسه في عالم كتابة المدونات والصحافة، أشياء هامة يقولها عن الطريقة التي قامت بها التكنولوجيا (والمتحمسون لها) بتفكيك الإعلام بشكل مبهج».

ستيفن ليفي Stephen Levy

مؤلف كتاب The Hackers and Crypto

«تغير تكنولوجيا الإنترنت طبيعة الصحافة على الأقل بنفس درجة العمق التي فعلت بها ذلك تكنولوجيا البث الإذاعي.ويعد دان جيلمور أحد الرواد الحقيقيين في هذا المجال، ويتمتع بوضع مثالي يؤهله لشرح الآثار الجيدة والسيئة والتي لا تزال تتكشف للصحافة التشاركية بشكل كامل. إن كتاب (نحن الإعلام) ممتع وتثقيفي وذو عقلية عملية ومثالي، بالإضافة إلى كونه مستفزًا بما يكفي لإبقاء القارئ مندمجًا فيه».

جيمس فالوز James Fallows

مؤلف كتاب Breaking the News

«ربما يعد كتاب (نحن الإعلام) أهم كتاب في السنة وآمل أن يلعب دورًا محوريًا في ظهور صحافة مواطن فعّالة. والديمقراطية في حقبة الاحتكارات في حاجة ماسة إلى ما يشرحه بوضوح: طريقة، نموذج، سبب، أساس منطقي ومجموعة قوية من الأخلاق من أجل مستقبل صحافة الكثرة للكثرة. ويجمع جيلمور، وهو صحفي محنك طالما كان مراقبًا فطنًا لاتجاهات التكنولوجيا الجديدة، معًا المبادئ الأساسية للصحافة والأزمة القائمة في المجال العام والوعد بأن يكون الإعلام من الكثرة إلى الكثرة.

هوارد رينجولد Howard Reingold

مؤلف كتاب Smart Mobs

«يقدم جيلمور خريطة مقنعة ومتفائلة لمستقبل الصحافة. هذا الكتاب مادة واجبة القراءة على أي شخص يهتم بما يقرأه وكل من يرغب في أن يكون أكثر من متفرج على الهامش في هذه الثورة الآخذة في التشكُّل».

بول سافو Paul Safoo معهد المستقبل

«لقد تنبأ دان جيلمو بظهور صحافة المواطن. وسواء في تغطية لكوارث مثل تسونامي الآسيوية أو تفجيرات مترو أنفاق لندن أو في السياق المعتاد للأحداث الذي يتفقد فيه الصحفيون المتحمسون برنامج X box 360 من إنتاج مايكروسوفت قبل إطلاقه، فإننا نعيش في فترة من الإبداع المشترك سوف تسمح فيها الشركات والحكومات الذكية للأطراف صاحبة المصلحة بإبداء رأيها في النتيجة النهائية».

ريتشارد إيدلمان Richard Edelman

الرئيس التنفيذي لمؤسسة إيديلمان وورلدوايد

«إذا كنت تريد أن تفهم حقًا أهمية كتابة المدونات كإعلام بديل، فعليك بقراءة (نحن الإعلام) تأليف دان جيلمور... المحلل راجح العقل لظاهرة المدونات وكاتب المدونات المخضرم هو نفسه...».

ديفيد كيركباترك David Kirkpatrik

مجلة فورتشن

«إن حرية الصحافة مقصورة على أولئك الذين يملكون مطبعة»

- أ.ج. ليبلينج A. J. Liebling

«إذا كانت الأخبار لا تعجبك .. اذهب واصنع بعض الأخبار الخاصة بك»

- ويسي «سكووب» نيسكر

Wes «Scoop» Nisker

المحتويات

الموضوع | الصفحة

إن القضايا المالية ليست مقصورة على الصحف فلدى زر في جهاز التحكم عن بعد في التليفزيون (ريموت كونترول) - وهو جزء من نظام لتسجيل الفيديو وإعادة التشغيل بعد التسجيل على قرص صلب - يجعل 30 ثانية تختفي بضغطة بسيطة عليه. وأنا الآن أكاد لا أشاهد برامج التليفزيون المذاعة على الهواء، مما يعني أن الإعلانات التقليدية لم تعد جزءًا من خبرة مشاهدتي للتليفزيون. وفي الوقت نفسه، تتعرض المجلات المهنية التي اعتدت الاعتماد عليها في استقاء أخبار التكنولوجيا للخطر بسبب مجموعة من المجلات المنافسة الإليكترونية.

لقد بدأ أصحاب الأعمال يسدون بعض الفجوات. فقد أقنعت باك فينس دوت كوم، وهي شركة توفر أدوات تمكّن الناس في المجتمعات الصغيرة من إخبار بعضهم بما يجري في اثنين من ضواحي واشنطن العاصمة، المستثمرين بتوفير تمويل كبير لمزيد من المواقع في أنحاء البلاد. وهناك مثال آخر وهو جرينزبورو 101 (Greensboro 101) (greensboro1.0.com) وهي عبارة عن مجموعة من مدونات الويب في كارولينا الشمالية تجتذب جمهورًا عريضًا وبعض الإعلانات.

في الوقت نفسه، بدأ مجتمع الأعمال ينضم للمحادثة بوتيرة لافتة للنظر أيضًا. وبدأت كتابة المدونات تحتل مكانًا على مائدة منشآت الأعمال الكبيرة والصغيرة. وبدأ الناس يأخذون على محمل الجد فكرة أن المحادثة مع العميل طريقة للاتصال تفوق في فعاليتها بكثير بعض الطرق التقليدية. وقد بدأ ذلك يتضح ليس فقط للأفراد العاملين في مجال العلاقات العامة والإعلام، بل أيضًا لبعض الرؤساء التنفيذيين للشركات. وكثيرًا ما توجه لي الدعوة للتحدث مع منظمات ترغب في اكتساب فهم أفضل للتحديات والفرص المصاحبة لهذه الموجة الجديدة من الصحافة.

تنطلق التكنولوجيا للأمام بقوة أيضًا. فكل شهر تصبح الويب أكثر فأكثر منصة يستطيع الناس من خلالها ربط أنواع متنوعة من التطبيقات البعيدة معًا وتحويلها إلى أنواع جديدة من الخدمات المعلوماتية.

ويعد موقع ChicagoCrime.org المملوك لإدريان هولوفاتي Adrian Holovaty نموذجًا مثاليًا: مجموعة من خرائط جوجل والبيانات المقدمة من الحكومة عن الجريمة موجودة على موقع يقدم تصورات تفصيلية لأنواع الجرائم التي يجري تغطيتها وأين. علاوة على ذلك، بدأت الخرائط عمومًا تصبح منصة في حد ذاتها لكافة أنواع الشروحات المقدمة من أشخاص عاديين راغبين في مساعدة بعضهم على العثور على الأشياء وفهم عالمهم. (قامت صحيفة واشنطن بوست بتوظيف هولوفاتي، وهذه خطوة مشجعة لي).

كنت أتمنى لو استطعت القول إن المشكلات التي تنبأت بها ليست مغلقة بالدرجة التي كنت أخشاها. ولكني لا أستطيع.

بصفة خاصة، الأداء المتدهور للحكومات والمؤسسات المتمتعة بالنفوذ والقوة في الصناعة يفي بأدنى توقعاتي وهي تتحايل للتحكم في المعلومات بدلًا من رؤية الناس يستخدمونها الاستخدام الأمثل. والسرية والتجسس على الناس هما أسلوب الحكومات لتضييق الخناق عليهم. وإساءة استعمال قوانين حقوق النشر والتأليف ودعم تولي المناصب هما الطريقتان المألوفتان في الصناعة. وإذا لم نرد العدوان وبقوة يمكن أن يثبت عصر الإنترنت وصحافة المواطنين أنه حقبة قصيرة جدًا في نظام مقيَّد نحتاج فيه إلى إذن لإنتاج وتوزيع إعلامنا.

ولكن على الرغم من ذلك كله أنا متفائل. فوتيرة التغير التكنولوجي في نواحٍ كالبيانات اللاسلكية وتكنولوجيات الند للند تمارس بعض الضغط على من يسعون للسيطرة على المعلومات. لقد تغيرت أمور كثيرة جدًا، لكن المقدمة المنطقية الأساسية التي ينطلق منها اتجاه «نحن الإعلام» لم تتغير. وأعتقد أننا نعيش الأيام الأولى لشيء في غاية الروعة – وربما مخيف قليلًا – وهو عصر قد نستطيع فيه نحن الناس أن نستعيد السيطرة على الأخبار.

أنا لا أقصد بكلامي هذا الإيحاء بأن الهواة سيحلون محل المحترفين ولا أريد أن يحدث ذلك. فنحن نريد نظامًا إيكولوجيًا مزدهرًا لكلا الفريقين.

إذا سارت الأمور على ما يرام، فسوف ننتقل إلى حقبة جديدة من الدراية والمعرفة الإعلامية وما يمكن أن نسميه بالنشاط الإخباري التي تقع حولهم وبصفة خاصة بقدر ما يصبحون ناشطين صحفيين، سيصبحون مواطنين أفضل. إن الغد يحتاج لهم.

المقدمة

إننا نجمد بعض اللحظات في الزمن. وكل ثقافة لها لحظاتها المجمدة – أحداث هامة للغاية وإلى حد ما شخصية للغاية لدرجة أنها تتخطى التدفق المعتاد للأخبار.

إن الأمريكيين الذين يعيشون في عصر معين يعرفون بالضبط أين كانوا وماذا كانوا يفعلون عندما علموا بوفاة الرئيس فرانكلين د. روزفلت Franklin D. Roosevelt. ويتذكر جيل آخر بوضوح اغتيال جون كنيدي John f. Kenndey. ولن ينسى أبدًا أي إنسان لم يكن طفلًا رضيعًا في 11 سبتمبر 2001 اللحظة التي سمع فيها عن أو شاهد الطائرات وهي تصطدم بناطحات السحاب وتنفجر.

في عام 1945، تجمع الناس حول أجهزة المذياع لمعرفة الأخبار الفورية وظلوا بجوار المذياع لسماع المزيد من الأخبار عن زعيمهم الراحل وعن الرجل الذي حل محله. وأصدرت الصحف طبعات إضافية وملأت أعمدتها بالتفاصيل على مدى أيام وأسابيع بعد ذلك. وكفت المجلات عن نشر الأخبار وطرحت منظورًا.

وحدث شيء مماثل في عام 1963 ولكن من خلال وسيط جديد. فقد جاءت الأخبار الفورية عن وفاة كنيدي في معظمها: عبر التليفزيون. وأنا كبير في السن بما يكفي لأن أتذكر تلك اللحظة الفاجعة التي خلع فيها وولتر كرونكيت Walter Cronkite نظارته ذات الإطار قرني الشكل للمشاهدين وهو يغالب دموعه إن قائدهم قد فارق الحياة. وكما حدث في المرة السابقة، لم تدخر الصحف والمجلات وسعًا في سبيل إضافة التفاصيل والسياق.

اتبع الحادي عشر من سبتمبر 2001 نمطًا كثيرًا بالمثل. فقد شاهدنا مرارًا وتكرارًا الأحداث الرهيبة. وعلم مستهلكو الأخبار الجانب الخاص بـ «ماذا» في الهجمات بفضل الشبكات التليفزيونية التي عرضت الأحداث المرعبة بشكل نابض بالحياة للغاية. ثم علمنا بعض جوانب «كيف» و «لماذا» من خلال قيام المطبوعات المطلوبة ومحطات

البث الإذاعي والتليفزيوني ومذيعيهما بتحليل الأحداث التي تعجز الكلمات عن وصفها تحليلًا عميقًا. وأدى الصحفيون بعض أفضل عملهم وجعلوني أشعر بالفخر لكوني واحدًا منهم.

لكن شيئًا آخر... شيئًا عميقًا .. كان يحدث: كانت الأخبار يتم إنتاجها بواسطة أشخاص عاديين لديهم ما يقولونه ويعرضونه وليس فقط بواسطة منظمات الأخبار «الرسمية» التي كانت تقرر تقليديًا الصورة التي ستبدو عليها المسودة الأولى للتاريخ. لقد كانت المسودة الأولى للتاريخ تُكتب – في جانب منها – من قبل الجمهور السابق. وكان ذلك ممكنًا – وحتميًا – بسبب الإنترنت.

إن الناس الذين فهموا قيمة الشبكات الإليكترونية كانوا المستفيدين الممتنين لنوع آخر من الصحافة أثناء تلك الساعات والأيام العصيبة. ومن خلال رسائل البريد الإليكتروني والقوائم البريدية وغرف الدردشة ويوميات الويب الشخصية – وجميعها مصادر أخبار غير معتادة – تلقينا سياقًا قيمًا ما كان يمكن لوسائل الإعلام الرئيسية الأمريكية أن توفره أو ترغب في توفيره.

لقد كنا نشهد – وفي حالات كثيرة كنا جزءًا من – مستقبل الأخبار.

لقد أطل علينا هذا المستقبل بصورة أسرع مما توقعت قبل عاملين فقط عندما كنت مشغولًا بإعداد طبعة هذا الكتاب ذات الورق المقوى. ومنذ ذلك الحين شاهدنا كتّاب مدونات الويب أو كتّاب المدونات bloggers يمزقون بث شبكة سي بي إس نيوز المعيب بصورة عميقة خلال خريف عام 2004، الأمر الذي عجّل بتقاعد مذيع مشهور وهو دان راذر Dan Rather. ورأينا صور الفيديو التي التقطها هواة لكارثة تسونامي المروعة التي أودت بحياة أكثر من 200 ألف شخص في جنوب آسيا في نهاية عام 2004.

وفي 7 يوليو 2005 الذي ربما يكون اليوم الذي لمس فيه العالم الأوسع قوة ما أسميه «صحافة المواطنين» قام أشخاص انتحاريون في لندن بتفجير مترو الأنفاق في صبيحة ذلك اليوم، الأمر الذي أدى إلى مقتلهم ومصرع عشرات الأشخاص الآخرين في

محطات الأنفاق وفي إحدى الحافلات. وقد عبرّت صورة واحدة عن الحدث أكثر من أي صورة أخرى: صورة التُقطت من كاميرا في هاتف محمول من قبل رجل أثناء هروبه مع آخرين من قطار مليء بالدخان. وقد ظهرت الصورة على الإنترنت وفي الصحف والمجلات المطبوعة وعلى شاشات التليفزيون حول العالم. هذه الصورة، إلى جانب ما كُتب في المدونات ورسائل البريد الإليكتروني والروايات والصور الأخرى استحوذت على اهتمام منظمات الإعلام الجماهيري. وكما قلت لصحيفة نيويورك تايمز: «لقد كان هناك أكليشيه يقول إن الصحفيين يكتبون المسودة الأولى للتاريخ. والآن أعتقد أن هؤلاء الناس هم من يكتبون المسودة الأولى للتاريخ عند مستوى ما، وهذا تحول هام».

لقد تضمنت واحدة من الوقائع المبكرة التي فهمت من خلالها اتجاه صحافة الغد رهانات أدنى بكثير، فقد كانت مجرد لحظة انزعاج وضيق بالنسبة لمدير تنفيذي قوي. ففي 26 مارس 2002، ذاق جو ناتشيو Joe Nacchio المسكين طعم المستقبل وهذه المرة ساعدت أنا في إعداد المائدة إلى حد ما.

في الحقيقة كان ناتشيو يملك ثروة في ذلك اليوم عندما حضر منتدى الحاسبات الشخصية، وهو مؤتمر خاص بالرؤساء التنفيذيين فقط عقد في إحدى ضواحي فينيكس. وبدا أيضًا أنه كان غارقًا في الشعور بالرثاء للذات.

في تلك الأيام كان ناتشيو الرئيس التنفيذي لشركة الهاتف الإقليمية العملاقة كويست Qwest وهي شركة شبه احتكارية في سوقها التي تغطي عدة ولايات. في جلسة منتدى الحاسبات الشخصية المنعقدة في ذلك اليوم بالتحديد، شكا من صعوبات في تدبير رأس المال. تخيل: التذمر من مشاق إدارة شركة احتكارية لاسيما أن أسلوب ناتشيو في الإدارة ساهم في نشوء بعض المصاعب التي كان يواجهها.

كنت ضمن الحاضرين وأقوم بتغطية في الوقت الحقيقي تقريبًا عن طريق نشر آخر أخبار فعاليات المؤتمر بصورة متكررة في مدونتي الإليكترونية، وهي عبارة عن دفتر يوميات إليكتروني يضم مواد قصيرة مكتوبة على الويب، عبر وصلة لاسلكية كان

المؤتمر قد أعدها من أجل الحاضرين. وكذلك فعل صحفي ومؤلف مدونة إليكترونية آخر وهو دوك سيرلز Doc Searls وهو أحد كبار المحررين بمجلة لينوكس جورنال وهي مجلة معنية بالبرمجيات.

لم نكن نعرف أن أحداث الصباح ستتحول إلى أسطورة مصغرة في مجال الأعمال.. لم أكن أعرف أن التجربة ستوسع معرفتي بالكيفية التي كانت مهنة الصحافة آخذة في التغير بها بكل ما في الكلمة من معنى.

لقد أشرت ضمن ما كتبته على المدونة إلى تذمر ناتشيو، قائلًا إنه أصبح فاحش الثراء بينما كانت شركته تفقد جزءًا كبيرًا من قيمتها السوقية - وهذا مثال آخر لتنعم الرؤساء التنفيذيين للشركات بالثروات في الوقت الذي يحصل فيه حملة الأسهم والموظفون والمجتمعات على القشور. وما هي إلا ثوانٍ حتى استلمت بريدًا إليكترونيًا من باز بورجمان Buzz Bruggeman وهو محامٍ في فلوريدا كان يتابع مدونتي الإليكترونية ومدونة سيرلز من مكتبه في أورلاندو. كتب برجمان يقول متهكمًا: «أليست أمريكا عظيمة؟» وأرفق وصلة فائقة إلى صفحة Finance الخاصة بياهوا على الويب أظهرت أن ناتشيو جني أكثر من 200 مليون دولار من الأسهم في الوقت الذي كان سعر سهم شركته آخذًا في التراجع الحاد. وبدت هذه المعلومة مناسبة ووثيقة الصلة بما كنت أكتبه ولذا فقد قمت بإيداعها في مدونتي على الفور وأرسلت تحية إليكترونية إلى بروجمان حيث كتبت بين قوسين «شكرًا على الوصلة ياباز». وفعل سيرلز الشيء نفسه.

كتبت استر دايسون Ether Dysan التي قامت شركتها - إدفينتشار هوليدايز Edventure Holidays- بتنظيم المؤتمر[1] تقول: «عند هذا الحد، اتخذ الحاضرون موقفًا عدائيًا». هل لعب دوك وأنا دورًا ما؟ يبدو ذلك. لقد كانت أعدادًا كبيرة من الأشخاص المتواجدين في قاعة الفندق الفاخرة - ربما نصف المديرين التنفيذيين والمولين وأصحاب المشروعات والصحفيين - على الإنترنت أيضًا في ذلك الصباح. وكان بعضهم على الأقل يسلي نفسه بمتابعة ما أكتبه أنا ودوك. وأثناء ما تبقى من جلسة

ناتشيو، ساد جو من الجفاء نحو الرجل. وقالت دايسون – وهي مستثمرة ومؤلفة – فيما بعد أن مدونتينا ساعدتنا في خلق ذلك الشعور بالجفاء[2]. وأسهمت كتابة المدونات «مؤتمرًا ثانيًا يحدث حول وخلال وعبر المؤتمر الأول».

لم أروي هذه القصة؟ فبرغم كل شيء، لم يكن حدثًا مزلزلًا.. ومع ذلك فقد كان نقطة تحول بالنسبة لي.

فكر في تسلسل التدفق الإخباري: حلقة تغذية مرتدة بدأت في جلسة مؤتمر في ولاية أريزونا انتقلت إلى أورلاند ثم عادت إلى أريزونا ثم أصبحت عالمية في النهاية. وفي عالم الاتصالات عبر الأقمار الصناعية والألياف البصرية الذي نعيش فيه تمثل الصحافة في الوقت الحقيقي شيئًا روتينيًا، ولكننا نحن الصحفيين أضفنا الآن خبرة الجمهور.

لقد كان لدى تلك القوى دروسٌ لكل الأطراف المعنية، بما فيها «صانع الأخبار» (ناتشيو) الذي اضطر للتعامل مع ضغوط جديدة على العلاقة المتوترة دائمًا والتخاصمية أحيانًا بين الصحفيين والأشخاص الذين نغطي أخبارهم. لم يفقد ناتشيو وظيفته لأننا سخرنا من غطرسته ونفاقه، وخسر في النهاية لأنه لم يؤد عمله كرئيس تنفيذي بكفاءة. ولكنه ذاق طعم جزء ضئيل – وإن لم يكن محل ترحيب – من مستقبل الصحافة في ذلك الصباح.

إن الشخص في قصتنا الصغيرة الذي ذاق طعم مستقبل الصحافة بشكل أعمق لم يكن – في اعتقادي – الصحفي المحترف ولا صانع الأخبار، بل كان باز بروجمان. ففي وقت سابق، قبل أن تصطدم التكنولوجيا بالصحافة بهذا العنف ، كان فردًا في جمهور. والآن تلقي أخبارًا عن حدث ما دون انتظار وصول التغطية التقليدية عبر الصحف أو المجالات أو حتى مواقع الويب. وأصبح الآن جزءًا من العملية الصحفية ذاتها – مراسل صحفي مواطن ساعدت معرفته وسرعة بديهته على تزويد عملي الصحفي بالمعلومات في الوقت المناسب.

لم يعد بروجمان مجرد مستهلك. لقد كان منتجًا.. كان يصنع الأخبار.

يتناول هذا الكتاب تحول الصحافة من هيكل (أو بناء) لوسائل الإعلام الجماهيرية في القرن العشرين إلى شيء أكثر شعبية وديمقراطية بدرجة عميقة. إنها أولًا قصة عن تغيير تطوري. فطالما روى البشر قصصًا لبعضهم وأدت كل حقبة جديدة في التقدم إلى حدوث اتساع في رواية القصص.

وهي أيضًا قصة عن ثورة حديثة لأن التكنولوجيا قدمت لنا مجموعة أدوات اتصالية تسمح لأي شخص بأن يصبح صحفيًا بتكلفة زهيدة و – نظريًا – على نطاق عالمي. وقد كانت إمكانية حدوث شيء كهذا بعيدة من قبل.

في القرن العشرين. كان صنع الأخبار مجال الصحفيين والأشخاص الذين كنا نغطي أخبارهم أو «صناع الأخبار» وفيالق مسئولي العلاقات العامة والتسويق الذين تلاعبوا بالجميع، وذلك بصورة شبه كاملة. وخلقت اقتصاديات النشر والبث الإذاعي والتليفزيوني مؤسسات كبيرة متغطرسة -- سمّها الإعلام الكبير. برغم أنه حتى صحف البلدات الصغيرة ومحطاتها الإذاعية والتليفزيونية يبدو عليها بعض أسوأ أعراض الظاهرة.

في كل حدث، تعامل الإعلام الكبير مع الأخبار على أنها محاضرة، فكنا نقول ما هي الأخبار وكنت أنت تصدقها أو لا. وربما تكتب لنا خطابًا وربما ننشره نحن (وإذا كنا نحن التليفزيون وشكوت أنت، كنا نتجاهلك تمامًا إلا إذا وصلت لنا في خطاب من محامي قضايا قذف). أو كنت تلغي اشتراكك أو تتوقف عن مشاهدة برامجنا. كان عالمًا غذى فينا الشعور بالرضا عن الذات والغطرسة. وكان نظامًا جيدًا طالما ظل قائمًا، لكنه لم يكن مستدامًا.

ستكون تغطية الأخبار وإنتاجها في الغد أقرب شبهًا بالمحادثة أو الندوة. وستكون الخطوط مبهمة وغير واضحة بين المنتجين والمستهلكين وتغير دور الفريقين بطرق بدأنا نفهمها الآن فقط. وستكون شبكة الاتصالات نفسها وسيطًا للتعبير عن رأي كل إنسان، وليس فقط القلة القادرة على شراء آلات الطباعة التي تصل تكلفتها إلى عدة ملايين من الدولارات وإطلاق الأقمار الصناعية أو الحصول على إذن من الحكومة بالاستيلاء على موجات الهواء العامة.

هذا التطور – من الصحافة كمحاضرة إلى الصحافة كمحادثة أو ندوة – سيجبر مختلف المجتمعات العامة على التكيف. ويجب على الجميع – من الصحفيين إلى الأشخاص الذين نغطي أخبارهم ومصادرنا والجمهور السابق – أن يغيروا أساليبهم. والبديل هو مجرد ممارسة المزيد من نفس هذه الأساليب.

ليس في مقدورنا أن نمارس المزيد من نفس هذه الأساليب. ليس في مقدورنا التعامل مع الأخبار على أنها مجرد سلعة تسيطر عليها المؤسسات الكبيرة. إننا لا نستطيع – كمجتمع – أن نقيِّد اختياراتنا ونحد منها. ولا يمكننا حتى أن نتحمل تكلفة ذلك ماليًا لأن المطالب التي تفرضها وول ستريت على الإعلام الكبير تفسد المجتمع نفسه وتضعفه.

هناك ثلاثة قطاعات رئيسية في عالم يستطيع فيه كل إنسان صنع الأخبار. هذه القطاعات كانت توجد حدود فاصلة واضحة بينها ذات يوم ولكنها الآن باتت متداخلة مع بعضها:

- الصحفيون: سوف نتعلم أننا جزء من شيء جديد، وأن قراءنا/ مستمعينا/ مشاهدينا بدأوا يصبحون جزءًا من العملية. وباعتباري صحفيًا، فقد تعاملت طويلًا مع فكرة أن قرائي يعرفون أكثر مني على أنها من المسلمات – وهذه إحدى حقائق الحياة الصحفية الباعثة على الشعور بالتحرر والانطلاق وليست مهددًة. وينبغي على كل مراسل صحفي أن يؤمن بذلك، وسوف يستخدم الصحفيون أدوات الصحافة الشعبية وإلا سينتهي بهم المطاف في متحف التاريخ. وستظل القيم الأساسية كالدقة والنزاهة مهمة وسيظل المهنيون حراس بوابات من بعض النواحي لكن القدرة على تشكيل محادثات أكبر – وتوفير سياق – ستكون على الأقل بنفس أهمية القدرة على جمع الحقائق ونقلها.
- صانعو الأخبار: بدأ الأثرياء وأصحاب القوة والنفوذ يكتشفون نقاط ضعف جديدة، وهذا ما تعلمه ناتشيو، علاوة على ذلك، عندما يكون بإمكان أي شخص

أن يكون صحفيًا، سيحاول كثير من الأشخاص الموهوبين – وسيعثرون على أشياء لا ينتبه لها المحترفون. ويتعلم السياسيون ورجال الأعمال ذلك كل يوم. لكن صناع الأخبار لديهم طرق جديدة لتوصيل رسالتهم باستخدام بعض التكنولوجيات التي تطبقها القاعدة الشعبية. لقد فشلت حملة هوارد دين Howard Dean الرئاسية لكن أساليبه ستتم دراستها وتقليدها بسبب الطريقة التي استخدمت بها حملته أدوات جديدة لإدخال مؤيديه في محادثة. والأشخاص الموجودون عند حواف شبكات الاتصالات والشبكات الاجتماعية يمكن أن يكونوا أقسى نقاد صانع الأخبار وأكثرهم فعاليةً. ولكنهم يمكن أيضًا أن يكونوا أكثر حلفائه حماسًا وأهميةً وأن يقدموا أفكارًا لبعضهم ولصناع الأخبار.

- الجمهور السابق: لقد بدأ الجمهور الذي كان أفراده مجرد مستهلكين للأخبار يومًا ما يتعلم كيف يحصل على تقرير إخباري أفضل وفي توقيت أكثر ملاءمةً. كما أنه يتعلم أيضًا كيف ينضم إلى عملية الصحافة والمساعدة في خلق محادثة ضخمة – في بعض الأحوال – وأداء العمل الصحفي بصورة أفضل من المحترفين. وجلين رينولدز Glenn Reynolds ليس فقط واحدًا من أشهر كتّاب المدونات وأكثرهم شعبيةً بل اكتسب أيضًا قدرًا هائلًا من النفوذ والتأثير من خلالها. إن بعض الصحفيين الشعبيين سيصبحون محترفين. وفي النهاية سيكون لدينا أصوات أكثر وخيارات أكثر.

بالنسبة لي هذا أيضًا وقت تحول وانتقال. فبعد ما يقرب من 25 عامًا في مجال الصحافة المهنية، تركت وظيفتي في إحدى الصحف في أوائل عام 2005 للعمل في مشروعات تدعم وتشجع الصحافة الشعبية. ولم أترك عملي بسبب الشعور بالسخط أو الاستياء، فقد كان لدى هناك فرص عظيمة وواحدة من أفضل الوظائف في هذا المجال. وأنا أحترم وأقدر زملائي السابقين وأعتقد أن الإعلام الكبير لا يزال يؤدي عملًا رائعًا وممتازًا في حالات كثيرة.

لكنني على يقين تام من أن الهيكل الحديث لصناعة الصحافة قد غذى نوعًا من

المحافظة الخطرة – بمعنى الأعمال أكثر منه بالمعنى السياسي وإن كان الاثنان ظاهرين – يهدد مستقبلها. وبرغم أن بعض رواد غرف الأخبار وغرف مجالس الإدارة يتجهون بسرعة مدهشة نحو فهم ما يجري، إلا أن مقاومة الصناعة التقليدية للتغيير النابعة في جانب منها من المخاوف المالية قد ألحقت الأذى بالصحافة وأعمت عددًا كبيرًا جدًا من العاملين في المهنة عن رؤية واقع الغد.

إن أسوأ عدو للصحافة المهنية قد يكون الصحافة المهنية ذاتها. والصحافة المؤسسية التي تسيطر اليوم لا تبالي كثيرًا بالجودة في سبيل تحقيق أرباح على المدى القصير. ومثل هذه التكتيكات والأساليب السلبية من المحتمل أن تدمر الأعمال على المدى الطويل.

يتمتع الإعلام الكبير بهوامش ربح مرتفعة. فالصحف اليومية في أسواق شبه الاحتكارات تحقق نموذجيًا نسبة 25-30٪ أو أكثر في السنوات الجيدة. وتستطيع محطات التليفزيون المحلية أن تفاخر بتحقيق هوامش ربح تصل إلى 50٪. إلا أنه بالنسبة لوول ستريت لا يكون أي هامش ربح جيدًا بما يكفي ويجب أن تكون أرباح السنة التالية أعلى. وقد أدى ذلك بناشري الصحف ومديري محطات البث الإذاعي والتليفزيوني إلى إدراك أن بوسعهم تقليص كمية وجودة الصحافة لبعض الوقت على الأقل من أجل زيادة الأرباح. وفي حالة تلو الأخرى غطت مطالب وول ستريت وجشع المستثمرين على الجزء الخاص «بالثقة العامة» في الصحافة. ولا أعتقد أن التعديل الأول في الدستور الأمريكي الذي يمنح الصحفيين مزايا قيمة تسمح لهم بالبحث والتحري والاستقصاء والنشر كانت أرباح الشركات أحد الاعتبارات التي روعيت عند صياغته. وفي حين أن الصحافة لم تصبح بعد مجال أعمال ساخرًا بالكامل إلا أن الاتجاه مخيف.

إن الاندماج يجعل الصورة مثيرة للقلق بدرجة أكبر، فشركات الإعلام آخذة في الاندماج مع بعضها لإنشاء تكتلات أكبر حجمًا من شركات المعلومات والترفيه. وفي حالات كثيرة جدًا، لا تزال الصحافة الجادة - والثقة العامة – هما الضحية. ويخلق ذلك كله فجوة صحفية يعمل الصحفيون الجدد – لاسيما الصحفيون المواطنون – على سدها.

ولكن على الرغم من الضرر الذي يسببه الجشع والاندماج، إلا أن تلك الهوامش المرتفعة تاريخيًا تتعرض لهجوم. فالصحف - على سبيل المثال - لديها مصدران رئيسيان للإيرادات، أصغرهما هو التوزيع: القراء الذين يدفعون نقودًا لكي تصل إليهم الصحفية في المنزل أو لشرائها من بائع الصحف. أما المصدر الأكبر فهو الإعلانات: من إعلانات الوظائف المبوبة إلى إعلانات منتجات شركات تجارة التجزئة، وكل واحد من تدفقات إيراد الإعلانات يتعرض لهجوم من منافسين مثل إي باي eBay أو craiglist يمكنهم أن يعيشوا بسعادة على هوامش ربح أقل (أو - كما في حالة إي باي أكبر موقع للإعلانات المبوبة في العالم - ينشئوا احتكارًا جديدًا) ويبالوا قليلًا بالصحافة. (يهتم جريج نيومارك Graing Newmark مؤسس craiglist اهتمامًا شخصيًا بإمكانية اندثار الصحافة وينفق جزءًا من ماله الخاص في السعي لدفع المهنة نحو المستقبل).

على المدى الطويل أستطيع أن أتخيل بسهولة زوال نموذج الأعمال الذي كافأني بصورة جيدة جدًا و - على الرغم من تأثير الجشع المفرط في عدد كبير جدًا من الأجنحة التنفيذية - تمكّن من خدمة الجمهور بشكل محترم بطرق حيوية. من سيؤدي مشروعات استقصائية كبيرة، مدعومًا بجيوب عميقة والقدرة على دفع مبالغ طائلة للمحامين بينما تحاول المصالح القوية معاقبة من فضحوها، إذا انهار نموذج الأعمال؟ من كان سيفضح جرائم ووترجيت في غياب ناشرين أقوياء، لاسيما كاترين جراهام Kathraine Graham من صحيفة واشنطن بوست، يتمتعون بصلابة مالية وأخلاقية تمكنهم من الوقوف في وجه ريتشارد نيكسون بمثابة صوت رئيسي لمجتمع محلي أو منطقة ما في السراء والضراء، برغم أنه قد تكون لنا عيوبنا في مجال أعمال الصحافة، إلا أن الفوضى في الأخبار ليست هي الحل من وجهة نظري.

إن عالمًا من الفوضى الإخبارية سيكون عالمًا تقضي فيه مجموعة من القوى (منها القوى المالية التي ذكرتها توًا) على أصوات اليوم الكبيرة المتمتعة بالمصداقية. ولن يكون هناك نموذج أعمال يدعم الصحافة المؤسسية التي تؤدي خدمة عامة برغم كل مشكلاتها.

وبدلًا من منظمات الصحافة صاحبة الكتلة الحرجة اللازمة لخوض المعارك الشريفة، من الممكن ألا يتبقى لدينا إلا عددٌ لا يعد ولا يحصى من كتاب الكراريس والأشخاص الصائحين من فوق صناديق صابونية. إننا نحتاج إلى شيء أفضل.

ولحسن الحظ أن سيناريو الفوضى لا يبدو محتمل الحدوث، ويعود أحد أسباب ذلك إلى أنه سيكون هناك دائمًا طلب على الأخبار والسياق الموثوقين. وهناك شيء آخر ممكن وإن كنت آمل أن يكون بعيد الاحتمال هو الآخر وهو عالم من حجب المعلومات وتقييدها. فلن تقف قوى التحكم المركزي مكتوفة الأيدي في وجه التحديات التي تهدد سلطتها.

في هذا السيناريو، من الممكن أن نشهد تحالفًا غير مقدس بين صناعة الترفيه – كارتيل حقوق النشر والتأليف– والحكومة. فالحكومات قلقة من حرية تدفق المعلومات وتسمح بها ضمن حدود معينة فقط. ومن الممكن أن تؤدي القوانين المتشددة والتدابير التكنولوجية التي تهدف لمنع حدوث تعدي على حقوق النشر والتأليف إلى أن يأتي يوم نحتاج فيه للحصول على إذن لكي ننشر أو نشعر فيه بأن النشر من الحواف محفوف بمخاطر شديدة. لقد استهدف الكارتيل بعض الابتكارات الجوهرية في أخبار الغد مثل التقاسم في الملفات بين حاسبات الغد للغد الذي يسهل التعدي ولكنه يقدم للصحفيين المواطنين أيضًا واحدة من الطرق الوحيدة معقولة التكلفة لتوزيع ما يبدعونه. وتصر الحكومات على الحق في تتبع كل ما نفعله، لكن المزيد والمزيد من السياسيين والبيروقراطيين يغلقون طريق الوصول إلى ما يحتاج الناس لمعرفته – معلومات تظهر على السطح بصورة متزايدة من خلال جهود الإعلام غير التقليدي.

مختصر القول: نحن لا نستطيع أن نفترض أن النشر الذاتي من حواف شبكاتنا – الصحافة الشعبية التي نحن في أمس الحاجة لها – سيكتب له البقاء على قيد الحياة أو حتى الازدهار. وسوف يتعين علينا الدفاع عنه بنفس القوة والحماسة اللتين ندافع بهما عن الحريات الأخرى.

بدلًا من فوضى الأخبار أو حجب المعلومات وحبسها، أنا أبغي حالة من التوازن

تحافظ على أفضل ما في النظام القائم اليوم وتشجع في ذات الوقت صحافة الغد الصاعدة ذاتية التجميع. وفي الصفحات التالية آمل أن أبرهن على أن ذلك ليس فقط ضروريًا وربما محتومًا بل أيضًا عمليًا وقابلًا للتطبيق بالنسبة لنا جميعًا.

لن يكون عمليًا بصورة فورية ومباشرة بالنسبة للأشخاص الذين يحظون بالفعل باهتمام ضئيل من الإعلام الكبير. فاليوم تعد صحافة المواطنين في معظمها مجال ما يسميه صديقي ورئيس تحرير الصحيفة التي كنت أعمل بها سابقًا توم ستايتس Tom Stites بـ «شريحة ضيقة نوعًا ما ومتمتعة بامتيازات كبيرة من الدولة – أولئك المتمتعون بقدر كافٍ من التعليم والثقافة يسمح لهم بالاشتراك في المحادثة السلكية ومن يتمتعون بالمهارات الفنية ومن هم أثرياء بما يكفي لأن يتوافر لديهم الوقت والمعدات». لكننا نترك خلفنا آخرين كثيرين جدًا في اقتصادنا الجديد الشجاع . إنهم المواطنون العاديون الذين يوجه لهم التغيير ضربات عنيفة ويقفون خارج المحادثة.

والأمر المخزي هو أن أعمال الصحافة والمجتمع ككل لم ينصتا لهم كما ينبغي أن يكون الإنصات. وسوف يساعدنا ظهور الصحفي – المواطن على الإنصات وسوف تعطي قدرة أي شخص على صنع الأخبار صوتًا جديدًا للأشخاص الذين يشعرون بأن لا صوت لهم – والذين نحتاج لسماع كلماتهم. إنهم يقدمون لنا جميعًا – المواطن والصحفي وصانع الأخبار – طرقًا جديدة للتحدث والتعلم.

وفي النهاية، من الممكن أن يساهموا في إحياء الفكرة المهددة الآن المتصلة بالمواطنين المطلعين حقًا، فالحكم الذاتي يتطلب ذلك وسوف نستفيد جميعًا إذا قمنا به بشكل سليم.

دعونا نجري هذه المحادثة من أجل الجميع.

الفصل الأول

من توماس بين إلى المدونات وما بعدها

ربما نكون قد لاحظنا الحقبة الجديدة للصحافة بشكل أكثر وضوحًا بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر، ولكنها لم تُخترع في ذلك اليوم المروع الفظيع. إنها لم تبرز إلى حيز الوجود كاملة ولم تنشأ من فراغ. ولا أزعم أن ما يلي استعراض لتاريخ الصحافة، بل هو بالأحرى مجموعة من الملاحظات منها بعض الخبرات الشخصية التي آمل أن تساعد في توضيح تطور ما نسميه بجرأة ترشح بالازدراء «الإعلام الجديد».

برغم مخاطرة أن أبدو وكأني أستخف بمساهمات البلدان الأخرى، إلا أنني سأركز على التجربة الأمريكية في المقام الأول. لقد فعلت أمريكا، التي وُلدت في مناخ صخط صاخب، شيئًا مهمًا في مرحلة سابقة. وللتعديل الأول في الدستور الأمريكي وجوه عديدة منها حمايته حق الاحتجاج وممارسة الأديان، لكن حرية التعبير هي أهم جزء في المجتمع الحر. وكان من أشهر ما قاله توماس جيفرسون Thomas Jefferson: أنه لو خُيِّر بين الصحافة والحكومة، لاختار الصحافة. لقد أكد على أهمية الصحافة للمجتمع، برغم أنه عندما تولى الرئاسة وتعرض للهجوم من صحافة عصره بدأ يكره ما سبق أن امتدحه.

إن الصحافة الشخصية ليست اختراعًا جديدًا أيضًا، فقد طفق الناس يقلبون الأمور قبل تأسيس الأمة ذاتها. وكان من أبرز الشخصيات في تاريخ أمريكا المبكر بنجامين فرانكلين Ben Franklin الذي كانت صحيفته بنسلفانيا جازيت ذات نزعة مدنية ومثيرة للجدل أحيانًا.

كما كان هناك أيضًا كتّاب الكراريس (The pamphlet teers) الذين قاموا – قبل أن

يصبح التعديل الأول قانونًا مقدسًا ويكفل حرية الصحافة – بنشر كتاباتهم، معرضين أنفسهم لمخاطرة شخصية شديدة. إن قلةً من الأمريكيين تقدِّر ذلك اليوم، ولكن لايزال هناك صحفيون يلقون حتفهم في أماكن أخرى من العالم بسبب ما يكتبون ويذيعون.

ظهر أحد كُتاب الكراريس الأوائل وهو توماس بين Thomas Paine، الذي ألهم الكثيرين بكتاباته القوية عن التمرد والحرية والحكم، في أواخر القرن الثامن عشر. ولم يكن أول من خط بالقلم على الورق أملًا في توضيح ما أسماه بالمنطق السليم ولا أول من حاول إقناع الناس بسلامة منطق أفكاره. ولعل الأهم من ذلك هو المؤلفون مجهولو الهوية (في ذلك الوقت) للصحف الفيدرالية. فقد تردد صدى عملهم – الذي تمثل في تحليل الدستور المقترح ومناقشة الأسئلة الجوهرية المتعلقة بأسلوب عمل الجمهورية الجديدة – عبر التاريخ، ولولاهم ما وافقت الولايات على الدستور أبدًا. لقد كانت الصحف الفيدرالية مداولة قوية ساعدت في صنع أمة.

لقد وقع العديد من الثورة الإعلامية في تاريخ الولايات المتحدة وصاحب كلًا منها تغيرٌ تكنولوجي وسياسي. وقد كتب بروس بيمبر Bruce Bimber يقول في كتابه «المعلومات والديمقراطية الأمريكية»[3] إن إحدى الثورات الأكثر أهمية كانت استكمال الأجزاء الأخيرة في منتصف القرن التاسع عشر مما كان وقتها النظام البريدي الأكثر جدارة بالثقة والأكثر شمولًا في العالم. ويذهب بيمبر إلى أن هذه المساعدات الحكومية غير المسبوقة ينبغي أن يُنظر لها على أنها «مشروع اتصالات يشبه مشروع مانهاتن» ساعد على ظهور أول وسيلة إعلام جماهيرية بحق: الصحف. وكان يتم توزيع الأخبار، بما في ذلك الصحف، من خلال البريد بتكلفة زهيدة وبشكل يعتمد عليه.[4]

على مدى معظم التاريخ الأمريكي، هيمنت الصحف على إنتاج ونشر ما اعتقد الناس على نطاق واسع أنه أخبار. وساهم التلغراف – وهو أداة ثورية منذ اليوم الذي قام فيه ألفريد فيل Alfred Vail شريك صامويل مورس Samuel Morse في عام 1988 بإرسال الرسالة التالية: «ماذا صنع الرب؟» من بالتيمور إلى واشنطن العاصمة – في

التعجيل بجمع ونشر الأخبار. وأصبح بإمكان الصحف المحلية حينذاك جمع وطباعة أخبار أحداث تقع في أماكن بعيدة.[5]

وقد ازدهرت الصحف خلال القرن التاسع عشر. وكان أفضلها الصحف المقدامة والتي تواكب الأحداث الجارية وخدمت في النهاية قراءها بصورة جيدة. إلا أن كثيرًا منها لم يول اهتمامًا كبيرًا لما نسميه الآن الموضوعية. فقد كان للصحف وجهات نظر تعكس سياسة داعميها وملاكها.

لقد أثارت الصحف الرأي العام طوال تاريخها. وربما حققت «الصحافة الصفراء» الظهور والشهرة في أقبح صورها عندما أساء بارونات الإعلام الأوائل أمثال جوزيف بوليتزر Joseph Pulitzer وويليام راندولف هيرست William Randolph Hearst استخدام سلطاتهم ونفوذهم. وكان العمل سيئ السمعة الذي اشتهر به هيرست على وجه الخصوص هو المساعدة في إشعال فتيل الحرب الأسبانية – الأمريكية في عام 1898 عن طريق تهييج الرأي العام.

وحينما بدأت تجاوزات عصر المظاهر الخادعة تمزق نسيج المجتمع الأمريكي ذاته، ظهر نوع جديد من الصحفيين – الباحثون عن فضائح المشاهير – في نهاية القرن التاسع عشر. وقد أدى الباحثون عن الفضائح – أكثر من معظم الصحفيين في تلك الحقبة – وظيفة الخدمة العامة المنوطة بالصحافة عن طريق فضح العديد من الممارسات الخاطئة، ومنها الأساليب غير التنافسية لبارونات المطاط والظروف القاسية في أماكن العمل. وقد كان لينكولن ستيفنس Lincoln Steffens (عار المدن) وآيدا تاربل Ida Tarbell (تاريخ شركة ستاندارد أويل)، وجيكوب ريس Jacob Riis (كيف يعيش النصف الآخر) وأوبتون سنكلير Upton Sinclair (الأدغال) من بين الصحفيين والروائيين الجريئين الذين ألقوا ضوء النهار على بعض أركان المجتمع المظلمة، ومهدوا السبيل لمجيء الحقبة التقدمية ووضعوا معيارًا لصحفيي التحقيقات في القرن الجديد.

لم تندثر الصحافة الشخصية مع اختفاء الباحثين عن الفضائح. فطوال القرن

العشرين، حظي العالم بأفراد وجدوا طرقًا للعمل خارج نطاق الصحافة التقليدية آنذاك. ومن بين أبطالي الصحفيين آي أف ستون I.F. Stone الذي كانت نشرته الإخبارية الأسبوعية مادة قراءة مطلوبة من جيل من العاملين ببواطن الأمور في واشنطن. وقد كتب فيكتور نافاسكي Victor Navasky يقول في العدد الصادر بتاريخ 21 يوليو 2003 من مطبوعة «الأمة» إن ستون تجنب الدائرة الحزبية مفضلًا إعداد التقارير الصحفية بالأسلوب القديم:

> طريقته: التقليب بسرعة في الوثائق العامة والتهامها، دفن نفسه في «سجل الكونجرس»، دراسة جلسات استماع لجان الكونجرس ومناقشاتها وتقاريرها الغامضة، مع التنقيب في الوقت نفسه عن الشذرات الإخبارية (وهذه تظهر عادة كفقرات محاطة بإطار في صحيفته)، والتناقضات في الخط الرسمي، نماذج الكذب البيروقراطي والسياسي والوثائق الخاصة بانتهاكات الحقوق المدنية والحريات. لقد عاش في المجال العام.[6]

لقد تعلم جيل من الصحفيين من أساليب ستون. وإذا كنا محظوظين، فلن يعفو الزمن أبدًا عليها.

حقبة الشركات

ولكن في القرن العشرين، بدأت الصحافة كنشاط تجاري كبير - تكوين شركات للصحافة - تبرز كقوة في المجتمع. كان لهذا التحول الحتمي آثاره الإيجابية والسلبية.

وأنا أقول «حتمي» لعدة أسباب. أولًا: إن الصناعات تندمج وتتكتل. فهذه هي طبيعة الرأسمالية. ثانيًا: نادرًا ما بقيت الشركات العائلية الناجحة في أيدي العائلات المؤسسة لها، فقد أجبرتها ضرائب الإرث على القيام ببعض عمليات البيع والتفتيت وأدى التشاحن بين الأخوة والأخوات وأبناء وبنات العم والخال الذين ورثوا بممتلكات

قيمة إلى حدوث البعض الآخر. ثالثًا: أصبحت قواعد الرأسمالية الأمريكية تفضل الكبير على الصغير في العقود الأخيرة.

إلا أنه كما ذكرت في المقدمة، يعد إنشاء مؤسسات الإعلام الكبيرة Big Media شيئًا ما من صنع التاريخ. فهو نابع من حقبة زمنية عكست فيها تحذير إيه جيه ليبلينج A. J. Liebling الشهيرة بأن حرية الصحافة ملك لمن يملكون مطبعة الواقع المالي. وقد كانت اقتصاديات نشر الصحف في صالح كبر الحجم، وظهرت الاحتكارات المحلية لأن القراء في معظم المجتمعات المحلية كانوا على استعداد لتأييد صحيفة يومية واحدة فقط بأي حجم.[7]

لعب البث الإذاعي دورًا رئيسيًا هامًا في الانتقال إلى التكتل والاندماج. فقد جذبت الإذاعة ثم التليفزيون القراء والمعلنين بعيدًا عن الصحف[8]، الأمر الذي أسهم في اندماج صناعة الصحف. لكن محطات البث الإذاعي كانت في ذات الوقت قد بدأت تتحول إلى أكبر وسائل الإعلام الكبير. ومع نموها، أخذت توظف قوة البث الإذاعي في خدمة الأخبار وحقق ذلك تأثيرًا عظيمًا.

وقد كانت تقارير إدوارد ر. مارو Edward R. Murrow على شبكة سي بي إس (CBS)، ومن أبرزها تغطيته للحياة البائسة للعمال الزراعيين والسياسة الشريرة لجو ماكارثي Joe McCarthy، لحظات فخر في عالم الصحافة.

وبلغت الهيمنة الإخبارية للشبكات والصحف الكبيرة الذروة في الستينيات والسبعينيات من القرن الماضي. وساعد الصحفيون في إسقاط رئيس خالف القانون. واعتبر مذيع الأخبار وولتر كرونكيت Walter Cronkite الشخص الأكثر جدارة بالثقة في أمريكا. إلا أن تلك كانت حقبة خسرت فيها أقسام الأخبار بالشبكات الرئيسية ماليًا ولكن نُظر لها مع ذلك على أنها جواهر التاج بسبب هيبتها واضطلاعها طويلًا بدور كاد أن يختفي الآن وهو أداء وظيفة الخدمة العامة في مجتمعاتها المحلية. وبيعت الشبكات لشركات مثل جنرال إلكتريك General Electric ومؤسسة لوس Loews

.Corp لم تكترث إلا بالنتائج المالية النهائية لأعمالها. وكان مطلوبًا من أقسام الأخبار أن تكون مراكز للربح.

برغم أن إنتاج الأخبار المذاعة من الشبكات ربما كان مكلفًا، إلا أن إنتاجها كان أسهل بالنسبة للمحطات المحلية. ولكن في حين ظلت البرامج الإخبارية الشبكية محتفظة ببعض الإحساس بالمسئولية، لم يدع معظم المحطات المحلية خدمة الثقة العامة، مفضلةً بدلًا من ذلك جذب المشاهدين من خلال العنف والترفيه، وهما عنصران أكيدان لرفع التقدير في التقييم. لقد كانت تركيبة لا يمكن مقاومتها بالنسبة لمديري الأخبار المتعطشين إلى الموارد: أرخص من التقارير الجادة والفيديو المقنع. وأصبحت مقولة «إذا نزف فهو في المقدمة» شعار التقارير الإخبارية المحلية وبقي على هذا الحال ثم أضيفت إلى المزيج الآن «صحافة» المشاهير الصبيانية.

لقد عانت أمريكا من هذه النظرة التبسيطية للأخبار. فحتى في التسعينيات عندما انخفضت معدلات الجريمة استمرت محطات التليفزيون المحلية تعطي المشاهدين انطباعًا بأن الجريمة لم تكن أبدًا مشكلة أكبر مما هي اليوم. وكان ذلك عملًا غير مسئول لأنه ساعد – ضمن جملة أسباب أخرى – على تغذية مناخ التعامل الصارم والقاسي مع الجريمة الذي انتزع من المواطنين الأمريكيين حريات مدنية جوهرية – منها معظم الحماية التي كفلها التعديل الرابع ضد عمليات التفتيش والضبط غير المعقولة – وأبقى قضايا خطيرة أخرى خارج نطاق البث الإذاعي.

ومع تسارع وتيرة الحياة، قَصُر مدى انتباهنا الجماعي. وأعتقد أن مطالبة الأخبار على محطات التليفزيون التجارية باستخدام موجات الهواء العامة من وقت لآخر لتقديم معلومات للجمهور أمر صعب فعلًا، لكن اللهث وراء الأرباح استبعد العمق.

ومما يزيد الوضع سوءًا -حقيقة أن معظمنا لا يتوقف طويلًا لكي يتدبر ما يقال لنا، ناهيك عن البحث عن السياق وبذلك نسمح لأنفسنا بالتحول لأشخاص سطحيين منقادين لأشخاص يستفيدون من ذلك.

والمواطنون السطحيون يمكن أن يتحولوا إلى غوغائيين خطرين بسهولة أكبر من المواطنين المطلعين.

في نفس الوقت، أخذت تغيرات كبيرة تحدث في مجال الصحافة التليفزيونية وراحت شركات الصحف الكبيرة تبتلع الصحف الصغيرة في سائر أنحاء البلاد. وكما سبق أن ذكرت، لم يقلل ذلك الجودة دائمًا. والحقيقة أن براعة الكتابة الصحفية في الجرائد لم تكن يومًا أفضل من بعض النواحي، ولا تزال التحقيقات الصحفية التي تقوم بها أفضل المنظمات تشعرني بالفخر. وفي حين مال بعض ملاّك الشركات – جانيت Gannett بصفة خاصة – لتحويل الصحف المستقلة إلى نماذج قيّمة لصحافة الشركات، إلا أنهم نجحوا أحيانًا في تحسين الأصل فعليًا. ولكن ليس من قبيل المصادفة أن ثلاثًا من أفضل الصحف الأمريكية – وهي ذا نيويورك تايمز وذا وول ستريت جورنال وذا واشنطن بوست – لها هيكل ملكية – سيطرة على الأصوات لعائلات و/ أو مجموعات صغيرة من المستثمرين الملتزمين – يسمح لها (أي الصحف) بتبني نظرة طويلة المدى مهما كان ما تطالب به وول ستريت على المدى القصير. كما لا ينبغي أن يندهش أحد من استخدام هذه المنظمات للإنترنت بصورة مبتكرة للغاية وهي توسع آفاقها في العصر الرقمي.

لقد كان الكبل التليفزيوني – وهو تكنولوجيا وسعت أصلًا نطاق البث التليفزيوني في عصر تكنولوجيا البث عبر الإشارات التماثلية (أنالوج) هو ما قلب التليفزيون من الداخل للخارج. ونما الكبل التليفزيوني – الذي صمم أصلًا لنقل إشارات البث الإذاعي إلى الوديان الجبلية التي يصعب الوصول لها إلى أن تحول لمركز قوة في حد ذاته عندما أدرك ملاّك الشبكات إمكانية جني أموال طائلة في المناطق الأكثر ازدحامًا بالسكان واستخدموا قسمًا من النقود في تزويد شبكاتهم بطاقة (أو سعة) قنوات أكبر.

وقد كانت قناة الكابل التي غيرت الأعمال الإخبارية إلى الأبد هي بالطبع كيبل

نيوز نيتوورك (Cable News Network (CNN المملوكة لتيد تيرنر Ted Turner وقد نسينا إلى أي مدى كانت هذه تجربة جريئة في ضوء ما حققته من نجاح فيما بعد. فحينما تم إطلاق القناة في 1 يونيو 1980، اعتبر كثيرون في حقل الأعمال الإعلامية شبكة سي إن إن لا تزيد كثيرة عن رحلة ذات مؤسسية غريبة. ولكن مثلما اتضح فيما بعد فقد أحدثت شبكة سي إن إن ثقبًا في سد كان قد بدأ بالفعل ينهار من الداخل.

وبرغم أن نظام الكبل التليفزيوني أتاح عددًا أكبر من الخيارات، فقد ظل نقطة محورية للسيطرة من قبل ملاك الكبل. فقد كانت شركات الكبلات هي التي تقرر أي حزمة قنوات تقدم. وبالتأكيد كان لدى المستهلكون فرصة للاختيار: القبول أو الرفض. وكما سنرى في الفصل الحادي عشر، بدأ نظام الكبل التليفزيوني يصبح جزءًا من احتكار ثنائي واسع النطاق يمكن أن يهدد اختيار المعلومات في المستقبل.

من الخارج للداخل

خلال حقبة المركزية وملكية الشركات هذه، أخذت قوى التغيير تتجمع عند الحواف. وكان بعض القوى تكنولوجيًا مثل المعالج الدقيق (أو المصغر) الذي أدى مباشرة لظهور الحاسب الآلي الشخصي وتجربة ربط شبكات بيانات ممولة فيدراليًا اسمها ARPANET كانت مقدمة لظهور الإنترنت. وكان البعض الآخر سياسيًا و/ أو قضائيًا مثل قرارات المحكمة العليا التي أجبرت شركة إيه تي آند تي AT&T على السماح لأطراف ثالثة بتوصيل تليفوناتهم بشبكة مابيل وقرارات قضائية أخرى جعلت قيام مشتري أجهزة الفيديو المنزلية بتسجيل البرامج والمواد التليفزيونية لمشاهدتها لاحقًا عملًا قانونيًا.

لقد لاح الاختيار الشخصي، مدعومًا بقوة التكنولوجيا الشخصية، في الأفق.

وقد اقتنيت أول جهاز كمبيوتر شخصي في حياتي في أواخر السبعينيات. وفي أوائل الثمانينيات عندما أصبحت صحفيًا لأول مرة اشتريت واحدًا من أوائل

الحاسبات الشخصية المحمولة (ماركة أوسبورن) واستخدمته في كتابة القصص الإخبارية وإرسالها إليكترونيًا لبعض المطبوعات مثل ذا نيويورك تايمز وذا بوسطن جلوب التي كنت أعمل لحسابها كصحفي مستقل من فيرمونت. كنت مبهورًا بهذه الأداة المذهلة التي سمحت لي - أنا المراسل الصحفي الذي يعمل بمفرده فيما كان يعتبر خلفية - بإعداد تقارير إخبارية في الوقت المناسب وبكفاءة.

كان عالم الاتصال المباشر التجاري لا يزال في مرحلة نشأته الأولى في تلك الأيام ولم أستطع مقاومة الرغبة في تجريبه. وحدثت أول مواجهة بيني وبين قوة فضاء الاتصالات الإليكترونية في 1985. كنت وقتها أستخدم معالج نصوص اسمه Xy Write وهو برنامج الحاسبات الشخصية المفضل لدى الكُتاب الجادين في تلك الأيام. وكان يعمل بسرعة على الحاسبات الآلية البطيئة الموجودة في تلك الحقبة ويستخدم لغة برمجية داخلية تسمى XPL كان تعلمها سهلًا نسبيًا وذات إمكانيات قوية بصورة لا تصدق. وفي أحد الأيام، تعرضت لمشكلة متعلقة بلغة XPL، فأرسلت رسالة قصيرة إلى منتدى لمعالجة النصوص على كمبيوسيرف CompuServe التي كانت واحدة من أنجح خدمات الاتصال المباشر التجارية خلال تلك الحقبة. وفي اليوم التالي دخلت على المنتدى مرة ثانية فوجدت حلولًا لمشكلتي الصغيرة من أشخاص في العديد من المدن الأمريكية بل وحتى من استراليا.[9]

لقد اعتراني الذهول وتملكتني الدهشة، فقد دخلت على الشبكة طالبًا المساعدة فتلقيت تثقيفًا وتعليمًا. وكنت أعلم ضمنيًا أن هذا أمر ذو شأن.

بالطبع لم أستوعب الأمر تمامًا. فقد أمضيت العام الدراسي 1986-1987 في زمالة بجامعة ميتشجن التي كانت في قلب الإنترنت في تلك الأيام - وكانت آنذاك لاتزال شبكة جامعية وحكومية وبحثية مكونة من عدة شبكات - دون أن أتمكن من ملاحظة الإنترنت. وقد احتفظ جون ماركوف John Markoff بصحيفة ذا نيويورك تايمز، الذي كان أول مراسل بصحيفة رئيسية يفهم قيمة الإنترنت - بما يعرفه لنفسه في تلك الأيام

كصحفي وحقق سبقًا صحفيًا تلو الآخر نتيجةً لذلك. وكان من ضمن الطرق التي حصل بها على المعلومات قراءة لوحات الرسائل العامة الموجودة على الإنترنت التي كان يطلق عليها بصورة جماعية Usenet وكانت ولا تزال مجموعة من «الجماعات الإخبارية» (newsgroups) التي يستطيع أي شخص لديه وصلة إنترنت أن يكتب تعليقات عليها. لقد كانت Usenet – ولا تزال – موردًا مفيدًا.[10]

لم تكن كمبيوسيرف الطريقة الوحيدة للاتصال المباشر في الثمانينيات. فقد تضمنت الاختيارات الأخرى لوحات النشرات الإليكترونية المعرفة باسم بي بي إس (BBS) والتي تحولت إلى حارة سدّ تكنولوجية ولكنها كانت ذات قيمة عظيمة في ذلك الوقت. كنت تقوم بالاتصال تليفونيًا بـ BBS محلية عبر مودم في حاسبك الآلي، وتقرأ وتكتب الرسائل وتنزل الملفات وتحصل على ما يعادل نسخة محلية من الإنترنت ونظم مثل كمبيوسيرف. وكنت تجد مجموعة متنوعة من الموضوعات عن كل هذه النظم تتراوح بين الطيران والتكنولوجيا والسياسة وكل ما يثير اهتمام الأشخاص المستخدمين لها.

لقد وجدت الجماعات السياسية المتطرفة طريقها إلى هيئات النشرات مبكرًا. فقد كنت أعمل مراسلًا صحفيًا لحساب صحيفة كنساس سيتي تايمز في منتصف الثمانينيات وأمضيت الجزء الأفضل من إحدى السنوات في مطاردة جماعات مثل The Posse Comitatus حول حزام المزارع. هذه المنظمة وغيرها من المنظمات المناهضة للمؤسسات وجدت آذانًا صاغية وسط ركود اقتصادي ريفي جعل من السهل عليها استقطاب المزارعين وسكان البلدات الصغيرة الآخرين الذين شعروا أنهم ضحايا البنوك والحكومات. وقد وجدت طريقي للاتصال المباشر بعديد من اللوحات المدارة بواسطة جماعات راديكالية متطرفة، ولم أغص عميقًا داخل النظم لأن الأشخاص القائمين على تشغيلها كانوا يفهمون أساسيات الأمن. وقد أخبرني مسئولو تطبيق القانون وآخرون كانوا يراقبون أنشطة الراديكاليين في ذلك الوقت أن لوحات النشرات الإليكترونية واحدة من أدوات اليمين الراديكالي المتطرف الأكثر فعالية[11].

إعلام رسائل طلب الفدية

لم تتعلق التكنولوجيا الشخصية بالاتصال المباشر بالفضاء الإليكتروني فحسب. بل كانت تتعلق بإنشاء وسائل الإعلام بطرق جديدة و - هذا هو المهم - أقل تكلفة. على سبيل المثال: كان الموسيقيون من أوائل المستفيدين من تكنولوجيا الحاسب الآلي.[12] لكن النشر المكتبي هو الذي أصبحت فيه الإمكانات الصحفية الأشد وضوحًا.

لقد نقلت سلسلة من الاختراعات في منتصف الثمانينيات هذه الوسيلة إلى حقبة جديدة. ففجأة، ومع ظهور جهاز أبل ماكينتوش وطابعة الليزر أصبح بإمكان المرء أن ينشئ ويخرج مطبوعة بسهولة وتكلفة زهيدة. لم يختف النشر الكبير - فقد تكيف عن طريق استخدام التكنولوجيا لخفض التكاليف - لكن مستوى الدخول للمجال تحرك نازلًا إلى الجماعات الصغيرة وحتى الأفراد ومثَّل ذلك تحررًا مذهلًا من الماضي.

كان هناك عيبٌ واحدٌ في جعل قدر هائل من القوة والمرونة في أيدي غير المحترفين. ففي الأيام الأولى للنشر المكتبي، مال الناس لاستخدام أشكال مختلفة وأكثر من اللازم من حروف الطباعة في الصفحة الواحدة، وهو أسلوب تم تشبيهه بدقة شديدة برسائل طلب الفدية. لكن فوضى استخدام حروف الطباعة كانت ثمنًا بسيطًا لكل تلك الأصوات الجديدة.

كان الإعلام الكبير لا يزال يتزايد حجمًا في هذه الفترة، ولكنه لم يكن يلاحظ التغييرات الديموجرافية العميقة التي أخذت تعيد تشكيل الأمة طوال عقود. ونادرًا ما عكست قاعات الأخبار التنوع ناهيك عن التغطية والتنوع. وأتاح النشر المكتبي ونتاجه للكثير من اللاعبين الجدد، ومن بينهم الصحافة العرقية، منفذًا للدخول للصحافة، التي لم تكن أقلها شأنًا الصحافة العرقية. لقد حاول الإعلام الكبير أن يتكيف. وتتجه قاعات الأخبار لأن تصبح أكثر تنوعًا. وأطلقت الشركات الإعلامية الرئيسية أو اشترت مطبوعات أو محطات إذاعية عرقية شعبية. لكن الإعلام العرقي المستقل واصل النمو من حيث الحجم والجودة والمصداقية: الصحافة الشعبية الصاعدة.[13]

بصوت مرتفع وأسلوب عنيف

في هذه الأثناء، كانت الإذاعة الحوارية في طريقها لأن تصبح قوة أيضًا، وإن لم تكن قوة جديدة تمامًا بأية حال. فقد قدمت الإذاعة البرامج الحوارية طيلة تاريخها وتعود برامج اتصال المشاهدين إلى عام 1945. وصب مقدمو برامج عنيدون ومتشبثون برأيهم، انتمي معظمهم لليمين السياسي، أمثال الأب كوجلين Father Coughlin غضبهم على الحكومة والضرائب والانهيار الثقافي وقضايا متنوعة كانوا هم ومستمعوهم مقتنعين أنها لا تلقي اهتمامًا كافيًا من وسائل الإعلام التقليدية. وكان مقدمو البرامج هؤلاء إعلاميين ترفيهيين بقدر ما كانوا معلقين، واجتذبت برامجهم أعدادًا كبيرة من المستمعين.

لكن الإذاعة الحوارية الحديثة تميزت بسمة حاسمة أخرى: مشاركة الجمهور. فكان الناس – أناس عاديون – يُدْعَون لإبداء رأيهم عبر الإذاعة. وقبل ذلك لم يكن لدى الأشخاص العاديون منفذًا فوريًا أو معينًا لتقديم قصصهم وطرح وجهات نظرهم سوى إرسال خطابات إلى رئيس التحرير في الصحف. أما الآن فبإمكانهم أن يكونوا جزءًا من البرنامج وأن يضيفوا بذلك وزن معتقداتهم الخاصة إلى وزن معتقدات مقدم البرنامج.

لقد كان الناس الذين يصنعون هذه الأخبار من الجمهور. ويعتقد هوارد كيرتز Howard Kurtz، الكاتب الإعلامي في صحيفة ذا واشنطن بوست أن الإذاعة الحوارية سبقت زمنيًا ظاهرة مدونات الويب وتنبأت بها من عدة نواح. وقال لي أن كلتا الوسيلتين تصلان إلى وتتواصلان مع "زمرة من الناس يتفاداها الإعلام التقليدي". ويكتب كيرتز الآن عمودًا إليكترونيًا شبيهًا بالمدونات[14] لحساب صحيفة ذا بوست بالإضافة إلى قصصه وعموده المنتظمين.

لم تتعلق الإذاعة الحوارية في الماضي أو الحاضر بالغضب السياسي فحسب حتى إذا كانت السياسة وقضايا الساعة الأخرى هي الغذاء اليومي. كما أصبح الأسلوب موجّه

صوت Sounding board أعرض. فالأطباء يقدمون النصح والمشورة (بما في ذلك شخصية «فريزر كرين» الخيالية التليفزيونية) وينصح المعلمون الروحيون في مجال الحاسب الآلي من ليس لهم دراية به بشأن ما ينبغي عليهم شراؤه ويستمع المحامون إلى مشكلات قانونية غريبة.

وقد قدمت لي الإذاعة الحوارية فرصة صغيرة أخرى لاستشراف مستقبل الأخبار. ففي منتصف التسعينيات، بعد فترة ليست طويلة من انتقالي إلى كاليفورنيا، هز زلزال متوسط القوة ولكن واضح منزلي ذات يوم. فأخذت أستمع إلى محطة حوارية محلية تخلت عن برامجها المقررة فيها راحت تتلقى مكالمات هاتفية من المناطق المحيطة بمنطقة خليج سان فرانسيسكو وحصلت على تقارير فورية من المواطنين العاديين في منازلهم ومكاتبهم.

بزوغ حقبة الويب

مع مجيء عقد التسعينيات، أصبحت الحاسبات الشخصية منتشرة بصورة أكبر بكثير. وكان عدد قليل من الناس نسبيًا يستخدمون الاتصال المباشر، ربما باستثناء شبكات الشركات التي تربط الحاسبات الشخصية في المكاتب، حرم الجامعات، لوحات الإعلانات أو الخدمات التجارية التي كانت لا تزال مبكرة وسابقة لظهور الويب مثل كمبيوسيرف وأمريكا أون لاين. ولكن سلسلة أخرى من الفتوحات كانت توشك أن تنقلنا إلى عالم مترابط شبكيًا.

في عام 1990، ابتكر تيم برنرز- لي Tim Berners-Lee تكنولوجيا النص الفائق التي أصبحت شبكة الويب العالمية World Wide Web. وقد كتب برمجيات لتقديم معلومات من الحاسبات الآلية المتصلة ببعضها وبرنامج «عميل» كان في الحقيقة أول برنامج تصفح. وكان هو السبب في تطوير لغة ترميز النص الفائق (HTML) (Hypertext Markup Language التي سمحت لأي شخص يمتلك قدرًا متواضعًا من المعرفة بنشر وثائق كصفحات ويب يمكن ربطها بسهولة بصفحات أخرى في أي مكان في العالم. لم

كان ذلك حيويًا بهذا القدر؟ يمكننا الآن الانتقال من موقع إلى آخر ومن وثيقة إلى أخرى بنقرة واحدة على فأرة أو لوحة مفاتيح. فقط ربط بيرنرز – لي معًا مجموعة الوثائق العالمية التي كانت شبكة الإنترنت (The Net) قد أنشأتها بالفعل، ولكنه أراد دفع الفكرة خطوة أخرى إلى الأمام: أن يكتب على هذه الشبكة لا أن يقرأ منها فحسب.

ولكن هناك شيئًا لم يفعله بيرنرز – لي عمدًا. لم يسجل براءة اختراع اخترعه. وبدلًا من ذلك، قدم للعالم أساسًا مفتوحًا وقابلًا للتوسيع يمكن بناء ابتكارات جديدة عليه.

وكان الفتح الثاني هو موزايك Mosaic – واحد من برامج تصفح الويب المبكرة للرسوم والأشكال التي تعمل على نظم تشغيل سطح المكتب الشعبية الرائجة وكان هذا التصفح هو أساس الإنترنت التجاري. وقد شجع برنامج التصفح والسهولة النسبية لإنشاء صفحات الويب على القيام ببعض التجارب الرائدة فيما نعرفه اليوم باسم الصحافة الشخصية. دعونا نتحدث قليلًا عن واحد من أفضل النماذج وأبكرها.

كان جاستن هول Justin Hall طالبًا بالسنة الثانية في كلية سوارثمور في 1993 عندما سمع عن الويب. وقام بتكويد بعض الصفحات يدويًا بلغة HTML. وربما تكون «وصلات جاسن من تحت الأرض»[15] هي أول مدونة جادة قبل أن تصبح أدوات برمجيات مدونات الويب المتخصصة متاحة بوقت طويل. وجاء أول زائر لموقع جاستن من خارج الجامعة في 1994. وقد شرح دوافعه في بريد إليكتروني.

> لم فعلت ذلك؟ تقاسم ما لدي والرغبة في الانضمام إلى جماعة كبيرة تتقاسم المعرفة العالمية. فرصة المشاركة في شيء رائع. رغبة خبير في الأرشفة في تجريب التوثيق وأرشفة (حفظ) خبراتي الشخصية والإعلامية. في الكلية أدركت أن بروست وجويس Proust and Joyce كانا سيحبان الويب وربما كانا سيحاولان إجراء تجربة مماثلة – لقد كتبا بلغة النص الفائق عن الحياة الإنسانية.

كانت صحافة، لكنني كنت أكتب عن نفسي في الغالب. في الأيام الأولى كتبت عن

الويب لأن عددًا قليلًا من الأشخاص الآخرين كانوا يفعلون ذلك. وبعد أن ظهرت محركات البحث وأدلة الوصلات لم أحتج لفهرسة وتبويب كل شيء بالاتصال المباشر. فقد استمتعت بامتلاك أداة أعبر بها عن أفكاري وخبراتي وفرصة ربط تلك الخواطر والأفكار والخبرات ببقية العالم المكهوب الناطق باللغة الإنجليزية!

ما الذي حدث؟ لقد أكملت الاتصالات التحول. فالمطبعة والبث الإذاعي وسيلة موجهة من واحد إلى كثيرين. والهاتف موجه من واحد لواحد. الآن أصبح لدينا وسيلة كانت أي شيء أردنا أن تكونه: واحد لواحد وواحد لكثيرين وكثيرين لكثيرين. إن أي شخص فحسب يستطيع امتلاك مطبعة رقمية ويتوافر له توزيع عالمي[16].

لم يكن أيٌّ من هذا ليدهش مارشال ماكلوهان Marshall McLuhan. والحقيقة أن أعماله الملقحة لاسيما «فهم الإعلام» تمدد للإنسان[17] «والوسيلة هي رسالة»[18] استشعرت مقدمًا ما حدث. وكما كتب يقول في مقدمة كتابه «فهم الإعلام»:

> بعد ثلاثة آلاف سنة من الانفجار، يتفجر العالم الغربي داخليًا بواسطة التكنولوجيات الشظوية والميكانيكية. فخلال العصور الميكانيكية كنا قد وسعنا ومددنا أجسامنا في الحيز. واليوم بعد أكثر من قرن من التكنولوجيا الكهربائية، قمنا بتمديد جهازنا العصبي المركزي نفسه في عناق عالمي وإلغاء المكان والزمان معًا فيما يتعلق بكوكبنا. إننا نقترب بسرعة من مرحلة تمدد الإنسان - المحاكاة التكنولوجية للوعي عندما سيتم تمديد العملية الإبداعية الخاصة بالمعرفة جماعيًا ومؤسسيًا للمجتمع الإنساني بأسره، مثلما قمنا بتمديد وتوسيع حواسنا وأعصابنا بالفعل بواسطة وسائل مختلفة.

كما لم يكن أيٌّ من هذا ليسبب صدمة لألفين توفلر Alvin Toffler الذي شرح في كتابه «الموجة الثالثة»[19] كيف دقت تكنولوجيا التصنيع إسفينًا بين المنتجين والمستهلكين. فقد خفض الإنتاج الكبير تكلفة وحدة الإنتاج ولكن على حساب شيء حيوي: الصلة الإنسانية بالمشتري. وقال إن تكنولوجيا المعلومات سوف تؤدي - ضمن عدة أشياء

أخرى – إلى الإنتاج حسب طلب العميل على نطاق واسع mass customization وإلغاء الوساطة والتقاء الوسائط.

ربما لم توجد وثيقة في عصرها أكثر تبصرًا بإمكانيات الويب من «بيان كلوترين» Cluetrain Manifesto[20] الذي ظهر أول مرة على الويب في أبريل 1999. لقد كانت الوثيقة طموحة وعميقة معًا وغلبت عليها الصفة الثانية أكثر. ومن خلال تناول أفكار ماكلوهان وآخرين كثيرين بإسهاب نجح المؤلفون الأربعة ريك ليفاين Rick Levine وكريستوفر لوك Christopher Locke ودوك سيرلز Doc Searls وديفيد وينبيرجر David Weinberger – في إقناعي ومجموعة من القراء الآخرين الذين كانوا يعلمون تمامًا مدى قوة الشبكة ولكن لم يكونوا متأكدين من كيفية تحديد السبب بالضبط.

كتب المؤلفون يقولون «لقد بدأت محادثة عالمية، ومن خلال الشبكة يكتشف الناس ويخترعون طرقًا جديدة للاشتراك في المعرفة بسرعة فائقة. وكنتيجة مباشرة لذلك، بدأت الأسواق تصبح أكثر ذكاءً بصورة أسرع من معظم الشركات».

وقد شرحوا السبب في أن شبكة الإنترنت تغير طبيعة الأعمال ذاتها. وقالت أولى أطروحاتهم الـ 95 ببساطة شديدة أن: «الأسواق هي محادثات». لقد أدركت أن الصحافة محادثة أيضًا. وأصبح بيان كلوترين وسوابقه أساسًا لنظرتي المتطورة لهذه المهنة.

الكتابة على الويب

لقد أصبح المجال مهيأً الآن لظهور نوع جديد من الأخبار. ولكن كان يجدر وضع بعض القطع النهائية في مكانها المناسب. وكانت إحدى هذه القطع تكنولوجية: إعطاء الناس العاديين الأدوات اللازمة للانضمام لهذه المحادثة الجديدة. وكانت قطعة أخرى ثقافية: إدراك أن وضع أدوات الخلق في ملايين الأيدي يمكن أن يؤدي إلى ظهور مجتمع غير مسبوق. لقد كان آدم سميث ينشئ مجتمعًا جماعيًا من ناحية ما.

لقد أدى صناع الأدوات – ولا يزالون يؤدون – واجبهم. وفي شبه مفارقة ساخرة

من المعتاد أن تظهر في هذا التحول، كان لانزعاج أحد المبرمجين من الصحفيين علاقة وثيقة بواحد من أهم التطورات.

كان ديف واينر Dave Winer قد كتب وباع أداة للتلخيص سُميت «More» وهي إحدى تطبيقات ماكينتوش[21] كان مطورًا ملتزمًا وواسع الاطلاع في شركة ماكينتوش ولكن في أوائل التسعينيات وجد نفسه منزعجًا أكثر وأكثر من مؤسسة صحفية كانت من وجهة نظره تفهم القصة بصورة خاطئة تمامًا.

في ذلك الوقت، كانت ميكروسوفت ويندوز قد بدأت تصبح أكثر شعبية ورواجًا وأخذت مؤسسة النشر تعلن أن أبل Apple شركة تتعرض لمتاعب فعلًا وأنها أصبحت جريحة. نعم كانت تتعرض للمتاعب ولكن عندما أصر صحفيو الحاسب الآلي على قول إن «أبل ميتة ولم يعد هناك تطوير لبرامج ماكينتوش» استشاط واينر غضبًا. وقرر أن يتحول عن الوسائط الراسخة ومع ظهور الإنترنت وجد الوسيلة الملائمة.

نشر واينر نشرة إخبارية عبر البريد الإليكتروني أسماها «ديف نت» Dave Net. كانت النشرة عنيدة ولاذعة ومستفزة ووصلت للكثير من أصحاب النفوذ والتأثير في صناعة التكنولوجيا ولفتت انتباههم. ربما كان نقد واينر جارحًا، لكن كان له سجل طويل من الإنجازات والبصيرة العميقة.

إن واينر لم يقنع مؤسسة الصحافة والنشر في الحقيقة بإعطاء ماكينتوش الخبر الذي كانت تستحقه. ومن جانبها، ارتكبت أبل أخطاء إستراتيجية أبعدت عنها مطوري البرمجيات وساعدت في تهميش البرنامج. وأصبحت ويندوز - بدعم من تكتيكات ماكينتوش الخشنة التي تحولت إلى أفعال مخالفة للقانون بشكل صريح - مسيطرة.

لكن واينر أدرك شيئًا. فقد وجد أن الصحافة أخذ يصيبها الوهن فتجاوزها. ثم توسع فيها بداءه. وعلى غرار جاستن هول، أنشأ صفحة إخبارية بشكل أصبح معروفًا فيما بعد بشكل المدونة أحدث المواد في القمة.

في أواخر التسعينيات، أعاد واينر وفريقه في يوزرلاند سوفت وير Userland

Software [22] كتابة تطبيق اسمه فرونتير Frontier. وأطلق اسم مانيلا على مجموعة واحدة من الوظائف الجديدة كانت من أوائل البرامج التي سهّلت على المبتدئين إنشاء مدونات خاصة بهم. وقد تم إنشاء أول مدونة لي على نسخة بيتا من مانيلا. وقال واينر أن الصحافة التقليدية لن تصمد في وجه ما ساعد على إنتاجه. وأنا أختلف معه في الرأي، إلا أن مساهماته في مستقبل المهنة حيوية وجوهرية.

تزويد الأخبار بمصادر مفتوحة

ربما يكون تطوير الحاسب الآلي الشخصي قد قوى ومكّن الفرد، ولكن كانت هناك حدود واضحة، من بينها كود البرمجيات نفسه، لقد كانت البرامج المملوكة ملكية خاصة كالصناديق السوداء، فنحن نستطيع أن نرى ماذا فعلت ولكن ليس كيف عملت.

وقد بدا هذا الوضع خاطئًا لريتشارد ستولمان Richard Stallman وآخرين غيره. وفي يناير 1984، استقال ستولمان من منصبه بمختبر الذكاء الاصطناعي بمعهد ماساشوستس للتكنولوجيا، وأطلق رسميًا مشروعًا لإنشاء نظام تشغيل حر وبرامج نشر مكتبي مرتكز على نظم تشغيل يونيكس Unix المستخدمة في كثير من الحاسبات الآلية الجامعية.[23] وأصبحت أفكار ستولمان في النهاية أساس لينوكس: نظام التشغيل مفتوح المصدر الذي جلب الشهرة للينوس تورفالدز Linus Torvalds.[24]

لقد كان هدف عمل ستولمان آنذاك والآن هو ضمان توافر برامج برمجيات حرة دومًا لمستخدمي الحاسب الآلي من أجل أداء المهام الأكثر أساسية وأهميةً. وقد اعتقد ستولمان وآخرون في هذه الحركة أن تعليمات البرمجة – كود المصدر– الخاصة بالبرمجيات الحرة كان لابد أن تكون عرضة للتفتيش والتعديل من جانب أي شخص. وفي أواخر التسعينيات، مع اكتساب لينوكس قوة دافعة في السوق وتوافر عدد كبير من تطبيقات البرمجيات الحرة ونظم التشغيل، أصبح للحركة اسم آخر: المصدر المفتوح كناية عن التوافر المفتوح للتعليمات البرمجية المكتوبة بلغة المصدر.

إن مشروعات برمجيات المصدر المفتوح نسخة رقمية من تقليد البلدة الصغيرة: إنشاء مخزن للحبوب. لكن مشروعات المصدر المفتوح يمكن أن تتضمن أشخاصًا من شتى أنحاء العالم لن يلتقي معظمهم ببعض إلا بالاتصال المباشر بالإنترنت. وأن يسترشدون بقادة المشروعات - تورفالدز في حالة لينوكس - يساهم هؤلاء بأجزاء فيما يصبح حزمة كاملة. وبرمجيات المصدر المفتوح في حالات كثيرة في نفس جودة البرمجيات التجارية أو أفضل منها. وتقع هذه البرامج في قلب أكثر وظائف الإنترنت أساسية: إذ تُشغل برمجيات المصدر المفتوح معظم حاسبات وحدات خدمة الويب التي تنقل المعلومات إلى برامج التصفح الخاصة بنا.

عندما يكون الكود عرضة للتفتيش، يكون استخدامه أكثر أمانًا لأن الناس يستطيعون العثور على الثغرات الأمنية وسدها. ويمكن العثور على الأخطاء الخفية - العيوب المزعجة التي تسبب تعطل البرامج والسلوكيات الأخرى غير المتوقعة- وعلاجها بصورة أسهل كذلك.[26]

ما علاقة ذلك بصحافة الغد؟ علاقة كبيرة.

لقد طرح يوتشي بنكلر Yochai Benkler - أستاذ القانون بجامعة يل الذي كتب باستفاضة عن ظاهرة المصادر المفتوحة - حجة قوية مؤداها أن هذا الأسلوب الناشئ للتنظيم ينطبق بشكل أوسع نطاقًا من البرمجيات. وفي مقال نشر في 2002 بعنوان «Coase's Penguin»[27] قال إن أسلوب البرمجيات الحرة يمكن أن يعمل بشكل أفضل من الهيكل الرأسمالي التقليدي للشركات والأسواق في بعض الظروف. وقال إنه بصفة خاصة «يتمتع بميزة منهجية عن الأسواق والهياكل الإدارية الهرمية عندما يكون الشيء محل الإنتاج هو المعلومات أو الثقافة وعندما يوزع رأس المال المادي الضروري لذلك الإنتاج - قدرات الحاسبات الآلية والاتصالات - على نطاق واسع بدلًا من أن يكون مركزًا».

ربما كان يعني بوصفه هذا الصحافة. وقد قدم بينكلر في مقاله وعلى مدى العديد من الأحاديث الطويلة التي دارت بيننا في السنوات العديدة الماضية، الحجة على أن العديد

من لبنات البناء موجودة بالفعل لتدعيم الإعلام الكبير - إن لم تحل محله مباشرة - بتقنيات المصدر المفتوح.

وقد أخبرني أن مؤلفي المدونات ومشغلي المواقع الإخبارية المستقلة يقومون بالفعل بعمل جدير بالاحترام وهو البحث عن الأخبار وفرزها من أجل الأشخاص الراغبين فيها. ولا يؤدي مؤلفو المدونات فقط وظيفة التحرير بل يؤدون أيضًا مجموعة من الأنواع الجديدة لعمليات الأخبار الإليكترونية. ويمارس بعض المواقع الإخبارية التي تتم مراجعتها بواسطة الأقران مثل موقع KuroShin [28] التعاوني الذي يصف نفسه بـ «التكنولوجيا والثقافة من الخنادق» صحافة مثيرة للاهتمام بأي مقياس حيث يساهم القراء بمقالات ويقررون أي القصص توضع أعلى الصفحة.

وطبقًا لبينكلر، فإنه في مجال صحافة التحقيقات فقط يحتفظ الإعلام الكبير بميزة عن صحافة المصادر المفتوحة. ويرجع السبب إلى الموارد التي يستطيع الإعلام الكبير تسخيرها لإجراء تحقيق ما. وفي الفصل التاسع، سوف أذهب إلى أنه حتى هنا، تحرز القاعدة الشعبية تقدمًا جادًا.

وفي مجالي الصغير، أنا مقتنع بأن هذا ما يحدث فعلًا. فإذا كان قرائي يعرفون أكثر مني (وأنا متأكد من ذلك) أستطيع أن أشركهم في عملية جعل صحافتي أفضل. وفي حين توجد عناصر مصدر مفتوح هنا، إلا أنني لا أصف عملية شفافة تمامًا. لكن أشكالًا جديدة للأدوات الصحفية مثل ويكي Wiki (التي سأناقشها في الفصل التالي) تكون شفافة تمامًا من البداية. وسوف يأتي المزيد.

إن فلسفة المصادر المفتوحة يمكن أن تنتج صحافة أفضل في البداية، لكن ذلك مجرد البداية لظاهرة أوسع. وفي النسق التحادثي للصحافة الذي اقترحته في المقدمة، قد يكون المقال الأول البداية فقط لمحادثة يستنير فيها كلٌ منا بالآخر. إننا يمكن أن نصحح أخطاءنا. ويمكننا أن نضيف حقائق جديدة وسياقًا جديدًا.[29]

وإذا كنا نستطيع إنشاء مخزن للحبوب معًا، فإننا نستطيع ممارسة الصحافة معًا. إننا نفعل ذلك بالفعل.

الإرهاب يهز أركان الصحافة

مع بداية القرن الجديد، كانت لبنات البناء الرئيسية للصحافة الشعبية الناشئة موجودة. وكانت شبكة الويب مكانًا لعبت فيه منظمات الأخبار العريقة والوافدون الجدد لعبة قديمة بطرق محدَّثة، لكن الأدوات سهَّلت مشاركة أي شخص. لقد كنا في حاجة إلى حافز لإظهار أي شوط قطعناه. وفي 11 سبتمبر 2001 حصلنا على ذلك الحافز بطريقة مروعة.

كنت في جنوب أفريقيا. وبلغتني الأخبار أنا وأربعة آخرين في سيارة مقفلة في الطريق إلى أحد المطارات عبر هاتف محمول. فقد اتصلت زوجة سائقنا من جوهانسبيرج حيث كانت تشاهد التليفزيون لتقول إن طائرة اصطدمت فيما يبدو بمركز التجارة العالمي. ثم اتصلت مرةً ثانية لتقول إن طائرة ثانية اصطدمت بالبرج الآخر ومرة ثالثة لإبلاغنا بالهجوم على البنتاجون. ووصلنا إلى مطار بورت إليزابيث في الوقت المناسب لنشاهد على الهواء مباشرةً والرعب يملؤنا البرجين وهما ينهاران.

وفي اليوم التالي، سافرت مجموعتنا من الصحفيين التي كانت مؤسسة فريدوم فورام Freedom Forum وهي مؤسسة صحفية قد استقدمتها إلى أفريقيا لإجراء أحاديث وورش عمل عن الصحافة والإنترنت، جوًا إلى لوزاكا بزامبيا. وكانت الطبعة الدولية لشبكة بي بي سي و سي إن إن تُذاع في تليفزيون الفندق. ونشرت الصحف المحلية أخبارًا كثيرة عن الهجمات، ولكنها كانت أكثر انشغالاً بالانتخابات المقبلة وتهم الفساد وأخبار أخرى كانت ببساطة أوثق صلة بهم في تلك اللحظة.

ما لم أستطع القيام به في تلك الأيام الأولى كان قراءة صحف سان جوزيه ميركوري نيوز أو ذا نيويورك تايمز، سان فرانسيسكو كرونيكل، وذا وول ستريت

جورنال أو أي من الصحف الأخرى التي كنت أتصفحها في العادة كل صباح في وطني. واستطعت بالكاد الوصول إلى مواقعها على الويب لأن وصلة الإنترنت بزامبيا كانت بطيئة وحركة البيانات عبر الأطلنطي مزدحمة بسبب دخول الناس في كل مكان إلى الإنترنت بحثًا عن مزيد من المعلومات أو لمجرد التحدث مع بعضهم البعض.

بيد إنني استطعت استرجاع بريدي الإليكتروني وفاض صندوق الوارد بالاخبار المفيدة من ديف فاربر Dave Farber، أحد أبناء الجيل الجديد من المحررين.

في ذلك الوقت كان لدى فاربر – أستاذ الاتصالات السلكية واللاسلكية بجامعة بنسلفانيا – قائمة بريدية تسمى «أشخاص مثيرون للاهتمام»[30] منذ منتصف الثمانينيات.ومعظم ما أرسله كان قد أُرسل له أولًا من قبل مراسلين صحفيين كان يعرفهم في أنحاء مختلفة من البلاد والعالم. وعندما كانوا يشاهدون شيئًا يعتقدون أنه سيجده مثيرًا للاهتمام كانوا يرسلونه له وكان فاربر يعيد إرسال جزء مما تلقاه مصحوبًا بتعليقات منه أحيانًا. وفي أعقاب الهجمات أصبحت منظورات مراسليه حول قضايا تراوحت بين قضايا الأمن القومي والانتقادات الدينية مادة قراءة أساسية بسبب اتساعها وعمقها. وقد أخبرني فاربر فيما بعد أنه دخل في سباق مع الزمن لأن هذا الحدث اضطره للقيام بذلك.

قال فاربر شارحًا: «إنني أعتبر نفسي محررًا بمعنى حقيقي. هذا شكل غريب للصحيفة الجديدة تمثل فيه شبكة الإنترنت نوعًا من الخدمة السلكية. ووظيفتي هي تقرير ما ينبغي أن يخرج وما لا ينبغي أن يخرج... وبرغم إنني لا أحرر بمعنى التحرير الحقيقي، إلا أنني أقوم باختيارات».

لا تزال إحدى رسائل البريد الإليكتروني التي أرسلها فاربر بتاريخ 12 سبتمبر ماثلة في ذاكرتي. كانت بريدًا إليكترونيا من مرسل مجهول الهوية كتب يقول: «صورة ملتقطة بواسطة الأشعة تحت الحمراء بالقمر الصناعي SPOT لمنهاتن في 11 سبتمبر الساعة 11:55 صباحًا. يجوز استنساخ الصورة بحرية مع عزو الحق إلى CNES/SPOT

Image 2001». وأظهرت الصورة سحابة قبيحة بنية سوداء اللون من الأتربة والحطام تغلف معظم الجزء الأدنى من منهاتن. وبقيت الصورة معي.

هنا كان السياق حينما عدت إلى أمريكا، كان أعضاء مجتمع المدونات الوليد آنذاك قد اكتشفوا قوة أداة النشر الخاصة بهم. وقدموا عددًا وفيرًا من الوصلات المؤدية إلى مقالات من منظمات إخبارية كبيرة وصغيرة، محلية وأجنبية. وسجل مؤلفو مدونات مدينة نيويورك وجهات نظر شخصية حول ما شاهدوه مع صور فوتوغرافية، موفرين مزيدًا من المعلومات والسياق يضاف إلى ما كانت وسائل الإعلام الرئيسية تقدمه.

كتبت إيمي فيليبس Amy Phillips في مدونتها المعنونة «الساعة التي مدتها 50 دقيقة» تقول في 11 سبتمبر: «أنا بخير.. كل من أعرفهم بخير». وكتب مؤلف مدونة من بروكلين اسمه جاس Gus يقول: «لقد غيرت الرياح اتجاهها توًا وأعرف الآن كيف تكون رائحة مدينة محترقة. إنها تشبه رائحة البلاستيك المحترق. وتأتي مع سماوات بنية لاذعة تحلق المقاتلات النفاثة فوقها. إن ما أشاهده على شاشة التليفزيون يشبه إلى حد ما فيلم جودزيلا الياباني السيئ مصحوبًا بمؤثرات خاصة أقل إقناعًا. ثم أخرج للشارع فأشاهد كل شيء بعيني».[32]

كانت ميج هوريهان Meg Hourihan تبعد مسافة قارة بأكملها في سان فرانسيسكو. وقد أشارت ميج وهي أحد مؤسسي بايرا لابز Pyra Labs التي ابتكرت Blogger وهي إحدى أدوات إنشاء المدونات المبكرة (المملوكة الآن لجوجل)، إلى مدونات أخرى في ذلك اليوم وحثت الناس على التبرع بالدم. وفي اليوم التالي كتبت تقول: «بعد مرور 24 ساعة، اتجه عائدة للمطبخ للانتهاء من غسل الأطباق والتقاط الملعقة التي لا تزال مستقرة في قاع الحوض حيث أسقطتها من قبل. سوف أغسل جهاز تحضير القهوة وأصنع فنجان القهوة ذاك الذي لم أحتسيه بالأمس. سأحاول أن أجد بعض الشبه بالأوضاع الطبيعية في هذا العالم المتغير للغاية».[33]

وفي كاليفورنيا في ذلك اليوم أيضًا أرسل كاتب أفغاني – أمريكي مشهور قليلًا

اسمه تميم الأنصاري Tamim Ansary بريدًا إليكترونيًا مشبوب العاطفة إلى بعض الأصدقاء. كانت رسالته تحذيرية في جانب منها إذ قال إنه في حين (أن أمريكا قد ترغب في قصف كل شيء يتحرك في أفغانستان بالقنابل إلا أننا لا نستطيع أن نعيدها بالقنابل إلى العصر الحجري مثلما يدعو بعض مقدمي البرامج الحوارية. وذهب إلى أن الأمة الآسيوية هناك بالفعل. وقد انتقلت رسالة البريد الإليكتروني للأنصاري بين دائرة متنامية الاتساع من الأصدقاء والمعارف. وبحلول 14 سبتمبر، ظهرت على موقع مدونات إليكترونية رائجة وعلى صالون Salon وهي مجلة إليكترونية.[34] وفي غضون أيام كانت كلمات الأنصاري المفعمة باللوعة والحذر قد انتشرت في جميع أنحاء أمريكا.

كانت أخبار الأنصاري قد تدفقت إلى أعلى وإلى الخارج. ففي البداية لم يسمع عنه أحد في أي شبكة رئيسية. ولكن ما قاله اتسم بقدر كافٍ من القوة المقنعة والمصداقية جعل من كانوا يعرفونه ينشرون رسالته أولًا لأصدقائهم ثم في النهاية لصحفيي الويب الذين نشروها لمدى أبعد. وعندئذ فقط اكتشفتها وسائل الإعلام الجماهيرية ونقلتها إلى جمهور وطني. وكان ذلك أفضل نوع من التعاون الشعبي مع الإعلام الكبير.

وفي هذه الأثناء، كان جلين رينولدز Glenn Reynolds في تنيسي يكتب ويكتب ويكتب على موقع مدونته Instapundit.com الذي كان قد بدأه قبل بضعة أسابيع. وكان جلين – وهو أستاذ في القانون له نزعة تكنولوجية -- قد توقع ابتداء أن تكون المدونة خفيفة الطابع، لكن الهجمات غيرت كل ذلك.

قال لي: «كنت أكتفي بإصدار ردود فعل فقط ولم يكن لي جدول أعمال كنت أكتب فقط عما يجري لأن البديل كان الجلوس هناك ومشاهدة الطائرة وهي تصطدم بالبرج مرارًا وتكرارًا على شبكة سي إن إن».

كان غاضبًا كالجميع ويريد الانتقام. ولكنه حذّر من حدوث رد فعل غاضب يستهدف المسلمين. وقال إن أمريكا ينبغي ألا تستسلم لإغراء الإطاحة بالحرية باسم السلامة. ولم يتوقع أن يكتسب أتباعًا ومؤيدين لكن هذا ما حدث بصورة شبه فورية.

فقد لمس وترًا حساسًا. وسمع أناسًا يتفقون ويختلفون معه في الرأي بقوة. وأبقى المناقشة دائرة، مضيفًا وصلات ومنظورات.

واليوم أصبح لموقع Instapundit.com عدد ضخم من الأتباع والأنصار. ويسجل رينولد باستمرار تعليقات حادة ولاذعة بلهجة ليبرالية ويمينية على مجموعة متنوعة من الموضوعات. وأصبح نجمًا في سماءٍ ما كان يمكن أن توجد قبل زمن قصير – سماء استمدت الدعم الأكبر لها من أقسى يوم في التاريخ الأمريكي الحديث. لقد تجمد اليوم في سياق الزمن لكن انفجارات الطائرات عند اصطدامها بهذين البرجين ولدت حرارة جديدة في نهر جليدي إعلامي.. والجليد لا يزال يذوب.

الفصل الثاني

القراءة والكتابة على الويب
التكنولوجيا التي تجعل اتجاهاتنا «نحن الإعلام» ممكنة

لازلت أتذكر اللحظة التي رأيت فيها قطعة كبيرة من المستقبل. كان ذلك في منتصف 1999 وكان ديف واينر مؤسس يوزرلاند سوفت وير قد اتصل بي ليقول إن لديه شيئًا يجب أن أراه.

أراني ديف صفحة على الويب. لا أتذكر محتوى الصفحة باستثناء زر واحد وقال «حرر هذه الصفحة» وبالنسبة لي لم يعد أي شيء كما كان في الماضي أبدًا.

نقرت على الزر فظهر إطار نصي احتوى على نص وقدر صغير من لغة ترميز النص الفائق (HTML) وهي المدونة التي تخبر برنامجًا للتصفح بكيفية عرض صفحة معينة. وداخل الإطار شاهدت الكلمات الموجودة على الصفحة. قمت بإجراء تغيير صغير ونقرت زرًا آخرا فظهرت عبارة «احفظ هذه الصفحة» وتم بالفعل حفظ الصفحة مع التغييرات. وتبين فيما بعد أن البرنامج – الذي لم يكن قد تم طرحه في الأسواق بعد – واحدٌ من أوائل تطبيقات المدونات الإليكترونية.

كانت شركة واينر رائدة باتخاذها خطوة أعادت إلى الحياة وعدًا لم يتم الوفاء به طويلًا وأراد تيم بيرنرز – لي مخترع الويب أن يحققه منذ البداية. لقد تخيل بيرنرز – لي شبكة ويب يمكن قراءتها والكتابة عليها معًا. لكن ما تحقق في التسعينيات كان في جوهره ويب للقراءة فقط كان لابد أن يكون لك حساب مع مقدم خدمة إنترنت (ISP) ليستضيف موقعك الإليكتروني عليها وأدوات خاصة و/ أو خبرة بلغة HTML لإنشاء موقع محترم.

بالطبع لم تكن الكتابة على شبكة الإنترنت شيئًا جديدًا تمامًا. فقد فعل الناس ذلك لسنوات في سياقات مختلفة كقوائم البريد الإليكتروني والمنتديات والجماعات الإخبارية. كما سبقت مواقع Wiki – وهي المواقع التي يستطيع أي شخص تحرير أي صفحة عليها - المدونات الإليكترونية زمنيًا ولكنها لم تكتسب زخمًا كبيرًا خارج مجتمع صغير للمستخدمين وكان السبب – في جانب منه – هو التوجه الفني والتكنولوجي للبرمجيات.

لقد كان ما حققه واينر ورواد المدونات الأوائل فتحًا. فقد قالوا إن الويب يجب أن تتوافر إمكانية للكتابة عليها وليس فقط قراءة ما يوجد عليها وكانوا مصممين على جعل القيام بذلك في غاية البساطة.

وهكذا وُلدت ويب القراءة/ الكتابة من جديد حقًا. إننا نستطيع جميعًا الكتابة وليس فقط القراءة بطرق لم تكن ممكنة من قبل على الإطلاق. ولأول مرة في التاريخ، في العالم المتقدم على الأقل، يستطيع أي إنسان لديه حاسب آلي ووصلة إنترنت أن يمتلك مطبعة. ويمكن لأي شخص تقريبًا أن يصنع الأخبار.

بعد حوالي سنة ونصف السنة وتحديدًا في 8 سبتمبر 2000، كنت جالسًا إلى مكتبي بجامعة هونج كونج حيث كنت أدَرِّس بنظام الدوام الجزئي كل خريف. كان يوم أربعاء في هونج كونج وثلاثاء في الولايات المتحدة وكنت مشغولًا بالانتخابات الأمريكية التي تركت الأمريكيين غير متأكدين لمدة أسابيع من هوية رئيسهم المقبل.

لم تكن البرامج الإخبارية على الشبكات التليفزيونية الأمريكية متاحة في مركز الدراسات الصحفية والإعلامية التابع للجامعة ولم تكن وسائل الإعلام المحلية تنفق وقتًا كبيرًا على القصة مثلما كنت أحب كمواطن أمريكي في الخارج. ولذا فقد قررت الاستفادة مما لدي من أدوات – وأدركت شيئًا يبدو واضحًا فقط عند استعادة الأحداث الماضية والتأمل فيها.

لقد عثرت على إذاعة عامة وطنية National Public Radio تقدم ردود أفعال من

الجمهور واستمعت إليها. وفي الوقت نفسه رحت أزور مواقع مختلفة على الويب مثل السي إن إن CNN وصحف رئيسية مثل ذا نيويورك تايمز بحثًا عن منظور وطني وصحيفتي سان خوزيه ميركوري ونيوز بحثًا عن تغطية لأخبار كاليفورنيا ومسقط رأسي. شاهدت خريطة الولايات الزرقاء والولايات الزرقاء والحمراء تتغير وقرأت مقالات عن سباقات الولايات الفردية.

وأدركت أنني أحصل على تقارير صحفية أفضل عمومًا من أي شخص يشاهد التليفزيون أو يستمع إلى الإذاعة أو يقرأ صحيفة في الولايات المتحدة. لقد كانت أكثر اكتمالًا وتنوعًا.

كان التقاء بين إعلام قديم وإعلام جديد، لكن أحدث مكون كان محاولتي إنشاء «منتج» إخباري خاص بي – تجميع لأفضل مادة يمكن أن أعثر عليها. كان تقليدًا باهتًا لما سيمكن القيام به مع ازدياد الأدوات تطورًا وتعقيدًا، لكن محاولتي نجحت.

إن محور تركيزي في هذا الكتاب ينصب أساسًا على ما يحدث عندما يشارك أشخاص على الهامش في عمليات جمع الأخبار ونشرها. وبالطبع يجب أن أذكّر نفسي بأن معظم الناس سيبقون – وأنا أمقت هذه الكلمة – مستهلكين للأخبار.

ومع ذلك إذا كان هذا هو كل ما يفعلونه، فيمكنهم أن يفعلوه بشكل أفضل من أي وقت في التاريخ لأن التكنولوجيا تمنحهم خيارات أكثر (هذا هو السبب في أن أعدادًا كبيرة من المواطنين الأمريكيين الذين يعتقدون أنهم لا يحصلون على منظور عادل من الإعلام الأمريكي سعوا للتعرف على وجهات نظر دولية أثناء الحرب على العراق في 2003 والفترة السابقة لها).[35]

إن الخبر هو ما تفهمه وتستنتجه منه بطرق عديدة وليست طريقة واحدة.

ولكي نفهم تطور أخبار الغد، يجب أن نفهم التكنولوجيات التي تجعله ممكنًا. فأدوات صحافة الغد القائمة على المشاركة تتطور بسرعة لدرجة أنه في الوقت الذي يطبع في هذا الكتاب ستكون أدوات جديدة قد ظهرت، وسوف يقوم الموقع الإليكتروني

الموافق لهذا الكتاب (http://wethemedia.oreilly.com) بتبويب الأدوات الجديدة لدى توافرها. وفي هذا الفصل سوف أتناول بشكل أكثر عموميةً التكنولوجيات الأساسية.

بالنسبة للأشخاص الذين يرغبون ببساطة في أن يكونوا أفضل اطلاعا، تمثل الإنترنت نفسها المفتاح. فنحن نستطيع الوصول إلى كم من المعلومات الجارية يفوق في تنوعه وشموله أي وقت مضى وبإمكاننا استخدامه بحنكة متزايدة.

أما بالنسبة لمن يريدون الانضمام للعملية. فإن الويب هي النقطة التي نبدأ منها فقط.

تتنوع أدوات الصحافة الشعبية ما بين قائمة البريد الإليكتروني الأكثر بساطة والتي يتسلم كل شخص مدرج عليها نسخًا من جميع الرسائل المرسلة إلى المدونات الإليكترونية، واليوميات المكتوبة بترتيب زمني معكوس، ونظم إدارة المحتوى المتطورة المستخدمة في نشر محتوى الويب والأدوات التي تسمح لأي شخص بالاشتراك في محتوى أي شخص آخر. وتتضمن الأدوات أيضًا الأجهزة المحمولة باليد كالهواتف المحمولة المزودة بكاميرات والمعدات المعاونة الرقمية الشخصية (PDAs). وما تشترك فيه هذه الأدوات هو الاعتماد على مساهمات الأفراد في كل أكبر متجه من أسفل إلى أعلى.

إليكم الخلاصة المفيدة: على مدى الأعوام الـ150 الماضية كان لدينا وسيلتا اتصال مختلفتان: الأولى موجهة من واحد لكثيرين (الكتب، الصحف، الإذاعة والتلفزيون) والثانية من واحد لواحد (الخطابات، البرقيات التلغرافية والهاتف).

ويوفر لنا الإنترنت لأول مرة، اتصالات من كثيرين إلى كثيرين ومن قليلين إلى قليلين. ولهذا تداعيات وآثار هائلة على الجمهور السابق وعلى منتجي الأخبار لأن تمييز الاختلافات بين الوسيلتين يزداد صعوبة.

إن إمكانية حدوث ذلك في الإعلام أمر لا يدعو للدهشة بالنظر للطبيعة المفتوحة نسبيًا للأدوات التي يمكن استخدامها بطرق لم يتوقعها مصمموها. وقد كان الحال هكذا دائمًا في الإعلام، فقد فاجأت كل وسيلة جديدة مخترعيها بطريقة أو بأخرى.

تغذي تكنولوجيات أخبار الغد في جوهرها شيئًا بدأ يبرز إلى حيز الوجود - محادثة (أو حوار) تعد القاعدة الشعبية جزءًا جوهريًا منها بكل تأكيد. وقد شرح ستيفن جونسون Steven Johnson مؤلف كتاب النشوء[36] - وهو كتاب عن الكيفية التي تنشأ بها النظم الغنية المعقدة مثل مستعمرات النمل - ذلك على النحو التالي في مقابلة معه على شبكة أورايلي عام 2002:

> النشوء (emergence) هو ما يحدث عندما يكون الكل أذكى من مجموع أجزائه... ومع ذلك يظهر على نحو ما في كل هذا التفاعل هيكلٌ أو ذكاءٌ ذو مستوى أعلى، عادةً بدون وجود أي مخطط رئيسي. وتمثل هذه الأنواع من النظم للتطور من أسفل إلى أعلى.

ليس هناك مجال يكون الكل أكثر ذكاءً فيه من مجموع أجزائه مثل الشبكات الرقمية التي تكون الوحدات الأساسية فيها عبارة عن أصفار وآحاد حيث - كما شرح ديفيد أيسينبرج David Isenberg في ورقته الرائدة عام 1997 «صعود الشبكة الغبية» - ترتفع القيمة عندما تحرك الذكاء نحو الحواف وبعيدًا عن المركز. وقد أصبحت الإنترنت بوجه خاص البيئة التي تعمل فيها الأدوات الجديدة... نظام إيكولوجي (بيئي) يستمد القوة من التنوع. وكانت الويب، كما نمت في التسعينيات، نظام نشر قويًا استخدمه الصحفيون بكافة أنواعهم في التسعينيات، ولايزالون يستخدمونه لإحداث تأثير. لكن طقم الأدوات الأكبر جزء من نظام أيكولوجي مزدهر وآخذ في الاتساع.

دعونا ننظر داخل طقم الأدوات.

القوائم البريدية والمنتديات

قبل المدونات الإليكترونية كان لدينا قوائم بريدية، وهي لم تصبح أقل أهميةً. وكما ذكرنا في الفصل الأول، تعد قائمة ديف فاربر البريدية المعنوية «أناس مثيرون للاهتمام» مصدر أخبار عظيم القيمة لقرائه. وهي ليست وحيدة على الإطلاق.

ونظرًا لأنني أقضي بعض الوقت في آسيا كل عام، بما في ذلك شهر أدرِّس خلاله في هونج كونج كل خريف، فقد أثار اهتمامي بشدة انتشار مرض سارس (الالتهاب الرئوي اللانمطي الحاد) SARS وقد كتبت أعمدة عديدة عنه في أوائل عام 2003. وبعد فترة وجيزة من ظهور أحد الأعمدة، تلقيت بريدًا إليكترونيًا من مدرس هندسة حيوية بجامعة هارفارد هو هنري نيمان Henry Niman الذي كان قد أنشأ العديد من القوائم البريدية. وقد قال إن «إحداها – تحمل اسم علم سارس – تستهدف المعلومات الطبية والعلمية عن الوباء. ويتضمن الأعضاء علماء البيولوجيا الجزيئية وعلماء من جميع أنحاء العالم يدرسون الفيروسات وكذلك الفيروسات النجمية والفيروسات شبه المخاطية». وقد اشترك كثيرٌ من الصحفيين الذين يغطون انتشار المرض في هذه القائمة. وتم إنشاء قائمة بريدية ثانية لإرسال مقالات إخبارية عن المرض. وقد انضممت للاثنتين.

لقد شاع اتباع هذا التسلسل المتمثل في الكتابة عن شيء ما ثم الاستماع إلى خبير في المجال بين الصحفيين المتمرسين في استخدام شبكة الإنترنت مؤخرًا. ولكن إلى حد ما اكتشف الصحفيون متأخرين ما كان يفعله غير الصحفيين لسنوات.

وطبقًا لآخر إحصاء، هناك الآلاف من القوائم البريدية التي تغطي كل موضوع يمكن أن يتخيله المرء. وتختلف القوائم البريدية عن المدونات ومواقع الويب المعتادة من ثلاث نواح على الأقل. الأولى أن لها مجتمعًا محددًا (المشتركون) وبوسع هذا المجتمع أن يجعل القائمة خاصة. ثانيًا: أن الملف الذي تتجه إليه عادة ما يكون ضيقًا مثل قائمة سارس. وثالثًا: أنه يتم «دفعها» داخل صناديق البريد الإليكتروني الوارد للمشتركين. وبعضها يتم تلطيفه ومعظمها ليس كذلك. والسمة الرئيسية للقوائم هي أنها تضم في العادة كوكبة من الخبراء في حقل أو موضوع معين وأشخاصًا عاديين مهتمين اهتمامًا شديدًا بالموضوع. ويمكن أن يكون ذلك توليفة فعّالة.

في عام 2000 اشترت ياهو! Yahoo! إي جروبس eGroups، وهي بائع

رئيسي للقوائم البريدية، وغيرت اسمها إلى ياهو! جروبس Yahoo! Groups[39]. وتستضيف الآن آلاف القوائم. وما أبسط إنشاء قائمة بريدية!.

ومعظم القوائم البريدية لها عدد صغير من القراء، مثل مجموعة «Blogrollers» التي أنشأها واينر في عام 2003. ويعطي مؤلفو المدونات من خلالها نصائح لبعضهم حول المعلومات المسجلة الجديدة التي يعتقدون أنها قد تكون جديرة بالاطلاع عليها بصفة خاصة بالنسبة لأقرانهم. ولدى بعض القوائم البريدية عدد ضخم من القراء مثل قائمة ديف فاربر البريدية التي تحمل اسم «أناسٌ مثيرون للاهتمام».

وعلى عكس القوائم البريدية، تكون المنتديات الإليكترونية مثل جماعات Usenet الإخبارية مفتوحة أمام كل من يرغب في دخولها. وتتم استضافة منتديات فردية من قبل شركات ومجموعات مستخدمين وأي نوع من جماعات المصالح يمكن للمرء أن يسميه. وبعضها تم تلطيفه ويفيد كثير منها في رصد الاتجاهات والحصول على إجابات عن أسئلة محددة. ومن منظور صحفي، يمكن أن تضخِّم القوائم البريدية والمنتديات الأخبار. ويمكن أن تكون إنذارًا مبكرًا ويمكن أن تكون ببساطة بيانات خلفية ممتازة. ولكن ينبغي عدم الاستهانة بقيمتها أبدًا.

مدونات الويب

تتوجه من كثيرين إلى كثيرين ومن قليلين إلى قليلين: إن المدونة هي وسيلة الاثنين والكل.

لقد بدأت مدونات الويب ونظامها الإيكولوجي تتسع وتتغلغل داخل الحيز الفاصل بين البريد الإليكتروني والويب. ويمكن أن تكون حلقة مفقودة في سلسلة الاتصالات. وحتى يومنا هذا فإنها تمثل أقرب نقطة وصلنا إليها في تحقيق الوعد الأصلي بأن تكون الويب قابلة للقراءة والكتابة عليها معًا. لقد كانت أول أداة سهَّلت النشر على الويب. أو على الأقل جعلته أكثر سهولةً.

وإذًا ما هي مدونة الويب على أية حال؟ هي بوجه عام عبارة عن دفتر يوميات إليكتروني مؤلف من وصلات وتعليقات مكتوبة بترتيب زمني عكسي، مما يعني أن التعليق الأحدث زمنيًا يظهر أعلى الصفحة. وكما أشارت ميج هوريهان، الشريكة المؤسسية لبيرا لابز، وهي شركة برمجيات المدونات التي اشترتها جوجل في فبراير 2003، فإن المدونات الإليكترونية هي نظام نشر متمركز «Post-centric» – أي أن النشر هو الوحدة الرئيسية - وليست متمحورة حول الصفحات «Page-centric» كما هو الحال مع مواقع الويب التقليدية بدرجة أكبر. وتتصل المدونات الإليكترونية نموذجيًا بمواقع أخرى على الويب ومراكز نشر في المدونات، ويسمح كثير منها للقراء بالتعليق على الرسالة الأصلية وبذلك تسمح بعقد مناقشات بين الجمهور.

وتتنوع الموضوعات والأساليب التي تغطيها المدونات. إذ يمكن أن تتضمن مدونة ما تعليقًا على الأحداث الجارية في مجال معين. ويمكن أن تكون أخرى سلسلة من التأملات الشخصية أو التقارير والتعليقات السياسية مثل مدونة Joshua Micah Marshall's TalkingPointsMemo.com. ويمكن أن تكون المدونة مؤشرات لعمل أو منتجات أشخاص آخرين مثل جيزمودو Gizmodo وهو موقع مخصص لأحدث وأعظم المنتجات[40]. أو موقعًا حول «ما الجديد» يقوم بتحديثه بصورة مستمرة شخص خبير في مجاله مثل Wi-Fi Networking News وصفحة التعليقات الممتازة لجلين فليشمان Glenn Fleishman [41]. وفي حين تسمح بعض برمجيات المدونات للقراء بإرسال تعليقاتهم، إلا أن هذه الخاصية يجب أن يقوم بتشغيلها مؤلف المدونة. ولم يسمح عدد كبير من أصحاب المدونات البارزين بتفعيل خاصية التعليق. وعلى الطرف النقيض الآخر توجد مدونة سلاشدور Slashdot التي تحتوي على أخبار عن التكنولوجيا والسياسة التكنولوجية مكتوبة بواسطة جمهورها أساسًا.

إن القاسم المشترك بين أفضل المدونات الفردية هو الصوت – فمن الواضح أنها مكتوبة من قبل بشر يتمتعون بشغف إنساني صادق وحقيقي.

إن المدونات - كما يقول جاي روسين Jay Rosen بجامعة نيويورك - «شكل شديد الديمقراطية من أشكال الصحافة». وعلى مدونته Press Think [42] - وهي موقع أصبحت زيارته ضرورة بالنسبة لأي شخص يدرس تطور الصحافة - يطرح عشر نقاط يشرح فيها السبب. وفيما يلي الثلاث الأولى منها:

1- تنبع المدونة من اقتصاد الهبة (أو الهدية) gift economy بينما ينبع معظم الصحافة الموجودة اليوم (وليس كلها) من اقتصاد السوق.

2- أصبحت الصحافة مجال المحترفين ويتم أحيانًا الترحيب بدخول الهواة فيها، بينما المدونة الإليكترونية هي مجال الهواة ويتم الترحيب بالمحترفين فيه.

3- تعد عوائق أو حواجز الدخول مرتفعة في الصحافة منذ منتصف القرن التاسع عشر، ومع المدونة الإليكترونية، تكون حواجز الدخول منخفضة: فالحاسب الآلي ووصلة الإنترنت وبرنامج براجيات مثل Blogger أو Movable Type أشياء كفيلة بإيصالك إلى هناك. ومعظم التكاليف الرأسمالية المطلوبة لكي تعمل المدونة الإليكترونية، ثم إغراقها في الإنترنت ذاتها.. أكبر آلة في العالم (ربما باستثناء نظام التليفونات الدولي).

قال لي روسين إن طبيعة وزن الصحافة وسلطتها آخذة في التغير.

«في نظام فوضوي متجه من أسفل إلى أعلى مثل عالم المدونات الإليكترونية، تكون بعض المواقع هامة دون أن يصفها أحد بهذا بشكل واضح وصريح». وعلاوة على ذلك، فقد تحول الأشخاص الذين كانوا يُسمون سابقًا الجمهور إلى مشاركين الآن، «وذلك نوع مختلف من العلاقات».

لقد انضمت منشآت الأعمال إلى المحادثة لأن المدونات تسد فجوة ما، فقد اكتشفت الشركات بعد مرور سنوات قلائل على استخدام الإنترنت تجاريًا قيمة البريد الإليكتروني في التسويق ودعم العملاء، ناهيك عن الاتصال الداخلي. ثم جاء بلاء

البريد الدعائي الذي يهدد البريد الإليكتروني كأداة للاتصالات الخارجية. وفي الوقت نفسه يشبه معظم المواقع الإليكترونية للشركات معظم التقارير السنوية: جافة وجامدة ومكتوبة بلغة رنانة والمعلومات التي يفترض أن تكون كاشفة مخبأة في الحواشي- أحيانًا لإخفاء الحقيقة وليس الإفصاح عنها - مع «خطاب من الرئيس التنفيذي» (أو بيان أجوف عن رسالة الشركة) يبدو وكأن لجنة من المحامين وموظفي التسويق قامت بصياغته.

بقدر ما تستطيع مدونة شركة ما نقل معلومات إلى الجمهور - الداخلي أو الخارجي - بأسلوب أفضل مما نراه على مواقع الشركات على الويب، سوف تستفيد الشركات. لكن ما يعيد الناس إلى مدونات الويب الشخصية هو منظورها ذو الصبغة الفردية.

وتميل المدونات الشخصية لأن تكون جزءًا من محادثات جارية، حيث يشير صاحب مدونة ما إلى تعليق صاحب مدونة أخرى، ربما ليتفق معه ولكن غالبًا ليختلف معه أو يشير إلى زاوية أخرى ليست موجودة في القطعة الأصلية. ثم يرد صاحب المدونة الأول وربما ينضم أصحاب مدونات آخرون إلى النقاش. ومع تطوير أدوات لمساعدة الناس على متابعة تلك المناقشات عبر مواقع مختلفة، سوف تنتشر المحادثات متبادلة التخصيب من حيث الإعداد والتعقيد معًا بسرعة أكبر حتى مما هي اليوم.

وحتى اليوم كانت المدونة وسيلة للأفراد بدرجة رئيسية، وإن كانت المدونات الجماعية قد بدأت تثبت أنها وسيلة ذكية في بعض الظروف. ويجتذب أصحاب المدونات الأكثر شعبية فرادى، عشرات الآلاف من الزوار يوميًا. ويمكن القول بأمان أن عدة ملايين من الناس جربوا على الأقل كتابة مدونات. ليس واضحًا العدد الذي يقوم بذلك بانتظام، لكن الاحتمال الأكبر هو أنه يبلغ عدة مئات من الآلاف.

لقد كانت إضافة الصوت ولقطات الفيديو والرسوم المتحركة والوسائط المتعددة الأخرى إلى مدونات الويب خطوة واضحة وبديهية. لكن هذه الوسائط استغرقت

بعض الوقت لتصبح جزءًا من طاقم أدوات كتابة المدونات. ويعد عرض النطاق bandwidth (أو عدمه) السبب الرئيسي. ولكن مع تحسُّن الشبكات، يمكننا أن نعتبر من المسلمات أن ما يسميه التكنولوجيون صيغ «الوسائط الثرية» سوف تنتشر (لقد أضفت المؤثرات الصوتية والفيديو إلى المدونة الخاصة بي ولكن بنجاح محدود).

لقد تطورت برمجيات المدونات تطورًا عظيمًا منذ المنتجات الأولى لديف واينر وإيفان ويليامز والرواد الأخرى. والبرمجيات الأكثر شعبيًا ورواجًا أثناء تأليف هذا الكتاب هي موفابل تايب Movable Type من سيكس أبارت SixApart [43] وراديو يوزرلاند[44]، لايف جورنال[45] وبلوجر[46]. ولكن ظهر عدد من المنافسين مثل 20 six[47].

ويكي Wiki

هل يمكن أن ينتج من الحرية التحريرية المطلقة أي شيء سوى الفوضى؟ نعم عندما تكون في نظام ويكي.

يُعرف وارد كاننجهام Ward Cunningham نظم ويكي Wiki التي اخترعها بطرق كثيرة، فهو يسميها نظم الإنشاء ووسائط المناقشة ومستودعات ونظمًا بريدية وغرف دردشة. ويقول «إنها أداة للتعاون. وفي الحقيقة نحن لا نعرف فعلًا ما هي، ولكنها طريقة ممتعة للتواصل».[48]

ويُعرفها «WhatIs.com» (وهو قاموس لتكنولوجيا المعلومات الإليكتروني) بالطريقة التالية: «Wiki هو برنامج لوحدة الخدمة يسمح للمستخدمين بالتعاون في تكوين محتوى موقع على الويب. ومع وجود برنامج Wiki يستطيع أي مستخدم تنقيح وتعديل محتوى الموقع، بما في ذلك مساهمات المستخدمين الآخرين، باستخدام برنامج تصفح ويب عادي».

إن العنصر الحاسم هو أن أي مستخدم يستطيع تعديل أي صفحة. ويرصد البرنامج كل تغيير. ويستطيع أي شخص متابعة التغييرات بالتفصيل. وكما يعبر

كانتجهام عن هذه البرامج ببلاغة شديدة، فإن جميع برامج ويكي عبارة عن أعمال تحت التنفيذ.

تعد وايكيبيديا The Wikipedia – وهي موسوعة ضخمة – أكبر برنامج ويكي عام ولكنها ليست الوحيدة على الإطلاق. فهناك برامج Wiki تغطي السفر والطعام ومجموعة من الموضوعات المتنوعة الأخرى. وبإمكانك إيجاد صفحة فئات Wiki على موقع كانتجهام [49]. ومن أفضل الأمثلة لبرنامج Wiki كأداة تعاونية لإنشاء شيء مفيد موقع WikiTravel [50] الذي يضمن مجموعة متنوعة من وجهات النظر من شتى أنحاء العالم.

وقد بدأت برامج Wiki تتحول إلى برامج خاصة أيضًا، حيث تستخدم بصورة متزايدة خلف الحوائط المانعة للنيران لدى الشركات كأدوات للتخطيط والتعاون. بل وقد بدأ أصحاب مشروعات الأعمال ينشئون شركات حول هذه التكنولوجيا موسعين بذلك نطاق استخداماتها.

وعلاوة على ذلك، بدأت برامج Wiki تتوغل إلى داخل الجامعات أيضًا. فقد قامت إدارة جامعة هونج كونج بتركيب برنامج Wiki لكي يستخدمه طلابنا كمنصة تخطيط لمشروع الصف لعام 2003. وقد تناول المشروع اقتراحًا مثيرًا للجدل بردم جزء أكبر من الميناء بغرض تطويره. وقام الطلاب بكتابة مخططاتهم التمهيدية ومقترحاتهم على برنامج Wiki واستخدموا الموقع لاستخلاص الأفكار. واستطاع المعلمون ممارسة المراقبة بدون تدخل مباشر باستثناء تقديم التوجيه والإرشاد. لقد كان برنامج Wiki مثاليًا لهذه المهمة.

واستخدام برامج Wiki في الصحافة، على الأقل النوع التقليدي منها، يكاد يكون معدومًا. ولكن مع ازدياد سهولة استخدام برامج Wiki ستصبح ملائمة بصورة خاصة لجمع المعلومات من مصادر متباينة بواسطة أناس في مواقع مادية مختلفة.

الرسائل النصية القصيرة (SMS)

إذا كانت المدونات الإليكترونية قد بدأت تصبح صفحات للرأي بل وأحيانًا حتى صحف الإنترنت، فقد بدأت خدمات الرسائل القصيرة (SMS) تحتل العناوين الرئيسية. وبالنسبة للنشرات، لا يوجد شيء أفضل من هذا.

اعتبر خدمة الرسائل القصيرة نظامًا لإرسال رسائل فورية دون التقيد بحاسب شخصي.[11] إن خدمة الرسائل القصيرة ليست منتجًا في حد ذاته، بل هي خدمة مقدمة من موفري الشبكات تسمح للعملاء بإرسال رسائل نصية عبر هواتفهم المحمولة. والأشياء الوحيدة التي تختلف من ناقل إلى ناقل هي الثمن ونوعية الجهاز الذي سيستخدمه العميل.

وتشكل خدمة الرسائل القصيرة عنصرًا أساسيًا في وجبة المعلومات في كل مكان اخترقت فيه الهواتف المحمولة الأسواق، باستثناء الولايات المتحدة. ومما لاشك فيه أن هذا الوضع آخذ في التغير، فقد بدأت أنواع أخرى من موفري المعلومات منها الشركات التي توجد لديها معلومات حساسة للوقت (كشركات الطيران) تقدم تشكيلة من خدمات الرسائل النصية القصيرة. فعلى سبيل المثال: يقدم موقع -SignOn SanDiego.com الخاص بصحيفة سان دييجو يونيون تريبيون تنبيهات SMS تتعلق بالأخبار المحلية. وقد اشتركت في خدمة يونايتيد إيرلاينز United Airlines وأمريكان إيرلاينز American Airlines أكثر شركتين ناقلتين استخدمهما في أسفاري، لإبلاغي في حالة تأخير مواعيد الرحلات الجوية.

بإمكان الصحافة أن تستخدم خدمة الرسائل القصيرة بأي عدد من الطرق. وأعود فأقول إن هذا الاستخدام أكثر شيوعًا بكثير خارج الولايات المتحدة. وقد وصلت أول تلميحات للصحفيين عن وباء سارس في الصين في رسالة نصية قصيرة من مصادر داخل مهنة الطب هناك. هل اختلف ذلك كثيرًا عن المكالمات الهاتفية البسيطة من حيث طبيعتها الأساسية؟ كلا ولكن في مكان يمكن أن يؤدي فيه التنصت

إلى متاعب كبيرة، يكون إرسال رسالة SMS سريعة أكثر أمانًا طالما أن رسائل المرء لا يتم اعتراضها.

ويمرور الوقت، ربما ستكون القيمة الأكثر أهمية لخدمة الرسائل القصيرة (SMS) من النوع الذي وصفه هوارد رينجولد Howard Rheingold في كتابه الهام «الهواتف المحمولة الذكية»: نظام معلومات منظَّم ذاتيًا يخبر فيه الأفراد والجماعات الصغيرة بعضهم أخبارًا هامة. ويحكي رينجولد - ضمن أمثلة أخرى - كيف استخدم المواطنون في الفلبين خدمة الرسائل القصيرة لتنظيم أنفسهم والإطاحة بحكومة فاسدة.[33] وعلى مستوى أكثر واقعية، استخدم الشباب في البلدان ذات الاتصالات اللاسلكية المتقدمة خدمة الرسائل القصيرة (SMS) في التنظيم الاجتماعي. إننا نقف على أعتاب هذا التطور في التكنولوجيا فحسب. ومع تحسن الشبكات والأجهزة اليدوية، ستفسح خدمة الرسائل القصيرة الطريق لخاصية إرسال الرسائل عبر الفيديو التي لم تتضح تداعياتها بعد.

سوف يحتاج العاملون المحترفون في مهنة الأخبار إلى أن يتم توصيلهم بهواتف الغد المحمولة الذكية مثلما يجب توصيلهم بمنظمات اليوم غير الرسمية. وهذا وضع طبيعي بالفعل في معظم أوروبا وآسيا المتفوقتين على الولايات المتحدة في تطوير الرسائل اللاسلكية. وكان كذلك بالتأكيد بالنسبة للصحفي الصيني الذي تلقى أخبار سارس عبر خدمة الرسائل القصيرة. إن التكنولوجيا تتطور بسرعة لدرجة أنه قبل أن يمضي وقت طويل سوف تبدو طبيعية أيضًا للرجال والنساء الذين يدخلون مهنة الصحافة في أمريكا.

الكاميرات المتصلة بالهواتف المحمولة

تشكل الصور جزءًا من الصحافة وتستخدم معظم المنظمات الصور الفوتوغرافية المهنية. ونظرًا لأن الكاميرات أصبحت أحد الأشياء التي نحملها جميعًا كل يوم، فقد

أصبحنا جميعًا مصورين فوتوغرافيين. إننا لم نبدأ في التفكير في التداعيات المجتمعية لهذه الحقيقة، لكن تداعياتها على الصحافة خطيرة.

تمثل الكاميرات الرقمية شيئًا لا غنى عنه بالنسبة للمصورين الفوتوغرافيين الهواة ويستخدم الصحفيون المحترفون الممولون تمويلًا جيدًا كاميرات رقمية متطورة بسبب مرونتها وقدرتها على بث الصور الفوتوغرافية بسرعة. والفيديو أيضًا بدأ يصبح رقميًا بوتيرة سريعة. ويبدأ حجم الكاميرات الرقمية عالية الجودة – ذات الصور الثابتة والفيديو- يتناقص بالتوازي مع التكلفة. وأصبح توصيلها بالحاسبات الشخصية من أجل تعديل الصورة والفيديو أسهل من قبل أيضًا. ومع ازدياد شيوع الوصول إلى عرض نطاق الإنترنت، سيصبح النشر السريع بسيطًا.

الآن يجري الجمع بين الكاميرات والحركية الحقيقية والقدرة على إرسال صورة فورًا إلى شخص آخر أو إلى الويب. هذا هو العالم الذي تخلقه الهواتف المحمولة المزودة بكاميرات. لقد كانت الصور المنتجة بواسطة الموديلات الأولى ذات نقاء صورة منخفض وافتقرت إلى الجودة المهنية، ولكن حتى الصورة الرديئة يمكن أن تستحق النشر وجودة الكاميرات التليفونية آخذة في التحسن بمعدل سريع. أعود فأقول إن من الأهمية بمكان تذكُّر الوتيرة السريعة لابتكار وتحسين التكنولوجيا لكي نفهم متى سيصبح معظم الهواتف مزودة ليس فقط بكاميرات تنتج صورًا ساكنة، بل أيضًا كاميرات فيديو. إن هواتف الغد المحمولة ستكون قادرة على إرسال معلومات وصور للأفراد والجماعات ونشر صفحات على الويب في الوقت الحقيقي تقريبًا.

تذكَّر أن الصور الفوتوغرافية وصور الفيديو العامة ليست جديدة. ويعد الاعتداء بالضرب على رودني كينج Rodney King المصور على شريط فيديو سابقة لما هو آت. ويقوم المواطنون بتصوير لقطات فيديو للأعاصير والكوارث الطبيعية الأخرى منذ سنوات أيضًا. ويقدم التليفزيون الكبلي للمشاهدين الفضوليين مجموعة متنوعة من البرامج المحتوية على لقطات مصورة من قبل المواطنين لمطاردات شرطة ولحظات

محرجة وما شابه ذلك. وتلجأ المؤسسات الإخبارية بصورة متزايدة لاستخدام كاميرات مخبأة - وهذا اتجاه مذموم من وجهة نظري لأنه فقط في أشد الظروف مثلًا عندما تكون حياة شخص ما في خطر ينبغي على الصحفيين أن يفكروا في مثل هذه الحيل والذرائع.

لقد بدأنا فحسب نفهم تأثيرات هذا التطور التكنولوجي. سيكون هناك تعديات وانتهاكات جسيمة للخصوصية. ويشهد حظر استخدام الهواتف المحمولة المزودة بكاميرات في غرف خلع الملابس وإيداعها في الأدراج المقفلة Locker rooms بالنوادي الصحية على الطرق غير اللائقة التي استخدم الناس بها هذه الأجهزة بالفعل[34]. لكن الشبكات الأسرع والكاميرات الموجودة في كل مكان في أيدي الناس العاديين تعني أن الأحداث الكبيرة - الأحداث التي تتضمن عنصرًا يمكن تسجيله على كاميرا - سوف تُشاهد وتُلتقط بواسطة أشخاص عديدين أو كثيرين. علاوة على ذلك سيكون الاحتفاظ بالأسرار أصعب بالنسبة لمنشآت الأعمال والحكومات. وسوف نتناول هذه الإمكانيات في الفصل التالي.

البث عبر الإنترنت

في وقت ما كان يُنظر للبث عبر الإنترنت Internet Broadcasting على أنه الشيء الكبير التالي فيما راح الأفراد والجماعات ينشئون محطات إذاعية وإخبارية عبر الإنترنت بنفس السهولة التي ينشئون بها المدونات الإليكترونية وبرامج Wiki. لكن صناعة الترفيه قضت تقريبًا على إمكانيات الإذاعة عبر الإنترنت - على الأقل الإذاعة الموسيقية - عن طريق إقناع الجهات المنظمة لحقوق التأليف والنشر في الولايات المتحدة بفرض إتاوات تعجيزية على الإذاعة عبر الإنترنت.

وتعد إذاعة الأخبار عبر الإنترنت مسألة أخرى تمامًا وتوجد فرصة كبيرة أمام الناس لإنتاج برامج خاصة بهم تحتوي على مقابلات وأفلام وثائقية مسموعة وصيغ أخرى يكون المحتوى غير الخاضع للإتاوات هو الهدف فيها. وقد سجل كريستوفر

لايدون Christopher Lydon، وهو صحفي محترف مخضرم يمارس كتابة المدونات بصورة كبيرة، سلسلة من المقابلات الممتازة على موقعه[55] الذي يحمل اسم «مدونات الرئيس 2004»[56]. ويقوم برنامج محادثات تكنولوجيا المعلومات - وهو برنامج على شبكة الإنترنت فقط - بتسجيل مقابلات بصيغ مسموعة مختلفة مع نسخة مكتوبة[57].

والإذاعة الحوارية عبر الويب إمكانية أخرى ليس ضروريًا أن تكون باهظة التكلفة. وقد قام اثنان من العاملين في حملة هوارد دين Howard Dean الرئاسية بإنشاء برنامج إذاعي حواري عبر الإنترنت عن طريق تجميع بعض المعدات منخفضة التكلفة. وقد أظهرا أن بوسع أي شخص أن يفعل ذلك بتكلفة زهيدة وبسهولة إلى حد ما. ابحث عن آخرين لتجميع جميع القطع معًا في حزمة متماسكة يستطيع أي شخص استخدامها.

وفيديو الإنترنت مسألة مختلفة. ففي حين أن تكلفة إنتاج برامج فيديو إخبارية آخذة في التناقص طول الوقت، إلا أن تقديمها إليكترونيًا عن طريق الاتصال المباشر مكلّف للغاية لأن موفري خدمات الإنترنت يفرضون رسومًا مقابل تحميل النطاق العريض على الإنترنت بمعدلات لا يستطيع الهواة تحملها. وهنا يمكن أن يلعب الترابط الشبكي بين الأقران دورًا.

الترابط الشبكي بين الأقران

هل تذكر نابستار، موقع لتقاسم الملفات الموسيقية على الويب؟ لقد أحدث ثورة من خلال نموذج تقاسم الملفات الخاص به المعروف أيضًا باسم القرين للقرين Peer-to-Peer (P2P). فإذا كان لدى شخص ما أغنية معينة على حاسبه الآلي، سيخبر برنامج نابستار (إذا سمح هو بذلك) حاسبًا مركزيًا في نابستار بأن الأغنية متاحة. وبعد ذلك يقوم الأشخاص الآخرون الراغبون في نفس الأغنية بتفقد قاعدة بيانات نابستار ومعرفة من توجد عنده الموسيقى ثم الدخول مباشرة على الحاسب الآلي للشخص الذي يعرض الأغنية.

هذا النظام، برغم وجود بعض الاستخدامات المشروعة (وبالتالي القانونية نظريًا له) إلا أنه كان ملاذًا أيضًا للتعدي على حقوق النشر والتأليف. وقامت صناعة الموسيقى بمقاضاة الشركة والقضاء عليها في نهاية المطاف. إلا أن ما لم تستطع الصناعة إيقافه مع ذلك كان الفكرة، وبادرت تكنولوجيات أخرى إلى سد الفجوة بنظم اشتراك في الملفات متطورة ومعقدة بصورة متزايدة سيكون من الصعب إيقاف بعضها لأنه لن يكون لها نقاط تحكم مركزية.

وهناك عدد من الأسباب التي تجعل P2P مهمًا لصحافة الغد. وتمثل التكلفة أحد الأسباب الأكثر واقعية لأن P2P يحل مشكلة خطيرة: فكلما كان موقعك على الويب ناجحًا كلما كلّفك الاستمرار في تشغيله نقودًا أكثر. ويفرض مقدمو خدمات الإنترنت رسومًا على ناشري مواقع الويب بطرق عديدة، ولكن تقوم إحدى الطرق على حجم الزوار الذين يدخلون على موقعك والنطاق العريض المطلوب لتقديم النص والصور والصوت ولقطات الفيديو المقدمة للمشاهدين. وحتى الفيديو المتواضع النجاح يمكن أن ينشئ فاتورة باهظة لمالك الموقع. وهذا وضع فريد في تاريخ الإعلام لأنه في الماضي كلما كنت ناجحًا انخفضت تكاليفك الحدية.

يحل نموذج P2P هذه المشكلة عن طريق نشر المادة الرائجة في كل أرجاء الشبكة. وفي ظل وجود تكنولوجيات مثل BitTorrent – وهي عبارة عن منتج برمجيات حر – يكون الحاسب الآلي لكل شخص ينزل المادة من على الإنترنت وحدة خدمة محتوى أيضًا.[58] وإذًا كلما ازدادت شعبيتك انخفضت التكلفة وليس العكس.

و P2P مفيد أيضًا بمعنى سياسي. فسوف توفر نظم P2P الجديدة تحت التطوير أقرب شيء لمجهولية الهوية التي شاهدناها حتى الآن. وتريد الحكومات القمعية إبقاء محتوى الإنترنت تحت السيطرة، لكن مجهولية الهوية ستجعل الرقابة أكثر صعوبةً.

وكما سنرى في المناقشة في الفصل الحادي عشر، يمقت بارونات الإعلام الترفيهي في عالم اليوم P2P مقتًا شديدًا، على الأقل النوع الذي لا يستطيعون السيطرة عليه، لأنه

يمكن أن يكون منطلقًا للتعدي على حقوق النشر والتأليف. وأنا أعتقد أيضًا أنهم يخشونه لأنه يساعد على إضفاء الصبغة الديمقراطية على الإعلام. وفي كلتا الحالتين هم يريدون وضع حد له. ولكن يجب عدم السماح لهم بالنجاح في مسعاهم لأنهم باسم الحيلولة دون التعدي على حقوق النشر والتأليف يهدرون حقوقًا أخرى – منها حقنًا في تحقيق ما يعرف بأنه «الاستخدام العادل» من أجل الاقتباس وصنع نسخ احتياطية شخصية – ويستطيعون في النهاية عرقلة أو حتى تدمير إمكانية ترسُّخ الصحافة الشعبية.

ثورة صيغة تكوين اتحاد بسيط حقا للتقاسم RSS

بالنسبة للأشخاص الذين يرغبون في إعداد تقارير إخبارية خاصة بهم لا يوجد شيء يتعين عليهم فهمه أهم من تكنولوجيا معروفة قليلًا بدأت تحدث تحولًا في أسلوب تقديم محتوى الإنترنت. ويمكنهم أن يشكروا أصحاب المدونات على نجاحها المتنامي.

في مرحلة مبكرة من تطور برمجيات المدونات، استخدم المبرمجون صيغة للتقاسم في المحتوى سميت RSS وتعني (ضمن عدة أشياء أخرى) تكوين اتحاد بسيط حقا للتقاسم Really Simple Syndication وتسمح قدرة الاتحاد للتقاسم هذه لقراء المدونات والأنواع الأخرى للمواقع بجعل حاسباتهم الآلية والأجهزة الأخرى تسترجع أوتوماتيكيًا المحتوى الذي يهمهم. إنها تفرغ ثورة في المحتوى بدأت الآن فقط تحظى بالفهم والتقدير. ويمكن أن تصبح هي الطريقة التقليدية التالية لتوزيع وجمع واستلام أنواع مختلفة من المعلومات. وإذا كانت الويب مستودعًا للمحتوى، فإن عالم المدونات هو محادثة – وربما تكون تكنولوجيا RSS أفضل طريقة لمتابعة المحادثة.

تخيل «التلقين الرئاسي» الخاص بك (أي تلقي المعلومات الأساسية) – فقط بشأن الموضوعات التي تريدها والمحدثة وقتما تريد والقدرة المضافة على الغوص في التفاصيل.

لا حاجة للذهاب إلى برنامج التصفح الخاص بك وإعادة تحميل مجموعة من المواقع، فتكنولوجيا RSS تتولى عنك المهام الشاقة.

إذًا لا تعتبر RSS مجرد اختصار تكنولوجي آخر. «فكر فيها باعتبارها حجر رشيد آخر بالنسبة لمعلومات الغد - أو على الأقل جزءًا منها»، كما قال كريس بيريللو Chris Pirillo مؤسس Lockers Gnome ومورد رسائل إخبارية بالبريد الإليكتروني توجهه تكنولوجي[39]. إن RSS تجعل فجأة الإنترنت تعمل كما يتبغي، وبدلًا من أن تبحث أنت عن كل شيء، تأتي إليك الإنترنت بشروطك. س

إن RSS أو تكنولوجيا ما مثلها يتم دمجها في كل منتج برمجيات خاص بمدونات الويب. انشأ مدونة فتنشئ بذلك RSS. وهناك كتلة حرجة من المحتوى من أصحاب المدونات فحسب. لكن المنظمات الإخبارية ومنشآت الأعمال التقليدية بدأت تدرك قيمتها أيضًا وهي تنشئ ملفات RSS (feeds) من مادة خاصة بها.

إذا كنت تريد مشاهدة ملف RSS feed الخاصة بمدونتي (أو أي مدونة أخرى) أو موقع آخر يمكن الوصول إليه بواسطة RSS يجب أن تشترك بنفسك. فلا أستطيع أن أفرضه عليك. وهذا أحد الأسباب التي تجعل RSS شديدة الأهمية: إن المستخدم يمسك بزمام السيطرة.

يحتوي الموقع الإليكتروني المصاحب لهذا الكتاب على وصلات مؤدية إلى مجموعة متنوعة من البرمجيات ذات الصلة بـ RSS وكيفية استخدامها. ولكن دعوني أضرب مثالًا لبيان مدى بساطة تشغيلها. في الحالة الخاصة بي، قمت على حاسبي الآلي ماركة ماكنتوش بإنزال وتركيب Net News Wire[40] وهو نوع من البرامج يعرف باسم قارئة الأخبار أو المجمّع. وجاء هذا بمجموعة كبيرة من ملفات RSS كان بإمكاني الاشتراك فيها بنقرتين على الفأرة. وفيما يتعلق بالعديد من الملفات التي لم تكن مدرجة ضمن البرمجيات، كان الاشتراك أصعب. وكان عليّ أن أجد عنوان ملف RSS لكل موقع على الويب وأنسخه وألصقه داخل نظام اختيار الاشتراك في NetNewsWire.

وعلى غرار برامج قراءة الأخبار الأخرى، يحتوي NetNewsWire على ثلاث خانات مثل معظم برامج قائمة بالمواقع وأتابعها. وعندما أنقر على واحد من أسماء تلك المواقع، تُظهر الخانة الموجودة أعلى الشاشة من ناحية اليمين العناوين الرئيسية من ذلك الموقع. وعندما أنقر على عنوان رئيسي ما، أشاهد في الخانة الموجودة أسفل الشاشة من ناحية اليمين ملخصًا للمقال أو المقال كله، تبعًا لما قرر مالك الموقع توفيره. وإذا كنت أريد رؤية الصفحة أو المقال الأصلي، فإن كل ما أحتاجه هو النقر مرتين على اسم الموقع أو العنوان الرئيسي.

نظرًا لأن برامج قارئات الأخبار (newsreaders) تجمّع ملفات (feeds) متنوعة داخل شاشة واحدة من المعلومات، فإنها توفر الوقت بصورة لا تصدق. إذ أستطيع تجميع العناوين الرئيسية والتوصيفات المختصرة للتعليقات والآراء المكتوبة في عشرات المدونات والمواقع الأخرى داخل تطبيق واحد على جهازي الماكينتوش. لست في حاجة للتجول في أنحاء الويب كلها لأبقى على إطلاع ما يكتبه جميع الأشخاص الذين اهتم بهم. فهو يأتي إلي.

يميل تشكيل وهيكل ملف الـ RSS لاتخاذ هيئة عظام عارية، الأمر الذي يجعل RSS طريقة عظيمة لجعل المادة متاحة على منصات غير الحاسبات الشخصية كالهواتف الذكية والمنظّمات المحمولة باليد، فضلًا عن كونها توفر طريقة تمكّن مواقع الويب من الاشتراك في المحتوى فيما بينها. فعلى سبيل المثال: توجد لدى قارئه RSS على جهازي ماركة Treo 600 وهو عبارة عن توليفة من هاتف ومنظم شخصي. وتقوم القارئة باستخلاص الحد الأدنى للمادة من ملفات RSS – العناوين الرئيسية والملخصات فقط– وتقدم خدمة عظيمة.

إن قابلية RSS للمد والتوسع تخلق بعض المثالب فكثير من المدونات لا يعرض لقارئات الأخبار سوى العناوين الرئيسية والملخصات، مما يضطر المستخدم للذهاب إلى المصدر (موقع الويب الأصلي) لقراءة النص الكامل. والمفارقة هنا هي أن البرنامج

القارئ للأخبار يقضي فعليًا على الإحساس بخصوصية الكثير من المدونات من خلال تجريدها من بعض العناصر البصرية كالتصميم أو الشعارات بالإضافة إلى إزالة السياق المنتج بواسطة وصلات مؤلفي المدونات مع مدونات أخرى (blogrolls) أو المعلومات المتعلقة بالسيرة الذاتية للمؤلف (وأي إعلان). ويوجد نفس العيب، أو الميزة، في النسخ النصية للنشرات الإخبارية على البريد الإليكتروني.

كذلك تضفي قارئات الأخبار وزنًا متساويًا على كل ما تعرضه: وبذلك تعامل العناوين الرئيسية والنص من مدونة جو مثلًا بنفس الأسلوب الذي تعرض به مادة من ذا نيويورك تايمز مثلًا. وسيكون ذلك مناسبًا تمامًا بالنسبة لبعض المستخدمين. لكن آخرين سيطلبون – وسوف يقدم لهم البائعون ذلك بالتأكيد – أدوات لقراءة الأخبار تنطوي على فروق دقيقة ولها القدرة على الإبراز حسب الموضوع وحسب المؤلف وحسب مقاييس مثل عدد الأشخاص الآخرين المشتركين في مدونة معينة أو حسب مقاييس أخرى. وينتظر العالم مثل هذه النهج الإبداعية وسوف تجعل تكنولوجيا RSS والأدوات المتصل بها حدوثها ممكنًا. وقد خطا نيك برابري Nick Bradbury الذي كتب أداة التحرير وتصميم المواقع الشعبية Homesite HTML الخطوات الأولى في ذلك الاتجاه مع Feeddemon [61] وهو عبارة عن برنامج قارئ لـ RSS على ويندوز ويتحكم في تفاصيل العرض ويبعد مرونة الإخراج عن القارئ البشري.

برغم أن تكنولوجيا RSS أصبحت مثيرة في سياق المدونات الشخصية إلا أن إمكانياتها أوسع بكثير. فالمعلومات من كل أنواع المصادر يمكن وينبغي الاشتراك فيها بهذه الطريق. وتجعل صحيفة ذا نيويورك تايمز بعض عناوها متاحًا عبر RSS، أما مايكروسوفت فرغم كونها بطيئة في احتضان المدونات، إلا أنها بدأت مؤخرًا تستخدم RSS بطريقة كانت مفيدة واحترمت روح المجتمع. وتوفر الشركة ملفات لمقالات Microsoft Developers Network (MSDN) ومن ثم يستطيع واضع البرامج أن يشترك في MSDN بدلًا من التسكع للاصطياد عبر موقع مايكروسوفت. وبالفعل بدأت شبكة

سيسكو سيستمز Cisco Systems توفر مادة عبر RSS وتقدم مواقع عديدة قوائم وتوصيفات لما هو متاح بها في ذلك NewsIsFree [62] و Syndic8 [63].

فهم الأمر كله

إذا كانت صحافة الغد محادثة معقدة بشكل متناهي، فإن تتبعها سيتطلب تشكيلة من الأدوات الجديدة التي تتجاوز RSS بكثير تسمح لنا بالبحث عن وتنظيم ما نكتشفه. وقد ظهر العديد منها بالفعل ما يمكن أن يُسمى فقط «النسخة 0.5 – التي يسميها الفنيون شكل بيتا: وهي واعدة ومفيدة إلى حد ما ولكنها ليست جاهزة تمامًا للمستخدم العادي.

ومن بين الأدوات التي تدلنا على الطريق هي Feedster[64] وهي تطبيق يعتمد على الويب يفهرس ملفات RSS. وقد وجدته مفيدًا لتتبع ما يقال Feedster التجميع والفرز من خلال المدونات عن عملي. وتجرب Feedster التجميع والفرز من خلال مجموعات من ملفات RSS من أجل إنشاء ما تسميه «Feedpappers» الذي يستدعي الموقع من خلاله أحدث ملخصات الأخبار وتعليقات المدونة المعتمد على RSS.

وهناك أداة أخرى هي Technorati[65] التي تستخرج معلومات عن عالم المدونات. وقد صممها أخصائي تكنولوجي في سان فرانسيسكو يدعى ديف سيفري Dave Sifry لسد حاجة شخصية. قال ديف: «ظللت أدير مدونتي الخاصة لمدة عام تقريبًا ولم تكن المعلومات عن زوار الموقع والصفحات التي يشاهدونها على الموقع كافة. لقد أردت أن أعرف عم يتحدث الناس وماذا كانوا يقولون عني وعن الناس الذين يهمني أمرهم». وهكذا كتب كودًا (أو نظامًا رمزيًا) لكي يتمكن من معرفة ما يريد.

لقد أصبحت Feedsters و Technoratis ومشروعات مثلها جزءًا حيويًا من نظام إيكولوجي أكبر. ولكنها على غرار القوائم البريدية والمدونات وبرامج Wiki وخدمة الرسائل القصيرة وأدوات مستقبلنا الصحفي الأخرى، مجرد أدوات فقط. ويجب عدم

الخلط بينها وبين الصحافة نفسها. ويجب أن تبقى قيم معينة: النزاهة والدقة والشمول.

وفي الوقت نفسه، تساعدنا خدمات مثل Feedster و Technorati على تخيل ما يرقى إلى مستوى بنية جديدة لأخبار ومعلومات الغد. وقد تمكّن «مستهلكي» الصحافة من البحث خلال المحادثات العنيدة المتشبثة برأيها وتجميع شيء شبيه بالواقع أو ربما حتى الحقيقة إذا كانوا مستعدين للبحث عن مصادر من وجهات نظر مختلفة. وسوف نناقش إمكانات نشوء هذه البنية بمزيد من التفاصيل في الفصل الثامن.

والأمر المثير للحيرة أكثر هو أننا يجب أن نتأمل عالمًا ترتبط فيه أنواع كثيرة من الأدوات على نحو لا ينفصم نسبيًا وحيث يمكن تكوين شبكات اجتماعية وتجارية فيه حينما تستدعي الظروف ذلك. وسوف يحدث انتشار خبر أو موضوع ما أو شيء أكبر بكثير - أكثر كثيرًا مما هو الحال اليوم - بدون أي مساعدة من وسائل الإعلام الجماهيرية كما نعرفها اليوم. والأشخاص الذين سيفهمون ذلك جيدًا ربما لم يولدوا بعد.

وفي الوقت نفسه، فإنه حتى بدايات هذا التحول تجبرنا جميعًا على تصحيح افتراضاتنا وسلوكنا. وكما سنرى فيما بعد، فإن الناس الذين يصنعون الأخبار يأتون في مقدمة هذا التصحيح.

الفصل الثالث

انهيار البوابات

ران صمت غريب على معظم الصحف والشبكات التليفزيونية الرئيسية في الأيام الأولى التي تلت احتفال ترينت لوت Trent Lott بذكرى ميلاد زميله الجمهوري السيناتور ستروم ثورموند Strom Thurmond المائة في أواخر عام 2002 والذي بدا فيه أنه يحن إلى ماضٍ عنصري. فقد تذكر لوت – الذي كان آنذاك زعيم الأغلبية في مجلس الشيوخ الأمريكي، حملة ثورموند الرئاسية في 1948، والتي كانت سباقًا دعا فيه للحفاظ على الفصل العنصري. إذ قال لوت إن الأمة كانت ستكون أفضل حالًا لو كان ثورموند قد فاز في الانتخابات.

لقد كان تصريحًا شائنًا، ولكنه لوحظ بالكاد في البداية. فقد ذكرته شبكة إيه بي سي الإخبارية. وكان لدى الواشنطن بوست قصة ولكنها نشرتها في الصفحات الداخلية. وكان هذا هو كل ما سمعناه تقريبًا من وسائل الإعلام الرئيسية. لكن الصمت لم يدم لأن لوت ذاق طعم إعلام الغد: فقد هاجمه مؤلفو المدونات ومرسلو البريد الإليكتروني والصحفيون الإليكترونيون الآخرون الذين يغيرون بعض القواعد الراسخة منذ زمن طويل.

كان تدفق الغضب والمعلومات معقدًا[66]. لكن بيت القصيد كان أن مؤلفي المدونات والمعلقين الإليكترونيين الآخرين أبقوا بأكثر كثيرًا مما فعل الصحفيون التقليديون – قصة ملاحظات لوت حية على الرغم مما أبدته وسائل الإعلام الرئيسية من عدم اكتراث في البداية. وكان مؤلفو المدونات الليبراليون أمثال جوشوا مارشال في مدونة Talking Points Memo[67] من أوائل من بادروا بإعلان الغضب ولكن انضم لهم

العديد من المحافظين أيضًا. وفي بعض الحالات، غضب مؤلفو المدونات من عدم مبالاة الإعلام الكبير بقدر ما غضبوا من تصريحات عضو مجلس الشيوخ. وتعبيره المراوغ في البداية عن أسفه وندمه على ما صدر منه من ملاحظات.

وبعد عدة أيام، أبرزت وسائل الإعلام القومية بشكل كامل القصة التي لم تختف. وحتى الرئيس بوش President Bush اضطر لشجب ملاحظات لوت الذي كان حليفًا رئيسيًا له في الكونجرس. وفي النهاية لم يفاجأ أحد عندما اضطر لوت تحت ضغط هائل للاستقالة من منصبه كزعيم للأغلبية.

برغم أن مؤلفي المدونات ما كان لهم أن يسقطوا لوت بمفردهم لولا قيام الإعلام الكبير بتسليط الأضواء على القصة، إلا أن موضوع لوت كان بكل المعايير نقطة فاصلة وحدثًا فارقًا. وقال جون بود هوريتز John Podhoretz في عموده بصحيفة نيويورك بوست «لقد أحرزت المدونات نصرها الأول».

لك أن تسميهم صانعي الأخبار. لك أن تسميهم مصادر. لك أن تسميهم موضوعات الصحافة – وأحيانًا من وجهة نظرهم ضحايا للصحافة رغم أنفهم. ولكن أيًا كان الوصف الذي نطلقه عليهم فإننا يجب أن نعترف جميعًا بأن قواعد صنّاع الأخبار – وليس الصحفيين فحسب – قد تغيرت بفضل قدرة الجميع على صنع الأخبار.

لقد اكتسب معظم السياسيين ورجال الأعمال وفعليًا جميع المؤسسات القوية الموجودة اليوم مكانتهم وسلطتهم في حقبة مختلفة. وهم يرون أن الهياكل الهرمية التقليدية للإعلام الإخباري تعكس نموذجهم المركزي المتجه من أعلى إلى أسفل والذي توجد به نقاط رقابة وتحكم محددة. وفي هذا النموذج تتعامل إدارات العلاقات والتسويق مع الصحافة ومع الجمهور. ويتعامل المديرون التنفيذيون مع المراسلين. وعند الاقتصاد يتم التحكم في الأخبار من داخل المنظمة وإدارتها عندما تتدخل قوى خارجية.

إنه نموذج ينتمي للعصر الصناعي: تصنيع الأخبار. ولكنه لا يزال ناجحًا إلى حد ما وإن كانت فعاليته آخذة في التناقص شيئًا فشيئًا. وإذا كانت الأسواق محادثات (أو حوارات) كما قال مؤلفو بيان كلوترين، فإن الصحافة – بمعنى المعلومات التي يحتاج لها الناس لإدارة حياتهم – ستشكل بصورة متزايدة جزءًا من تلك المحادثات.

يحتاج صانعو الأخبار لإدراك أن دوامات الأخبار ليست بركًا صغيرة عند الشاطئ. فالمعلومات محيط ولم يعد بإمكان صانعو الأخبار التحكم في حركة المد والجزر كما كانوا يفعلون بسهولة فيما مضى.

ولذا يجب عليهم أن يواجهوا ثلاث قواعد جديدة على الأقل للحياة العامة.

أولًا: يستطيع الدخلاء outsiders بكافة أنواعهم التحري والاستقصاء بشكل أكثر عمقًا داخل منشآت أعمال صانعي الأخبار وشئونهم. ويستطيعون نشر ما يعرفونه على نطاق أوسع وبصورة أسرع. ولم يكن تنظيم الأشخاص ذوي العقليات المتماثلة من أجل دعم أو شجب شخص ما أو قضية ما أسهل مما هو اليوم أبدًا. إن القاعدة الشعبية التي تمكنها الاتصالات فرقة مخيفة للبحث عن الحقيقة.

ثانيًا: يشكل العالمون ببواطن الأمور insiders جزءًا من المحادثة. فلم تعد المعلومات تتسرب، بل تتدفق بغزارة خلال جدران منع النيران من الامتداد والحواجز الأخرى وعبر الرسائل الفورية والبريد الإليكتروني والمكالمات الهاتفية.

ثالثًا: إن ما يتدفق بغزارة يمكن أن تكون له حياة خاصة به حتى إذا لم يكن حقيقيًا.

نشر الأنباء

كما ذكرنا من قبل، فقد أصبحت الاتصالات الحديثة أعظم قفص يستخدمه خطيب ما كمنصة في التو واللحظة ومصنعًا للقيل والقال و – بمعنى حقيقي جدًا – ناشرًا للأخبار الصادقة، في التاريخ. في وقت ما كان لدى فرد ما صاحب القضية

خيارات قليلة. فكان يستطيع الوقوف في الركن ويتحدث بطريقة صاخبة أو مسرحية مخْنقًا ولائقًا بقسوة، أو يستطيع تعليق لافتة، أو كتابة رسالة إخبارية أو إرسال خطاب إلى رئيس التحرير. أما اليوم فإنه إذا تحركت حجته بشكل كافٍ و/ أو دعمتها الحقائق، تستطيع الأدوات الموجودة تحت تصرفه جعلها ظاهرة عالمية. وتنطلق الآلة الرابطة المستقلة – المؤلفة من أشخاص مهتمين بشر الأنباء بدرجة كافية بالإضافة إلى أدوات جديدة مثل RSS التي تنشر على نطاق واسع ما يكتبونه – إلى العمل. وتلك طريقة نشر الأنباء.

وحتى قبل أن يصعد نجم شبكة الويب.كان العالم الإليكتروني يعمل على لفت انتباه الشركات. ففي 1994، ساعد Usenet – نظام مجموعات المناقشة على الإنترنت – في تلقين إنتيل Intel التي تصنع معظم المعالجات التي تشكل الأدمغة المركزية للحاسبات الشخصية، درسًا. وانتشرت أخبار «فيروس بنتيام» وهو عيب حسابي رياضي في نسخة من معالج بنتيام، أول مرة عبر Usenet قبل أن تلتقطها الصحافة الشعبية. واضطرت شركة إنتيل – التي تكبدت نفقات مالية كبيرة وتضررت سمعتها – لاستبدال كثير من الرقائق المعيبة. وقال أحد المديرين التنفيذيين بشركة إنتيل لخدمة سي إن تي الإخبارية CNET في 1999: «لقد كان الدرس الذي تعلمناه فورًا هو أنه من الآن فصاعدًا لا يمكنك أن تتجاهل ذلك الوسيط (الإنترنت) وأن ذلك الوسيط ستتزايد أهميته تدريجيًا في تشكيل الآراء»[68].

وبعد مرور عقد من الزمان على واقعة إنتيل، حدث مثال آخر تافه نسبيًا وإن كان كاشفًا مع ذلك. ففي أوائل 2004 ووسط دعاية وضجة كبيرة تضمنت إعلانًا تجاريًا متصلًا بكأس السوبر Super Bowl، أعلنت شركة بيبسي Pepsi عن ترويج «أغنيات مجانية». فكان باستطاعة مشتري بيبسي أن ينظروا إلى أسفل غطاء الزجاجات ويفوز مرة واحدة من كل ثلاث مرات بتنزيل أغنية مجانًا من موقع آبل آي تيونز Apple iTunes على الإنترنت. لكن شخصًا لاحظ وجود عيب في تصميم الزجاجة، واكتشف طريقة

لإمالة الزجاجة غير المفتوحة ومعرفة ما إذا كانت الزجاجة تحتوي على الكود الخاص بالأغنية. فيما مضى كانت هذه المعلومات تبقى ضمن مجموعة صغيرة من الناس، أما في عصر الإنترنت فقد أصبحت هذه المعلومات متاحة بصورة شبه فورية لأي شخص لديه وصلة إنترنت في صورة وثيقة تحمل عنوان «كيف لا تخسر أبدًا هدية بيبسي على آي تيونز».[69] ولم يكن هناك شيء يمكن لشركة بيبسي أن تقوم به حيال ذلك. فإذا علم شخص ما شيئًا ما في مكان ما، فسوف يعرفه كل إنسان مهتم بذلك الشيء بعد فترة وجيزة جدًا.

فكر في مثال أعمق بكثير. حالة لها تداعيات حياة أو موت حقيقية: وباء سارس الذي بدأ في مقاطعة جوانج دونج الصينية في نوفمبر 2002. لم تسمح الحكومة القمعية المعتادة على التحكم في المعلومات في بادئ الأمر للمجتمع الطبي بإخبار أي شخص بما كان يجري. ولكن في أوائل فبراير 2003، بدأت الأخبار تتسرب على أية حال، ليس من خلال الصحف أو التليفزيون أو البيانات الرسمية بل من خلال خدمة الرسائل القصيرة (SMS) عبر الهواتف المحمولة: شكل حديث للأقاويل الشفهية. وكانت الأنباء مروعة: فقد كان الناس مرضى ويموتون في بعض الحالات بشكل خبيث وشرس بصفة خاصة من أشكال الالتهاب الرئوي. وأدى ذلك إلى القيام ببعض التغطية الأخبارية، ربما في وقت أكبر بكثير مما كان يمكن أن يحدث لو لم يتناقل الناس الأخبار بأنفسهم.[70]

وما إن انتشرت أخبار سارس وبدأ الهلع يعم البلاد، حتى أصبحت خدمة الرسائل القصيرة وسيلة مختارة بالنسبة للحكومة أيضًا. واستخدمتها سلطات هونج كونج دون نجاح كبير في محاولة للتخفيف من الشائعات العارية من الصحة التي أخذت تنتشر على الإنترنت[71].

الآن أضف إلى المعادلة «moblogging» (مدونات الهواتف) والتطور الذي يعد من أقربائها – استخدام أي شخص فحسب لأجهزة الهواتف الجوالة المزودة بكاميرات في عالم يجب أن نفترض فيه أن الناس يلتقطون الصور بصورة متواصلة في الأماكن العامة.

إن صناع الأخبار، ولاسيما نجوم هوليوود والمشاهير الآخرون، يبغضون بالفعل مصوري المشاهير (باباراتزي Paparazzi) الذين يلاحقونهم في كل مكان ويلتقطون لهم صورًا وهم غير متنبهين. ماذا سيحدث عندما يصوب 10 أشخاص عاديون هواتفهم نحو النجوم ثم ينقلون الصور التي يلتقطونها إلى أصدقائهم أو مواقع على الويب. إن الصور الساكنة هي البداية فقط، وسوف تصبح كاميرا الفيديو جزءًا من هواتفنا عما قريب. إن مصوري المشاهير لديهم كاميرات أفضل وهم أبرع في التقاط الصور لكن حشود مصوري المشاهير الهواة سوف تسد معظم جوع عامة الناس النهم لمعرفة أخبار مشاهيرهم المفضلين. وبالنسبة للأشخاص الذي يكونون محط أنظار الجماهير، فإن عيون الناس لن تطرف أبدًا عندما يكونون خارج منازلهم.

إن هذا بالطبع مثال تافه نسبيًا لما هو آت. فالهواتف – المزودة بكاميرات وأجهزة التصوير الفوتوغرافي المحمولة في كل مكان تستطيع أن تزود الناس بأدوات قوية وفعّالة لمنع الجريمة. ومثلما أذاعت شبكة سي إن إن في 2003 فإن صبيًا يبلغ من العمر 15 سنة فقط التقط من هاتفه المزود بكاميرا صورة لشخص كان يهم بارتكاب عملية خطف وساعد ذلك الشرطة على العثور على الرجل.[73] إن هذه الأجهزة سوف تسرّع بدرجة كبيرة الطريقة التي نوثق بها التاريخ.

في أوائل مايو 2004، كان لا يزال من غير الواضح من التقط الصور الفوتوغرافية الرقمية لتعذيب السجناء العراقيين على أيدي الأمريكيين في سجن أبو غريب، لكن تسربها إلى المجال العام نُظر له بالفعل على أنه نقطة محورية سلبية ليس فقط في الصراع بل أيضًا في نظرة العالم لأمريكا. وحتى إذا كانت المؤسسة العسكرية وإدارة بوش تريد التستّر على ممارسات التعذيب، فإن توزيع الصورة على نطاق أوسع أصبح أمرًا محتومًا فور التقاطها وتداولها بين الناس.

إننا مجتمع من المتلصصين ومحبي الفضائح. يمكننا أن نجادل بشأن ما إذا كان ذلك شيئًا جيدًا أم مذمومًا، ولكن عندما يصبح كتمان الأسرار أصعب كثيرًا، سيكون

شيء جوهري قد تغير. تخيل رودني كينج وأبو غريب مضروبين في مليون. إن الشرطة في كل مكان لابد وأنها تتساءل بالفعل عما إذا كان يجري تصويرها على شريط فيديو. وسرعان ما سيتعين عليها افتراض أنه يجري تصويرها بفيديو رقمي. ولذلك مزايا واضحة مثل الحد من ممارسات الشرطة الخاطئة. لكن كل شخص يعمل، ويتحرك فيما حوله. في مكان عام، لن تروق له فكرة أن يسجل جيرانه المتطفلون كل حركاته. ربما قد لا نستطيع الاختيار بين مزايا حمل الكاميرات في كل وقت ومكان وعيوبه.

إن من الجدير تأمل كيف كانت أحداث الماضي ستبدو لو أن تكنولوجيا الغد كانت متاحة في ذلك الوقت. دعونا نطبق ذلك على أحداث الحادي عشر من سبتمبر 2001 المروعة. إن ذكرياتنا عن ذلك اليوم الفظيع نابعة من التليفزيون بدرجة كبيرة: صورة حية بالفيديو لاصطدام الطائرات بمركز التجارة العالمي، كرات النار التي اندلعت منه، سقوط الناس وقفزهم من البرجين وانهيار البرجين إلى الأرض. لقد صور أفراد لديهم كاميرات فيديو أجزاءً من هذه القصة وانتهى المطاف بعملهم في التليفزيون الشبكي أيضًا. وقد توقفت الشبكات الكبيرة عن عرض لقطات الفيديو الأكثر ترويعًا بسرعة إلى حد ما. لكن تلك الصور لاتزال موجودة على الإنترنت لمن يرغب في مشاهدتها.

وقد علمنا أيضًا بطريقة غير مباشرة أن ركاب الطائرات والأشخاص الموجودين داخل برجي مركز التجارة اتصلوا هاتفيًا بأحبائهم وزملائهم في ذلك اليوم الرهيب. ما الذي كنا سنتذكره لو كان يوجد لدى هؤلاء الركاب والأشخاص الموجودين داخل هذين المبنيين جميعًا هواتف مزودة بكاميرات؟ ماذا لو أرسلوا صورًا ولقطات فيديو من داخل ترسانة الإرهابيين المحمولة جوًا ومن داخل البرجين اللذين تحولا إلى قبرين لعدد كبير جدًا من الناس؟ إنني لا أقصد أن أبدو متوحشًا قاسي القلب، لكنني أرى أن ذكرياتنا كانت ستختلف بدرجة كبيرة لو أن صورًا وأصواتًا من ذلك النوع تم تداولها حول العالم.

فرقة البحث عن الحقيقة

في سبتمبر 2002، وضعت مايكروسوفت صفحة إعلان شبه كاذب على الويب ظهرت فيه امرأة شابة فاتنة. قال الإعلان إنها كاتبة مستقلة يُفترض أنها تحولت من جهاز ماكنتوش إلى حاسب شخصي. وكان عنوان الصفحة كالتالي: «من ماكنتوش إلى الحاسب الشخصي: تم إنجاز المهمة. الكاتبة المتحولة مبهورة». وجاء الإعلان ردًا على حملة « تحوّل» (من الحاسبات الشخصية إلى أجهزة ماكنتوش) التي نظمتها شركة أبل. واكتشف معلق على موقع Slashdot [73] أن صورة هذه الكاتبة المستقلة المزعومة مأخوذة من أرشيف Getty Images.[74] وقام تيد بريديز Ted Bridis المراسل بوكالة أسوشيتيد بريس (AP) بالتحري عن بقية القصة التي لم تكن بالطبع مطابقة للقصة التي كتبت مايكروسوفت ترويجها. وقال موظف علاقات عامة بشركة مايكروسوفت، مراوغًا في الإجابة عن بعض الأسئلة المباشرة التي وجهتها له: «لقد كان من الخطأ وضع ذلك الإعلان وقد قامت مايكروسوفت برفعه من الموقع فور علم فريق تسويق ويندوز أكس بي بما حدث. وشركة مايكروسوفت تأسف لأي لبس أو سوء فهم ربما تكون قد تسببت فيه».

وأعتقد أن الناس في ذلك الوقت ربما بالغوا في الحكم على طبيعة الإعلانات نصف الكاذبة. فرغم كل شيء يكون الأشخاص الذين يظهرون في إعلانات المنتجات في التليفزيون والإعلانات المطبوعة ممثلين عادة. ولكن نظرًا لأن الأشخاص المتحولين من حاسب أبل الشخصي إلى ماكنتوش كانوا حقيقيين فيما يبدو، بما في ذلك صورهم، فقد بدأ كذب مايكروسوفت بغيضًا وذميًا بدرجة أكبر.

إن ما أبرز الواقعة هو الطريقة التي انكشف بها الزيف والكذب. فقد تناول قراء Slashdot وهم أعضاء في مجتمع إليكتروني قوي القضية. وكانوا أول من برهن على عدم احتواء صفحة مايكروسوفت على أي شيء صادق أو صحيح واستحقوا أن يُنسب لهم معظم الفضل في خروج القصة إلى النور أصلًا.

إن تراكم البيانات يشكل أداة قوية للبحث بالنسبة لأي شخص يرغب في الغوص داخل قضية ما. ويستطيع مؤلف الكتيبات الجاد الآن أن يقوم بما هو أكثر من تحدي شيء ما. إنه يستطيع إنشاء موسوعة إليكترونية تحتوي على معلومات تفصيلية عن أي موضوع ويستمر في توسيعها – ويجعلها أرشيفًا نابضًا بالحياة وأداة منظمة يستطيع الآخرون استخدامها والإضافة لها فتصبح قوة من المستحيل تجاهلها.

ويحدث ذلك منذ بعض الوقت. ففي أواسط التسعينيات واجهت مؤسسة ماكدونالدز .McDonalds Corp بعض المواطنين الإليكترونيين الغاضبين ولم تعرف تمامًا كيف تتصرف معهم. أقامت الشركة العملاقة في مجال الوجبات السريعة دعوى قضائية ضد اثنين من الناشطين في لندن بدعوى أن منشوراتهما تتضمن تشهيرًا وقذفًا بحق الشركة. فرد الناشطان برفع دعوى مضادة ثم قاما بإنشاء موقع «McSpotlight» الإليكتروني[75] لدعم موقفهما فيما أصبح أطول قضية في التاريخ البريطاني – محاكمة تحولت إلى استفتاء على إمبراطورية ماكدونالدز وأفعالها غير الملائمة أحيانًا حول العالم.

وقد كان من بين أكثر جوانب McSpotlight فائدة التحليل اللامع لمواد التسويق لدى ماكدونالدز. وباستخدام إطارات الويب – وهي تقنية عرض إليكترونية - بيّن الموقع رسالة العلاقات العامة الخاصة بماكدونالدز على أحد جانبي الشاشة بينما ظهرت دفوع (ردود) McSpotlight على الجانب الآخر.

كسبت شركة ماكدونالدز القضية رسميًا أو على الأقل جزءًا منها، وكان السبب في ذلك جزئيًا هو انحياز قوانين القذف البريطانية للمدعين. وبيد أن الشركة كانت تحاول جني المال بكل وسيلة ممكنة لذا فإنها بعد فواتيرها القانونية الضخمة خسرت معركة مالية خطيرة. والأهم من ذلك أن الشركة تلقت ضربة في محكمة الرأي العام. فقد أماطت الدعوى القضائية وموقع McSpotlight على الويب اللثام عن شركة عملاقة متعددة الجنسيات تشكو نقصًا في الأخلاق على الأقل. وقد علم المزيد من الناس ذلك السجل بعد المحاكمة وليس قبلها.

لم ينته موقع McSpotlight بنهاية المحاكمة. فقد وسع رسالته أثناء نظر القضية لتشمل نظرة أوسع ليس فقط لماكدونالدز بل أيضًا لسلوك الشركات متعددة الجنسيات.

شعرت شركات التبغ، وهي صناعة أخرى متعددة الجنسيات تتعرض لانتقادات واسعة، بوطأة التوثيق المعتمد على استخدام الويب في منتصف السبعينيات عندما أنشأت جامعة كاليفورنيا – سان فرانسيسكو أرشيفات الرقابة على التبغ Tobacco Control Archives وهي عبارة عن مجموعة من الوثائق التي وجدتها القوى المناهضة للتدخين مفيدة في حربها ضد الصناعة.[76] وقد قال ستانتون جلانتز Stanton Glantz وهو أستاذ بجامعة كاليفورنيا – سان فرانسيسكو يدرس صناعة التبغ ومساهمتها التي تقدمها للمرشحين السياسيين إن مكتبات الجامعة حلت مشكلات عديدة عن طريق كتابة المادة على الويب وبذلك أوصلت المادة إلى الأشخاص الذين يريدونها ووفرت وقت العاملين في الجامعة آنذاك. ولم تتضح قوة الوسيط الجديد إلا لاحقًا – والكلام لازال لستانتون- عندما بدأت القوى المناهضة للتدخين في أماكن أخرى تستخدم هذه المادة في حملاتها.

قال لي ستانتون في 1996 ولم يكن قد مر وقت طويل على إنشائه الأرشيف: «إن الويب تطور هام للغاية. فهي تسمح لأناس مثلي – النوع المهتم بالتفاصيل – بجعل المواد متاحة بتكلفة زهيدة نوعًا ما وبالعمق الذي تريده».

وقد سمحت للمزيد والمزيد من الناشطين بتسليط الضوء على المادة التي تفضل المؤسسات القوية إخفاءها. إن المسئولين الحكوميين يتسمون بالكتمان كالشركات وربما أكثر منها. وهذا هو السبب في أننا ينبغي أن نشكر أشخاصًا مثل روس كيرك Russ Kirk على موقعه Memory Hole (ثقب في الذاكرة) وهو أرشيف متنام يحوي مادة هامة. وتعلن الصفحة الرئيسية للموقع على رسالته وهي «إنقاذ المعرفة وتحرير المعلومات». وهو يحقق هدفه بذكاء وألمعية. ففي ضربة صحفية وضع كيرك الإعلام الكبير في

موقف تجز في أبريل 2004 من خلال استخدام قانون حرية المعلومات للحصول على صور الجنود الأمريكيين الذين قُتلوا في العراق - الصورة المؤثرة للنعوش الملفوفة بالعلم الأمريكي التي لم تفكر وسائل الإعلام الأخرى في طلبها.

تواصل المستودعات اتساعها وتعمل على تحريك الاختلال المعلوماتي نحو حالة التوازن بالنسبة للمواطنين العاديين، وليس فقط الناشطين والدارسين الأكاديميين. وفي كتابه الذي نشر في 1914 بعنوان «الانجراف والتفوق»[78] حذّر ولتر ليبمان Walter Lippmann من أن الحضارة تتجه نحو التعقيد الشديد للدرجة «أن المشتري لا يستطيع الوقوف في وجه المنتج بسبب انعدام المعرفة والقدرة على جعل الصفقة عادلة». ومما لاشك فيه أن معادلة المعرفة تحولت من جديد نحو المشتري وتتبعها القوة في نفس الاتجاه. ومستخدمو الأجهزة والمعدات الذين كانت شئونهم الداخلية من أسرار المهنة ذات يوم ويتعذر الوصول لها من قبل المستهلكين يستفيدون من تلك القوة.

قبل عامين، أردت زيادة جودة القرص الصلب في جهاز تسجيل فيديو استخدمه في المنزل. كان الجهاز هو DishPlayer مرتبطًا بنظام الأقمار الصناعية Dish Network الذي استخدمه. وكان القرص الأصلي سعة 17 جيجابايت وقادرًا على تخزين 12 ساعة من الفيديو تقريبًا. وكان هناك قرص جديد سعة 40 جيجابايت معروضًا للبيع في متجر الإليكترونيات المحلي بمبلغ 120 دولارًا تقريبًا. ومما لا يدعو للدهشة أن Dish Networks لم تكن مهتمة بصفة خاصة بأن تخبرني كيف أفعل ذلك. ولم تكن هناك أيضًا مصادر تقليدية كذلك مثل المجلات الهاوية المطبوعة المخصصة لزيادة جودة أجهزة تسجيل DishPlayer أو النشرات الإخبارية التي تشرح كيفية تشغيل أساليب العمل التشخيصية المختلفة باستخدام التحكم عن بعد. وكانت الويب - ومجموعات النقاش بصفة خاصة - هي المصدر الذي لجأت إليه. ووجدت تعليمات دقيقة إليكترونيًا[79] وجربتها وحصلت على نظام تخزين 30 ساعة (ووجدت أيضًا تعليمات على لوحات نشرات أخرى كان المستخدمون قد وضعوا فيها تحذيرات من تعليمات لم تُجد مع بعض

المستخدمين – وقد أخذت بالنصيحة، وجاءت التعليمات التي اتبعتها في النهاية مع تحذير من أن تحسين الجودة قد يفشل إذا لم أتوخى الدقة، لكن أشخاصًا آخرين كتبوا تعليقات على اللوحة اتفقوا على أن تحسين الجودة سيتحقق إذا تم القيام بها كما ينبغي).

إن ما فعلته كان عملًا غير بارع بالمقارنة بما يفعله آخرون كل يوم. فقد انتشرت ظاهرة القرصنة (hacking) داخل عالم الأجهزة والأدوات المستخدمة يوميًا. والأشخاص الذين يريدون تحسين ما اشتروه يدرسون كيف تعمل الأشياء، سواء كانت المنتجات إليكترونيات تقليدية أو أشياء يوجد بها مكون من برمجيات وهؤلاء العملاء يقومون بتعديلات – أو عمليات قرصنة حسب الاسم المعروفة به – تجعل المنتجات أفضل أو تغير طبيعتها كليًا. وهم يفعلون ذلك عن طريق إخبار بعضهم بعضًا بأسلوب المصدر المفتوح الذي يحشد أفضل عقول المجتمع ويوجهها نحو المشكلات الشائعة.

في أوائل مايو 2003، طرحت شركة أبل كمبيوتر Apple Computer سلسلة جديدة من مشغلات موسيقى iPod محمولة باليد. ولم يستغرق مستخدمو iPod وقتًا في اختبار واكتشاف الوظائف التي لم تذكرها أبل في النشرة المرفقة بالمنتج. بدأ تقرير على موقع iPoding كالتالي: «حسنًا.. لم نستطع الانتظار ولذا فقد توجهنا إلى متجر Best Buy المحلي واشترينا جهاز Gen 2 15 GB جديد. سرعان ما تم تفكيكه ولكننا طبقنا عليه أسلوبًا تشخيصيًا أولًا. وتوجد به خاصية تسجيل! كما يوجد أيضًا اختبار LINRIN يقوم بوظيفة التسجيل أيضًا».

بوصفي صحفيًا يستخدم كثيرًا جهاز تسجيل رقميًا في إجراء المقابلات، كان ذلك خبرًا مثيرًا للاهتمام بالنسبة لي. لكن المسألة أنه كان خبرًا أذاعه أشخاص استخدموا الجهاز بحماسة شديدة وليس الشركة التي صنعته. ربما تكون شركة أبل قد اعتقدت أنها تحتفظ بالخطط المستقبلية لنفسها (وإن كان ذلك يحتمل النقاش) ولكنها لم تستطع منع أشخاص أذكياء من اكتشاف الأشياء بأنفسهم أو إذاعة ما اكتشفوه.

تشترك العملية في شيء ما مع تقارير عيوب السيارات التي تعود في النهاية إلى

الشركات الصانعة. ففي الأيام الخوالي كنا نعلم بوجود تلك العيوب إذا صادفنا أحدها، أو إذا أخبرتنا الشركة الصانعة أو إذا كان العيب هامًا بدرجة كافية تستوجب تغطية إخبارية، أو إذا أمرت الحكومة بسحب السيارات من السوق. أما الآن فنحن نعلم بوجودها من مجموعات المستخدمين أو من الإنترنت.

ومن بين الأمثلة اللافتة للنظر بدرجة أكبر المتعلقة بالتعرف على أشياء غير مصرح بها على الإنترنت العبث بالنظم الإليكترونية في السيارات، وهذا اتجاه يبغضه صانعو السيارات في جميع أنحاء العالم. فيما مضى كان المتحمسون للسيارات يعبثون بالمكربنات والمشعبات، أما اليوم فهم يعبثون بالبرمجيات. كتب وارين ويب Warren Webb المحرر التقني بمجلة EDN Access المهنية يقول: «لسوء حظ صانعي السيارات وعلى الرغم من الأمن المشدد، تمكن قراصنة الحاسب الآلي من عكس هندسة الكود البرمجي لمعظم وحدات التحكم في المحركات في غضون شهور قليلة من ظهور الكود، ومن خلال تعديل معايير أداء نظام التحكم، يستطيع القراصنة إبطال تأثير الضوابط الرقابية المتعلقة بالانبعاثات في كاليفورنيا وزيادة أداء السيارات». ويخبر الأشخاص الذين يمارسون القرصنة الآخرين بما يفعلونه. ويكفل إجراء بحث سريع على الويب إظهار عشرات المواقع التي يتشارك الناس فيها في معارفهم المتصلة بأمور متنوعة مثل كيفية زيادة القدرة الحصانية.

والآن بات قلق صانعي السيارات مشروعًا، لاسيما إذا قام القراصنة بتعطيل نظم رقابة العادم أو مارسوا سلوكًا من شأنه أن يجعل السيارة غير آمنة. إلا أن أغلب الأشخاص الذين يمارسون القرصنة يتعلمون طرقًا تجعل محركات السيارات والنظم الأخرى أكثر كفاءة واعتمادية. ويرقى حظر مثل هذا التقاسم للمعلومات – والذي أحيانًا من خلال استخدام الدعاوى القضائية البغيضة المتصلة بحقوق النشر والتأليف – إلى مستوى منح الصانعين سلطة رقابة غير مسبوقة على العملاء. وهذا بالطبع شيء يريدون التمتع به – ولكنهم يخاطرون بما هو أكثر من مجرد إثارة استياء العملاء إذا بالغوا في ممارسة الرقابة والتحكم. إنهم يخاطرون بشركاتهم وأعمالهم.

يعتقد إيريك فون هيبيل Eric Von Hippel أستاذ الأعمال بمعهد مساشوسيتس للتكنولوجيا أن منشآت الأعمال ينبغي أن تشجع مستوى ما لسلوك القراصنة وليس مقاومته.[83] وقد قال لي إن الشركات ينبغي أن تفعل كل ما بوسعها لدعم وتشجيع «المستخدمين القياديين - الأشخاص أمثالي الذين يوجد لديهم DishPlayer - على اكتشاف العيوب في المنتجات وتحسينها». ومثلما ينبغي ألا يهدد الصحفيين جمهورٌ أوسع درايةً واطلاعا، ينبغي ألا تهدد الشركات عملاء أذكياء مهتمين بجعل المنتجات أفضل. عندما يعرض عملاؤك مساعدتهم الخبيرة، فإن الخطوة الذكية هي أن تقول شكرًا.

النظرة الأعمق

إذا لم يكن العملاء الذين يتبادلون المعلومات يمثلون تغييرًا كبيرًا بما يكفي، فكر في الفئة الجديدة المتمثلة في معلومات العملاء المنظمين ذاتيًا التي بدأت تظهر حولنا.

ففي مختبرات البحوث، يجرب كين سكامورا Ken Sakamura الأستاذ بجامعة طوكيو رقائق دقيقة تحتوي على لاسلكي قصير المدى يدمجها ضمن منتجات متنوعة وبنود أخرى. وفي مختبره الخاص بالترابط الشبكي [84] يقوم بمسحها وربط تعريف المنتج بقاعدة بيانات تحتوي على قدر أكبر بكثير من المعلومات منها تاريخ المنتج. وقد قال لي: يومًا ما سوف يحتوي كل شيء على بطاقات تعريف الهوية (ID) هذه وسوف تستطيع الحصول على كميات ضخمة من المعلومات عما نلمس ونشتري. فعلى سبيل المثال: فإن رأس الخس يمكن أن نستدل منه على المكان الذي تمت زراعته فيه وما إذا كان المزارع قد استخدم مبيدات حشرية. أو يمكن أن نعرف من علبة الأقراص ما إذا كان العقار سيسبب أضرارًا إذا تم تناوله مع عقار آخر تم وصفه لنا في روشتة طبية.

قدم مارك سميث Mark Smith الباحث بشركة مايكروسوفت[85] لمحة أخرى من المستقبل من خلال نظامه المسمى أورا «Aura». فباستخدام ما يشكل في جوهره تكنولوجيا

متوافرة على الأرفف في السوق جهز كومبيوتر يحمل باليد بوصلة إنترنت لاسلكية وماسحة شفرة خطوط عمودية وأرقام تحدد طبيعة المنتج الملصقة عليه، ليستخدمها في مسح المنتجات في المتاجر. ويقوم حاسبه الآلي بعد ذلك بالاتصال بحاسب به وحدة خدمة يجمع بيانات من جوجل ومصادر أخرى ويعرض له النتائج على شاشة الكمبيوتر المحمول.

فجأة أصبح المتاح أكثر بكثير من السحر. فقد أصبحت البيانات الخاصة بالمنتج وصانعه متاحة في نظام إيكولوجي معلوماتي أوسع بكثير. هل تمت صناعة قميص ما بواسطة عمالة الرقيق؟ هل أتت عليه الطعام المطبوخ من شركة لها سجل من تسميم الجداول المائية في الأفنية الخلفية لمصانعها؟ هل تتمتع الشركة بسمعة طيبة نابعة من حسن تعاملها مع الموظفين والبيئة؟ يحب سميث أن يعرض مسحًا أجراه لعلبة حبوب إفطار في أحد محال السوبر ماركت ذات يوم. يكشف البحث في جوجل عن أن الصانع قام ذات مرة بسحب المنتج من السوق بسبب عدم كتابة مكون مهم على بطاقة التعريف. ربما تكون تلك معلومة مثيرة للاهتمام بالنسبة لشخص مصاب بحساسية مفرطة من ذلك المكون. قال سميث: «إذا كان كل شيء يستطيع سرد قصة ما فإن إحدى القصص الأكثر عمقًا تكون: إذا أكلتني سأقتلك».

الآن أضف المكان إلى هذه الفكرة. خلال أزمة سارس في 2003، أنشأت شركة هواتف محمولة في هونج كونج نظامًا لتنبيه الناس إن كانت هناك أية حالات لسارس في المبنى الذي يوشكون على دخوله. وقد استخدموا بيانات متاحة للجمهور ودمجوها مع البرمجيات المعتمدة على الموقع في الهواتف.[86]

إن الأمر كله يوحي بوجود مستوى أعلى للشفافية لا يمنحه طوعا «صانع الأخبار الذي يمكن أن يكون حكومة أو مؤسسة طواعية بل يلتقطه المستخدم». وهو أمر ممكن لأن جميع أنواع البيانات وما بعد المعلومات (المعلومات عن المعلومات) تهرب الآن إلى البرية. والمساوئ واضحة وتشمل عواقب المعلومات الخاطئة والانتهاكات المحتملة للخصوصية. لكن الاستخدامات الإيجابية واضحة أيضًا.

فقاعة. البحث عن الأنباء والمتاعب

لم يعد اسم جوناثان لبيد Jonathan Labed يعني الكثير للناس، ولكن يجب أن يُعلق على حائط مكتب كل مدير علاقات عامة تنفيذي في شركة. كان لبيد لاعبًا في سوق الأوراق المالية.. واحدًا من كثيرين في أيام الفقاعة في أواخر التسعينيات ممن ساعدت توصياتهم الإليكترونية الخاصة بالأسهم في رفع أسعارها قبل أن تنهار. ولم يكن وحده من تلاعب بالسوق. فقد أصدر محللون مشهورون في وول ستريت توصيات سخيفة بشراء أسهم هبطت أسعارها بعد ذلك. لم ينخرط لبيد في هذه الدوائر العليا، فقد كان مراهقًا من نيوجيرسي جني – تحت أسماء مستعارة في غرف دردشة الإنترنت – مئات الآلاف من الدولارات عن طريق الترويج لشراء أسهم متنوعة. وانتهى به الأمر إلى إبرام تسوية مع الجهات المنظمة للأوراق المالية التي سمحت له بالاحتفاظ بمعظم غنيمته، وكما أشار مايكل لويس Michael Lewis في مجلة نيويورك تايمز، لم يكن واضحًا أبدًا في الحقيقة ما إذا كان يمارس عملًا غير قانوني تمامًا أم مجرد عمل مشكوك فيه من الناحية الأخلاقية.[67]

ينبغي أن تتذكر الشركات أن هذا النوع من الأنشطة – وطرقًا أسوأ بكثير للتلاعب بالنظام – لم يختف. إنه لا يزال متفشيًا.

لكنه جزء من ظاهرة أكبر: قدرة أي شخص على الانضمام إلى تشريح عالمي لسلوك الشركات ومواردها المالية. إن المشكلة بالنسبة للشخص العادي الذي يدخل عالم الفضاء الإليكتروني هذا - كما ستناقش بقدر أكبر من التفصيل في الفصل التاسع – هي التمييز بين الحقيقة والكذب. والموضوع أكبر بالنسبة لموضوع المناقشة: صانع الأخبار.

بالنسبة لبعض الشركات العامة المحترمة، ينشأ بعض من أسوأ المعضلات في المنتديات التي يناقش فيها الناس أسعار الأسهم والأداء المالي للشركات. إن دافع زيادة قيمة محفظة المرء أو نشر معلومات تساعد في خفض السعر وجعل البيع على المكشوف

مجزيًا بدرجة أكبر، واضحٌ بدرجة لا يمكن معها تجاهله. ولكن حتى في هذه المنتديات يمكن أن نعثر على شذرات من المعلومات المفيدة. والصحفيون الذين يغطون أخبار الشركات ويخفقون في مراقبة مثل هذه الأماكن تفوتهم بيانات هامة بكل تأكيد.

وبالطبع، ينبغي على الشركات مراقبة هذه النقاشات بعناية حتى عندما لا تكون هناك مشاركة واضحة من جانب المسئولين في الشركات. ويفعل معظمها ذلك ولنفس الأسباب التي يراقب الصحفيون من أجلها المناقشات – من أجل تعلُّم شيء ما ولكن أيضًا لمعرفة إذا كان الناس ينشرون معلومات مضللة أو ما هو أسوأ من ذلك.

إن كل إنسان تقريبًا في هذه النظم يستخدم اسمًا مستعارًا. وأحيانا يقوم العالمون ببواطن الأمور بكتابة التعليقات والآراء بشكل أكثر تواترًا قبل أن تبدأ الشركات في الذهاب إلى المحاكم للحصول على أسماء وعناوين مقدمي البلاغات التي يكشفون فيها ما خفي أو الذين يكشفون أسرار المهنة ومعلومات سرية أخرى. وأحيانًا تصبح التعليقات والآراء المكتوبة هدفًا لمحامي الشركات كما سنرى في المناقشة في الفصل العاشر. لكن المحاكم بدأت تخبر الشركات بأنها لا تستطيع طلب التعرف على هوية المشاركين في غرف الدردشة ما لم تكن هناك أدلة فعلية على حدوث قذف وتشهير.

ينبغي على الشركات التفكير مليًا في سؤال مثير للاهتمام أكثر من مسألة ما إذا كان ينبغي عليها مطاردة كل شائعة تراها على الإنترنت والتصدي لها. ماذا لو كانت أسرار المهنة بدلًا من ذلك أثرًا باقيًا لحقبة آخذة في الاندثار ببساطة؟ وفيما عدا استثناءات قليلة، أرى أنه كلما كنت الشركة شفافة ازداد احتمال نجاحها في عالم مترابط شبكيًا. لن أذهب إلى حد القول بأن الشركات ينبغي أن تعري كل شيء، فمن الواضح أن ذلك اقتراح سخيف. لكن نقد دوك سيرل Doc Searl لسيجواي «Segway»، الدراجة البخارية ذات العجلتين التي اخترعها دين كامين Dean Kamen وحظيت بدعاية كبيرة عندما خرجت من مصنع شائعات ضخم، كان في محله. وقد كتب سيرل، الذي لم تكن مصادفة أنه أحد مؤلفي بيان كلوترين، يقول في مدونته[22] في ديسمبر 2001.

أعتقد أن ابتكار دين كامين غير مألوف ورؤيته شخصية للغاية بحيث ما كان لأحد أن يستطيع استنساخه أو سرقته قبل أن يخرج للنور. ولذا فإن ما يضايقني أنه وطاقمه عمدا إلى التكتم الشديد بشأن هذا المنتج، برغم أنني أعلم أن السرية لازمة في أعمال الاختراع.

ولكن هل أفاد ذلك في شيء؟

نعم، كانت هناك بعض الضجة اللطيفة التي صاحبت جهاز جنجر Ginger (ak "IT") عندما كان قيد التطوير، (لكن) لم يكن هناك الكثير الذي يمكن التحدث عنه. والآن وقد خرج المنتج للنور مازال لا يوجد معلومات. فأنت لا تعلم ما يكفي، نحن لم نتحدث عنه.

لو أن كامين وطاقمه لم يحتفظا بأسرار عن جنجر وهي تحت التطوير، لراهنت على أن الطلب كان سيكون أكبر بكثير والتفكير أكثر إبداعًا بكثير حول ما يمكن فعله به.

وسوف أضمن لك ما يلي: إن الاستخدامات الأكثر ابتكارًا لهذه الآلة المبتكرة ستكون استخدامات لم يتخيلها كامين عندما ابتكرها.

يمثل ذلك هرطقة بالنسبة للكثيرين، ولكن سيصبح واضحًا بصورة متزايدة مع مرور الزمن. ربما تكون لوحات المناقشة نعمة وليست تهديدًا. بالطبع ستكون أفضل إذا شاركت الشركات رسميًا. والواقع أن الأمثلة الأفضل هي منتديات الدعم التي يستضيفها بائعو المنتجات ويشارك فيها عاملون محدودون ولا تخضع المواد المكتوبة للرقابة، باستثناء في حالات القذف الواضح أو استخدام لغة سيئة للغاية. ومن الشركات التي فهمت ذلك بصورة جيدة نوعًا ما EchoStar التي تصنع النظام التليفزيوني الفضائي المنزلي الذي استخدمه. وقد أخبرني متحدث باسم الشركة أن موظفي الشركة الفنيين يشاركون بصورة غير مباشرة في الدردشة الإخبارية الإليكترونية

ويبلغون مديري الويب عندما توجد معلومات خاطئة أو كاذبة على مواقعهم وفي الحقيقة تتغاضى Dish Networks عن نشاط المستخدمين ولكنها تحاول منع الناس من التسبب في ضرر حقيقي.

في مقال يفسر ظهور هوارد دين المفاجئ في المراحل المبكرة من حملة الرئاسة في 2004، سجل إد كون Ed Cone، وهو صحفي في كارولينا الشمالية ملاحظات كاشفة تنطبق على أمور أخرى كثيرة:

> إن التليفزيون والإذاعة ووسائل الإعلام المكتوبة والبريد يمكن أن يخلقوا وعيًا بالمنتج ورغبةً فيه. ويتحكم المرسلون في عروض التقديم والتعريف وإذا صيغت الرسالة وقدمت بذكاء فتدفع فردًا أو شركة للتصويت بنقودها من خلال شراء المنتج. لكن درس حملة دين هو أن الويب لا تصلح للمديرين من الحجم متناهي الصغر. فمع وجود الإنترنت تنشئ الحملة الفعالة مجتمعًا سيبدأ بمفرده في تسويق منتجك من أجلك. وإذا تم ذلك كما ينبغي، فلن تستطيع – أو تريد – التحكم فيه[69].

المحققون والجواسيس المحتشدون

عندما تُهدم الحواجز والسرية، يكون لأسلحتنا أكثر من حد واحد وفي كتابه الهام «المجتمع الشفاف»[70] اقترح ديفيد برين David Brin أن الخصوصية في طريقها لأن تكون أثرًا باقيًا لعصر ما قبل التكنولوجيا. ويقول إن الحفاظ على الخصوصية القديمة مستحيل لأن التكنولوجيا الحديثة سوف تغمرنا بقوتها المتطفلة وبكميات ضخمة من البيانات. وهو يرى أن ملجأنا الوحيد هو توجيه الأدوات ذاتها نحو المراقبين لإيجاد حالة من الوفاق نحتفظ فيها جميعًا ببعض الكرامة. ولا أعتقد أن ذلك سيحدث بهذه الطريقة لأن الحكومات والمنظمات الكبيرة لن تسمح أبدًا للمواطنين بنفس فرص الوصول إلى مقدساتها وأساليبها الداخلية التي تصرّ على جعلها جزءًا من حياتنا الشخصية والمهنية.

وبرغم ذلك بدأ الأشخاص العاديون يكتشفون طرقًا لتصحيح التوازن. فكر في

حالة جون بويندكستر John Poindexter مستشار الأمن القومي الأمريكي السابق الذي ساهم في وضع برنامج «الوعي المعلوماتي الكامل Total Information Awarnness» النزّاع للتعدي والانتهاك بصورة صارخة. فبفضل التكنولوجيات الجديدة قُدر له أن يذوق من نفس الكأس.

قد تذكر عزيزي القارئ أن «الوعي المعلوماتي الكامل» كان برنامجًا لمعالجة البيانات في إدارة بوش استهدف الكشف عن الأنشطة المريبة للإرهابيين المحتملين. وكان يجمع كمية هائلة من البيانات عن الأفراد عن طريق جمع سجلات من قواعد البيانات المالية والجنائية والقضائية والطبية والخاصة بقيادة السيارات وغيرها من قواعد البيانات والربط بينها. وتولى بويندكستر، الذي كان عميدًا بحريًا سابقًا في الأسطول وأحد الشخصيات البارزة في فضيحة إيران-كونترا في الثمانينيات، مسئولية تجميع أجزاء هذا البرنامج معًا.

والتقط مؤيدو مبادئ الحرية المدنية عمودًا حرره مات سميث Matt Smith في عدد 3 ديسمبر 2002 من صحيفة سان فرانسيسكو ويكلي وهي صحيفة بديلة وضخموه[91]. فقد كتب أحد نشطاء الإنترنت، وهو جون جيلمور John Gilmore يقول: «إن العمود يشير إلى إمكانية أن تكون هناك بعض المعلومات التي تنقص جون وليندا بويندكستر اللذين يقيمان في 10 بارينجتون فير، روكفيل، ماريلاند، 20850 في مسعاهما لتحقيق الوعي المعلوماتي الكامل. واقترح أن يتصل الأشخاص المتوافرة لديهم معلومات بهاتف رقم 6613 424 301 1+ للتحدث مع ذلك المسئول الفاسد وزوجته. وقد تنقص جيرانهما توماس ماكسويل (67 سنة) المقيم في 8 بارينجتون فير (ت: 1326 251 301 1+) وجيمس جالفين (56 سنة) المقيم في 12 بارينجتون فير (ت: 0089 424 301 1+) وشيريل ستانت المقيمة في رقم 6 بعض المعلومات التي قد تفيدهما في اتخاذ القرارات - قرارات يمكن أن تؤثر على الحريات المدنية الأساسية لكل مواطن أمريكي».

واتخذ جيلمور خطوة أخرى، فقام بتنزيل صورًا بالأقمار الصناعية متاحة علنًا

للحي السكني الذي يعيش فيه بويندكستر على الموقع الإليكتروني الذي تتم متابعته على نطاق واسع واسمه Cryptome[92]. كما حث أيضًا الأشخاص القادرين على الدخول إلى قواعد بيانات تحتوي على معلومات عن بويندكستر وغيره من المتطفلين على الخصوصية لكشفها كمثال لمساوئ الوعي المعلوماتي الكامل.

وبعد بضعة أيام، أعلن ريتشارد سميث Richard Smith وهو ناشط في قضايا الخصوصية موافقته وتأييده لموقع Cryptome، وقال: «يبدو أن أعضاء فريق تطوير الوعي المعلوماتي الكامل (TIA) في DARPA لا يحبون أن يكونوا في دائرة الضوء. فقد تم إزالة جميع بياناتهم الشخصية من موقع «الوعي المعلوماتي الكامل» على الويب في وقت ما خلال الأسابيع القليلة الماضية. ولكن لايزال جوجل يحتفظ بها كلها ولذا فقد وضعت نسخًا على موقعي الإليكتروني». وذكر العنوان على الويب.

هل تم هذا الوصول الكامل للمعلومات بأسلوب الجودو؟ ليس تمامًا. فقد تم تعليق البرنامج رسميًا، ولكن لا يزال المتطفلونس يحاولون تنفيذه عبر وسائل أخرى، وسوف تتوافر لديهم دائمًا معلومات أكثر بكثير من خصومهم. ولكن في المستقبل سيفهمون أن النظر من فوق الأكتاف (أي التجسس والتلصص) لم يعد المجال الوحيد للجواسيس. وفي هذه الحالة، نجح حشد الناشطين والمعلقين – الذين استطاعوا فرديًا إحداث تأثير بالكاد – في أسماع أصواتهم على نحو جماعي.

مراقبة الصحفيين

ما هي الصناعة التي تأتي تقليديًا بين الصناعات الأقل شفافية؟ الصحافة. لقد كنا صندوقًا أسود وأصبحنا أكثر شفافية قليلًا فقط في السنوات الأخيرة. لكن عامة الناس يطالبون بقدر أكبر من الشفافية في مجالنا ويقومون بإنتاج بعض التقارير بأنفسهم حينما نخفق في الاستجابة بطرق مرضية.

لقد أصبحت المدونة الإعلامية لمعهد بوينتر لجيم رومينيسكو Jim Romenesko [94]—

التي تعد الأولى ولا تزال الأفضل من نوعها – مبرِّد مياه ليس فقط بالنسبة للصحفيين بل أيضًا للناس الذين يراقبون الصحافة. وبوجه عام لا يخجل مجتمع مؤلفي المدونات من مراقبة الصحف والمجلات والمحطات الإذاعية بحثًا عن تجاوزات حقيقية ومتخيلة للنزاهة والدقة. وبالنسبة للصحفيين الذين يُعدّون من أرق الناس إحساسًا، يبدو هذا الاتجاه أشبه بصدمة. فنحن لسنا معتادين على الخضوع للمراقبة بالطريقة التي نراقب بها الآخرين مهما كان ذلك أمرًا صحيًا.

وحتى صحيفة ذا نيويورك تايمز اضطرت لاتخاذ موقف واضح وجرئ في 2003 حينما تحولت أساليب جيسون بلير Jayson Blair الصحفية السيئة إلى واحدة من أسوأ الفضائح في تاريخ الصحيفة. وقد كشف تحليل صحيفة التايمز الداخلي القاسي الفوضى التي حدثت في «تقرير سيجيل» عن حدوث انعدام خطير للاتصالات وتراخٍ في الإدارة بالإضافة إلى سلوك فاسد بوضوح من جانب بلير نفسه. لكن تقرير سيجيل ظهر لفترة وجيزة على الإنترنت ثم اختفى، مما دفع جاي روسن Jay Rosen بجامعة نيويورك للتساؤل عما حدث له. وفي نهاية المطاف، وبفضل إلحاح روسن إلى حد كبير، عادت الوثيقة للظهور إليكترونيًا.

في أوائل 2004، ووسط تقارير سياسية وجدها كثيرون في مجال المدونات ضعيفة ودون المستوى الأمثل، طُرح اقتراح بتحسين الصحافة بوجه عام. وكان مضمون الفكرة هو متابعة التغطية السياسية للصحفيين فرادى على الموقع الإليكتروني وتتبع الأخطاء والسهو بلا هوادة وفضحها أمام العالم. وقد علقت في مدونتي الخاصة وعلى موقع روسن PressThink على المجال الذي اكتسبت فيه الفكرة بعض الزخم:

> تروق لي فكرة أن الناس يراقبون ما أقوله ويصححون أخطائي – أو يعترضون على استنتاجاتي بناءً على نفس الحقائق (أو حقائق لم أكن أعرفها حينما كتبت المقال). هذا جزء من صحافة الغد وينبغي علينا الترحيب بالتغذية المرتدة والمساعدة التي إذا قمنا بها بصورة صحيحة تصبح جزءًا من محادثة أكبر.

ولكن إذا كانت الفكرة هي إيجاد نوع من فرق البحث عن الحقيقة المنظمة، فإنني سأكون أقل شعورًا بالارتياح. وفيما يلي ثلاثة فقط من الأسئلة / القضايا الكثيرة جدًا التي تخطر على ذهني فورًا (وكما سترون فلست الوحيد الذي يتساءل عن هذه الأمور):

1- من يمارس المراقبة؟ إن «المراقب» الذي عيّن نفسه بنفسه يكون خصمًا في معظم الحالات ومقتنعًا قبل أن يبدأ في توجيه الانتقادات بأن الصحفي محل المراقبة يفهم الأمور بصورة خاطئة إما بسبب عدم كفاءته أو حقده وعداوته. والصحفيون الذين يواجهون هذا النوع من الاتجاهات لا يستجيبون جيدًا وربما لن يستجيبوا على الإطلاق.

يوجد لدى بول كروجمان Paul Krugman كادر من النقاد الإليكترونيين الذين يثبتون وجهة نظري. فهم من وقت لآخر يطرحون وجهة نظر سليمة، لكن معظم ما يقولونه غير صحيح. وبعضه عبارة عن خدع يقوم بها المشاركون في المناظرات: استخدام شهود زور لانتقاد أشياء لم يقلها أو قول شيء قد يكون حقيقيًا ولكنه ليس في صميم الموضوع... الخ.

2- هل سيصطدم الصحفيون الذين يشاركون فعلًا في المناقشة الإليكترونية لعملهم - وكثير منهم ستحظر عليهم منظماتهم القيام بذلك ربما لأسباب قانونية - بقانون العوائد المتناقصة؟

أتذكر نقاشات شبه دينية لنظام تشغيل OS/2 جرت في أوائل ومنتصف التسعينيات. كنت من هواة استخدام OS/2 ولكنني لم أكن متدينًا بدرجة كافية. وبين الفينة والفينة كنت أسجل ملاحظة في مناقشة على Usenet حينما يتعرض شيء كتبته من قبل لتفسير خاطئ أو تحريف خطير. وحين ذاك كان يتصدى لي واحد من أشد المتحمسين لنظام OS/2 ويحلل كل جملة ويطرح أسئلة إضافية كان القليل منها وثيقة الصلة (من وجهة نظري) بالموضوع فعلًا. وسرعان ما أدركت أن الوقت الذي أمضيه لتصحيح الأكاذيب الواضحة والمباشرة أكبر مما أخصصه

لكثير من الأمور الأخرى (كان لدي أيضًا مدافعون في الجماعة الإخبارية وهذا ما أفادني).

3- لم ينبغِ على أي إنسان أن يثق فيما يقوله النقاد أكثر من ثقته فيما يقوله الصحفي؟ إن الإصرار على زعم أن صحفيًا ما يفهم حقيقة ما بشكل خاطئ ليس صحيحًا في ذاته. فهو مجرد إصرار على زعم.

هل نحن بحاجة إلى فرق تبحث عن الحقيقية لمراقبة فرق البحث الحقيقية؟ توجد مواقع – وهذا ما يدعو للدهشة – تقوم بتحليل المادة المعادية لكروجمان. ولكنك ستسامح القارئ العابر لتجاهلها كلها تقريبًا.

لا تعني أيٌ من هذه القضايا أن مراقبي الويب فكرة سيئة. ولكن إذا كانت الفكرة هي جعل الصحافة أفضل حقًا، فأنا لست مقتنعًا بأن هذا سينجح.

وقد دفع ذلك دونالد لوسكن Donald Luskin، وهو خبير في الاستثمار وأحد خصوم كروجمان البارزين وله مدونة مسلية وفي بعض الأحيان تثقيفية في الاقتصاد والسياسة[96]، إلى أن يكتب قائلًا: «ألن يكون أمرًا لطيفًا بالنسبة للصحفيين أمثال دان جيلمور أن يكتفي كل شخص يخالفهم الرأي بإرسال رسائل ودية صغيرة بالبريد الإليكتروني ويترك لهم مسألة تقرير كيف سيردون وما إذا كانوا سيردون أصلًا؟ كم هو غير ملائم أن يصبح بعضنا «فرق منظمة للبحث عن الحقيقة». يبدو أن الإعلام الكبير فقط هو صاحب الحق في أن يكون منظمًا».

وكان ردي على مدونتي كالتالي:

أولًا: أود أن أرحب بالتعليقات على هذه المدونة وأعلن أنه جرت بعض النقاشات الساخنة بيني وبين بعض النقاد الغاضبين من وقت لآخر. كان بوسع لوسكن أن يسجل نسخة من ملاحظته على هذه الصفحة، لكن ذلك كان سيتنافى مع حقيقة أن التغذية المرتدة الجدية الوحيدة هي بريد إليكتروني يحمل وجهًا سعيدًا. (لاحظ أن

لوسكن لا يسمح للناس بكتابة تعليقات بصورة مباشرة ويبدو أنه يفضل غرفة صدى أكثر من النقاش الفعلي في الخطابات التي يسجلها). ثانيًا: أنا أقول منذ فترة أن الشخص ضئيل الشأن بحاجة لأن يصبح فاعلًا ومنظمًا لكي تكون لديه فرصة مواجهة كل شيء كبير(بما في ذلك الإعلام الكبير). ولوسكن إما أنه لا يعرف ذلك أو لا يبالي وفي الحالتين أنا لست مندهشًا.

تراودني بعض الخواطر الثانية بشأن سمة التعليقات لأسباب كثيرة سأناقشها في الفصل التاسع. ولكن يبدو واضحًا أن الاتجاه نحو شفافية الإعلام حتمي وسوف يثير نقاشات تساعد مستخدمي الصحافة على فهم عملية كانت محجوبة عن الأنظار. هل ستتسم بالشفافية الكاملة يومًا ما؟ هذا أمر مستبعد. ولكننا لا نستطيع تحاشي - وينبغي ألا نحاول تحاشي - التحلي بمزيد من الصراحة وتفتح الذهن.

قلب الموائد

لقد رأينا كيف تزود الاتصالات الحديثة أي شخص مهتم بها بالأدوات اللازمة لتعلم المزيد - بمراحل - عن الأفراد والمنظمات التي حاولت في الماضي تقنين توزيع الأخبار. والأكثر من ذلك أنه ما أن يكتشف شخص ما شيئًا حتى يصبح قادرًا على نشر الأخبار عالميًا. لكن صانعي الأخبار بحاجة إلى تقبل هذا الواقع والتعايش معه لا مقاومته.

كما ينبغي عليهم أيضًا أن يدركوا أنهم أبعد ما يكون عن الاتصاف بالعجز وقلة الحيلة في الحقبة الجديدة. فهم يستطيعون في الواقع استخدام نفس الأدوات لتوصيل رسالتهم إلى العالم الخارجي وتحسين الأسلوب الذي يتواصلون به داخليًا كما سنرى في الفصل التالي.

إن هذه التغيرات مربكة ومقلقة على الأقل على كافة الجوانب. إلا أنني أعتقد بقوة أنها اتجاه إيجابي لأنها تشجع على الصراحة بدلًا من السرية بها جن الاضطهاد. وفي النهاية فهي حتمية الحدوث شئت أم أبيت.

الفصل الرابع

صانعو الأخبار يقلبون الموائد

في 9 يناير 2002 جلس بوب و ودوارد Bob Woodward و دان بالز Dan Balz الصحفيان بصحيفة واشنطن بوست مع وزير الدفاع الأمريكي دونالد رامسفيلد Donald Rumsfeld. وكان الصحفيان يعدان سلسلة من المقالات عن الساعات والأيام التي تلت مباشرة الهجمات الإرهابية في 11 سبتمبر 2001 على نيويورك وواشنطن -- قائلين للوزير: «إن أفضل تاريخ جاد يمكن أن تستخلصه من هذه الأيام العشرة».

وقال رامسفيلد إنه علم من وزير الخارجية كولين باول Colin Powell أنه (أي رامسفيلد) الأخير في سلسلة المقابلات الصحفية: «لقد قال إنك تحدثت إلى كل إنسان في العالم حول هذا الموضوع».

كان الصحفيان مستعدين في الحقيقة لجلستهما، فطرحا سلسلة من الأسئلة التي سبرت غور ما فكر فيه رامسفيلد وقاله وفعله في تلك الأيام. باختصار كان عملهما التحضيري استثنائيًا.

كيف لنا أن نعرف ذلك؟ لأنه بعد ظهور سلسلة الواشنطن بوست لاحقًا في ذلك الشهر مباشرة، وضعت وزارة الدفاع نسخة من المقابلة على موقعها الإليكتروني DefenseLink[97]. وكان بإمكان أي شخص مهتم بمعرفة أسلوب الصحفيين في عقد المقابلات أن يطلع عليه مباشرة. علاوة على ذلك، كان بمقدور أي شخص يريد معرفة أي أجزاء المقابلة نُشرت في الصحيفة وأن يفعل ذلك. وقد تبين أن وزارة الدفاع تضع على موقعها الإليكتروني كل مقابلة رئيسية مع رامسفيلد ونائبه بول ولفوويتز Paul Wolfowitz.

لم هذا الأسلوب؟ وفقًا لمساعدة رامسفيلد، للتأكد من آن السياق الكامل متاح. وما لم تقله - ولكنها لم تكن مضطرة لقوله - هو أن تسجيل هذه المقابلات على الموقع الإليكتروني يخدم عدة أغراض للوزارات. فأولًا: بافتراض أن النسخ دقيقة (وهي لا تكون كذلك أحيانًا)[38]، فإنها توفر تاريخًا قيمًا لأي شخص مهتم وليس مجرد سياق للمقابلة نفسها. ثانيًا: إذا قام من يجري المقابلة بكتابة أو إذاعة قصة لا تعكس مضمون المقابلة أو تضلل الجمهور بصورة واضحة، تستطيع الوزارة أن تشير إلى النسخة في سياق دفاعها. ثالثًا: تساعد العملية على إبقاء أعين الصحفيين في وسط رءوسهم.

ذلك إنها ستجعل الصحفيين يشعرون بالضيق وعدم الارتياح أيضًا. فكهنوتنا الصغير الذي كان لنا فيه القول الفصل بصورة جوهرية في طريقه للاختفاء. ولكن كما يقول العاملون في مجال البرمجيات، هذه سمة وليست فيروسًا (خطأ تشغيليًا).

لطالما امتلك صناع الأخبار قدرًا معينًا من القوة والنفوذ في العطاء والأخذ مع الصحافة. فهم برغم كل شيء، الذين نكتب ونتحدث عنهم. وما نحن إلا مراقبون. وعلاوة على ذلك، ففي عالم يعمل فيه عدد كبير جدًا من الصحفيين بمثابة كتبة اختزال، يستطيع صناع الأخبار وضع جدول الأعمال والتشبث به.

من الصحيح الآن أن صناع الأخبار يستطيعون استخدام أدوات الصحافة الجديدة بطرق قديمة مثل بالونات الاختبار عتيقة الطراز لخداع الصحافة وتضليل الناس. وسوف يفعل كثير منهم ذلك بالضبط لأنهم يواصلون العيش في عالم كل التفاعلات التي يمكن التحكم بها مع الإعلام فيه هي بحكم التعريف تفاعلات عدائية. ومن يتصرف منهم بهذه الطريقة سوف تغيب عنه نقطة عميقة لكن هذا هو حالهم من سنوات.

إن هذه الفكرة تردد أصداء ما قاله كلوترين - أن الأسواق عبارة عن محادثات. ولها أيضًا أصداء سياسية واقعية لأن الرهانات مرتفعة جدًا في مثل هذه التفاعلات. لكن بيت القصيد هو تغيير يحدث بالنسبة للشركات والسياسيين وصناع الأخبار

الآخرين الذين يتحلون بشجاعة كافية تسمح لهم بالحصول عليه. وهذا التطور من وجهة النظر الإذاعية للعالم إلى نظرة محادثية لن يكون منظمًا ونظيفًا. لكن الفوضوية المتأصلة فيه سوف تفتح الاتصالات بطرق ستعود بالنفع والفائدة على الجميع، بافتراض أن يتم بصورة صحيحة.

كما سبق أن ذكرت في الفصل الثالث، لم تعد القواعد القديمة لصنع الأخبار هي القواعد الوحيدة الفاعلة. وما جعلها تنجح أصلًا - الأخبار المتدفقة من خلال مجموعة مختارة من قنوات الإعلام الجماهيري الخاضعة لرقابة شديدة وأهمها التليفزيون - لا يزال نابضًا بالحياة إلى حد كبير ومسيطرًا على الكيفية التي يدرك بها معظم المواطنين الأخبار.

لكن ثقافة النشرة الصحفية Press Release بدأت تندثر، ولا يوجد خير أفضل من ذلك. إن الأخبار والتعليقات الصادرة من حافة الشبكات، من الناس العاديين الذين يريدون أن يكونوا جزءًا من المحادثة (أو الحوار) ومن مؤلفي المدونات إلى الناشطين، هي حقائق حياة بالنسبة لصناع الأخبار ويبقى الصحفيون المحترفون جزءًا من هذا العمل بدرجة كبيرة وأنا أتوقع أن يستمروا كذلك، لكن فئة أوسع بدأت تبرز إلى حيز الوجود.

إن صناع الأخبار بكافة أنواعهم - مؤسسات وسياسيون و - أضيف أنا - صحفيون - يجب أن ينصتوا باهتمام أكبر وبطرق جديدة إلى الناخبين والزبائن والجمهور العام. وهم بحاجة إلى التعلم مما يسمعون. لم يعد التسويق وخدمة العملاء يجريان باعتبارهما محاضرات بسيطة. إذ تحتاج منشآت الأعمال إلى الانخراط في المحادثات الجارية بالفعل حول منتجاتها وممارستها. ومن خلال استخدام المدونات والأدوات المعلوماتية الأخرى مثل منتديات المناقشة، تستطيع الشركات إشراك العملاء والموردين والموظفين في حوار يتعلم فيه كلٌ من الآخر. وتبقى وسائل الإعلام الجماهيرية أداة حيوية للاتصالات الحديثة، لكن فهم العالم المتطور الذي أصفه سيصبح ضروريًا بنفس الدرجة. فعلى

سبيل المثال: فإن النهج المحدد هدفه جيدًا إزاء مؤلف مدونة ما أصبح خبيرًا في مجال أو ناحية معينة، يمكن أن يكون أكثر فعالية من إعلان في مجلة.

وتحتاج الشركات لإدراك أن الاتصاف بالصراحة والصدق ليس فقط الشيء الصائب الواجب عليهم فعله، بل هو أيضًا عمل ذكي. ففي عالم الاتصالات المعتمدة على إمكانيات الإنترنت الذي بدأت تتشكل ملامحه، سيكون التعتيم والأكاذيب أقل نجاحًا من قبل. وسوف يضبط الناشطون والعملاء المطلعون الغشاشين ويخضعونهم للمساءلة. ربما تكون شركة ماكدونالدز. قد كسبت قضية McSpotlight، ولكن كلي أمل وثقة في أن تصبح الشركة في النهاية مواطنًا مؤسسيًا أفضل – وليس فقط أبرع – كنتيجة لهذا العمل وغيره من أعمال المواطنين. وسوف يتذكر السياسيون أمثال تريشت لوت أن الحنين لحقبة الفصل العنصري ليس مقبولًا للغالبية العظمى من الأمريكيين.

سيبدو إحداث هذا التحول في التفكير أحيانًا كالشطرنج ثلاثي الأبعاد. فكر في الجماهير العريضة التي تخدمها منشآت الأعمال: الإعلام التقليدي، الإعلام الجديد، منشآت الأعمال الأخرى، العملاء، الجهات التنظيمية، السياسيون، والناخبون السياسيون. الآن أضف أدوات الاتصال المتباينة – البريد الإليكتروني، المدونات الإليكترونية، الرسائل القصيرة، تكنولوجيا التقاسم RSS – وعندئذ ستتمكن من رؤية الخريطة الجديدة ومدى تعقيدها.

وفي هذا الفصل، سأقدم بعض النصائح والأمثلة المحددة لصانعي أخبار الغد وأفكارًا حول كيفية إجراء محادثات (أو حوارات) حقيقية مع دوائرهم، وهي تشمل الجميع من الصحفيين إلى الموظفين إلى الجمهور العام. وآمل أن يستخدمها رجال الأعمال والسياسيون على وجه الخصوص في الأغراض المشروعة وليس للتضليل والغش.

التعلم عن طريق الإنصات

في حين أنه يمكن تعلم شيء ما من جماعة ينصب محور تركيزها على موضوع ما أو مسح علمي ما، إلا أن تلك التقنيات ليست فعالة كالإنصات. فكر في حالة فيل جوميز Phil Gomes أخصائي العلاقات العامة في «منطقة خليج سان فرانسيسكو»[95]. فبعد مرور نحو عامين على بدء حياته المهنية، أسندت إليه وكالته حسابا يتعامل مع برمجيات المشروعات التجارية. وطُلب منه معالجة العلاقات مع وسائل الإعلام وتحليل الصناعة من أجل مجموعة من البرامج المستخدمة في حاسبات آي بي إم AS/400 متوسطة المدى والتي كان لها وجود ضخم في السوق وكان معروفًا عنها أنها أجهزة قوية ويُعتمد عليها. كانت شركة البرمجيات تدرس إمكانية إعادة كتابة برمجياتها بحيث يتسنى تشغيلها على حاسبات آلية مدارة بواسطة نظم تشغيل يونيكس ويندوز. وقد ساور القلق بعض عملاء AS/400 الذين كانوا يمثلون وقتها 90٪ من قاعدة العملاء من احتمال ألا يشمل التطوير أجهزتهم.

وجد جوميز قائمة بريدية إليكترونية (listserv) لمستخدمي البرمجيات المعنية الذين كانوا يقومون خلالها بإنشاء تقرير إخباري خاص بهم، عمليًا، عن طريق عقد مناقشات مستندة إلى معلومات وافية حول المنتج واكتسبوا منها معرفة كان مصدرها الوحيد فيما مضى دفتر يوميات أو مجموعة مستخدمين. كان جوميز وعميله في حاجة لفهم ما كانوا يقولونه.

قال جوميز: «من خلال مراقبة هذه القائمة، اكتسبت منظورًا ثريًا بصورة لا تصدق حول ماهية احتياجات العملاء واهتماماتهم وعمليات اتخاذ القرار الخاصة بهم. وهكذا تمكنت من إعادة هذه المعلومات إلى العميل وتكييف الاتصالات وفقًا لذلك. ولولا المنظور الذي قدمته القائمة، لربما سعت الشركة لإيصال إستراتيجية النظم المفتوحة بقوة ونشاط كان يحتمل معها أن يشعر عملاء AS/400» (الذين لم يكونوا معرضين لخطر فقدان الدعم بالمرة، وكأنهم أبناء زوج أو زوجة من زواج سابق».

هل قدَّر رب عمل جوميز جهده حق قدره؟ ليس تمامًا. فبعض مشرفيه «لم يجدوا قيمة كبيرة في اشتراكي في هذه القوائم والمراقبة والمناقشات». وكانوا يقولون «يا إلهي! لقد عاد جوميز إلى قاعات الدراسة مرّة ثانيةً».

وفي وقت أحدث، أصبح جوميز أحد مراقبي المدونات والوسائط الجديدة الأخرى في صناعة العلاقات العامة الأفضل اطلاعا. وقد كتب أوراقًا مفيدة وسجل تعليقات وآراء في مدونات حول الموضوع، ولكنه آشار إلى أنه «قوبل بدرجة ما من الازدراء. فهناك ميل تلقائي في مجال الاتصالات المؤسسية للتعامل مع كل تطوير لوسائط إليكترونية جديدة على أنه سينتج شيئًا تقليديًا بدلًا من بحثه ودراسته بشكل وافٍ وكامل».

لكن بعض الشركات بدأت تلحق بالركب وتتعلم استخدام أدوات الاتصال الجديدة. وقد منحت بعض التكنولوجيات مثل RSS الشركات طرقًا جديدة لمراقبة ما يجري. ويبيع باز بروجمان Buzz Bruggeman المحامي الذي ذكرته في المقدمة أيضًا منتجًا للبرمجيات اسمه ActiveWords، وهو عبارة عن تطبيق يمكن مجموعة من المهام في نظام تشغيل ويندوز[122]. وهو (أي باز) يستخدم خدمة Feedster (التي ناقشناها في الفصل الثاني) التي تبحث عن التنويهات بـ ActiveWords وتنشيء ملف RSS يدخل في برنامج قراءة الأخبار الخاص به NewsGator. وكل نصف ساعة يراجع البرنامج الأخير خدمة Feedster لمعرفة إن كان هناك أي شيء جديد فإن وُجد شيئًا جديدًا:

> أقوم على الفور بمسحه وقراءته وتحديد ما يجب علي القيام به – أي الرد، التعليق، الشكر، التوجيه لفريقنا... الخ.
>
> عندما أرد على مؤلف مدونة، يعتريه السرور ويكتب عادة المزيد عنا ويخبر قراءه بأننا أناس عظماء ونرد على المستخدمين والعملاء طوال الوقت. وإذا كانت هناك مشكلات متعلقة بالمستخدمين، نحلها بسرعة. والمحصلة النهائية هي أن ذلك شيء رائع.

ينتهي دوري تقريبًا بهذه العملية بعد إنجاز الاستفسار. وأتفقد أسبوعيًا أخبار جوجل وجماعات جوجل الإخبارية لكن العمل المتصل بـFeedster أهم بكثير.

إذا كنت تفترض أن مؤلفي المدونات «وكلاء أذكياء من البشر»، فعندئذ يكون هذا النموذج معقولاً لأنك لا تضطر للذهاب للبحث عن أي شخص أو أي شيء، فهو يأتي إليك.

كان هذا النوع من الخدمات يكلف نقودًا كثيرة يومًا ما، أما الآن فيستطيع أي شخص الحصول عليها بدون تكلفة تقريبًا.

اتجه إلى المدونات

يشترك الموقع الإليكتروني العادي للشركات في الكثير مع التقرير السنوي العادي. فهو مكتظ بالمعلومات التي يكون جزء كبير جدًا منها مخبأ أو مقنّعًا في محاولة لتقليل المشكلات إلى الحد الأدنى وتعظيم الإيجابيات. ومن أجل تحقيق هذه الغاية، لاسيما في حالة الشركات التي تعاني من مشكلات، يبدو وكأنه مصمم لإبعاد الزائر العابر الذي يرغب في النظر عميقًا داخل الشركة وأفعالها. والملمح الأقل إثارة للاهتمام في الموقع المؤسسي، باستثناء حالات قليلة، هو «خطاب الرئيس التنفيذي» النموذجي، وهو عبارة عن رسالة خطية خالية من المحتوى لا تكشف على الإطلاق عن شخصية الشركة أو قائدها. وإن إعطاء انطباع بأنك صريح يختلف عن أن تكون صريحًا فعلاً.

كتب توم ميرفي Tom Murphy مسئول العلاقات العامة على مدونته المسماة PROpinions [101] يقول: «إن كتابة المدونات فرصة للعلاقات العامة وليست تهديدًا لها. إنها توفر وسيلة فريدة لتقديم الوجه الإنساني لمنظمتك لجمهورك. ويمكن لعملائك أن يقرأوا الأفكار والآراء الفعلية لموظفيك. وعلى الجانب الآخر، يرغب المستهلكون بصورة متزايدة في رؤية الجانب الإنساني في منظمتك بعيدًا عن الكلام المؤسسي».

حينما يشرح راى اوزي Ray Ozzie من جرووف نتوركس شيئًا على مدونته[108]، يتعرف القارئ على أسلوب تفكير الرئيس التنفيذي وليس فقط منتجات الشركة. والمسار غير المباشر لمدونة أوزي هو ما يجعلها تستحق عناء قراءتها. وهو لا يعلن عن جرووف بقدر ما يشرح آراءه حول الأمور المتصلة بالشركة، ونظامها الإيكولوجي.

في 17 يوليو 2003، كتب أوزي تعليقًا عن ضعف الأمن في الحاسبات اللاسلكية، مستشهدًا أولًا بمقال كان قد طالعه في المجلة المهنية InfoWorld. قال أوزي إن ذلك المقال هو أحد الأسباب التي تجعل «الناس يكتشفون سبب الأهمية البالغة للأمن المقسم إلى أقسام مستقلة الذي تتخذه شركة جروف. والبديل أكثر قليلًا من مخيف: هل يمكنك – في ظل إدراكك لمخاوفهم المشروعة – أن تسمح لرب عملك بإغلاق منشأته وإدارة حاسبك المنزلي عن بعد؟».

لا أذكر هذا التعليق لأنه كان معلومة مزلزلة، بل لأنه يبين كيف استخدم مدير تنفيذي قناته للتحدث عن قضية هامة في عالم الحاسبات اليوم – الأمن – ويعلن في الوقت نفسه عن منتجه بأسلوب رقيق. ولم يكن التعليق فعالًا إلا لأن أوزي تمتع ببعض المصداقية بالفعل لأنه لا يوجد عنصر غلق في رسالته. لقد تصدى لقضية وعكس وجهة نظر بأسلوبه هو وليس أسلوب موظف علاقات عامة. والإعلان يتناسب مع سياق التعليق. لقد كان مناسبًا ووثيق الصلة به. ولم يكن ضروريًا أن يؤدي مباشرة إلى مزيد من المبيعات لكي يكون مفيدًا.

لقد أعطت المدونة أوزي «قناة اتصال تحت سيطرتي» – هذا ما قاله لي – يستطيع فيها أن يقول ما يريد (ضمن حدود معينة مثل المحافظة على سرية أسرار المهنة). إنه يستطيع تسجيل الملاحظات والتعليقات بسرعة وبدون حدود للطول. «أشعر وكأن هناك محادثة – محادثات كثيرة – جارية هناك. إنها تشعرني وكأني جزء من تلك المحادثة وعندما أتلقى مكالمات ورسائل بريد إليكتروني، أتأكد أني جزء من المحادثة».

بعد فترة ليست بالطويلة من مناقشتنا هذا كله، أغلق أوزي مدونته بسبب مشاغل

عمله الكثيرة ولكنه أعاد فتحها بعد عدة أسابيع. وأرسل أوزي رسالة بريد إليكتروني في أوائل 2004 قال لي فيها: «لقد كانت الشهور القليلة الماضية مزدحمة جدًا بأعباء العمل. والفرق الأكبر بين إحساسي هذه الأيام وإحساسي قبل سنة هو أنني اعتدت أن أشعر بالذنب لعدم قيامي بتسجيل ملاحظات وتعليقات. والآن لأنني أعلم مدى فعالية عمل RSS فأنا أعرف أنني عندما أبدأ في تسجيل ملاحظاتي من جديد - برغم أن ذلك يحدث على فترات متباعدة - فلن أضطر لإعادة جذب الجمهور من الصفر. حينها بدأت أمارس الكتابة في مدونتي أول مرة، شعرت وكأنني «سأختفي» من المجتمع إذا احتجت (لأي سبب) لأخذ فترة راحة، لكن برامج RSS المعروفة باسم aggregators تفرض عبئًا ضئيلًا حقًا نظير الاستمرار في مراقبة الأشخاص الذين نادرًا ما يستطيعون الكتابة في المدونات».

من الوافدين التنفيذيين الجدد مؤخرًا إلى مجال المدونات مارك كوبان Mark Cuban، مالك امتياز دالاس ميفيريكس Dallas Mavericks بالاتحاد الأمريكي لكرة السلة. وقد أصبح كوبان، ملياردير الإنترنت (الشريك المؤسسي لـ broadcast.com وهي شركة إنترنت اشترتها ياهو!)، مشهورًا بوصفه مديرًا لفريق رياضي، وإن استمر في الاستثمار في مجال التكنولوجيا والتليفزيون. وقد لفتت مدونته المسماة «Blog Maverick»[103] الانتباه فور قيامه بإطلاقها في مارس 2004. ولا عجب: فقد استقبلت مدونته كتابًا رياضيين وقدم تعليقات لاذعة عن الرياضة والاستثمار ومارس الكتابة في المدونة كما لم يفعل أي رئيس تنفيذي رأيته في حياتي (أحتاج أيضًا إلى محرر نصوص، لكن هذا هو حال معظم مؤلفي المدونات).

لقد احترت في أمر هذا الرجل وقمت في عفو اللحظة بإرسال رسالة بريد إليكتروني سريعة له احتوت على خمسة أسئلة، وتلقيت الرد على الفور تقريبًا:

س: ما الذي دفعك لإنشاء المدونة أصلًا؟

ج: لقد سئمت قراءة المعلومات غير الكاملة أو المعلومات الخاطئة والكاذبة عما كنت أفعله في الإعلام الرياضي. وكانت المدونة إحدى الطرق لنشر الحقائق.

س: في ضوء ملاحظاتك، هل يدرك رجال الأعمال أو الشخصيات العامة بوجه عام قدرتهم على تأطير المناقشة أو على الأقل الرد على ما يقال؟

ج: نعم ولا. أعتقد أن أي شخص لديه أي وعي بالإنترنت من منظور أعمال يفهم المدونات. إن القضية هي «إذا كتبت هل سيأتون؟» إنك تكتب مدونة لتصحيح السجل ولكن إذا لم يقرأها أحد فهي لا تستحق بذل الجهد في سبيلها. إن ذلك يخلق هدفًا، أعتقد أن الكثيرين لا يرونه جديرًا بالمخاطرة.

س: هل ينبغي على جميع الرؤساء التنفيذيين للشركات إنشاء مدونات خاصة بهم؟ علل سواء كانت الإجابة بالإيجاب أو النفي.

ج: ربما لا. إن العمل في مجال الرياضة مختلف عن العمل في مجال الأعمال. وتكتب الصحف المحلية عن الفرق الرياضية كل يوم وربما تكتب عن شركة ما مرة كل ربع سنة على الأكثر.

س: ما نوعية الأشياء التي لن تقبل أن تقولها على مدونة ما؟ ما هي الحدود إن وجدت؟

ج: لا أعرف بعد.

س: ما النواحي الأخرى التي كان ينبغي أن أسألك عنها فيما يتعلق بعالم الاتصالات الجديد؟

ج: إن ليس عالمًا جديدًا. فنحن جميعًا قادرون على إنشاء مواقعنا على الويب منذ سنوات. وهذا مجرد نظام لإدارة المحتوى مصمم من أجل تسجيل مدخلات اليوميات. وقد لفتت الصيغة الشبيهة باليوميات انتباه الإنسان الفضولي فينا جميعًا. وليست لدي أي فكرة عما إذا كان التأثير طويل المدى أم لا.

إن مدونات رؤساء الشركات التنفيذيين مفيدة. والأفضل منها في حالات كثيرة هي

المدونات والمواد الأخرى المقدمة من أناس عند المستويات الأدنى. وبالنسبة للصحفيين، يأتي بعض الاتصالات الأعظم قيمةً من داخل الشركات من القاعدة (أي جمهور أفراد الشركة) أو من المديرين عند المستويات الواقعة أدنى مستوى الإدارة العليا بكثير. لم لا تسمح لهم بالتواصل مع الجمهور أيضًا؟

إن عددًا متناميًا من الشركات الذكية يتفهم السبب في أن ذلك فكرة جيدة. ولعل الأفضل في ذلك هي شركة ماكروميديا Macromedia صانعة أدوات تصميم مواقع الإنترنت الشعبية مثل DreamWeaver و Flash. ويساهم مبرمجو ماكروميديا ومديرو منتجاتها في مجموعة متنوعة من المدونات. على سبيل المثال: يقدم جون دوديل John Dowdell «خدمة إخبارية للأشخاص الذين يستخدمون Macromedia MX، أحد منتجات ماكروميديا الرئيسية». كما تقوم الشركة أيضًا بتجميع مدوناتها في صفحة واحدة من باب التيسير وتسمح لأي شخص بقراءتها[105].

وقد أرست مايكروسوف معيارًا جديدًا بعدة طرق. ففي مايو 2004 تحدث بيل جيتس Hill Gates عن مزايا المدونات و RSS في كلمة ألقاها أمام حشد من رؤساء الشركات التنفيذيين. وفي إشارة إلى عامل الراحة والملاءمة قال: «إن الفكرة النهائية هي أنك ينبغي أن تحصل على المعلومات التي تريدها وقتما تريدها...». وتطبيقًا لهذا النهج، تسمح الشركة للمئات من موظفيها بكتابة مدونات على مواقع شخصية. وأنا منبهر بصفة خاصة بالقناة التاسعة[106] التي يديرها العديد من مبرمجي برمجيات الشركة. إنهم يُلبسون ما يفعلونه وجهًا إنسانيًا ويستخدمون الفيديو والصوت والمحادثات النصية لتدعيم المدونات النصية الأساسية. (اسم «القناة التاسعة» مأخوذ من سياسات بعض شركات الطيران التي تسمح للركاب بالاستماع إلى الأحاديث الدائرة بين برج المراقبة الجوية وكابينة قيادة الطائرة على النظم الصوتية في الطائرات).

بإمكان القطاع العام أن يستخدم هذه التقنيات أيضًا. فقد شغل فيل ويندلي Phil Windley منصب كبير مسئولي الإعلام بولاية يوتاه لمدة 21 شهرًا انتهت في ديسمبر

2002 [107] وقد صادف مدونات إليكترونية في مؤتمر في كاليفورنيا وأثار حيرته ما يمكن أن تمثله. وعندما بدأ مدونته الشخصية أدرك أن الصيغة (Format) يمكن أن يكون لها قيمة في محيط مشروع ما. ولذا فقد اشترى 100 ترخيص لـ Radio Userland وهو إحدى حزم برمجيات المدونات الإليكترونية الرئيسية، وعرض تقديم أحدها إلى أي شخص متخصص في تكنولوجيا المعلومات في الولاية يرغب في إنشاء مدونة. وقبل 36 شخصًا تقريبًا الحصول على العرض ولا يزال ثلثهم نشيطين. وقد أبرزته مدونته الخاصة به بدرجة أفضل بين العاملين في مجال تكنولوجيا المعلومات الذين يقرأونها في كل أنحاء الولاية. وتعرف هو في المقابل من خلال مدوناتهم على التحديات التي كانوا يواجهونها.

بالطبع ليس الأمر بسيطًا كإصدار تعليمات لمدير تنفيذي بكتابة مدونة (أو جعل المطوع التنفيذي يكتبها) أو تقديم مدونات للآخرين في المنظمة. فالمحامون لهم دور هنا.

وحتى في حقبة الصراحة والانفتاح، لاتزال لدى الحكومات والشركات والمنظمات الكبيرة الأخرى أسرار مهنة. فهم لا يريدون نشر غسيلهم القذر. وهذا هو السبب في أن الشركات والحكومات تطبق سياسات صارمة فيما يتعلق بالبريد الإليكتروني وتبرم اتفاقيات عدم إفصاح وتتخذ تدابير أخرى للحيلولة دون وصول معلومات داخلية قيمة إلى الأيدي الخطأ. (توجد في شركة جروف قواعد تحدد أي الموضوعات يجوز لمؤلفي المدونات الكتابة عنها وأيها لا يجوز لهم الكتابة عنها).

وأحيانًا فإن ما لا تستطيع تسجيله خارج حائط منع امتداد النيران – حيث يمكن لعامة الناس الاطلاع عليه – لا بأس من تسجيله داخله. وتستطيع مدونة داخلية أو برنامج Wiki مساعدة العاملين في منظمة ما على الاطلاع أولًا بأول على المشروعات والاكتشافات الفردية لبعضهم. وقد كانت مدونات تكنولوجيا المعلومات في يوتاه من أجل العاملين في مجال تكنولوجيا المعلومات فقط وقد أدت الغرض منها.

يقول ويندلي إن المدونات الإليكترونية سواء كانت داخلية أو خارجية لا تلائم

كل إنسان أو كل مشروع. «يجب عليك أن تقرر مدى ارتياحك لكون الأشخاص صرحاء. فالمدونات تتعلق بكون الناس صرحاء. وبعض المنظمات لا يروق لها ذلك».

أصبح روبرت سكوبل Robert Scoble، أحد مؤلفي المدونات الأغزر إنتاجًا في مايكروسوفت، مشهورًا في حقل التكنولوجيا بسبب مدونته Scobleizer[106]. وفي تعليق أرسله إلى مدونتي قال:

> «إما أن يفهم الآخرون الأمر أو يفقدون منافع الاشتراك في السوق. لكن الأمر يتطلب منك في الحقيقة توظيف أشخاص أذكياء وتمكينهم من الوصول إلى المعلومات الداخلية الأكثر حساسية. ولن تفهم كل شركة ذلك، لكن مايكروسوفت في وضع فريد يسمح لها بالاستفادة من التسويق التحادثي. لماذا؟ لأننا جميعًا قادرون على الوصول إلى وجهات نظر الشركة على المستوى القيادي فيها. وهذا يختلف تمامًا عن الأماكن الأخرى التي عملت بها».

لقد خضت معارك مع مايكروسوفت على مر السنوات. ولكن باعتباري واحدًا من أعلى ناقدي الشركة صوتًا، يمكنني أن أقول عن يقين إن استعدادها للسماح للموظفين بإجراء هذه المحادثة مع عامة الناس، خطوة ذكية من أجل أغراض التسويق والعلاقات العامة. إنها تخبرني – ضمن عدة أمور أخرى، بأن الإمبراطورية تحاول أن تكون أقل شرًا.

بعد أن تقرر الشركات أن إنشاء المدونات فكرة جيدة، يجب عليها أن تصوغ سياسة مؤسسية تحدد ما يمكن للموظفين أن يقولوه وكيف يمكنهم أن يقولوه. كما ينبغي عليها أيضًا أن تستقر على أسلوب الكتابة وتضع سياسات تحدد كيفية الرد على العبارات المسيئة والتهديدات. وأخيرًا والأهم هو أن قائد المنظمة يجب أن يلتزم بالعملية. لا حاجة به لأن يكتب مدونة ولكن يجب عليه أن يعلن بجلاء أن المدونات والأنواع الأخرى للاتصالات الجانبية مهمة.

في 2003، سجل سكوبل بيانًا لمؤلفي المدونات المؤسسين على المدونة الخاصة به[109]. وبعض اقتراحاته قد لا تكون عملية بالنسبة لمعظم الشركات (ويبدو واضحًا لي – على الأقل – أن شركة سكوبل كثيرًا ما تتجاهل اقتراحاته)، لكن القائمة تحتوي على بعض الأفكار القيمة. وفيما يلي بعض من أفضلها:

- قل الحقيقة.. كل الحقيقة.. ولا شيء سوى الحقيقة. فإذا كان منتج منافسك أفضل من منتج شركتك، قم بالإشارة له. وربما نفعل ذلك نحن أيضًا وسنتوصل لذلك على أية حال.
- سجل تعليقات بسرعة على الأخبار الجيدة أو السيئة. هل يقول شخص ما شيئًا سيئًا عن منتجك؟ أشر إليه – قبل أن يفعل ذلك الموقع الثاني أو الثالث – ورد على مزاعمه في أفضل صورة ممكنة. افعل نفس الشيء إذا قيل شيء جيد عنك. إن الأمر كله يتعلق ببناء الثقة على المدى الطويل. وكلمة السر في بناء الثقة هي أن تظهر! فإذا كان الناس يقولون أشياء عن منتجك ولا ترد عليهم تنشأ حالة من الشك وعدم الثقة. وبالإضافة إلى ذلك فإنه إذا قال الناس أشياء جيدة عن منتجك، ما المانع أن تساعد جوجل على العثور على تلك الصفحات أيضًا.
- ليكن جلدك سميكًا. حتى إذا كان لديك المنتج المفضل عند بيل جيتس فسوف يقول الناس أشياء سيئة عنه. إن ذلك جزءٌ من العملية. لا تحاول كتابة مدونة مؤسسية إلا إذا كان في مقدورك الإجابة عن كل الأسئلة – السيئة والجيدة – بشكل محترف وسريع ولطيف.
- تحدث إلى القاعدة أولًا. لماذا؟ لأن الصحافة التقليدية تتجول في أنحاء المدونات الإليكترونية بحثًا عن قصص وعن أشخاص تقتبس أقوالهم. وإذا لم يستطع صحفي تقليدي العثور على أي شخص يعرف أي شيء عن قصة ما، سيكتب قصة شبيهة بالنشرة الصحفية بدلًا من شيء جدير بالثقة. إن الناس يثقون في القصص المحتوية على اقتباسات من مصادر كثيرة، ولا يثقون في النشرات الصحفية.

ربما تكون المهن الماهرة المجال الأمثل لهذا النوع من الاتصال. على سبيل المثال: خلال الأعوام العديدة الماضية ازداد عدد المدونات القانونية عالية الجودة زيادةً كبيرة. وبدأ معظمها ببساطة لأن المؤلف استمتع بالكتابة عن القانون. ولكن اتضح أن المدونات القانونية أدوات تسويق ممتازة كذلك. لم يكن التسويق في ذهن إرنست سفينسون Ernest Svenson وهو محام في نيو أورليانز عندما بدأ مدونته [110]، ولكنه قال لي إنها أفادته بشكل متواضع أيضًا حيث جلبت له عملاء وطلبات عروض خدمات.

قال سفينستون: «بوجه عام أنا أفعل ذلك لأن المدونة تجعلني على اتصال بالمحامين المهتمين بالكيفية التي تغير بها التكنولوجيا ممارسة المحاماة». مشيرًا إلى أنه لا يوجد في نيو أورليانز عدد كبير من المحامين التواقين للتحدث عن مثل هذه الأمور.

مدونات المشاهير

إن ويل ويتون Wil Wheaton ليس – أكرر ليس – ويسلي كروشر Wesley Crusher.

لا يشعر ويتون – وهو في أوائل الثلاثينيات الآن – بالأسف لقيامه بتجسيد دور مراهق ذكي لكنه مزعج قليلًا في فيلم «رحلة النجوم: الجيل التالي» في الثمانينيات وأوائل التسعينيات فهو فخور بهذا الدور. لكن بعض المعجبين بالفيلم لم يحبوا شخصية كروشر فيه. وظهرت هناك مجموعة نقاش سيئة السمعة على الإنترنت اسمها «alt.ensign.wesley.die.die.die» – وعنوانها يدعو لويسلي بالموت وتتفق نبرة الملاحظات والتعليقات المكتوبة فيها مع اسم المجموعة الإخبارية.

في 2001، قام ويتون المقيم في بسادينا بإطلاق مدونة على الويب[111]، من أجل «تصحيح بعض الأفكار الخاطئة الموجهة نحوي بسبب الشخصية التي مثلتها في فيلم رحلة النجوم». وتمزج يومياته الإليكترونية الملاحظات الشخصية بتعليقات عن الحياة الحديثة والسياسة والتكنولوجيا والترفيه. وهي تخبرك بالكثير عن شخصيته: رب أسرة ذكي وعميق التفكير ولديه ميل للنشاط السياسي.

وأصبحت المدونة بوابة ويتون إلى حياة مهنية جديدة ككاتب. وقام ويتون بإنشاء نوع جديد من الصلة بجمهوره. سماها مدونة المشاهير واعتبرها تطورًا من الشهرة باعتبارها منتجًا مصنعًا إلى الشهرة كشيء حقيقي وصادق بدرجة أكبر بالمعنى الإنساني.

إن مدونة ويتون ذات طابع شخصي بدرجة كبيرة. لقد ساعدت الناس على فهمه على عكس شخصيته في فيلم رحلة النجوم (ملحوظة شخصية: يبقى فيلم «الجيل القادم» أفضل أجزاء السلسلة على الإطلاق).

لم يكن ويتون معجبًا بنظام هوليود الذي يصنع النجوم ثم يلفظهم بعد استغلالهم. وقد عكست المدونة ذلك الشعور حيث قال: «لقد كافحت بشدة كممثل وكنت أشعر أن الوقت المتاح لي لكي أصبح ممثلًا ناجحًا ينفد مني. لقد مثلت في أفلام هابطة لإعالة أسرتي. وبدأت الكتابة عن ذلك، وعن أوقات الرخاء والشدة – وغالبًا أوقات الشدة – وكيف يكون شعور المرء عندما يكون مشهورًا في النصف الأول من حياته ثم مشهورًا بأنه مشهور في النصف الثاني منها».

وهو ليس معجبًا أيضًا بالصحافة المهنية حيث يقول: «إن موقفي من صحافة الترفيه موقف متشكك».

«لا أعتقد أن الصحافة ككل تتسم بالموضوعية حقًا، فهي بدرجة أساسية امتداد لآلة دعاية الاستوديوهات». عندما يتم عرض أفلام جديدة، يكون هناك الكثير من التغطية ولكن نادرًا ما ينشر أي شيء سلبي لأن الكُتّاب الذين يعبرون عن التشكك يتزعون لفقد مكانتهم في المستقبل.

وفي حين لا توجه الصحافة المهنية ضربات للممثلين المحبوبين، يقول ويتون: «إنها توجه لي الضربات طول الوقت لأني شخصية مشهورة ضئيلة الشأن. ماذا أفعل؟ هل أهدد؟ لا يوجد لدى مدير دعاية».

وقد تذكر قصة منشورة في صحيفة إنترتينمنت ويكلي، قائلًا: «كان الكاتب رافضًا لي ومتعاليًا علي، وذكر بعض الأقوال المنقولة عني خارج سياقها تمامًا ورسم لي صورة

سلبية في الحقيقة. والمشكلة أن كل من في صناعة الترفيه يقرأون هذا الكلام. ولذلك فالقدرة على الفهم مهمة».

«إن امتلاك مدونة يكون مفيدًا في موقف كموقفي لأنها تسمح لي بنشر قصتي».

فقد ويتون شغفه بالتمثيل ووجد شغفًا جديدًا في مجال الكتابة والتأليف. وقد أفرزت المدونة كتابًا بعنوان «الرقص بقدمين حافيتين»[112] وكان كتاب آخر في الطريق في أوائل 2004. واتخذ ويتون من الكتابة مصدرًا لرزقه في تحول مرضي للغاية في مجرى الأحداث. (توضيح: ناشر ويتون الجديد هو أيضًا ناشر هذا الكتاب. وكان ينشر لنفسه عندما كتبت أول مرة عن مدونته في عمودي الصحفي).

استخدم ويتون الحاسبات الآلية طوال معظم حياته. وهو يتمتع بدراية بلغات برمجة الويب الممتازة الحالية ويؤيد برمجيات المصدر المفتوح ويستخدم نظام تشغيل لينوكس في المنزل. كما تبنى أيضًا بعض القضايا العزيزة على قلوب الكثيرين في مجتمع التكنولوجيين، مثل إصلاح نظام حقوق النشر والتأليف الذي وقف في صف أصحاب حقوق النشر والتأليف بصورة متطرفة ضد العملاء والمستخدمين. وهو مساند قوي لمؤسسة الحدود الإليكترونية Electronic Frontier Foundation (EFF) المدافعة عن الحريات في حقبة رقمية، وأثار حشدًا من الناس في احتفال لجمع التبرعات نظمته مؤسسة الحدود الإليكترونية في 2002 عندما أطلق دعوة لحمل السلاح ضد تجاوزات الصناعة وإقرار رسالة المؤسسة.

إن كتابة مدونة كهذه تحمل في طياتها مسئولية. فالصدق مهم. يقول ويتون: «كثير من القراء يشعرون أنهم يعرفونني وهذا أمر غريب» مشيرًا إلى بريد إليكتروني كان قد وصل توًا عندما تحدثنا في منتصف 2003.

وقد ذكر المراسل واقعة مذكورة في كتابه يقول عنها ويتون: «إنها خطاب حب إلى زوجتي». ويحكي ويتون القصة فيقول كان الزوجان موجودين في أحد شوارع سانتا باربارا عندما بدأت السماء تمطر. ففتح مظلة. «فأمسكت هي بالمظلة وأغلقتها وقالت

دعنا نمشي تحت المطر». «لقد كتبت عن هذه الواقعة. كانت سخيفة بالتأكيد. أنا متيم بحب زوجتي الآن ومنذ ثمانية أعوام».

لقد أرسل مراسل ويتون الإليكتروني طالبًا منه أن يفهم شيئًا: «قال: نحن نقرأ هذا بسبب صدقك وأمانتك وإذا اكتشفنا أنه مكتوب من قبل كاتب بارع ما، فسوف نشعر أننا تعرضنا لخيانة».

قال ويتون: «إنهم دائمًا يقولون اكتب ما تعرفه. وتلك نصيحة جيدة حقًا».

التحدث إلى الجمهور

ما الذي يتعين على قطاع الأعمال أن يستفيد به من التكنولوجيا أكثر من أي شيء آخر؟ العلاقات العامة. ومع ذلك ففي الأعوام القليلة الماضية، انتقلت صناعة العلاقات العامة من الجهل التام بإمكانيات الإنترنت إلى فهم شبه واعٍ لها. وبقدر ما ينظر محترفو العلاقات العامة لوظائفهم على أنها ليست سوى تظاهر بتقديم معلومات حقيقية وصادقة، لن يكون ما أقوله فيما يلي مفيدًا. إن لدي نظرة أكثر ترفقًا للصناعة وأشك في وجود محترفي علاقات عامة كثيرين يدركون الإمكانيات التي ينطوي عليها دخول هذه الحقبة الجديدة بأسلوب ذكي.

> من المدهش رؤية مدى سوء معظم مواقع الشركات على الويب بعد كل هذه السنوات. وفي خطابي «أعزائي أهل العلاقات العامة» على مدونتي الإليكترونية، أطرح القواعد الإرشادية البسيطة التالية: تأكد من وجود ظن من المعلومات على المواقع الإليكترونية لعملائك. وينبغي أن لا يتضمن ذلك النشرات الصحفية فحسب بل أيضًا وصلات إلى المقالات التي كتبتها عن العملاء، مطبوعات أخرى، السير الذاتية وصور عالية النقاء للقادة ومعلومات تفصيلية عنهم بما في ذلك صور (وفيديو) للمنتجات وأي شيء آخر تعتقد أنه ربما يكون مفيدًا.

لا تدفن معلومات اتصال العلاقات العامة بعيدًا داخل الموقع الإليكتروني بحيث لا يستطيع أي شخص لا يحمل درجة في علم المكتبات العثور عليها. أنا أبحث عن صفحة «عن الشركة» ثم أبحث عن صفحة «الصحافة» ثم عن صفحة «معلومات الاتصال». ربما يكون هناك مكان أكثر منطقية لمثل هذه المعلومات، ولكن حيثما تضعها لا تخفيها.

اعتدت أن أطلب اتصالات البريد الإليكتروني بدلًا من المكالمات الهاتفية والفاكسات والبريد الدعائي. والآن فإنه ما لم يكن لدى شخص ما بعض الأخبار أو إعلان ما موجه إلى أنا تحديدًا – وأقصد أنا وحدي – لم أعد حتى أريد بريدًا إليكترونيًا بسبب طاعون البريد الدعائي. أنا أريد RSS. وحتى إذا لم تكن الشركة ترغب في إنشاء مدونة إليكترونية، ينبغي عليها قطعًا إنشاء ملفات RSS لأخبارها الرئيسية. لم يعد ذلك اختيارًا. إنه أساسي وجوهري.

في 2 إبريل 2002 قام قسم العلاقات العامة «News@Cisco» التابع لعملاق الترابط الشبكي شركة نظم كيسكو Cisco Systems بإنشاء ملفات RSS لنشراته الصحفية[113]. وقال دان تيتر Dan Teeter المهندس الذي قام بإنشائها إن الجمهور المستهدف هو فحسب أي شخص من الصحفيين إلى المحللين إلى المستثمرين إلى الشركاء إلى الزبائن. وتوجد لدى مايكروسوفت ملفات RSS موجهة للمطورين.. ببطء ولكن بخطى ثابتة تتعلم الشركات.

إذا بدأ موظفو العلاقات العامة في إنشاء ملفات RSS للنشرات الصحفية، فإن الصحفيين وعامة الناس على وجه العموم يستطيعون مشاهدة المادة التي يريدونها، وتصبح صناعة العلاقات العامة قادرة على منع كميات ضخمة من البريد الإليكتروني من الوصول إلى أشخاص صناديق البريد الوارد inboxes الخاصة بهم مكدّسة عن آخرها بالفعل. وسوف يستمر استخدام البريد الإليكتروني في العلاقات العامة ولكن سيكون بالإمكان خفض الكمية بدرجة كبيرة إذا أمكن إقناع موظفي العلاقات العامة

بالقيام بذلك. في 2002 وصف جون أوديل Jon Udell، وهو محرر عمود في مطبوعة إينفو وورلد (في مدونته بالطبع) اتصالاً يود أن يتلقاه: «مرحبًا.. أنا (الاسم)، مهندس معياري ومدير منتجات بـ (الشركة) التي تنتج (المنتج أو الخدمة). لقد أنشأت مدونة تصف ما نفعله وكيف نفعله وسبب أهميته. فإذا كانت هذه المعلومات مفيدة وملائمة، يمكن العثور على ملف RSS الخاص بنا هنا. شكرًا!»[114].

لقد جعل بلاء البريد الدعائي الحياة شبه مستحيلة بالنسبة لنشرات البريد الإليكتروني الإخبارية Newsletters. ووفقًا لبعض التقديرات، يتم الآن منع وصول ما بين 15٪ و30٪ من البريد الإليكتروني المشروع بواسطة مرشحات البريد الدعائي. وإذا عوملت نشرة إخبارية على أنها بريد دعائي، فإنها لا تفيد أحدًا. قال لي كريس بيريللو Chris Pirillo ناشر النشرات الإخبارية التي تحمل اسم LockerGnome: «حمدًا لله على وجود RSS. فقد بدأت تصبح بديلًا للنشر والتسويق عبر البريد الإليكتروني».

وهناك طريقة صحيحة لتطبيق تكنولوجيا RSS وأخرى خاطئة. وبعض الشركات تتبع الاثنين معًا. فعلى سبيل المثال: يوجد لدى شركة أبل كمبيوتر ملف RSS لنشراتها الإخبارية. ولكن عندما تنظر لها في برمجيات قراءة أخبار RSS الخاصة بي، فإن كل ما تراه هو عناوين رئيسية بدون نص، ولذا إذا كنت تريد قراءة الأشياء يجب أن تزور موقع أبل. وهذا عمل غبي. وعلى العكس من ذلك قام موظفو iTunes في شركة أبل بإنشاء ملف RSS للأغنيات الجديدة الأعلى مبيعًا. وفي القسم الذي يحتوي على متن الرسالة في برنامج قراءة الأخبار، تشاهد غلاف الألبوم وبعض التفاصيل عن الأغنية. وذلك عمل ليس غبيًا.

البيع عبر المدونات

في إبريل 2001، تلقت وكالة العلاقات العامة في شركة أبل كمبيوتر طلبًا من مؤلف مدونة وهو جو كلارك Joe Clark أراد أن يجري مقابلة مع شخص من داخل

الشركة عن نظام تشغيل ماكينتوش. وكان كلارك يكتب في مجلات فنية وأصبحت مدونته NUblog[115] موقعًا يتزايد الإقبال عليه الآن، لكن وكالة العلاقات العامة لم تكن تعرف ذلك. وحينها أصيب جو بالإحباط من الاستجابة السلبية سجل ما حدث من تبادل للبريد الإليكتروني على موقعه. ودفع ذلك بدوره نائب الرئيس الإقليمي للوكالة إلى إرسال خطاب إلى جو طلب منه فيه الكف عن القيام بذلك. وقد أظهرت هذه الواقعة كيف تعاملت أبل وموظفو العلاقات العامة بها الجاهلون بصورة أساسية مع وسيط متنامي الأهمية.

لكي نكون منصفين، فقد حدث ذلك في 2001 قبل أن تصبح المدونات مشهورة. وكان كلارك، وهو كاتب فني ومؤلف له أعمال منشورة، لاعبًا جديدًا نسبيًا فيما يطلق عليه عظيم أزهر Azeem Azhar، المدير في 20six، وهي شركة أوروبية الإنتاج أدوات المدونات الإليكترونية، «تدعى ebay-ization of Media – أي شخص يمكن أن يكون مشتريًا وبائعًا. ويطلق آخرون على ذلك «النشر النانو (جزء من ألف مليون) » Nano Publishing» – أي مواقع صغير يديرها شخص واحد أو عدد قليل جدًا من الأشخاص، وتركز على موضوع ضيق نسبيًا. ومؤلف المدونة الذي يستهدف سوقًا صغيرة قد يفتقر للنفوذ والتأثير الذي تتمتع به مطبوعة رئيسية. ووفقًا لأزهر، فإن مؤلف المدونة الذي يستهدف قطاعًا سوقيًا صغيرًا niche blogger في هذا السياق يكون «صبيًا مراهقًا يحرك قرارات شراء الهواتف المحمولة لمجموعة أصدقائه المراهقين أو ممارس اليوجا في لندن الذي يقرأ مدونته 60 أو 80 من زملائه في ممارسة اليوجا ويؤثر على مشترياتهم المتصلة باليوجا».

ولكنهم يحدثون فرقًا.

فعلى سبيل المثال: فقد أدرك العاملون في مجال الترابط الشبكي اللاسلكي عبر Wi-Fi أن مدونتين على الأقل – وهما مدونة Wi-Fi Networking News لجلين فليشمان التي ناقشتها سابقًا ومدونة Wireles Data Web Blog التي مؤلفها آلان ريتر Alan Reiter[116]–

تعادلان في أهميتها بالنسبة لقراءهما أي مطبوعة مكتوبة. وهذان الموقعان يقدمان أحدث أخبار الـ Wi-Fi بالإضافة إلى تعليقات مفيدة من مؤلفيهما. والحقيقة أنهما أفضل من أي مطبوعة منشورة رأيتها.

إن تأثير مؤلفي المدونات الفعالين يتجاوز التكنولوجيا، ففي عالم عربات الأطفال، تحرك سيدة من كاليفورنيا الجنوبية تدعى جانيت ماكلوجلين Janet McLaughlin الأسواق[117]. وقد جاء في عدد صحيفة وول ستريت جورنال الصادر في سبتمبر 2003 «في حين أنها لا تكسب مليمًا وحدًا مقابل جهودها، إلا أن السيدة ماكلوجلين المشهورة عند اتباعها باسم ملكة عربات الأطفال اكتسبت نفوذًا وتأثيرًا على المشترين الجدد. إذ يلتمس المتسوقون حول العالم مشورتها من خلال كتابة تعليقات على الإنترنت مثل «يا ملكة عربات الأطفال الحكيمة تفضلي بإعطائنا خبرتك» و«ليحيي الجميع ملكة عربات الأطفال!» و «ملكة عربات الأطفال: شكرًا لكِ على جعلي أبدو طبيعيًا». وقد أحالت هذه السيدة عددًا كبيرًا جدًا من العملاء إلى متجرين لبيع عربات الأطفال على الساحل الغربي يقدمان بصورة دورية «خصومات على عربات الأطفال»[118].

وثمة مطبوعة صغيرة أخرى مؤثرة تستهدف قطاعًا صغيرًا في السوق اسمها جزمودو Gizmodo، وهي مدونة إليكترونية تُعنى بأحدث وأعظم الأجهزة الإليكترونية. هذه المطبوعة عبارة عن مجموعة صغيرة ولكن متنامية من المواقع يديرها نيك دنتون Nick Denton وهو صحفي متخصص في شئون المال تحول إلى رجل أعمال. ويتجاوز تأثير جزمودو حجمها النسبي بكثير، وكان كاتبها الأول بيتر روجاس Peter Rojas صحفيًا متمرسًا في مجال التكنولوجيا عمل في مطبوعات مثل مجلة ريد هيرينج. وقد قال روجاس الذي انتقل منذ ذلك الوقت إلى مدونة أخرى تخاطب قطاعًا سوقيًا صغيرًا وهي إنجادجيت Engadget [119] إن الشركات لاحظت ما كان يفعله و «إن استغرق ذلك بضعة أشهر (باستثناء مايكروسوفت التي انتبهت إلى جزمودو خلال أيام من إطلاقها)». وقد قال لي في منتصف 2003:

يجب أن أقول إن الإعلانات ليست إعلانات بالضبط، بل هي أشبه بقيام موظفي العلاقات العامة بإرسال بريد إليكتروني لي لإعلامي بمنتج جديد أو توجيه دعوة لي لتناول غداء مع شخص سيزور البلدة وأشياء من هذا القبيل. وأنا أستلم الكثير من النشرات الصحفية عديمة الصلة بجوزمودو. ويعود السبب الرئيسي في ذلك إلى أنني ارتكبت خطأ أحمق وهو التسجيل للاشتراك في CeBIT America (وهو معرض تجاري ضخم) ولذا فأنا أتلقى الآن كل أنواع البريد الدعائي البغيض. ولكنني نادرًا ما أكتب شيئًا على المدونة لأن موظف علاقات عامة «باعه» لي. ومعظم المعلومات التي تحتوي عليها جزمودو مستقاة من التجول في برنامج قراءة الأخبار الجديد بالثقة الذي استخدمه ملايين المرات في اليوم الواحد وتأتي البقية من النصائح والإرشادات المقدمة من القراء الذين أظن أنهم يمكن أن يكونوا موظفي علاقات عامة متخفيين. لا يمكنك أن تعرف أبدًا).

ومع ذلك يجب أن أقول إن موظفي العلاقات العامة الذين يتصلون بي يبدون أذكى وأكثر احترامًا من أولئك الذين كانوا يزعجونني حينما كنت أعمل في مجلة ريد هيرينج. ولا أعرف على وجه اليقين ما إذا كان ذلك لأنهم متصلون بعالم المدونات ومن ثم يوجد لديهم فهم أفضل لأسلوب عملها، أم لأنهم أفضل الموجودين في هذا المجال. ولكن إجمالًا كانت تجربتي مع موظفي العلاقات العامة إيجابية إلى حد ما. ويبدو لي أن أولئك الذين تعاملت معهم يأخذون جزمودو على محمل الجد كمنفذ لأخبار التكنولوجيا.

يعتقد دنتون أن إعلانات المدونات مثالية «للمسوقين الميالين نحو انتهاج إستراتيجية تتمحور حول العلاقات العامة والأقاويل الشفهية». وهو يضرب مثالًا: لا يستطيع صانع الدراجات الهوائية مرتفعة الثمن أن يعلن فعليًا في الصحف أو التليفزيون اللذين يوجد لها جمهور ضخم، ولا تلبي التغطية من جانب مجلات الدراجات الهوائية احتياجات الصانع كذلك. وبدون وجود موارد لاستخدام وكالة علاقات

عامة مكلفة، يمكن أن يبحث الصانع إليكترونيًا عن «الـ 15 شخصًا الأكثر تأثيرًا في الكتابة عن الدراجات والرياضات العنيفة – لتحديد من يكتب عن ملعته، ومن يُستمع له (من جانب مجتمع الويب) ومن ينشر مذكرات» ثم يتصل بمؤلفي المدونات هؤلاء طالبًا إجراء تغطية.

أو تستطيع منشآت الأعمال العثور على مؤلفي المدونات المؤثرين بنفسها. وكما ذكرنا من قبل، فقد أفرز عالم المدونات خدمات مصممة خصيصًا لمساعدة مؤلفي المدونات. وغيرهم – على تتبع ورصد الأشياء. وربما تعد خدمتا تكنوراتي Technorati وفيدستر Feedster الأكثر فائدةً بين الخدمات التي دخلت هذه السوق مبكرًا.

بعض القواعد الخاصة بالعلاقات العامة والتسويق في العالم الجديد

لطالما أسعدني عدم ممارسة العلاقات العامة أو التسويق. فما لم أروج لبيع شيء أعتقد بصدق أنه مهم، فإنني أجد صعوبة في ممارسة البيع. ولا تلقي بالًا للمهمة الروتينية في التعامل مع الصحفيين.

ولكن إذا تعين علي القيام بذلك وتوافرت لدي الأدوات المتاحة الآن، فسوف أقدم لرئيسي في العمل أو عميلي القواعد التالية لاستخدام وسائط الغد:

1- أنصت جيدًا لأن الأشخاص خارج منظمتك قد يعلمون أشياء لا تعرفها. راقب غرف الدردشة ولوحات المناقشات والبريد الإليكتروني والمدونات وكل شيء آخر من الحافة، سواء خارج المنظمة أو داخلها.

2- تحدث بصراحة عما تفعله ولماذا تفعله. أنشيء مدونة أو 10 مدونات من داخل الشركة. اشرح بلغة سهلة وواضحة ما يجري داخل المكان. أقنع الرئيس التنفيذي بالكتابة في المدونة/ المدونات أيضًا. أنشئ مدونات داخلية وبرامج Wiki وراء حائط منع النيران من الامتداد.

3- اطرح أسئلة لأنه سيكون هناك أشخاص مستعدون للإجابة وبعد أن تنصت

وتتحدث، خذ الخطوة التالية وشغّل خاصية التعليقات في مدوناتك لكي يتمكن العملاء من إبداء تعليقاتهم؟ اطلب المساعدة من مختلف الأطراف المتعاملة مع المنظمة. قم بتكوين مجموعات للمناقشة ولكن لا تمارس رقابة عليها إلا لحذف التعليقات والآراء المتضمنة قذفًا وتشهيرًا والبذيئة وعديمة الصلة بالموضوع تمامًا.

4- أشرك أكبر عدد ممكن من الجمهور في معلوماتك بالطريقة الأكثر كفاءة. أنشئ ملفات RSS لكل شيء مفيد للصحفيين وغيرهم، بما في ذلك النشرات الصحفية، والخطب، وما يتم كتابته في المدونات والمواد الأخرى.

5- مد يد المساعدة عن طريق العطاء أكثر وليس أقل. تأكد من احتواء موقعك الإليكتروني على كل شيء قد يحتاجه الصحفي، ويشمل ذلك الصور والصوت ولقطات الفيديو والخرائط البيانية والنص القديم الواضح – وتأكد من سهولة العثور عليها. وإذا استطاع الصحفيون العثور عليها، فإن العملاء يستطيعون ذلك أيضًا. وهذا وضع جيد وليس سلبيًا.

6- سجل أو أشر إلى ما يقوله موظفوك علنًا أو ما يقال عنك. وعندما يجري رئيس تنفيذي أو مسئول آخر في الإدارة العليا مقابلة، انسخها وسجلها على الموقع الإليكتروني. وإذا كانت المقابلة مذاعة، ضع النسخة الصوتية أو الفيديو على الإنترنت أيضًا. وإذا اتخذ مقال ما موقفًا عدائيًا ضدك، أنشئ وصلة مؤدية له على أية حال (لأن أشخاصًا آخرين سوف يعثرون عليه حتى إذا تظاهرت بأنه غير موجود، ولكن سجل ردًا عليه أيضًا.

7- استهدف بدقة وعناية الأشخاص الذين يهتمون حقًا. اعرف أي الناشرين متناهي الصغر يتحدثون عن منتجك أو خدمتك (استخدم جوجل، تكنوراتي، بلوجديكس وفيستر وليس فقط نيكسيس وخدمات القصاصات الصحفية). اسأل حولك عمن ينبغي عليك أن تتصل به ثم تأكد من إبقاء هؤلاء الأشخاص في حالة اطلاع جيد. عاملهم كصحفيين محترفين يحاولون فهم الأمور على حقيقتها وأغلب الظن أنهم سيبادلونك الاحترام.

8- صحح أخطاءك بسرعة وأمانة. عندما يسجل منفذ إخباري رئيسي أو مؤلف مدونة جاد شيئًا غير دقيق، رد فورًا. أشر إلى مصدر المادة التي تستند إليها. أرسل بريدًا إليكترونيًا إلى مؤلفي المدونات الذين أشاروا إلى المعلومة الخاطئة وأخبرهم بردك. وإذا كانت مسألة رأي وليس إحدى الحقائق، كن حكيمًا في ردودك.

9- اشكر الأشخاص الذين يعلمونك أمورًا جديدة. وجه لهم التهنئة علنًا حينما يطرحون اقتراحًا عظيمًا، وافعل ذلك مرةً ثانيةً عندما تنفذه عمليًا. وعندما يكتشف أحد خطأك لا تتخذ موقف المدافع عن نفسك. أخبر العالم – والشخص الذي أخبرك – إلى أي مدى أنت تقدر المساعدة.

10- مارس التجريب باستمرار لأن المخاطرة جزء من النمو. إن هذا وسيط جديد نتعلمه جميعًا. وكما يقول إيثر دايسون Esther Dyson «ارتكب دائمًا أخطاءً جديدة».

الفصل الخامس

رضا المحكومين

في 17 فبراير 2004، فاز بن تشاندلر Ben Chandler في انتخابات خاصة في الكونجرس الأمريكي. كان مرشحًا للحزب الديمقراطي في سباق استماتت فيه الحزبان الرئيسيان للفوز بمقعد في مجلس النواب وأحرز فيه تشاندلر نصرًا ساحقًا بفارق 11 نقطة مئوية.

وانتابت ماركوس مولتساس زونيجا Markos Moulitsas Zuniga حالة من النشوة، فكتب يقول في وقت متأخر من مساء تلك الليلة التي أعلنت فيها النتائج: «لم يكن ذلك مجرد نصر بل كان ضربة بمطرقة ثقيلة. وقد ساهمنا جميعًا في إحرازه. من الأموال إلى المتطوعين في الميدان».

وكان لدى موليتساس سبب للاحتفال. فالناشط / مؤلف المدونات الكاليفورني والديمقراطي العتيد، الذي أصبحت مدونته أحد المواقع الواجب قراءتها للاطلاع على الشئون السياسية، لم يكن يصفق احتفالاً بالضعف الذي أصاب الأغلبية الجمهورية في مجلس النواب، بل كان يحتفي بالدور الذي لعبته مدونته ومدونات أخرى في فوز تشاندلر. لقد فعلت المدونات أكثر مما فعلت الهتافات. كانت وسائط لتوفير «لبن الأم للسياسة» – ويقصد به المال.

في الشهر السابق كانت حملة تشاندلر قد راهنت رهانًا اتضح أنه ذكي بصورة مثيرة للدهشة. فقد نشرت إعلانًا على Daily Kos[120] و 10 مدونات شعبية أخرى كان لمعظمها موقف له ميول يسارية. وتحول استثمار بمبلغ ألفي دولار في استخدام وكالة

الإعلانات الإليكترونية الوليدة آنذاك Blogads[121]، إلى مساهمات بمبلغ 80 ألف دولار معظمها بمبالغ صغيرة (حوالي 20 دولارًا) من كافة أرجاء الأمة. وانتابت تشاندلر حالة من «عدم تصديق» الاهتمام الشديد الذي أبدته أعداد كبيرة من المواطنين من خارج المقاطعة، وذلك وفقًا لما قاله مدير حملته الانتخابية لصحيفة وايرد نيوز في اليوم التالي[122].

لقد سُمعت أصوات آتية من حواف النظام السياسي – أناس عاديون تشغلهم هموم الحياة الواقعية وليس طبقة الأغنياء فحسب.

وسينظر المؤرخون من جديد لدورة انتخابات 2002-2004 على أنها الوقت الذي أصبحت فيه تكنولوجيات صناعة الأخبار كيانًا عظيم الشأن. ففي أثناء هذه الفترة احتفظت قوى المركزية والإعلام الكبير بدور مسيطر بلا ريب. ولم تنتخب المدونات وأدوات الاتصال الأخرى المماثلة أحدًا بنفسها. وأظهر الانفجار الداخلي لحملة هوارد دين الرئاسية حدود قدراتها. وكما اتضح من حالة تشاندلر فإن الفوز في الانتخابات يتطلب وجود التوليفة المناسبة من الظروف والمرشح.

ولكن على الرغم من رفض طبقة النقاد لظاهرة دين وبالتالي قيمة الإنترنت، إلا أنه بات واضحًا بصورة متزايدة أن الرمال السياسية آخذة في التحرك.

ومثلما تعطي أدوات الصحافة الناشئة منشآت الأعمال طرقًا جديدة للتنظيم والتسويق، فهي تساعدها أيضًا على تحويل الحياة السياسية إلى حلقة تغذية مرتدة إيجابية بين القادة والمحكومين. وبرغم أن حملة دين انفجرت داخليًا، إلا أنها اختطت طريقًا جديدًا وأصبحت قالبًا ونموذجًا للآخرين. وبرغم أن الحكومات لا تبذل جهدًا كافيًا للاستفادة من التكنولوجيا من أجل خدمة ناخبيها، إلا أنها ستدرك حتمًا القيمة الكامنة في القيام بذلك – لأسباب مالية إن لم يكن لأي سبب آخر.

ويتعلق هذا التطور أيضًا بتعزيز المواطنة. فقد بدأ الشكل الناشئ للسياسة المتجهة من أسفل إلى أعلى يعيد النشاط المدني من جديد إلى ثقافة يأست طويلًا من السياسة

بسبب تحولها إلى لعبة شرسة للأثرياء وأصحاب النفوذ. وتكنولوجيات صنع الأخبار متاحة للمواطن والسياسي على حد سواء، وربما تكون وسيلة لإنقاذ شيء يمكن أن نخسره بدونها، ألا وهو نظام يعني فيه رضا المحكومين ما هو أكثر من الإدلاء بالأصوات الانتخابية ببساطة.

ممارسة الأعمال كالمعتاد

برغم القيمة الواضحة للسياسة المعتمدة على استخدام الإنترنت، إلا أنها لن تغير الوضع القائم بين عشية وضحاها. لقد أصبح رضا المحكومين نكتة تدعو للسأم في الجزء الأخير من القرن العشرين عندما تحولت مقولة «شخص واحد، صوت واحد» إلى «دولار واحد، صوت واحد» وحيث أُنفقت الدولارات على التليفزيون لجذب الجماهير بإعلانات هجومية تخلو من الحقيقة بصورة متزايدة. وفي ضوء جميع الأدلة، برهن موسم حملة 2004 على أن المال والإعلام لا يزالان يحتفظان بالسلطان والقوة بدرجة كبيرة.

كان المعروض (أ) هو سلسلة الإعلانات الهجومية التي ساعدت في هزيمة هوارد دين في الجولة الأولى من الانتخابات في المؤتمر الحزبي الذي عقد في أيوا. وحتى دين الذي استخدم الإنترنت ببراعة لجمع تبرعات بمبالغ صغيرة في معظمها بأقل من 100 دولار، غير اتجاهه واستخدم معظم هذه الأموال في شراء إعلانات تليفزيونية. وفي عالم إعلامي لايزال التليفزيون يتمتع فيه بقوة عظيمة وفي موسم حملات كان للديمقراطيين القدرة فيه على جعل الفائز في أيوا و/ أو نيو هامبشاير قوة لا يمكن إيقافها فعليًا، فعل دين الشيء العقلاني الوحيد.

وكان المعروض (ب) هو فوز أرنولد شوارزنيجر Arnold Schwarznegger في حملة انتخاب حاكم كاليفورنيا بعد أن أطيح بحاكمها جراي ديفيس Gray Davis من منصبه في انتخابات الإعادة في أكتوبر 2003. لم يكن لانتصار الممثل أي علاقة بالنشاط الشعبي

بل ارتبط ارتباطًا وثيقًا بدعاية هوليودية الأسلوب قام بها مرشح تصادف أنه أحد نجوم الشباك في السينما الأمريكية. لقد تمتع شوارزنيجر بالفعل بجاذبية شعبية وجماهيرية وبدأت حملة الاقتراع إليكترونيًا ولكن في النهاية اختاره ناخبون لم يهتموا - للأسف ولكن هذا هو الحال في أمريكا الحديثة - بقلة خبرة ومؤهلات المرشح ولم يبالوا برفضه إعطاء أي تفاصيل محددة عما ينوي أن يفعله في حالة انتخابه. وعمد شوارزنيجر للاختباء من الصحفيين الجادين، مفضلًا الظهور بدلًا من ذلك في برامج جاي لينو Jay Leno وأوبرا وينفري Oprah Winfrey وسخر من مراسلي الصحف الذين حاولوا تناول تفاصيل قضايا فعلية.

وكان المعروض (ج): هو حملة إعادة انتخاب جورج دبليو بوش George W. Bush التي كانت نسخة أكثر بروزًا ووضوحًا لشأن الأموال الكبيرة المتجه من أعلى إلى أسفل منذ أربع سنوات مضت برغم أن مستشاريه استخدموا الإنترنت بدرجة ما. وقد جمع بوش عدة مئات من ملايين الدولارات، جاء معظمها من النخبة الغنية التي أوصلته إلى سدة الحكم أصلًا.

وقد كانت الرسالة المستخلصة من هذه الأمثلة واضحة: لم يكن الأمريكيون ككل يشترون سياسة الحواف (أو الأطراف) edge politics، ليس بعد على الأقل. وبما أن سياسة أواخر القرن العشرين، وهي فترة زمنية كان اختيارنا لزعمائنا السياسيين فيها يزيد قليلًا عن كونه برنامجًا تليفزيونيًا لم يكن الناخبون فيه أكثر من مستهلكين، كانت لاتزال تقف على دعائم قوية.

ما هو جديد قديم

إن استخدام التكنولوجيات الإليكترونية في التنظيم السياسي جديد بالكاد. ففي أوائل الثمانينيات استخدم اليمين المتطرف لوحات النشرات للبقاء على اتصال بالناس ونشر رسالته.

وكان لترشيح روس بيرو Ross Perot نفسه لمنصب الرئيس كمستقل ملمحًا واحدًا ملحوظًا قليلًا ولكنه مهم. فقد اقترح إنشاء «دور إليكترونية للبلديات»، وهو مفهوم يبدو أنه نبع من تأسيسه وإدارته شركة نظم البيانات الإليكترونية Electronic Data Systems. ولم تنجح الفكرة كثيرًا لعدة أسباب منها فهم بيرو للتكنولوجيا الذي يعود إلى حقبة الحاسبات الآلية العملاقة أو الرئيسية (Mainframe)، فقد فهم الرقابة المركزية وليس النشاط الشعبي(أو القاعدي) الحقيقي. وقد تساءل بيتر هارتر Peter Harter وهو مدير تنفيذي سابق في نيتسكيب Netscape كتب أطروحة في كلية الحقوق عن الموضوع في 1993 قائلًا: «لو أن بيرو استخدم التكنولوجيا المنتشرة اليوم وقاعدة من المؤيدين المثقفين، هل كان سينجح؟ ربما كلا لأنه انتزع القوة والسلطة من متطوعيه». ومع ذلك فقد دلَّ بيرو الحملات التالية على الطريق.

وقد ساعد الناس عند أطراف الشبكة – باستخدام الهواتف المحمولة وليس الحاسبات الشخصية – في إسقاط حكومة فلبينية فاسدة في 2001، وفي كتاب «الدهماء الأذكياء»[173]. كتب هوارد رينجولد يقول: التقى عشرات الآلاف في جادة ايفانيو دي لوس سانتاس المعروفة باسم «إدسا» في غضون ساعة من تداول سلسلة الرسائل النصية الأولى: «اذهبوا إلى إدسا متشحين بالسواد». وعلى مدى أربعة أيام احتشد أكثر من مليون مواطن معظمهم متشح بالوساد. وسقط استرادا Estrada. لقد ولدت أسطورة «Generation Txt».

وفي 2000، شهدت أمريكا أول استخدام جاد للإنترنت كأداة لجمع الأموال. فقد جمع مرشح الرئاسة المتحدي الجمهوري جون ماكين John McCain مبلغًا غير مسبوق قدره 6.4 مليون دولار عبر الإنترنت خلال حملته ضد جورج بوش. ولقد خسر ماكين لكن دروس جهده استفاد منها المنافسون الذين جاءوا بعده. إذ أصبح جمع التبرعات عن طريق الإنترنت سهمًا إضافيًا في الجعبة السياسية.

كانت انتخابات 2002 هي أول انتخابات تشهد استخدامًا جادًا للمدونات. ففي

ذلك العام قررت تارا سو جراب Tara Sue Grabb المقيمة بمقاطعة الكونجرس السادسة في كارولينا الشمالية تحدي هوارد كوبل الجمهوري Howard Coble الذي لم يقف في وجهه خصم جاد منذ سنوات. وكان من بين أهم قضاياها رضوخ كوبل الخانع لرغبات استوديوهات هوليوود السينمائية فيما يتعلق بقضية حماية حقوق النشر والتأليف. لم تكن تملك المال ولا الشهرة ولكن كان لديها شغف وحماس زوار المواقع الإليكترونية (Netizens) الذين كانوا يناضلون من أجل إيجاد قوانين حقوق نشر وتأليف أكثر عدلًا.

لم تعثر جراب على هؤلاء الزوار (Netizens) بل هم الذين عثروا عليها عبر المدونات الإليكترونية والبريد الإليكتروني. وشرعوا جميعًا في العمل. فقام إد كون Ed Cone، وهو كاتب في مجلة فنية وكاتب عمود بدوام جزئي في صحيفة نيوز آند ريكورد وهي صحيفة رئيسية في كارولينا الشمالية، بتعريف جراب بمطور البرمجيات ديف واينر الذي ساعدها بدوره على إنشاء مدونة. ولفت موقعه جراب انتباه المدونات ووسائل الإعلام الأخرى ومنها عمودي. ووصلت أخبار حملتها إلى موقع Slashdot فأقبل الآلاف على زيارة مدونتها، وحصلت على بعض المال من أجل صندوق حملتها. وبحلول نهاية الحملة، نقلت الصحيفة عنها أقوالًا وتصريحات واضطر كوبل لتفسير إخلاصه لصناعة السينما.

كان الأمر سيكون عدالة شاعرية لو كانت المدونات والجهد الذي بذلته جراب قد حققا لها النصر ولكن الواقع كان مختلفًا كل الاختلاف، فقد حقق كوبل فوزًا كاسحًا وإن كان قد اضطر لمواجهة بعض الصعاب لأول مرة منذ سنوات. وكان أهم شيء في ترشُّح جراب هو الطريقة التي حدث بها من خلال تلاحم صغير ولكن هام مع الإنترنت.

انتخاب رئيس

يوجد توافق في الرأي واسع النطاق على أن الاستخدام الذكي للإنترنت كان سببًا رئيسيًا وراء انتخاب روه مو هون Roh Moo Hyun رئيسًا لكوريا الجنوبية في 2002. فقد

حظي روه الذي رشح نفسه كمصلح بدعم الشباب الذين استخدموا ببراعة أدوات مثل الرسائل النصية القصيرة (SMS)، على الهواتف المحمولة والمنتديات الإليكترونية وكل تكنولوجيا الاتصالات الأخرى المتاحة في البلاد وتعتبر على نطاق واسع أنها تمتلك أفضل بنية تحتية للاتصالات على سطح الكوكب.

وجذب روه أيضًا اهتمام مطبوعة إليكترونية لم تكن حتى موجودة عند انتخاب الرئيس السابق. وكانت OhmyNews.com وهي صحيفة إليكترونية يكتبها قراؤها في الغالب، قد اكتسبت قاعدة قوية من القراء بسبب تقاريرها الصحفية الجريئة المتشككة في بلد كانت الصحف الرئيسية الثلاث فيه - وجميعها محافظة وتشكل نحو 80٪ من إجمالي التوزيع اليومي - على صلة بالحكومة ونادرًا ما حركت المياه الراكدة. ويتفق المراقبون السياسيون الكوريون على أن صحافة OhmyNews ساعدت في انتخاب روه. ولم تكن مصادفة على الإطلاق أن روه وافق على إجراء أول حوار صحفي له بعد انتخابه مع المطبوعة، رافضًا بازدراء الصحف المحافظة الثلاث. (سوف نتناول -Ohmy News بقدر أكبر من التفصيل في الفصل السادس).

وفي 2004، اتهمت الهيئة التشريعية روه بالتقصير. لكن مواطني كوريا الإليكترونيين قالوا كلمتهم مرةً أخرى. وفي انتخابات تشريعية جرت في إبريل، صوت الناخبون بشكل حاسم لصالح حزب متحالف مع روه ولعب ناشطو الإنترنت دورًا هائلًا من جديد.

وبحلول عام 2004، كانت السياسة الأمريكية تقترب من نقطة تحول. فقد كان عددٌ كافٍ من الناس يستخدم الإنترنت وتوافرت لهم لأول مرة أدوات تمكنهم من هز الأوضاع بأنفسهم. وقد كانت حملة هوارد دين هي التي هزت الأوضاع. ولذا فإنها تستحق تخصيص بعض الوقت لفهم كيف حدثت ولماذا حدثت وما الدروس التي يمكننا أن نتعلمها منها.

دين يرد بموقع Meetup والمدونات والمال

قال جو تريبي Joe Trippi إن سياسة البث الإذاعي تقول للناس إنهم غير مهمين. وباعتباره مدير حملة هوارد دين أثناء صعود المرشح وسقوطه، فقد أراد تغيير ذلك.

كانت مؤهلات تريبي فريدة من نوعها، فقد كان شخصًا هادئًا رابط الجأش ومهتمًا بالتكنولوجيا، درس في جامعة سان جوزيه في قلب وادي السليكون وكان قد كون صلات وثيقة بصناعة التكنولوجيا، وانخرط مدة طويلة في العمل السياسي من خلال عمله في كثير من الحملات السياسية على المستوى المحلي ومستوى الولاية والمستوى القومي. (التقيت به أول مرة في أيوا في 1988 عندما كنت أغطي أول سباق رئاسي لريتشارد جيبهاردت Richard Gephardt الجمهوري. وكان هو وقتها نائب مدير حملة جيبهاردت).

وفي النصف الأخير من التسعينيات، عمل تريبي مستشارًا سياسيًا وتسويقيًا معاً، وكان الدور الأخير في شركات التكنولوجيا. كانت شركة تريبي وما كما هون وسكوير Trippi, McMahon & Squier وهي شركة استشارية، قد تولت شئون سباقات دين بوصفه حاكمًا لفيرمنت وبالصدفة أكثر من أي شيء آخر، اسندّ إلى تريبي إدارة ما كان كل شخص تقريبًا يعتقد أنه أطول حملة للمنافسة على الرئاسة.

كان تريبي يستخدم الإنترنت منذ سنوات وأصبح مؤخرًا هاويًا كثير التردد على غرف الدردشة والمنتديات والمحادثات الإليكترونية الأخرى. وكان قد بدأ أيضًا قراءة المدونات السياسية وأثار اهتمامه معرفة مؤلفيها وحماسهم المتقد.

كان صعود دين إلى مثل هذا الدور القومي البارز بعيد الاحتمال، وقد نبع في البداية من سياسته وليس من الإنترنت. ولمس دين وترًا قويًا وحماسًا لدى العديد من جماعات الناشطين، ومنهم أولئك الذين عارضوا سياسة إدارة بوش الخاصة بالحرب على العراق وآخرين تكونت لديهم قناعة بأن المؤسسة الديمقراطية ليست أكثر قليلًا من نسخة باهتة من الحزب الجمهوري، وقد عوض دين أسلوبه الغريب نوعًا ما في

تنظيم الحملة من خلال تقديم فرصة للاختيار إلى (الجناح الديمقراطي في الحزب الديمقراطي) وهي مقولة استعارها من بول ويلستون Paul Wellstone عضو مجلس الشيوخ الديمقراطي الراحل عن مينيسوتا.

جلب موقف المرشح المناهض للحرب والذي انفرد به في البداية عليه الإدانة من اليمين والازدراء من كثيرين في حزبه. ولكنه حفز الناشطين الذين أحسوا باليأس لكونهم محل تجاهل من الحكومة وحتى زعماء الحزب الذي ينتمون إليه. ولأول مرة أصبح لديهم طرق سهلة الاستخدام للعثور على بعضهم البعض والوصول إلى آخرين.

كانت إحدى هذه الطرق هي Meetup[124]، وهو موقع على الويب ساعد الناس على تنظيم اجتماعات في العالم المادي. ولم يكن سكوت هيفرمان Scott Heiferman مؤسس موقع Meetup يتوقع أبدًا أن تكون السياسة إحدى أسواق الخدمة فقد تخيل أنه طريقة يتجمع بها الناس ليناقشوا أمورًا مثل أشغال التريكو والقضايا الطبية أو موضوعات أخرى، يتحسن من خلالها التواصل في العالم الواقعي من خلالها التجربة الإليكترونية. ولكن مثل أشياء أخرى كثيرة جدًا في عالمنا الجديد كان لدى الناس عند أطراف الشبكة أفكار خاصة بهم تصرفوا على أساسها. وبدأ استخدام دين لموقع Meetup على نطاق محدود ولكنه نما بسرعة بمساعدة مؤلفي المدونات المؤيدين لدين الذين أعلموا الناس بالاجتماعات المحلية.

كان تريبي ورئيسه في العمل يراقبان ما يجري ببعض الإعجاب، ولكنهما لم يكونا متأكدين من نتيجة هذا العمل. قطعًا كان الأمر سيكون عظيمًا لو منح مزيد من مؤلفي المدونات تأييدهم وولد عقد المزيد من الاجتماعات عبر موقع Meetup الحماسة والإثارة. ولكنهما لم يستوعبا تمامًا مدى سرعة انطلاق القاعدة الشعبية نحو السماء. وجاءت نقطة التحول في 15 مارس 2003 حينما استخدم أنصار دين في مدينة نيويورك موقع Meetup لإنجاح ما كانت الحملة تتوقع أن يكون اجتماعًا انتخابيًا روتينيًا وصغيرًا نسبياً. ووفقًا لروايات عديدة، فقد استفاد دين من قوة الإنترنت في ذلك اليوم[125].

إن صعود دين ما كان يمكن ليحدث لولا ثلاثة عوامل مستقلة عززت بعضها بشكل متبادل وغذت حماس القاعدة الشعبية.

كان العامل الأول هو مرشح حفز الناس وشحذ طاقتهم. ثانياً: أصبحت الإنترنت ناضجة بدرجة كافية ولها وجود كاف في منازل الناس وأماكن عملهم بحيث تحولت إلى أداة يستخدمها الناس بسهولة. ولعل النقطة الأكثر أهمية، وفقًا لترببي، هي (فهم كيفية عدم قتلها) - أي فعالية ناشطي القاعدة الشعبية وإدراك ضرورة عدم فرض نظام القيادة والرقابة التقليدي الذي أديرت به الحملات مدة زمنية طويلة جدًا، في البداية على الأقل.

كان هناك مع ذلك تسلسل هرمي تقليدي للحملة في مركز المقر الرئيسي القومي للدين في برلنجتون، ولكن البصيرة العميقة في الترابط الشبكي للحملة - التي أثارت مخاطر ضخمة إلى جانب ما خلقته من فرص - كانت على ثقة من أن الناس الموجودين عند الأطراف سيصبحون هم الحملة بالمعنى الحرفي تقريبًا أيضًا. وتساءل ترببي في منتصف الصيف: «ما الذي يجري في أوستن؟ ليس لدينا أي فكرة. إننا نساعد فحسب».

قام ترببي بتجميع موظفين أذكياء ومتفانين من أجل الحملة، منهم نيكو ميل Nicco Mele الذي كان يعمل في مجال التكنولوجيا لحساب العديد من المجموعات التقدمية في واشنطن. وانتقل كارل فريش Karl Frisch من كاليفورنيا إلى الموقع الإليكتروني للحزب الديمقراطي في الولاية بعد تطويره والذي كان بلا حياة فيما مضى. وبدأت زيفر تيشوت Zephyr Teachout وهي محامية وناشطة لها جذور عميقة في فيرمونت كمديرة ميدانية وكان عليها أن تتعلم لغة ترميز النص الفائق الأساسية عندما انتقلت إلى وظيفة العمل على الإنترنت، وسرعان ما ارتاحت للتحدث مع مبرمجي الكمبيوتر عن متطلبات النظم.

وفي أوائل 2003 كان ماثيو جروس Mathew Gross وهو خريج دراسات بيئية

ومؤلف في يوتاه يساهم في مدونة شعبية مؤيدة للحزب الديمقراطي (ومؤيدة لدين بدرجة كبيرة) تسمى MyDD.com عندما قرر أنه يريد إنشاء مدونة خاصة بالحملة نفسها. فذهب إلى فيرمونت حيث توجه إلى مكتب تريبي ليتحدث إليه ولكنه تلعثم وهو يشرح أهدافه، وكان على وشك أن يطرد عندما أخبر تريبي بأنه يكتب في مدونة MyDD وعندها صاح تريبي قائلاً:

«لقد قبلت تعيينك... احضر ما لديك وعد إلى هنا».

وأصبحت مدونة حملة جروس نموذجًا يتعلم منه الآخرون[130]، إذ كانت جريئة وزاخرة بالمعلومات عن الحملة بالإضافة إلى احتوائها على مناشدات بتقديم الدعم. وكانت توجد وصلة بينها وبين المدونات الأخرى المؤيدة لدين. وكان من بين الخطوات الذكية بصفة خاصة تشجيع مؤيدي دين على كتابة تعليقاتهم في نهاية مواد المدونة. فالتعليقات على المدونات غالبًا ما تجتذب أشخاصًا يكون غرضهم التشويش على منتدى إليكتروني ما وليس جعله أفضل. ومع ذلك فقد مالت التعليقات على مدونة دين والتي بلغ عددها أكثر من 2000 في اليوم الواحد بحلول أوائل أكتوبر للبقاء مدنية التوجه راجحة العقلية لقد تكون مجتمع حقيقي، انتبه فيه الناس لبعضهم البعض. فهل كان – كما اتهمه النقاد فيما بعد – غرفة تتردى فيها الأصداء؟ إلى حد ما نعم وربما يكون ذلك ما حد من قدرته على الامتداد والوصول للآخرين. لكن المنتدى المعزز لذاته ساعد في انطلاق الحملة في المقام الأول.

وثمة نقد أكثر مشروعية لجهد دين على الإنترنت وهو أنها لم يجذب على ما يبدو الكثير من المساعدة المتعلقة بالسياسة من القاعدة الشعبية. ربما كان ذلك حتمي الحدوث فبرغم كل شيء يفترض بالمرشحين قبل كل شيء أن يتخذوا مواقف ثم يقوم الناخبون بعد ذلك باتخاذ قرارات بشأن من يؤيدون. لكن المحادثة الحقيقية بين المرشح وجمهوره يفترض أن يتعلم فيها المرشح بشكل حقيقي وصادق من الناس، ولم تكن تلك العملية بارزة في مشروع دين.

تعرضت مدونة حملة دين للنقد أيضًا لعدم عكسها الأفكار الخاصة بدين باستثناء المرات النادرة (وغير الكاشفة في معظمها) التي كتب فيها المرشح شيئًا عليها وفي الواقع فإن دين كان سيصبح أكثر حكمة لو قام بالكتابة بنفسه أكثر بغية جعل تفكيره أكثر شفافية، لكن خوض انتخابات الرئاسة عملية تستهلك وقتًا طويلًا، بالتعبير الملطف قد عكست المدونة الحملة التي كانت أكثر صراحة بكثير من معظم الحملات، من خلال الكشف عن هويات الأشخاص الذين أصبحوا وسطاء اتصال حيويين مع الناشطين والقراء الذين أرادوا فهم ظاهرة دين والمشاركة فيها.

لقد انطوت الثقة في منظمي الحملة الخارجيين على المخاطر. فكما قالت صحيفة واشنطن بوست فقد حثت «قوات دين الدفاعية»[127] المنظمة ذاتيًا، المؤيدين على إرسال بريد إليكتروني للصحفيين الذين اعتبرت تغطيتهم غير دقيقة أو تافهة. (الصحفيون الذين غطوا الشركات التي يوجد لها أتباع أو أنصار متحمسين لها بشدة – وهم أشخاص يكتبون تعليقات وآراء بلا انقطاع في المنتديات النقاشية الإليكترونية – يعرفون الروتين، حيث يقوم شخص ما بكتابة تعليق «يقترح» فيه أن يرسل الجميع بريدًا إليكترونيًا إلى الصحفي الذي لا يكون متحمسًا بدرجة كافية للشركة المعنية). أن يتم إخبارك بخطأ ما شيء، ولكن أن يلقي عليك أنصار قضية ما محاضرات شيء آخر، مهما حسنت النوايا، لأنهم في النهاية يلحقون الضرر بحركتهم. وفي هذه الأثناء أرسل مؤيد من تكساس ما اعتبر على نطاق واسع بريدًا إليكترونيًا دعائيًا، فهاجمه حتى زملاؤه المؤيدون لدين وأصدر على الفور اعتذاراً.

البقرة الحلوب واللحاق بالركب

كان للمدونة والموقع الإليكتروني بوجه عام غرض جوهري آخر: جمع الأموال. وقامت حملة دين – من خلال التبرعات الصغيرة في الغالب – بجمع الملايين عبر الإنترنت. وفي إحدى الوقائع الكلاسيكية، حثت مدونة حملة دين – ردًا على حملة جمع

تبرعات نظمها نائب الرئيس ديك تشيني Dick Cheney على أساس 2000 دولار للطبق الواحد من الطعام مؤيديه على الرد على جهد الجمهوريين الذي جمعوا من ورائه عدة ملايين من الدولارات في ليلة واحدة بتقديم تبرعات صغيرة. فقاموا بذلك بالفعل. ونال دين دفعة جديدة من الدعاية الإيجابية بالإضافة إلى الأموال.

وبحلول خريف 2003، كان دين قد حقق تفوقًا ضخمًا في جمع التبرعات وحجم الدعم بين القاعدة الشعبية الديمقراطية. ولكن بعد أن ارتكب بعض الأخطاء الجسيمة وانفجرت حملته داخليًا، قضت الحكمة الشائعة بأن «ذلك الشيء الإنترنت» كان مجرد حدث آخر يشبه بالفقاعة.

وقال المتهكمون إن دين هو مجرد عربة أخرى للويب ويبفان Webvan وكان ينبغي أن يبدو سخف هذا المنطق واضحاً. فلولا الإنترنت ما تمكن حاكم سابق مجهول لفيرمونت أبدًا من بلوغ مثل هذه المكانة الرفيعة أصلاً.

ليس بوسعي أن أشدد على زاوية النقود بقوة كافية. فقد عني قيام الحرب الديمقراطي بتحديد التكاليف والمنافع للترشيح المبكر للرئاسة تصميم زعماء على ترشيح شخص ما مبكرًا وإبقاء الخارجين على سياسة الحزب خارج السباق - إن هناك طريقة واحدة فقط لشخص دخيل مثل دين ليحصل على دعم.

وقد أشار تريبي الذي نال قسطًا وافرًا من اللوم على فشل حملة ترشح دين بعد أن اضطر للانسحاب من الحملة في فبراير 2004 إلى أن فرصة دين الوحيدة كانت الحصول على الترشيح في البداية. وقد نجحت التكتيكات تقريبًا.

يطرح موليتساس Moulitsas الذي يستمد شهرته من مدونة Daily Kos حجة قوية تقول أن قانون إصلاح تمويل الحملات الانتخابية الذي طرحه ماكين - فينجولد في 2002 والذي بدا صفقة سيئة بالنسبة للديمقراطيين، حفز فعليًا جهود حزبه متزايدة الفعالية المتصلة بجمع الأموال عن طريق الإنترنت. فقد تمثلت الطريقة الرئيسية التي اتبعها الديمقراطيون لجمع التبرعات قبل هذا القانون في جمع تبرعات (نقود لينة) Soft

Money كبيرة من المتبرعين الأثرياء وكانت تلك النقود تذهب إلى خزائن الحزب الذي كان يزعم أنها تنفق على وظائف بناء الحزب الأساسية بينما في الحقيقة كانت تنفق في تمويل المرشحين.

ثم جاء قانون ماكين – فينجولد فحظر النقود اللينة، الأمر الذي جعل التبرعات الصغيرة من المواطنين العاديين أهم بكثير مما كانت من قبل – وهي تبرعات تمتع الجمهوريون ببراعة خاصة في الحصول عليها من شبكة قاعدة شعبية أفضل تنظيماً. وعندما امتلأت خزائن دين بالتبرعات الصغيرة، خطر فجأة على ذهن الحزب القومي الديمقراطي «أنه كانت لدينا هذه الآلة العظيمة القادرة على جمع تبرعات صغيرة بالدولارات» وذلك وفقًا لموليتساس.

وبعض الناس في اليسار السياسي مقتنعون في الوقت نفسه بأن الإنترنت ترياق تقدمي للإذاعة الحوارية التي يهيمن عليها الآن الجناح اليميني. هل هذا تفكير يدل على الرغبة؟ رغم كل شيء كانت حملة جورج ماكجفرن George McGovern الرئاسية في 1972 هي الحملة التي استخدمت البريد المباشر بصورة مبكرة وخلاقة، وهذا أسلوب لم ينتج عنه انتخاب ماكجفرن فقط بل تبناه بسرعة الجمهوريون الذين استخدموا هذا الوسيط بشكل أفضل بكثير حتى الآن.

ومع ذلك، قد تكون هناك أسباب تدعو للاعتقاد بأن الإنترنت أكثر ملاءمة للتقدميين. فأولًا: تميل القاعدة الشعبية الجمهورية للالتزام بالخط الأساسي للحزب رغم وجود خلافات في الرأي حول قضايا هامشية. والجمهوريون أيضًا حزب المركزية – فهو على وفاق مع دوائر الأعمال الكبيرة ويسعده أن يستخدم سلطة الحكومة في تنظيم أنواع السلوك الأكثر خصوصية.

ربما يكون افتقار الحزب الديمقراطي للوحدة هو ما وفر إحدى الفرص لسياسة الإنترنت. وأنا استشعر وجود نقاش حقيقي وصادق بدرجة أكبر في مدونات الجناح اليساري منه في مدونات الجناح اليميني – استعداد أكبر للسماح بالتعليقات ضمن

أشياء أخرى، وقد اعترف موليتساس بأن «الجمهوريين لديهم مؤتمر حزبي أكثر تماسكًا ولكننا نخلط القضايا ببعضها».

سياسة المصدر المفتوح

لا يوجد شك لدي في أن حملة 2004 سينظر لها عند استعادة الأحداث الماضية على أنها مهدت السبيل لظهور سياسة المصدر المفتوح. ماذا يعني ذلك؟ تتعلق سياسة المصدر المفتوح open source politics بالمشاركة – المالية وأيضًا في قضايا السياسة والحوكمة – من جانب الأشخاص الموجودين على الحواف. وإذ يعمل الناس في جميع أنحاء العالم في أجزاء صغيرة من مشروعات كبيرة لبرمجيات المصدر المفتوح تنشئ بعض من أهم مكونات الإنترنت وأكثرها جدارة بالاعتماد عليه، ويستطيع الناس في كل مكان العمل على مكونات مستقرة بصورة مماثلة من أجل توفير حياة سياسية قائمة على المشاركة بطرق أكفأ بكثير مما كانت في الماضي[128].

إن حملة دين هي بالكاد المثال الوحيد لاستخدام الناس الإنترنت للقيام بعمل بطرق مبتكرة. ولعل الفكرة الأكثر إثارة للاهتمام -- من منظور المصادر المفتوحة – كانت تجربة MoveOn.Org[129]. فقد تم إنشاء هذه المنظمة غير الهادفة للربح والمنتمية ليسار الوسط أثناء فضيحة كلينتون Clinton وكان شعار «انتقد الرئيس وأمضي قدمًا» هو الشعار الذي رفعته واحدة من أقوى المنظمات السياسية المرتبطة بالإنترنت.

كانت التجربة عبارة عن مسابقة تم تنظيمها في ربيع عام 2004 تحت اسم «بوش في 30 ثانية»[130] دعت فيها منظمة MoveOn الناس العاديين لإعداد إعلانات تجارية مناهضة لبوش خاصة بهم. ولم تعكس الأعمال الـ 15 التي وصلت إلى التصفيات النهائية بشكل لا يصدق مشاعر الناشطين فحسب، بل عكست أيضًا قدرة معدات وبرمجيات اليوم زهيدة التكلفة على إنتاج لقطات فيديو. لقد كانت المسابقة عرضًا عمليًا للكيفية التي بدأت بها التكنولوجيا الشخصية تقوض – حسبما تنبأ مارشال

ماكلوهان منذ زمن طويل – الثقافة الإذاعية في أواخر القرن العشرين. وباتت الأدوات التي كانت يومًا ما حكرًا على الإعلام الكبير الآن في أيدي الكثيرين.

أخبرني ويس بويد Wes Boyd الشريك المؤسس لمنظمة MoveOn أنه وزملاؤه انبهروا بشكل عميق بالشغف والحماس والإبداع الذي تجلى في الأعمال التي قدمت لمسابقة «بوش في 30 ثانية» وأيضًا بمستوى تنفيذها الفني. وسواء وجد المرء الإعلانات مقبولة أو بشعة، فقد جاءت المقارنة بينها وبين فقرات الإعلانات المعدة من قبل المناصرين في صالحها، على الأقل من حيث التأثير.

كانت سياسة المصدر المفتوح جزءًا لا يتجزأ من حملة دين التي اعتمدت على مبرمجي المصدر المفتوح الذين أيدوا القضية وكتبوا برمجيات شغلت آلة الحملة الإليكترونية. وبعد انتهاء حملة دين انتقل بعض المبرمجين إلى حملات أخرى وقرر البعض العمل على منصات جديدة في المستقبل.

ساهم أعضاء جماعة اسمها Hack4Dean غيرت اسمها فيما بعد إلى DeanSpace[131] بأدوات شملت برمجيات ترابط شبكي اجتماعي مصممة لربط المتطوعين. ولا يزال عملهم القائم على مشروع مصدر مفتوح اسمه Drupal مستمراً. وقد حصل زاك روسن Zack Rosen وهو أحد المبرمجين، فيما بعد على تمويل من رأس المال المخاطر من شركة في كاليفورنيا كانت تبحث عن استثمارات للصالح العام. وسوف يقوم بالاشتراك مع فريقه ببناء «مجموعة أدوات للبرمجيات الجماعية تتضمن إدارة المحتوى والقوائم البريدية والمنتديات وإنشاء المدونات وأدوات أخرى كثيرة. وقد كان الهدف في البداية هو إنشاء نظير لـ Yahoo! Groups، وهي الخدمة الإليكترونية التي تسمح لغير المنتمين لمجال التكنولوجيا بإنشاء قوائم بريدية، ولكن وظائفه تستهدف الحملات السياسية حصرياً. وعلى المدى الطويل كانت الأهداف أكثر طموحًا بكثير:

إنشاء مؤسسة دائمة قادرة على قيادة مشروعات تطوير البرمجيات الاجتماعية من أجل المنظمات التي لا تعمل بهدف الربح. وما لم تكن هناك منظمة ملتزمة بتوظيف

مهندسين متفرغين (بدوام كامل) للقيام بتطوير الويب، سيكون الحل الوحيد والأكثر شيوعًا هو دفع مبالغ طائلة لشركات مقابل توفير منتجات تطبيقات ويب (شبيهة بالصندوق الأسود). وتواجه هذه الشركات تعارضًا في المصالح – فهي تعيش على الشيكات الشهرية ولذا فلها مصلحة ضخمة في امتلاك بيانات المنظمة وحبسها داخل خدماتها.

إننا نريد إيجاد خيار أرخص وأكثر انفتاحًا أمام هذه الأنواع من الخدمات. ويتمثل الهدف في امتلاك ورشة تطوير بدوام كامل تقود المشروعات داخل المجتمعات مفتوحة المصادر وتعمل على التطبيقات التي تحتاج لها هذه المنظمات، وشركة استشارية قادرة على دعم مجموعات الأدوات. وهذه طريقة أكثر كفاءة وإنتاجية بكثير للقيام بهذا النوع من التطوير.

إليكم تنبؤ آمن: ستكون الحملات المعتمدة على الإنترنت هي القاعدة بحلول عام 2008 وسوف يقود مرشحو المستويات الأدنى الموجة التالية للابتكار. لقد كانت حملة تشاندلر في كنتاكي مجرد البداية.

وإذا كان عام 2004 تربة خصبة لإخراج ما هو آت، فمن الواضح أن الإنترنت ستكون جزءًا لا يتجزأ من كل حملة، وليست مجرد إضافة. فعلى سبيل المثال، سيكون لكل مرشح – أو حملة على الأقل – مدونة أو شيء شبيه بها، وسوف يكون اطلاع المؤيدين على المستجدات أولًا بأول وإشراكهم في أنشطة الحملة جزءًا من النظام الروتيني شأنه في ذلك شأن اطلاع الإعلام على مجريات الأمور بصورة مستمرة. وفي معظم الحالات، سيكون هناك اختلاف ضئيل، وسوف تكون المواقع الإليكترونية للحملات أكثر تفاعلية مما هي اليوم وسوف تستضيف مناقشات حقيقية بدلًا من المحاضرات الزائفة التي اعتدنا عليها. وسوف تقدم جميع حملات المرشحين الجدد وبعض حملات المرشحين الشاغلين للمناصب المتنافس عليها بجمع معظم أموالها إليكترونياً.

وإذا كان مديرو الحملات أذكياء بصفة خاصة، فسيأخذون صفحة من الكتاب

الدرامي الخاص بـ MoveOn. ولو قدر لي أن أدير حملة سياسية أيًا كان حجمها، فسوف أطلب من مؤيدي مرشحي إرسال أفضل أفكارهم وإعلاناتهم المعدة منزلياً.

ستحسن الحملات أيضًا آليات الإدلاء بالأصوات الانتخابية. فعلى سبيل المثال: ستكون حزمة الرسائل النصية ضمن حقيبة أدوات المسئولين السياسيين المحليين الراغبين في التأكد من ذهاب مؤيدي المرشح إلى صناديق الاقتراع، وتذكير الناخبين من خلال الرسائل النصية القصيرة للتأكد من أنهم يتذكرون موعد التصويت، وإرسال سيارة إذا احتاج ناخب إلى وسيلة تنقله إلى مركز الاقتراع. إن هذه تكتيكات معتادة ومألوفة، وتم تحديثها فحسب.

دور متغير للصحفيين

لقد بدأ الصحفيون المحترفون قاطبة متحيرين مبكرًا من سياسة الانتقال من الحافة إلى المنتصف edge-to-middle التي استخدمها دين لمصلحته. وربما يكون الهيكل الهرمي المتجه من أعلى إلى أسفل للصحافة الحديثة، قد لعب دورًا لأن المحررين ربما لم يستطيعوا استيعاب والتكيف مع فكرة الحملة المشتتة بشكل أفضل من استيعابهم وتكيفهم مع فكرة قيام القراء بالمساعدة مباشرةً في إنشاء الصحافة.

ولكن ما أن استوعب الإعلام ما كان يحدث، حتى ظهرت التغطية. كما بدأ الإعلام الكبير والمرشحون يدركون أن بعض أفضل الصحافة السياسية جاء من خارج صفوفهم. وقدمت مدونة جوش مارشال (Talking Points Memo) ومدونة موليتساس (Daily Kos) – ضمن مدونات أخرى كثيرة – سياقًا أفضل من أي شيء كانت تقدمه الخدمات السلكية تقريبًا. ولم يكن من قبيل المصادفة أن ويسلي كلارك Wesley Clark أجرى مقابلة متعمقة مع مارشال قبل قفزه إلى داخل السباق بفترة ليست طويلة. وكانت مدونة Command Post[132] التي تم إنشاؤها أصلًا لتغطية الحرب في العراق أداة جامعة ممتازة لكل ما هو سياسي.

إن ما أظهرت مواقع الأطراف الثالثة كالمدونات المستقلة هو قيمة الصحافة المعنية بشريحة صغيرة من القضايا Niche Journalism في السياسة، فقضايا عصرنا شديدة التعقيد والتشعب بدرجة لا تستطيع معها وسائل الإعلام الرئيسية أن تغطيها كما ينبغي في ضوء الواقع الاقتصادي للصحافة المؤسسية الحديثة. ومن الناحية النموذجية، تخصص حتى الصحف الجيدة قصتين أو ثلاث على الأكثر لعرض وجهات نظر المرشحين حول قضايا محددة. وتميل أقسام الأخبار التليفزيونية، لاسيما في المحطات المحلية، لتجاهل القضايا والسياسة بشكل صريح[133]. وعلاوة على ذلك، يوجد ببساطة عدد كبير جدًا من السباقات السياسية من المستويات المحلية إلى القومية بحيث لا يمكن تغطيته حتى لو كانت محطات الأخبار التليفزيونية مهتمة بها. وهذه فرصة ذهبية للناشطين من المواطنين للانخراط في العملية والمساعدة في اطلاع الآخرين المهتمين فعلًا بموضوعات محددة. ربما لا تهتم الجماهير بكل القضايا لكن الأفراد يهتمون ببعضها. فقد كتب جوي إيتو Joi Ito وهو رجل أعمال ومؤلف مدونة – يقول في مقال بعنوان «الديمقراطية الصاعدة» «إن الإعلام المتناغم في مجموعه وتمثيله المبسط بصورة متزايدة للعالم، لا يستطيع أن يوفر المنافسة بين الأفكار الضرورية للوصول إلى توافق الرأي»[134].

ما الذي يمكن أن يحدث فرقًا؟ يعتمد الأمر على ما تريده. لقد كتب كاميرون باريت Cameron Barrett الذي كان مؤلف مدونة الحملة الرئاسية لويسلي كلارك ثم انتقل إلى حملة كيري، معلقًا في مدونتي «إذا كان هدفك هو النقاش، فإن شبكة من المدونات تكون وسيطًا أقوى من مدونة واحدة لها قراء كثيرون، أما إذا كان هدفك هو رسالة أو اتصالًا من أعلى إلى أسفل فإن بضع مدونات لها قراء كثيرون تكون أقوى»[135].

إننا في حاجة إلى الاثنين معًا فسوف يسعدني أن أرى مليونًا من المدونات تظهر وتزدهر لتغطي وتكون جزءًا من الحملات بجميع أنواعها. فإذا كنت تهتم اهتمامًا عميقًا بالرعاية الصحية – مثلًا – أنشئ مدونة تغطي وجهات نظر المرشحين حول هذا

الموضوع. أشر إلى الأوراق المتصلة بمواقفهم على صفحة تسمح لقرائك بدراسة تلك المواقف. ثم أشر إلى مقالات إخبارية (أ) تحتوي على تصريحات المرشحين (ب) توفر سياقًا للموضوع و (ج) يمكن أن تساعد قارئك على فهم القضية الكلية بصورة أفضل. افتح القسم الخاص بالتعليقات في مدونتك أمام القراء والعاملين في الحملات معًا ورحب بالمناقشة التي تنقل معلومات أفضل لكل من له علاقة بالحملة. وسوف تكون عندئذ قد أديت خدمة جليلة.

استنسخ ذلك النموذج وطبقه على كل قضية في كل سباق. وإذا انضم عدد كاف من الناس إلى العملية، ستجد طوفانًا من المعلومات القيمة. ما من شك أن بعضها سيكون متحيزًا أو خاطئًا تماماً. وهنا يمكن أن تساعد منظمات الإعلام الكبير. فنحن الإعلاميون نستطيع جمع أفضل تغطية بديلة للقضايا ونشرها على مواقعنا. وبوسعنا إعداد قائمة بالمدونات حسب الفئة وعند الضرورة حسب تحيز المؤلف. وعندما نعلم أن مدونة أو موقعًا معينًا يحاول تضليل الناس، يمكننا الإشارة إلى التحيز أو الاكتفاء بحذفه من قائمتنا. وينبغي علينا بالطبع أن نطلب مساعدة جمهورنا في كل هذا. وبطبيعة الحال لن نكون وحدنا من يحاول تقديم هذا النوع من الموارد المجمعة، ولكن ربما كنا نتمتع بمصداقية كافية تجعل تجميعنا من بين الأكثر فائدة.

من بين أفضل الأمثلة لما ذكرته توًا مشروع iCan الجديد الطموح التابع لهيئة الإذاعة البريطانية الذي يهدف لتحقيق التلاحم بين نشاط المواطنين والصحافة. فرغبة في مساعدة المواطنين العاديين على أن يكونوا ناشطين، قامت هيئة الإذاعة البريطانية بإنشاء منصة معتمدة على الويب تجمع البيانات عن القضايا المختلفة والأدوات التي يستطيع المواطنون استخدامها لطرح جداول أعمالهم في المجال العام. ثم تقوم الصحافة بمراقبة ما يفعله الناس العاديون ويركز بعض تغطيتها على ما يعد الناشطون تقارير عنه، وسوف أتحدث عن هذا المشروع الرائد في الفصل السادس.

أدوات الحكومة الأفضل

لا تتوقف السياسة عندما تحسم الانتخابات. فالحكم مسألة سياسية بحكم التعريف. وسوف تحول أدوات الاتصال بين الكثرة والكثرة، الحكم إذا تعاون السياسيون والبيروقراطيون وقادوا، ولا تزال الكيفية التي يحدث بها ذلك خافية بعض الشيء لأن النشر الحقيقي للحكومة الإليكترونية لا تزال أمامه سنوات كثيرة. لكن الإمكانات يمكن أن تكون أكثر وضوحًا حتى منها في الحملات الانتخابية.

وحتى يومنا هذا، تألفت الحكومة الإليكترونية بدرجة كبيرة من صفحات إليكترونية إستاتيكية (ساكنة) تقدم معلومات لدافعي الضرائب ومنشآت الأعمال والدوائر الأخرى المستخدمة للخدمات الحكومية. وتميل التفاعلية في مثل هذه المواقع للاقتصار على ملء استمارة من وقت لآخر أو أخذ موعد. لقد انتقل المنهج المعياري المتجه من أعلى إلى أسفل إلى الإنترنت.

ولكن ليس من الضروري أن يفرز ذلك عن نتيجة دون المستوى الأمثل... ليس إذا تم القيام به بشكل صحيح. وللاطلاع على الأدلة قم بزيارة موقع Earth 911[136] الرائع، وهو موقع قام بإنشائه ناشط بيئي، وأصبح لا غنى عنه للمواطنين والحكومات على حد سواء. ويسميه فيل ويندلي كبير مسئولي المعلومات السابق بولاية يوتاه «شراكة عامة - خاصة حدثت من جانب واحد» - أي بتحريض من مواطن واحد مشحون بدوافع ذاتية.

ذلك المواطن هو كريس وورنر Chris Warner الذي يعمل في هذا المشروع منذ حوالي 15 سنة من حيث يقطن في ضواحي فينيكس. قام وورنر وقد عمل في البداية اعتمادًا على ميزانية متقشفة والآن من خلال مساهمات من الشركات وبعض الدعم الحكومي، جمع هو وفريقه مجموعة شاملة من المعلومات البيئية لن تجد لها مثيلًا في أي مكان آخر تحت سقف افتراضي واحد. وإذا زرت الصفحة الرئيسية للموقع وكتبت الرمز البريدي للمنطقة التي تعيش فيها، ستجد معلومات محلية عن ذلك المجتمع

مستقاة من عدد متنوع من المصادر على المستوى الفيدرالي ومستوى الولايات والمحليات والشركات ويعد موقع Earth 911 دار مقامة تخدم الحكومات والناس في مجتمعاتهم. إذ يرسل آلاف الموظفين الحكوميين العاملين في مجموعة من الوكالات، معلوماتهم إلى Earth 911 الذي يقوم العاملون فيه بمعالجة البيانات ثم ترتيبها لكي يتسنى للمواطنين استخدامها. بعبارة أخرى إن ما قاموا بإنشائه هو قلب شديد المركزية له نظام شديد اللامركزية لجمع البيانات يبدو محليًا تمامًا للمواطن الباحث عن المعلومات.

وقد قام وورنر وفريقه بتكرار النظام في موقع موجه نحو الحيوانات الأليفة اسمه Pets 911[137] (وهل يعقل أن يكون له اسم آخر؟) من خلال جمع كميات ضخمة من البيانات أيضًا ومعالجتها لكي تكون مناسبة محلياً. وبدأت المنظمات الإخبارية في استخدام Pets 911 على مواقعها الإليكترونية، وهذا اتجاه يسعد وورنر بدعمه. كما انتهوا لتوهم من مشروع دعم يسمى «Amber Alert» يستهدف جعل النظام القومي الجديد الخاص بالأطفال المفقودين يعمل بكفاءة أكبر. والإمكانيات تكاد تكون لا نهائية.

قال وورنر عن منصة البرامج مفتوحة المصدر التي قام بإنشائها بالاشتراك مع فريقه «هناك مئات الاستخدامات لهذا الوسيط الذي أنشأناه، ونحن نريد أن يتم انتحال آرائه، فهذا أفضل شيء يمكن أن يحدث».

إن الانتقال من أسفل إلى أعلى، من المواطنين العاديين إلى مراكز القوة والسلطة، أصعب بكثير ولكن ربما يكون مسعى أكثر إشباعاً. وهناك عدة أسباب لذلك، واحد منها فقط واضح: وفورات التكلفة المحتملة من جعل المواطنين يقولون قدرًا أكبر من المهام اليومية. وليس من الضروري أن يشبه ذلك استخدام نظم البريد الصوتي المؤسسية التي يتم فيها تحميل التكاليف على الطالب بافتراض أن وقت الطالب له قيمة كما هو الحال دائمًا). والوقت الموفر من خلال أداء الأشياء إليكترونيًا يمكن بسهولة أن يفوق المتاعب المرتبطة بأداء الأشياء شخصياً، لاسيما بطريقة بيروقراطية.

عندما أجدد تسجيل سيارتي كل سنة، أفعل ذلك من خلال الموقع الإليكتروني لإدارة كاليفورنيا للمركبات. وأنا لا أستطيع طباعة الملصق الصغير الذي يوضع على الملصق القديم الموجود على لوحة الرخصة - وهو أمر مخجل في الحقيقة ولكنه قرار يمكن فهمه في ضوء إمكانية تزوير الملصقات - ولكن يمكنني التعامل مع كل جزء في العملية باستثناء الإرسال الفعلي للملصق والتسجيل الجديد لي، ما الذي أوفره؟ تكلفة الطابع والظرف - هذا أحد الأشياء، لكن القيمة الأكثر أهمية هي أنني لا أقوم بإرسال شيكي بالبريد إلى إدارة المركبات، فأنا أعلم أن المبلغ الذي أدفعه سيصل في الموعد المحدد.

إن ما ينقص موقع إدارة المركبات وكل موقع حكومي آخر أستطيع تسميته، هو أي إحساس بأن موظفًا بيروقراطيًا ما لديه أدنى قدر من الاهتمام بما يعتقده المواطن أو يعرفه. وهنا يمكن أن يكون لأدوات الصحافة المتجه من أسفل إلى أعلى قيمة حقيقية. وأبسط مثال لذلك هو صندوق للمقترحات - صندوق حقيقي ينصت فيه العاملون في الحكومة للمواطنين، ومثلما يحتاج الصحفيون لسماع ما يقوله الجمهور، يمكن للحكومة - وينبغي عليها - أن تتعلم من الناخبين ودافعي الضرائب.

لفترة قصيرة جدًا بعد أحداث 11 سبتمبر ظهر بصيص ضئيل من ذلك بالضبط. على موقع DefenseLink الإليكتروني[138] - الوجه العام للجيش الأمريكي - ظهرت وصلة طلبت من عامة الناس «تقديم أفكارك لمكافحة الإرهاب» ولم يدم طلب الأفكار طويلًا ولكنه كان خطوة ذكية حملت إمكانات عظيمة. وإليك السبب.

إن الجيش وتطبيق القانون كيانان مركزيان بحكم التعريف تقريبًا. ولكنهما يواجهان خصمًا لا مركزي في نوع من القتال معروف بـ «الحرب اللامتماثلة» Asymmetrical Warfare - وفيها يكون أحد الجانبين كبيرًا وقويًا بالمقاييس التقليدية والجانب الآخر صغيرًا ولا مركزي وقادرًا على استغلال التكنولوجيا بطرق رهيبة[139].

هناك اعتراف متنام بقيمة لا مركزية الناس والبيانات في وقت قد تكون فيه

العمليات الكبيرة المركزية أهدافاً. ولكننا في حاجة لإيجاد طرق لتسخير طاقة الأمة الجماعية وقوة عقولها في مواجهة التهديد. ووفقًا لمقولة بيل جوي Bill Joy من شركة صن مايكروسيستمز Sun Microsystems التي لا تنسى، فإن معظم الأشخاص الأشد ذكاءً وألمعية لا يعملون لحساب أي منظمة. إن الاستفادة من قوة كل إنسان هي النهج الأفضل.

تقوم شبكة معلومات أمن الوطن Homeland Security Information Network وهي تحت الإنشاء أثناء تأليف هذا الكتاب - في جانب منها على تكنولوجيا الاتصال بين الأقران Peer-to-Peer، وهي مصممة بهدف تمكين مختلف مستويات الحكومات من الاشتراك في المعلومات بشكل سريع ومأمون، وحسب مقتضيات الظروف عند الضرورة. وأبعد ما يصل إليه النظام هو العاملون في مجال السلامة العامة المحلية. وما لا يفعله - على الأقل ليس بعد - هو طلب المعلومات من المواطنين العاديين. ومن وجهة نظري يوحي ذلك بوجود إدراك غير كافٍ عند المستويات العليا بأنه في عالم من التهديدات اللامتماثلة سيكون الأشخاص غير الموجودين في سلاسل القيادة الرسمية، مهمين أكثر فأكثر.

لقد ساعدني جون روب John Robb الذي خدم في وحدة العمليات الخاصة التابعة لسلاح الجو الأمريكي ثم أدار فيما بعد شركة لبحوث الإنترنت، في فهم اللاتماثل وآثاره في أعقاب الهجمات. وقد سألته عن الكيفية التي يمكننا بها أن نستخدم القوة عند حواف الشبكات والمجتمع في مواجهة الأشخاص الأشرار[140].

من ضمن اقتراحاته: «إنشاء حلقة تغذية مرتدة تضيف إلى صندوق مقترحات البنتاجون ولكنها تقلل أيضًا الأسئلة الفردية». وقد كان مارشال ماكلوهان أول من اقترح هذه الفكرة (وأنا أصدق ذلك) فيما يتعلق بأي مشكلة لا يرى شخص ما أو أشخاص ما في مجتمع كبير من الأشخاص المتعلمين أنها مشكلة. نحن في حاجة إلى حلقة تغذية مرتدة قادرة على فلترة المعرفة والبصيرة. فعلى سبيل المثال «إذا رأيت ثغرة

أمنية في المطار وكان لديك حل بشأن كيفية علاجها، ينبغي عندئذ أن تكون هناك آلية لتوصيل تلك المعلومات إلى الأشخاص القادرين على إحداث تغيير».

لاحظ اتجاه المعلومات من أسفل إلى أعلى - أو بعبارة أدق من الحافة إلى الوسط.

قال روب إن امتداد حلقة التغذية المرتدة هو إنشاء مزيدًا أكبر كثيراً من شبكات معرفة موجهة وتنهل من مجمعات محددة للمعلومات، وقد كتب يقول قبيل الغزو الأمريكي لأفغانستان، مشيرًا لإحدى اللغات المنتشرة في ذلك البلد الأسيوي، «إن وزارة الخارجية والوحدات العسكرية لا يوجد بها عدد كاف من المتحدثين بلغة البوشتو، ولكنني واثق أن لدينا عشرات الآلاف من المتحدثين بلغة البوشتو يعيشون في الولايات المتحدة الآن. فلم لا نستفيد من خبرتهم في الوقت الحقيقي؟» كيف؟ عن طريق توزيع هواتف متصلة بالأقمار الصناعية على الجنود للاتصال بالناطقين بلغة البوشتو الذين يمكنهم أن يعملوا كمترجمين.

إن عالم الصحة العامة يمكن أن يستفيد من أنواع التكنولوجيا هذه، والإرهاب البيولوجي يمكن في الواقع أن يكون مبررًا لاستخدامها. وقد اقترح رونالد إي لابورت Ronal E. LaPort وهو خبير في الصحة العامة بجامعة بتسبرج «دفاعًا مدنيًا بواسطة الإنترنت» باستخدام قوة الشبكات في مساعدة الجيران على السهر على بعضهم. ووفقًا لوصف كيفن ماني Kevin Maney له في يو إس إيه توادي في أكتوبر 2001[141].

عند وقوع هجوم، يمكن للملايين من مستخدمي الإنترنت العمل بمثابة أجهزة استشعار (Sensors) تنقل معلومات عن مرض أو نشاط مريب وما إلى ذلك إلى القائد ومنه إلى النظام. وسوف تعلم السلطات فورًا بما يحدث ويتم الاتصال فورًا بالخبراء في كل مكان - سواء كانوا عالمًا في البيولوجيا الجزيئية في جامعة أو جدة في دوبوك بولاية أيوا عاشت في زمن الجدري - لكي يطلعوا على المعلومات ويحاولوا تقديم المساعدة.

قطعًا يمكن أن يُستخدم هذا النظام بشكل احتيالي، لكن الفوائد ستفوق المخاطر.

وفي الاتجاه العكسي، يمكن أن يرسل المسئولون تعليمات إلى القادة حول ما ينبغي إرشاد الناس للقيام به ومعلومات في الوقت الحقيقي عن الأحداث. ومن خلال نشر معلومات موثوقة ويمكن الاعتماد عليها، يمكن أن يحول النظام دون حدوث حالة من الهلع. وسوف يتعين على مستخدمي الإنترنت فرادى تحمل مسئولية نقل المعلومات إلى غير مستخدمي الإنترنت.

وعندما تكون الرهانات مرتفعة بهذه الدرجة والتهديد مختلفًا بهذه الصورة، ينبغي علينا البحث عن أفضل الأفكار حيثما توجد، وأراهن أن المركز لن يصمد إذا أهدرنا القوة عند الحواف.

الفصل السادس

الصحفيون المحترفون ينضمون للمحادثة

في أكتوبر 1999، تساءلت Jane's Intelligence Review وهي مجلة مهنية متخصصة مقروءة على نطاق واسع في دوائر الأمن القومي، عما إذا كانت تسير في المسار الصحيح في مقال عن أمن الحاسب الآلي والإرهاب الإليكتروني. وقد ذهب المحررون مباشرة إلى بعض الخبراء - زوار موقع Slashdot - ونشروا مسودة. وفي مئات التعليقات المكتوبة في نظام رسائل الموقع، مزق أعضاء ذلك المجتمع البارعون فنيًا المسودة على الفور وطرحوا - بلغة نابضة بالحيوية في أحيان كثيرة مجموعة متنوعة من المنظورات والاقتراحات. عادت مجلة Jane's إلى لوحة الرسم، وأعادت كتابة المقال كله من الصفر. لقد ابتكر المجتمع شيئًا ما وأشارت المجلة بامتنان للمساهمة في المقال الذي نشرته في نهاية المطاف[142].

لقد قمت بإنشاء مدونتي في نفس الشهر. كانت تجربة، واحدة من أولى المدونات التي أنشأها بواسطة صحفي تقليدي. ولكنها أثبتت أنها مسمار العجلة في فهمي أن زملائي وأنا - ومهنتي ككل - في طريقنا لدخول مرحلة جديدة من التطور. لقد أدركت أن قرائي أصبحوا معاونين لي.

وبعد أربعة شهور، أطلق أو يون هو Oh Yeon Ho وفريق صغير، Ohmynews.com وهي عبارة عن صحيفة إليكترونية كورية. ومنذ البداية، افترضوا أن قراءهم ليسوا مجرد متلقين سلبيين لعمل أشخاص آخرين. إذ كتب أو يقول في 22 فبراير 2000 بمناسبة إعلانه عن إطلاق الموقع الجديد «إن كل مواطن هو صحفي، فالصحفيون ليسوا أنواعًا إحيائية دخيلة بل هم كل فرد يسعى لرصد التطورات الجديدة وتحويلها إلى كلمات مكتوبة والاشتراك فيها مع الآخرين[143].

ما الذي كان يحدث؟ في حقبة ناشئة من الاتصالات الرقمية متعددة الاتجاهات، يمكن أن يكون الجمهور جزءًا لا يتجزأ من العملية - وقد بات واضحًا أنه (أي الجمهور) يجب أن يكون كذلك.

إن الأمر يتلخص في شيء بسيط: القراء (أو المشاهدون أو المستمعون) يعرفون جماعيًا أكثر من الإعلاميين المحترفين. وهذا صحيح بحكم التعريف: فهم كثيرون ونحن غالبًا ما نكون واحدًا فقط. إننا بحاجة للاعتراف بمعرفتهم - بأفضل معنى للكلمة - واستخدامها. وإذا لم نفعل سيهرب جمهورنا السابق حينما يدرك أنه ليس مضطرًا لقبول تغطية نصف مخبوزة، وأن بوسعه أن يدخل المطبخ بنفسه.

وفي هذا الفصل سأتناول كيف يمكن أن تتكيف صناعة الأخبار مع تطور بدأ يقلب بعض الأفكار القديمة رأسًا على عقب. قد يكون ذلك مؤلمًا بالنسبة لبعضنا، ولكنني سأذهب إلى أن المردودات تستحق ذلك، فليس لدينا خيار على أية حال في الحقيقة.

قال جيف جارفيس Jeff Jarvis، وهو مؤلف مدونة غزير الإنتاج يرأس الموقع الإليكتروني (Advance.net) لمؤسسة أدفانس بابليكيشن: ستصبح الصحافة بصورة متزايدة مملوكة للجمهور. ولا يعني ذلك أنه لا يوجد مكان للصحفيين المحترفين الذين سيكونون هناك دائمًا - نحن بحاجة لأن نكون هناك - لجمع الحقائق وتوجيه الأسئلة بقدر ما من الانضباط وتجميع جمهور أكبر. إن ما تعلمته هو أن الجمهور إذا ما أعطى نصف فرصة يكون لديه الكثير ليقوله. والإنترنت أول وسيط مملوك للجمهور وأول وسيط يعطي الجمهور فرصة التعبير عن رأيه.

كما ذكرت في المقدمة، فإننا ينبغي ألا نرى في ذلك تهديدًا بل أفضل فرصة منذ عقود لممارسة صحافة أفضل.

إن الإجابة عن الأسئلة المتعلقة بالأعمال أصعب بكثير لأن كثيرًا من التطورات التي تؤثر على صالات الأخبار لها أيضًا - كما ذكرنا من قبل - تأثير هائل وفي النهاية

سلبي على النتائج النهائية لأعمال منظمات الإعلام الكبير الإخبارية. وآمل أن نتمكن من النجاة مما هو آت لأنني أؤمن برسالة الصحافة وأخشى أن تنكمش صحافة التحقيقات وربما تختفي تقريبًا إذا اضمحلت الصحف الكبيرة والمنافذ الجادة الأخرى. مَن مِن مؤلفي المدونات سيتناول فضيحة ووترجيت التالية بالطريقة التي تناولتها بها صحيفة واشنطن بوست؟

فرصة الإعلام التقليدي

حينما يدرس معظم شركات الإعلام الكبير إمكانية إجراء محادثة (أو حوار) مع جمهورها، فإنها لا تميل لتجاوز كثير من الحدود. فعلى سبيل المثال: يدهشني أن بعض المنظمات لازالت لا تضع عناوين البريد الإليكتروني للصحفيين (وبدرجة أقل المحررين) في نهاية القصص الصحفية. فلا يوجد عذر مقبول أو منطقي لإغفال ذكر المعلومات الخاصة بالاتصال عند كتابة المقالات على الويب. والمنظمة الإخبارية التي ترسب في هذا الاختبار ليست جادة في التفاعل مع جمهورها.

لا تحذف لوحات النشرات هذه المعلومات بالكامل أيضًا، حيث تحتوي منتديات صحيفة نيويورك تايمز[144]. في أحيان كثيرة على رؤى ثاقبة وآراء قيمة، ولكن من المشكوك فيه وصول كثير من تلك الأفكار (إن وجدت) إلى الصحفيين الفعليين داخل صالات أخبار التايمز. وإذا لم يكن العاملون جزءًا من المناقشة، فإن ذلك يعني أن القراء يتحدثون مع بعضهم - وبإمكانهم أن يفعلوا ذلك بدون التايمز. قارن منتديات الصحيفة بمناقشات نيكولاس كريستوف Nicholas Kristof وهو محرر عمود في صحيفة تايمز، والتي تحمل اسم «كريستوف يرد»[145] وتمثل إضافة حقيقية إلى ذخيرة الصحيفة.

ابتكرت سليت Slate - الصحيفة الإليكترونية المملوكة لشركة مايكروسوفت - واحدة من أكثر الطرق فائدة للتعامل مع كتابات القراء - وهي صفحة (Fraywatch)[146]

«ما الذي يحدث في منتدى قرائنا – التي تعد تجميعًا لما يعتبره محررو سليت أكثر تعليقات القراء المكتوبة إليكترونيًا إثارة للاهتمام. وتتم إعادة تجميع مقتطفات من التعليقات مع سياق من المحرر وزائدًا إشارات إلى التعليقات الأصلية بطريقة متماسكة ومشوقة. هذه صحافة مفيدة في حد ذاتها حتى برغم أنها تبين قيمة مساهمات القراء».

إن دردشات الويب التي يشترك فيها الصحفيون خطوة في الاتجاه الصحيح ولكنها مجرد خطوة فقط. وتعتبر جلسات ذا واشنطن بوست الإليكترونية(147)، التي يجيب فيها الصحفيون عن أسئلة القراء، إضافة مفيدة للحزمة الإليكترونية، لكنها ليست النوع الوحيد للتفاعل الذي يجب علينا اعتماده.

ربما تكون تجربتي الشخصية تثقيفية. فتغطية أخبار وموضوعات التكنولوجيا في وادي السليكون، وظيفة متواضعة ولكنها ممتعة. وفي معظم الاجتماعات أكون عند النقطة الموجودة أقصى يسار منحنى الذكاء الذي يتخذ شكل جرس. وبالطبع توجد مزايا لكوني الأقل دراية ومعرفة بين الحاضرين في الغرفة فأنا أتعلم شيئًا ما دائمًا.

وهذا أحد الأسباب التي جعلت مدونتي مفيدة للغاية. فقد أثارت محادثات أعمق مع مصادري وقرائي الذين يخبرونني دائمًا بأمور لا أعرفها. هذه صحافة تفاعلية.

وباعتباري محرر عمود، تعد كتابة مدونة أسهل بالنسبة لي من الصحفي الذي يحرز سبقًا صحفياً، وقد كنت أضع بالفعل آرائي في الصحيفة، ولذا لم يكن من الصعب على أن أضعها إليكترونيًا فيما يشبه مجموعة من الأعمدة المصغرة. ولكن لا توجد حاجة لأن تكون المدونات عنيدة ومتشبثة بآرائها. فالصحفي يستطيع بسهولة كتابة بيانات متصلة بسبقه الصحفي وأنماط الأخبار التي وجدت طريقها إلى «دفتر ملاحظات الصحفي» وكذا الأخبار التي لم يسمح بنشرها لأسباب متعلقة بالمساحة.

ومن وقت لآخر، أطلب من القراء إعطائي أفكارًا حول أعمدة لم أكتبها بعد، فأشرح لهم الموضوع وأقول ما أعتقد أنني أفهمه بشأنه. كلا.. أنا لا أتزود بمعلومات سرية من الصحف المنافسة عندما يكون لدي سبق صحفي حقيقي، ولكن باعتباري

محرر عمود، فإنني أتحدث عادة عن أشياء معروفة بالفعل بمعنى عام. وقرائي الإليكترونيون الذين يضمون عددًا مدهشًا من المصادر التقليدية لا يخجلون أبدًا من التعليق على زوايا ربما أكون قد أغفلتها أو إخباري بأي خطئ تماماً. تذكر مناقشتنا السابقة لبرمجيات «المصدر المفتوح»، وهي عملية تتم فيها تطوير الكود نفسه بواسطة المجتمع ثم يصبح متاحًا مجانًا. اعتبر ذلك شكلًا من أشكال الصحافة مفتوحة المصدر.

ومن بين أهم الفروق الكبيرة بين الصحافة المطبوعة والويب أن المحادثات التي تجري عبر الويب تتخطى الحدود الجغرافية. وقد كتب ستيف أوتنج Steve Outing – وهو مراقب مخضرم للأخبار الإليكترونية ومؤلف مدونة ومحرر عمود – يقول في أواخر 2003 في عموده الذي يحمل اسم «المحرر والناشر» في إحدى المجلات إن مدونتي ساعدت في إيصال أفكاري وآرائي على نطاق عالمي وخرجت بها من نطاق المحلية. وهذا من دواعي سروري إذا كان صحيحاً، لكن القيمة الرئيسية تكمن في الطريقة التي جعلني بها قرائي أفضل أداءً في وظيفتي.

حينما بدأ القراء التعليق لأول مرة على مدونتي في منتصف 2003، لم أكن أعرف ما الذي يمكن أن أتوقعه. وإليكم الطريقة التي تسير بها الأمور في أفضل الأحوال. أكتب شيئًا فيرد شخص ما علي. ثم يرد شخص ما على التعليق الأول أو الثاني وقبل أن يمر وقت طويل يتحدث المعلقون مع بعضهم البعض وليس معي فقط. وأنا أعتبر مدونتي Slashdot مصغرة، مجموعة صغيرة من التعليقات التي ينم معظمها عن الثقافة وعمق التفكير. وتجتذب المدونة عددًا لا بأس به من الأشخاص الذين يبدو أن هدفهم في الحياة هو تدمير المناقشات العامة ولكن العملية تمضي بنجاح بوجه عام[148].

لقد انطلقت المدونات ببطء في تيار الإعلام التقليدي، وأنا أعزو ذلك للطابع المتحفظ المتأصل في أعمال الإعلام الكبير أكثر من أي شيء آخر. لكن هناك سبب آخر أيضًا هو: شيوع الشك والريبة بين المحررين التقليديين حيال قالب يهدد بتقويض ما

يعتبرونه قيمًا أساسية ومحورية – ألا وهي الرقابة التحريرية والتأكد من ثقة القراء في موضوعية الصحفيين ونزاهتهم أو على الأقل عدم افتراضهم غياب تلك الموضوعية والنزاهة. هذا القلق ليس خاطئًا تمامًا ولكن مبالغ فيه.

وبرغم المقاومة، تبنت العشرات من المنظمات الصحفية التقليدية المدونات، وهذا اتجاه يحتمل أن يتسارع على ما يبدو. فلا يمر أسبوع واحد دون أن أتلقى مكالمة هاتفية من شخص ما في مجال الأعمال يفكر في إنشاء مدونة ويرغب في التعرف مني على المزايا والمخاطر المحتملة المرتبطة بذلك. وتحتفظ CyberJournalist.net بقائمة شاملة للمدونات المنشأة بواسطة صحفيين أو عنهم[149]، وتتنوع الموضوعات التي تتناولها من السياسة إلى الفنون ومن التكنولوجيا إلى التعليقات البحتة.

وتشترك أكثر المدونات نجاحًا المنشأة بواسطة صحفيين محترفين في بعض الخصائص التي تجعل أي مدونة تستحق القراءة: الصوت، ومحور التركيز، والتقارير الصحفية الحقيقية وأسلوب الكتابة الجيد. وقد أصبحت مدونة دان وينتروب Dan Weintraub السياسية المسماة California Insider[150] في صحيفة سكرا منتو بي مادة واجبة القراءة خلال انتخابات 2003 التي نصبت أرنولد شوارزنيجر حاكمًا لولاية كاليفورنيا (حدث صدام بين وينتروب ومحرري سكرا منتوبي الذين يصرون الآن على تحرير محتويات مدونته قبل نشرها على الإنترنت). وتعد مدونة جيمس تارانتو James Taranto المسماة «أفضل ما في الويب اليوم» Best Of the Web Today[151] الخاصة بالصفحة التحريرية في صحيفة وول ستريت جورنال، نموذجًا كلاسيكيًا آخر. وأنا لا أتفق مع معظم العقيدة المحافظة التي يبرزها ولكنه يفعل ذلك بأسلوب رائع. وتطرح مدونة شيلا لينون Sheila Lennon المسماة Subterranean Homepage News[152] والتابعة لصحيفة ذا بروفيدانس جورنال، منظورات حول عدد من الموضوعات المتنوعة يتصل كثير منها بالإعلام. والمدونة الصحفية المثالية ليست بحاجة لتعريف الصحفيين بها. فمن المعروف أن معظم الصحفيين الأمريكيين العاملين الذين يستخدمون الإنترنت يزورون مدونة

جيم رومينسكو Jim Romenesko المسياة Poynter Institute مرة واحدة في اليوم على الأقل. لقد أصبحت مبرد الماء بالنسبة للمهنة. وثمة شيء باعث على الشعور بالحرية والانطلاق في شكل المدونة بالنسبة للصحفيين، فهو يشجع على اللارسمية والتجريب ناهيك عن التفاعل القيم مع الجمهور الذي يجعل التغطية أفضل.

تفتقد المدونات الجماعية – التي يستطيع أكثر من شخص واحد كتابة أشياء فيها – لصوت الفرد الواحد ولكنها يمكن أن تنجح. والمنهج الذكي المطبق هنا هو «مدونة الحدث» .. وهي عبارة عن جهد يبذل مرة واحدة فقط فيما يتعلق بحدث إخباري هام. وربما تعد مدونة (dispatches from along the coast) (تقارير صحفية مرسلة من الساحل) الخاصة بصحيفة شارلوت أوبزيرفر والتي قدمت تغطية لإعصار إزابيل في أغسطس 1998[153]، أول مدونة من هذا النوع تنشئها صحيفة. وفي 31 ديسمبر 1999 و 1 يناير 2000 جمعت SiliconValley.com (التي تظهر مدونتي فيها) معا كل ما يمكنها العثور عليه على الويب لتغطية أحداث عشية العام الجديد وأول يوم فيه التي كان لها تأثير عاطفي شديد وخشي أناس كثيرون (واتضح فيما بعد أنهم مخطئون) أن تحدث كوارث متصلة بالحاسب الآلي بسبب (علة بداية الألفية الجديدة Y2K).

تعد إذاعة الأخبار إحدى أعظم الفرص لاستخدام هذه التقنيات. فقد كان لدى زميلي في صحيفة سان جوزيه ميركوري نيوز توم مانجان Top Mangan، مدونة لمحرري النصوص اسمها (Prints the Chaffs)[154]، حث غرف الأخبار من خلالها على إنشاء ما يمكن تسميته بمدونات القصص المحلية الكبيرة وقد كتب يقول إنها قضية تنافسية في جانب منها:

إذا قمنا بتشغيل مدونة في غضون دقائق من إذاعة خبر كبير، فإننا نخرج جوجل ومؤلفي المدونات الآخرين من المعادلة. وإذا جعلناها تفاعلية، فإننا نجعل موقعنا المكان المناسب لإذاعة الأخبار. سوف نفتح على أنفسنا باب مشكلة الأشخاص الذين يكتبون تعليقات يثبت فيما بعد أنها غير صحيحة، لكن القراء سيتعلمون كيف يفرقون

بين التغذية المرتدة – التي يكون نصفها هراءً – وعمل المحترفين الذي يؤمل أن يتضمن عامل هراء أقل بكثير.

قام كثير من الصحفيين، بسبب عدم قدرتهم على الحصول على إذن رسمي بإنشاء مدونات على مواقع منظماتهم، بإطلاق مدونات خاصة بهم. وينطوي ذلك على بعض المخاطر وهذا ما اكتشفه كيفن سايتس Kevin Sites بشبكة سي إن إن في العراق عندما أجبرته هذه الشبكة على التوقف عن كتابة مدونته. وقد أدلى متحدث باسم الشبكة بالبيان التالي لصحيفة أون لاين جورناليزم ريفيو «تفضل CNN.com الأخذ بمدخل محدد الإطار بدرجة أكبر لتقديم الأخبار. فنحن لا نكتب مدونات. وسوف تواصل شبكة سي إن إن توفير معارض للصور الفوتوغرافية ولقطات فيديو وإذاعة الأخبار والوسائط التفاعلية كطرق لتعريف القراء بما يجري في الحرب»[155] . وقد أضر هذا الاتجاه – وهو مدخل كلاسيكي متجه من أعلى إلى أسفل إلى الأخبار – في النهاية الشبكة أكثر مما سبب ضررًا للمراسل الذي انتقل فيما بعد للعمل في MSNBC (التي رحبت بالمدونة). وبقتل مدونة سايتس، أظهرت CNN كيف تحولت شبكة كانت يومًا ما كيانًا مرموقًا في الصحافة إلى ترس آخر في خط تجميع شركة تايم وورنر.

وقد تعلقت حالة ستيف أولافسون Steve Olafson بما كان يكتبه أكثر من تعلقها بحقيقة أنه كان يكتب مدونة في المقام الأول. كان أولافسون صحفيًا سياسيًا في صحيفة هيوستن كرونيكل. وباستخدام اسم مستعار قام أيضًا بنشر مدونة احتوت على تعليقات سياسية – وتطلب ذلك أحيانًا ملاحقة الأشخاص الذين كان يغطي أخبارهم كجزء من وظيفته المعتادة. وقد كانت صحيفة كرونيكل على حق حين اعتبرت ذلك غير مقبول. وفي منتصف 2002 طلبت إغلاق المدونة على أساس أنها قد تسيء إلى مصداقيته. لكن الصحيفة فصلت أولافسون من العمل بعد ذلك[156]. وكان ذلك رد فعل مبالغًا فيه، فقد كان بوسع الصحيفة أن تنقله إلى وظيفة أخرى أو تؤدبه بطريقة أخرى. كانت الرسالة واضحة: اكتب مدونتك على مسئوليتك الخاصة.

لم يتم فصل دينيس هورجان Dennis Horgan المحرر بصحيفة هارتزورد كورانت من العمل، ولكنه أمر بالتوقف عن كتابة تعليقات على مدونته[157]. وحاول رئيس تحرير صحيفة كورانت برايان تولان Brian Toolan تبرير تصرفه في مقال نُشر في مجلة نيمان ريبورتس عام 2003 وجاء فيه:

ليست هذه قضية حرية تعبير. بل تتعلق بالتوقعات المهنية وعندما يتم تجاهلها كما في هذه الحالة، تتعرض معايير الصحيفة ومسئولياتها العامة للخطر وعلى غرار معظم الصحف، فإن لصحيفة كورانت ميثاقًا أخلاقيًا ولها لغة تنص على أن «مصالح الفرد خارج الصحيفة ينبغي ألا تتعارض مع واجباته المهنية في كورانت أو تبدو متعارضة» مع هذه الواجبات. وقد ذهب هورجان وآخرون إلى أنه حيث إنه يحرر الآن قسم السياحة فإن، وجهات نظره العامة حول المسائل العامة لا تتعارض مع تغطية الصحيفة لتلك القضايا.

وأنا لا أقبل ذلك المنطق. أعرف بعض القراء المعتمدين على الصحيفة الذين لن يقبلوه أيضًا وأدرك كيف يمكن أن تسبب تصورات القراء ضررًا لها[158].

إن بإمكاننا أن نشيد برغبة تولان في الحفاظ على معايير أخلاقية مرتفعة، ولكن أين تعارض المصالح؟ إنني لا أرى أي تعارض في المصالح في هذا الموقف. وإذا كانت تصورات قلة من القراء مضللة فهذه مشكلتهم هم وليست مشكلة الصحيفة. ومن الواضح مع ذلك أن تولان كان على حق حين قال إنه لا توجد قضية متعلقة بحرية التعبير. كان له الحق – بوصفه رب عمل هورجان – في ارتكاب هذا الخطأ. (حاولت الصحيفة فيما بعد التوصل إلى حل وسط بإعطاء هورجان عمودًا يشبه المدونة على الويب فقط).

ومع ذلك، فإن الصحف تمضي قدمًا[159]. ولدى صحيفة سبوكسمان ريفيو[160] ذات الملكية العائلية في سبوكين بواشنطن بعض مدونات الموظفين الممتازة ولكنها اعتادت الإشارة إلى المدونات المكتوبة من قبل أشخاص في المجتمع. ومن بين أكثر

الصحف اعتناقًا للنظرة التقدمية. (جورنال وورلد) Journal-World[161] في لورانس بولاية كنساس. ويدير روب كيرلي Rob Curley المدير العام لصحيفة وورلد أون لاين الموقع الإليكتروني للصحيفة وموقع Lawrence.com (وهو موقع تابع للموقع المذكور) معًا ويستحق أن ينال هو وموظفوه الأذكياء المجد والشهرة بفضل الابتكار الذي أدخلوه على صناعة تتسم بضيق الأفق. إذ قاموا بكل طريقة ممكنة بإشراك المجتمع. وجلبت المنتديات أصواتًا جديدة وكذلك فعلت كتابة المدونات.

وتدير Lawrence.com – المختلفة بشكل مقصود عن صحيفتها الأم – العديد من المدونات التي يكتبها إعطاء المجتمع، بالإضافة إلى مدونة يكتبها أحد صحفيي الصحيفة السياسيين. وقد قال لي كيرلي ما يلي:

حينما بدأنا المدونات على موقع Lawrence.com، كان قصدنا أن تشبه مفهوم معظم الناس للمدونات... محتويات يتم تحديثها بصورة متكررة وتفاعل فوري بين الكاتب والقراء. ولكن ليس هذا ما أصبحت عليه.

لقد أصبحت المدونات الموجودة على موقع لورانس دوت كوم إلى حد كبير أعمدة صحفية طويلة نوعًا بصورة شبه دائمة، وبرغم أن الكتاب يردون على القراء عدة مرات في اليوم الواحد إلا أنهم نادرًا ما يكتبون أكثر من شيء واحد في الأسبوع. إنها نوع من الأعمدة التفاعلية، والسبب في حبي لها أنها تبدو حقيقية لي – من اللغة إلى الموضوعات إلى الردود.

هناك إحساس حقيقي بالمجتمع في مدوناتنا وهو مجتمع لا يقرأ على الأرجح الصحف اليومية، وربما لا يزور الموقع الإليكتروني لصحيفتنا.

والنقطة الأهم من أي شيء آخر هي أن مدوناتنا تعطي Lawrence.com إحساسًا ومذاقًا يشبه لورانس – ربما ليس لورانس الذي يعرفه مواطن عمره 50 عامًا ولكن بالتأكيد لورانس الذي يعرفه شاب في العشرين من عمره. وهذا بالضبط ما كنا نسعى وراءه.

لقد نال كيري وفريقه كل جائزة تقريبًا تمنح في مجال الصحافة الإليكترونية ولا عجب في ذلك فلديهم الويب.

القوة المقنعة النابعة من الربط والإنصات

إن النشاط الأكثر شبهًا بالويب هو الربط Linking: الإشارة إلى محتوى مدونات أشخاص آخرين. وتتعلم الصحف والمنظمات الصحفية الأخرى كيفية القيام بذلك بصورة أفضل على مواقعها وتقدم إلـمـاعات إلى مقالات وبيانات موجودة خارج مواقعها. إننا بحاجة للقيام بذلك بصورة أكبر.

على مدونتي، كثيرًا ما أشير إلى قصص منظمات إخبارية أخرى، بما في ذلك صحيفة منافسة محلية هي سان فرانسيسكو كرونيكل. ولو أتيحت لي فرصة الإشارة إلى قصة جيدة بدرجة مساوية على الموقع الإليكتروني لصحيفتي، لفعلت ذلك بطبيعة الحال. ولكن إذا قامت الصحيفة المنافسة بتغطية أفضل منا لموضوع اهتم به، فإنني سأخدع قرائي إذا لم آخذهم إلى التغطية الأفضل. ولم يقترح أحد من شركتي أبدًا أن أفعل شيئًا غير ذلك.

وأنا أشير أيضًا إلى مواقع الصحفيين غير التقليديين - و كلما كان ذلك ممكنًا - اكتب عن أو أشير إلى المواد المصدرية الأعمق مثل النسخ طبق الأصل من الوثائق والبيانات الأخرى التي توفر سياقًا بصورة أكبر. ونحن نميل في الصحافة المهنية للقيام بذلك في المشروعات الكبيرة، عندما نكتب أشياء مثل الشهادات الخطية بقسم الخرائط التفاعلية، وما شابه ذلك. لكن القوة المقنعة لقصة ما تزداد عند الإشارة إلى المادة الأصلية المأخوذة منها. ويمكننا أن نتعلم المزيد من مؤلفي المدونات بهذا الشأن.

يسعدني أن أقول إن المنظمات الإخبارية بدأت تلحق بالركب بصورة متزايدة. ففي حين أن النسخ الإليكترونية للقصص الإخبارية المنشورة في الصحف نادرًا ما تشير إلى عمل الصحف المنافسة، يمارس مؤلفو مدونات الصحف الإشارة للخارج بصورة أوسع نطاقاً. وقد كانت مدونة دان فرومكين Dan Froomkin المسماة (White House Briefing)[162] على موقع صحيفة واشنطن بوست التي بدأت في أوائل 2004، نشطة بصفة خاصة في هذا الخصوص، وإن كان فرومكين قد مال لتجاهل المدونات

لصالح الإعلام المؤسسي. وبالمثل فقد أظهرت مدونة صحيفة نيويورك تايمز المسماة (Times on the Trail)[163]، وهي عبارة عن عمود يشبه المدونة ولكنه لا يحمل هذا المسمى رسميًا، سخاءً أحيانًا في الإشارة لمحتوى الغير.

إن بوسعنا أن نزيد أيضًا مصداقيتنا من خلال الإنصات إلى نقادنا الإليكترونيين، وقد بدأنا نفعل ذلك فعلًا. فقد ذهبت إلى غير رجعة منذ زمن طويل، الأيام التي كان توجيه النقد فيها حكرًا على مطبوعتين هامتين فقط - باستثناء حالات متطرفة - وهما كولومبيا جورناليزم ريفيو Columbia Journalism Review[164] وأمريكان جورناليزم ريفيو American Journalism Review[165].

أخذ مؤلف مدونة يميني الميول يطلق على نفسه اسم باتيريكو (Patterico)[166] على عاتقه أن ينتقد صحيفة لوس أنجلوس تايمز لارتكابها ما رأى أنه مجموعة من الخطايا يسارية الميول. ففي أوائل 2004 هاجم صحيفة تايمز التي يسميها «مدرب الكلاب» بسبب تغطيتها لتعارض مصالح أنتونيا سكاليا Antonin Scalia القاضية بالمحكمة العليا، بما في ذلك إجازة الصيد التي أمضتها القاضية مع نائب الرئيس ديك تشيني وهو صديق قديم لها أثناء نظر المحكمة قضية هامة كان فريق العمل الخاص بالطاقة التابع لتشيني طرفًا فيها. وأشار باتريكو أيضًا إلى تعارض مصالح القاضية روث بادير جينسبيرج Ruth Bader Ginsburg بسبب صلتها بالمنظمة الوطنية للمرأة National Organization For Women (Now). وقد أسفرت مراسلاته مع صحيفة تايمز عن تحقيق نتائج. وفي 11 مارس 2004 كتب يقول بفخر: من ناحية كان لابد أن أقدم المعلومات لصحيفة لوس أنجلوس تايمز. فقد نشرت قصة في الصفحة الأولى عن كلمة القاضية جينسبيرج إلى صندوق الدفاع القانوني التابع للمنظمة الوطنية للمرأة، ومن ناحية أخرى لم كان ينبغي أن أكون أنا من يدلي بهذه المعلومات؟[167]

بالنسبة لي لا تصح هذه الشكوى الأخيرة. فالصحفيون يتوصلون إلى كثير مما تنشره وتذيعه من أشخاص يخبروننا بأشياء - أشخاص مثل باتيريكو ساعدونا على صنع الأخبار.

طلب المساعدة من الجمهور الخلاق

إن دعوة الجمهور للمساهمة ليست ظاهرة جديدة. فبرغم كل شيء، فقد طلبنا من القراء كتابة خطابات إلى رئيس التحرير منذ زمن طويل ونحن نجيب عمومًا على الهواتف عندما يتصل القراء ليقولوا معلومات مفيدة أو يقدموا شكاوى. بعبارة أخرى إن محادثة ما تجري دائمًا ونحن فقط نحتاج المزيد منها.

كان بعض أهم الصور الفوتوغرافية ولقطات الفيديو في التاريخ الإخباري الحديث، من إنتاج هواة، وبالكاد يمكننا تخيل النصف الثاني من القرن العشرين بدون الفيلم الذي صوره زابرودر Zapruder لاغتيال الرئيس جون ف. كنيدي John F. Kennedy. وفي وقت أحدث، رأينا ما يحدث عندما يصور أناس عاديون لقطات فيديو لأحداث هامة، مثل قيام الشرطة بضرب المشتبه بهم ومنظر الأعاصير وهي تقترب، عندما أصبحت كاميرات الفيديو شعبية. وكان الهواة هم من صوروا المشاهد الأكثر ترويعًا لاصطدام رحلة يونايتيد أيرلاينز 767 بالبرج الثاني لمركز التجارية العالمية في 11 سبتمبر 2001 وتحولها إلى كرة من النيران.

في كل من تلك الحالات، كان الناس يتواصلون من خلال وسائل الإعلام الجماهيرية، ووصلت لقطات فيديو الهواة بسرعة – كما حدث مع أحداث سابقة – إلى شاشات شبكة سي إن إن والشبكات التليفزيونية الرئيسية الأخرى. وفي المستقبل المنظور سيستمر الحال على هذا المنوال لأن التليفزيون هو ملتقانا في الأزمات الوطنية وبسبب تكاليف عرض النطاق المرتفعة المرتبطة بتقديم الفيديو على الويب وبسبب الحقيقة البسيطة التي مؤداها أن وسائل الإعلام الجماهيري لا تزال تصل إلى القطاع الأكبر من الجمهور. ولكن مع قيام المزيد والمزيد من أفراد الجمهور الخلّاق بصنع والتقاط الأخبار، سندرك أن مساهماتهم جوهرية لعملية جمع الأخبار على كافة المستويات[168].

ومع ذلك لازال بإمكاننا تعلم أمر أو اثنين من المنظمات غير الصحفية. ففي فبراير

2003، بعد أن تعطل مكوك الفضاء لدى دخوله الغلاف الجوي للأرض في طريق عودته للأرض، أصدرت وكالة ناسا نداءً لكل من توجد لديه صور فوتوغرافية يمكن أن تساعد في التحقيق في الحادث واستجاب له الآلاف[169].

وبعدئذ في الأسابيع السابقة لشن الحرب على العراق في 2003 طلبت هيئة الإذاعة البريطانية (BBC) من جمهورها صورًا لها علاقة بالصراع، وتلقت المئات منها ووضعت بعضها في مقال مصور كان ذكيًا من الناحية الصحفية ومؤثرًا من الناحية العاطفية بالنسبة للمشاهدين.

كانت تلك أشياء واضحة للقيام بها برغم أن عددًا كبيرًا من منظمات الصحافة التقليدية لم تبال حتى بالمحاولة. وأعتقد أنه عما قريب سيصبح شيئًا عاديًا أن يقوم كل موقع أخبار على الويب بكتابة عنوان بريد إليكتروني في مكان بارز يمكن للناس إرسال صورهم له سواء من الهواتف أو أجهزة الحاسب الشخصي. وينبغي على الصحف (أو المنفذ الإذاعي أو أيًا كان نوع الخدمة الإخبارية) أن تضع أفضل الصور على الإنترنت وفي المنتج الإخباري العادي بصورة دورية، وبهذه الطريقة تستطيع تعويد عامة الناس على استخدام هذا الوسيط على هذا النحو. وعندئذ عندما تقع بعض الأحداث الكبيرة، ستكون المنظمة قد دربت بعض الناس على الأقل على استخدام خدمة الكتابة على الإنترنت بتأثير رد الفعل المنعكس تقريبًا.

كان قراء الحزمة الإليكترونية المسماة (Sign On San Diego) التابعة لصحيفة سان دييجو تريبيون جزءًا أساسيًا من أكبر قصة محلية عن تلك المدينة في 2003: حرائق البراري التي اشتعلت في أنحاء كاليفورنيا الجنوبية[170]. فقد قام القراء بناءً على مناشدات من الموقع – بإرسال صور فوتوغرافية ورسائل عما كانوا يشاهدونه واستخدم البعض المنتديات لإدارة مناقشات موجهة لسكان مجمع سكني في إحدى الضواحي. وأخذ الجيران يزودون بعضهم بمعلومات عما كان يحدث. كانت هذه أخبارًا محلية في أجود صورها وكان الناس يفعلون ذلك من أجل أنفسهم، وساعدتهم صحيفتهم المحلية بأفضل طريقة ممكنة[171].

بالإضافة إلى الصور الفوتوغرافية، تستطيع المنظمات الإخبارية أن تيسر على القراء إرسال معلومات مفيدة لها عبر خدمة الرسائل النصية القصيرة على الهواتف على عناوين صالات الأخبار المختلفة (الرياضة، الأخبار المحلية... إلخ) مثلما تتاح أرقام الهواتف لعامة الناس. ومع استخدام المزيد والمزيد من الناس الهواتف المحمولة في إرسال رسائل، يمكن أن يكون هذا طريقة فعالة أخرى للحصول على معلومات مفيدة. وحتى إذا أراد الناس الاتصال لتقديم معلومة عن قصة ما، فقد لا يتمكنون من الوصول إلى الشخص المطلوب أو قد لا يرتاحون ببساطة للتحدث مع صحفي.

تبذل صحيفتي قصارى جهدها لتغطية الأخبار المحلية وأداؤها هو أفضل ما نستطيع في هذا المجال، ولكننا لا نستطيع القيام بكل العمل. فعلى سبيل المثال، لا نستطيع تغطية كل اجتماع لمجلس إدارة مدرسة صانيفيل. ولكنني مستعد للمراهنة على أنه يوجد بضعة أشخاص على الأقل في صانيفيل يبالون بدرجة عميقة وكافية بأنشطة مجلس إدارة مدرستهم، بحيث يمكن أن يتحولوا إلى صحفيين. ربما نستطيع مساعدتهم على ذلك.

كم أود أن أرى منظمات الأخبار تشجع المواطنين الذين يرغبون في تغطية جانب يعرف بشكل عريض في الحياة المجتمعية. هذه ليست عملية بسيطة. فالمسائل القانونية وحتى الثقافية هائلة ناهيك عن كيفية التعامل مع الاعتماد (أو الإجازة) (من هو الصحفي على أية حال؟) والقذف والتشهير (من المسئول عندما يسيء صحفي من المواطنين إلى سمعة شخص ما؟). ومع ذلك تفوق المزايا المخاطر.

دعوني أقترح بعض الطرق التي يمكن بها إنجاح هذه العملية. ربما يمكننا إنشاء إضافات لمواقعنا شبيهة بـ OhmyNews. وإذا كان ذلك جهدًا إضافيًا شاقًا، يمكننا أن نقدم لأفراد المجتمع مدونات إليكترونية، خاصة بهم نقوم باستضافتها.

في حالة مجلس إدارة مدرسة صانيفيل والهيئات المحلية الأخرى التي تستحق التغطية، يمكن أن تدعو أفراد المجتمع لإنشاء مدونات من أجل ذلك الغرض، وأن

نراقب ما يكتب فيها، ونشير من موقعنا الإليكتروني إلى المدونات المختلفة عن هذه الموضوعات. ومن الواضح أننا سنحتاج إلى إدراج عبارات للتنصل من المسئولية (disclaimers)، نشير فيها إلى أن المراسلين الصحفيين لا يعملون لحسابنا. ولكنني أؤكد أن أفراد الجمهور الذين اهتموا بمجلس إدارة مدرستهم المحلية، سيعرفون من جيرانهم أكثر مما سيعرفون من صحيفتهم. وبعد إنشاء المدونات سيقرأ المراسلون الصحفيون المحترفون التغطية – وفي حالات كثيرة – يتعرفون على قصص ربما كانت ستفوتنا بدونها.

الآن طبق هذه الفكرة على الأخبار الوطنية والدولية. إن مدونات الهواة مليئة بالفعل بالأخبار والتعليقات عن أكبر قضايا عصرنا. هل يمكن أن تطلب شركات الإعلام الكبير من القراء/ المشاهدين الانضمام إلى الفريق بطريقة رسمية بدرجة أكبر قليلًا؟ في أبريل 2004، عندما بدا أن الوضع في العراق آخذ في التدهور نحو ما يشبه الفوضى، خشي معظم الصحفيين الأجانب هناك من التعرض للخطف أو ما هو أسوأ من ذلك، وحبسوا أنفسهم في فنادقهم أو في أماكن محصنة بدرجة شديدة. وجاءت التقارير الصحفية الميدانية بدرجة كبيرة من عراقيين قاموا باستخدامهم. فهل كان جمهور قراءة الأخبار في أمريكا واليابان وأوروبا سيصبح أفضل اطلاعا لو قامت المنظمات الإعلامية بتزويد مئات العراقيين بحاسبات آلية وكاميرات رقمية، وطلبت منهم كتابة مدونات عن تجاربهم وما يشاهدونه؟ يتعين علينا على الأقل أن نوجه مثل هذه الأسئلة، وأن ننظر في التداعيات، قبل أن تفلت الفكرة من أيدينا.

ربما يكون هناك حتى بعض الإمكانية لتحقيق إيرادات في هذا كله بالنسبة للإعلام. فالمجلة الإليكترونية سالون Salon تقدم مدونات للمشتركين فيها نظير مبلغ إضافي قدره 40 دولارًا في السنة[172]. وربما تستطيع الصحف أو محطات التليفزيون المحلية بيع إعلانات على مدونات القراء أو بيع خدمة الاستضافة مقابل مبلغ زهيد. لكن النتيجة الحيوية النهائية ستكون تحسين جودة التقارير الإخبارية من أجل الجميع.

وثمة سبب وجيه آخر للمحاولة. فكما قال كريس ويليس وشاين بومان Shayne Bowman في «نحن الإعلام» We Media، وهو تقرير صدر في 2003 عن الصحافة القائمة على المشاركة (ساهمت بكتابة مقدمته): «إن الجمهور الذي يشارك في العملية الصحفية متطلب أكثر من المستهلكين السلبيين للأخبار، ولكنه قد يشعر أنه قادر على إحداث اختلاف، ونتيجةً لذلك فهو يشعر وكأن له مصالح مشتركة في النتيجة النهائية»[173].

دراسة حالة: تشجيع النشاط السياسي ثم إعداد تقارير صحفية عنه

لا توجد منظمة صحفية رئيسية فعلت من أجل إشراك جمهورها في العملية الصحفية، أكثر مما فعلته هيئة الإذاعة البريطانية (BBC). ففي نوفمبر 2003، أطلقت هيئة الإذاعة البريطانية ما يمكن اعتباره المحاولة الأكثر شمولاً حتى اليوم لبث الحياة في صحافة الغد من خلال مشروع اسمه «أنا أستطيع» Ican[174]. وهذا المشروع في جوهره فكرة جريئة تمامًا: فقد زود الجمهور ببعض أدوات النشاط السياسي ثم راقب ما يفعله وأعد تقارير صحفية عنه.

كان ican نتاج اعتبارات صحفية وسياسية معًا، حسبما أخبرني قادة المشروع عندما زرت لندن في أكتوبر 2003. فأولًا: كانت هيئة الإذاعة البريطانية ومنظمات إعلامية تضيع من بين يديها قصصًا كبيرة. فعلى سبيل المثال فوجئت هذه المنظمات بالاحتجاجات الضخمة على أسعار الوقود في 2000، والتي أدت إلى حدوث اضطرابات على الطرق البريطانية، حتى برغم أن القضية كانت مثار نقاش ساخن على الإنترنت. وكانت الانتخابات القومية في المملكة المتحدة سنة 2001 عنصرًا حفّازا رئيسيًا آخر. فقد كان الإقبال على التصويت ضعيفًا بالمعايير البريطانية، حيث بلغت نسبة من قاموا بالإدلاء بأصواتهم نحو 60٪. ويتمثل أحد أهداف هيئة الإذاعة البريطانية الأساسية في مساعدة جمهور الناخبين على اتخاذ قرارات مستنيرة، وأرادت قيادة الخدمة، التعرف على ما يمكنها القيام به بشكل أفضل.

قال مارتن فوجيل Martin Vogel منسق مشروع Ican «لقد اكتشفنا بعض الأمور المثيرة للاهتمام» فعلى سبيل المثال: لم تكن نسبة الـ40٪ من جمهور الناخبين التي لم تدل بأصواتها «لا مبالية على الإطلاق» بقضايا العصر، بل كانت غير راضية عن المرشحين والسياسات المطروحة. وفي ظل ابتعاد الجماهير الأصغر سنًا عن الإعلام التقليدي وتحولها إلى الإعلام الجديد، بحثت هيئة الإذاعة البريطانية عن طريقة تستخدم بها الإعلام الجديد في تعزيز المشاركة السياسية.

لقد استهدف مشروع ican إنشاء منصة لمساعدة المواطنين الناشطين على التأثير في النظام من المستوى المحلي صعودًا إلى المستويات الأعلى. وكان المستوى المحلي يتمتع بأهمية خاصة لأنه يضم الأشخاص الذين يلمسون التأثير الأكبر. وقد أمضى صحفيو هيئة الإذاعة البريطانية شهورًا وهم يجمعون حشدًا من المعلومات الموجهة للمواطنين الناشطين، منها مؤشرات إلى موارد متنوعة على الإنترنت وخارجها. وصاغ الصحفيون قواعد إرشادية وتعليمات حول كل شيء من كيفية إطلاق حملة إلى التعامل مع الجيران المزعجين. قالت سمانثي ديساياناكي Samanthi Dissanayake وهي صحفية إذاعية اشتركت في تجربة ican «إننا ندع الناس يعرفون أنهم قادرون على القيام بالأشياء بأنفسهم».

لكن مستخدمي ican وليس موظفيه، هم الذين يتوقع منهم أن يكتبوا معظم الأدلة مع مرور الوقت. وسوف تتابع هيئة التحرير ما يتم إنتاجه ويمارسون بعض الرقابة التحريرية مثل حذف المعلومات المتضمنة قذفًا وتشهيرًا أو غير الدقيقة بصورة صارخة. قال تيم ليفيل Tim Levell مدير تحرير المشروع: «لقد أصبحت وظيفة الصحفي اليوم أكثر من أي وقت مضى أن يكون مصفاة».

وقد تم إطلاق مشروع ican في أوائل نوفمبر بالإضافة إلى موقع إليكتروني قومي وخمس مناطق تجريبية خصصت لها هيئة الإذاعة البريطانية موارد إضافية. كانت إحدى هذه المناطق موجودة في كمبريدج شاير التي تبعد مسافة ساعة بالقطار شمال لندن،

وتضم مدينة جامعية ومركزًا حضريًا وأرضًا زراعية. وكما هو الحال في ثلاث من المناطق التجريبية الأربع الأخرى، تم إعفاء أحد الصحفيين من واجباته العادية وتكليفه بالتركيز فقط على ican. وقد ساعد هذا الصحفي في بذر بذور النشاط المحلي وراقب حملات المواطنين ثم أعد تقارير إخبارية لعكس الهموم المحلية.

كان من ضمن أولى الحملات التي نظمها المواطنون، مبادرة للحد من ممارسة التنمر داخل المدارس. وكان ذلك مفاجأة لليفيل الذي قال إنه من بين كل الأشياء التي تخيلها باحثو ican في عمليتهم التخطيطية، لم تتصور أبدًا أن التنمر سيكون أول شيء يتحمسون للتصدي له «لكن هيئة الإذاعة البريطانية كانت تصغي».

ربما يثبت مشروع ican أو لا يثبت أنه نموذج وقدوة لمنظمات إخبارية أخرى، ولكنه يبقى تجربة رائعة. وفي حين تتخذ قلة من الشركات الإخبارية من إعلام الناس وتزويدهم بالمعلومات رسالةً لها، جعلت قلة أخرى من تسليحهم بأدوات يمكن أن يستخدمونها لإحداث تغيير عام رسالتها. وتؤدي مراقبة ما يمكن أن يفعله الناس بمثل هذه الأدوات وإعداد تقارير صحفية عنه إلى توسيع نطاق العملية بدرجة أكبر حتى من ذلك. إن هيئة الإذاعة البريطانية لا تصنع الأخبار من خلال ican فحسب بل تساعد المواطنين على صنع أخبارهم أيضًا.

دراسة حالة: المراسلون الصحفيون المواطنون

كان لي بونج ريوي Lee Pong Ryul يعمل في وظيفة هندسية نهارية بمصنع لأشباه الموصلات بالقرب من سول عاصمة كوريا الجنوبية. وفي وقت فراغه كان يساعد في تشكيل صحافة الغد.

كان لي «مراسلًا صحفيًا مواطنًا نشيطًا» لحساب OhmyNews الخدمة الإخبارية الإليكترونية التي هزت الصحافة والمؤسسات السياسية واستقطبت جمهورًا ضخمًا من خلال مزج تقليد القرن العشرين- نموذج الصحافة كمحاضرة الذي تخبر المنظمات

الجمهور وفقًا له بالأخبار ويقتنع بها الجمهور بعد ذلك أو لا يقتنع- مع شيء تفاعلي وديمقراطي يسير فيه اتجاه الاتصال من أسفل إلى أعلى. وهذه تجربة هامة، وعندما قمت بزيارة في ربيع عام 2003 كان واضحًا أنها بدأت تؤتي ثمارها بالفعل.

لقد كان تأثير OhmyNews التي كان عمرها أربع سنوات فقط في ذلك الحين، كبيرًا ومتناميًا. ويعود لها الفضل في المساعدة في انتخاب رئيس البلاد الحالي روه مو هون الذي خاض الانتخابات باعتباره مصلحًا. وقد أجرى روه أول مقابلة صحفية له بعد انتخابه مع هذه المطبوعة، معرضًا بازدراء عن الصحف الثلاث الرئيسية المحافظة التي هيمنت على ساحة الصحافة المطبوعة لسنوات.

وإذا كانت OhmyNews لمحة من المستقبل، فإن كوريا الجنوبية كذلك أيضًا- وهذه ليست مصادفة. إنها أمة سلكية يتصل أكثر من ثلثي أسرها بالإنترنت وأغلبها بوصلات عالية السرعة. إن الإنترنت دائمًا جزء من الحياة اليومية وليست فكرة تخطر على البال متأخرة. وقد أفرز ذلك التجمع الإليكتروني بعض أنواع الوسائط في القرن الحادي والعشرين من الألعاب الإليكترونية المعقدة والمتعددة المستويات إلى مطبوعات مثل OhmyNews.

وحتى سائقو سيارات الأجرة الذين لا يوجد لديهم وقت لقراءة الصحف سمعوا عن الـ OhmyNews. ويجذب الموقع ملايين الزوار يوميًا. ويدعم المعلنون الموقع الإليكتروني وطبعة مطبوعة أسبوعية معًا. وقال لي الرئيس التنفيذي للمطبوعة ومؤسسها أوه يون هو Oh Yeon Ho إنها حققت أرباحًا في الشهور الأخيرة.

كان أوه كاتبًا سابقًا في المجلات التقدمية ويبلغ من العمر 38 عامًا. وتمكن وزملاؤه بمساعدة فريق من العاملين قوامه 50 فردًا وكتائب من «المراسلين الصحفيين المواطنين» المساهمين – أكثر من 26 ألفًا تقدموا عندما التقيت به وكان 15 ألفًا قد نشروا قصصًا ذكرت أسماؤهم في مقدمتها – من خلق قيمة حقيقية في واقع صحفي ناشئ.

قال: «إن المفهوم الرئيسي هو أن كل مواطن يمكن أن يكون مراسلًا صحفيًا. لقد غيرنا مفهوم المراسل الصحفي».

لقد عنت الطريقة القديمة التحول إلى صحفي محترف والحصول على بطاقة صحفية. كانت الصحافة مهنة قائمة على أوراق الاعتماد وفي كوريا كان لها مكانة رفيعة إلى حد ما في المجتمع – ويبدو ذلك غريبًا بالنسبة للقراء في الولايات المتحدة التي يتمتع فيها الصحفيون بنفس الاحترام والتقدير العام الذي يتمتع به السياسيون ومندوبو مبيعات السيارات المستعملة. وقال أوه: يتمثل جوهر الطريقة الجديدة في أن «المراسل الصحفي هو الشخص الذي يمتلك الأخبار وهو الذي يحاول إخبار الآخرين».

قال جيونج وون هيون Jeong Woon Hyeon رئيس التحرير أن المراسلين الصحفيين العاملين لحساب المطبوعة تصدوا لقضايا لم تغطها وسائل الإعلام التقليدية. وينشر الموقع نحو 70٪ من القصص المقدمة يوميًا وعددها 200 تقريبًا بعد أن يقوم المحررون بقراءة القصص. ويتم النشر بناءً على هيكل هرمي مناظر للموقع على الصفحة، فكلما انخفض العنوان الرئيسي كلما اعتبره المحررون أقل أهمية أو تشويقًا، وكلما ارتفع كلما كان ذا قيمة إخبارية أكبر وأكثر جدارة بالنشر– وكلما ارتفع المبلغ المدفوع للمساهم المستقل.

حينما بدأت OhmyNews لم تكن الفكرة جديدة تمامًا، فلطالما استخدمت المنظمات الإخبارية أناسًا يساهمون بمقالات حرة. أما الشيء المختلف في OhmyNews فقد كان أن أي شخص كان بوسعه أن يسجل نفسه للمساهمة فيها ولم يكن من الصعب نشر إنتاجه. فعلى الويب المساحة المخصصة للأخبار غير محدودة بصورة جوهرية[175] وقد رحبت OhmyNews بتلقي مساهمات من كل إنسان. وأكسبت طبيعة المساهمين باعتبارهم أشخاصًا حقيقيين الموقع مزيدًا من الجاذبية.

كان التمازج بين القديم والجديد شديدًا، فقد قامت الشركة بصرف بطاقات مؤقتة خاصة بالصحفيين لكي يتسنى للمساهمين الأكثر نشاطًا تغطية أحداث معينة. وفي الوقت

نفسه عمل الصحفيون المحترفون المتفرغون بأسلوب متمنع بقدامة القدم، فتنافسوا مع المراسلين الصحفيين للصحف والمجلات والمنافذ الإذاعية الكبيرة على تحقيق سبق صحفي في الحكومة وقطاع الأعمال ثم مارسوا ضغطًا من أجل توفير أفضل عرض ممكن لعملهم.

عكست مطبوعة OhmyNews شغف رؤسائها بتجاوز حدود نظرة الصحف المحافظة الضيقة للعالم. وأحرجت تغطيتها لبعض الأحداث مثل مقتل تلميذتين دهستهما مركبة تابعة للجيش الأمريكي في صيف عام 2002، الإعلام التقليدي الذي قلل من أهمية القصة. وقد تطورت المظاهرات الاحتجاجية التي تلت الحادث إلى غضب عارم عم البلاد بأسرها تجاه أمريكا وأشعلت روحًا وطنية عميقة ساعدت في انتخاب روه.

ارتبط تحول أوه من كاتب في مجلات سرية إلى شخصية إعلامية قوية بعدد من المفارقات الساخرة، منها أن الحكومة التي كان يمقتها كان لها أعظم الأثر في ربط الأمة بالإنترنت وتمكينها من الوصول إلى البيانات بسرعة عالية. وهيأ ذلك الظروف التي منحت OhmyNews فرصة في النهاية. ثم كانت هناك الطريقة التي أدرك بها أنه ينبغي عليه أن ينشئ OhmyNews. فقد ذهب إلى الولايات المتحدة في 1997-1999 لنيل درجة الماجستير من جامعة ريجينت بولاية فيرجينيا. وكان رئيس الجامعة بات روبرتسون Pat Robertson وهو مبشر بروتستانتي وشخصية سياسية منتمية للجناح اليميني.

قال صحفي صديق لأوه إنه لكي تعرف أمريكا يجب عليك أن تعرف كيف يعمل اليمين المحافظ. وفي حالة السيد روبرتسون، كان جزء من إستراتيجيته مقاومة ما اعتبره صحافة ليبرالية متحيزة ولذا فقد نظم دورات في الإعلام من خلال جامعة ريجينت.

قال أوه شارحًا: «لقد تعلمت تقنياتهم لكن نهجي مختلف تمامًا».

وفي إحدى الدورات، تمثل الواجب المنزلي المطلوب من الطلاب في إنشاء منظمة إعلامية جديدة على الورق. وكانت الشركة التي تخيلها أوه هي أصل مطبوعة OhmyNews وحصل عنها على تقدير «ممتاز».

كانت الرؤية هي استخدام الإنترنت التي كانت تنمو نموًا هائلًا في كوريا في ذلك الوقت والاستفادة من قوة وإمكانيات الأشخاص العاديين الذين اعتقد أوه بقوة أنهم لم يساندوا حكومة كوريا الجنوبية وسياساتها بوجه عام- أناس لم تمثلهم الشركات الإعلامية المحافظة التي سيطرت على 80٪ من التوزيع اليومي. قال أوه: سيكون التوازن بين الإعلام الليبرالي والمحافظ بنسبة 50-50 أفضل بكثير.

كان أوه وزملاؤه يعلمون جيدًا أن الطبيعة التفاعلية للوسيط تتخطى بكثير حدود مناشدات OhmyNews بتقديم مساهمات من المراسلين الصحفيين المواطنين وعكس أسلوبهم ذلك الفهم. فقد كان لكل قصة وصلة مؤدية إلى صفحة تعليقات. واستطاع القراء كتابة تعليقات، تراوحت بين التأييد والنقد القاسي وصوتوا على ما إذا كانوا يوافقون أم يعترضون على تعليقات معينة.

وفي بعض الأحيان رد الصحفيون مباشرةً على صفحة التعليقات. وقام لي بونج ريول- أحد أكثر المراسلين الصحفيين المواطنين في OhmyNews نشاطًا - بالرد بانتظام لتوضيح نقاط والإجابة عن أسئلة. كما قال أيضًا أنه كان يتلقى عددًا كبيرًا من الردود على عمله بالبريد الإليكتروني.

وفي وظائف كتابة سابقة، ركز لي على الموضوعات الأسرية، منوهًا في أحيان كثيرة بإبنتيه لأن كتاباته السياسية على المواقع الإليكترونية الأخرى كانت الاستجابة لها ضئيلة أو معدومة.

وهو يقول إن OhmyNews غيرت المعادلة. فأخيرًا وجد مطبوعة عكست بعض وجهات نظره حول السياسة والمجتمع- وكانت سعيدة بنشر ما يكتبه لقراء جائعين لمثل هذه المعلومات. وخلال ثلاث سنوات تقريبًا من المساهمة في OhmyNews بلغ متوسط قصصه 100 في السنة. وقال لي أن المحررين في المطبوعة يقومون بمراجعة الهجاء ولكن لا شيء عدا ذلك تقريبًا. فالتحقق من الحقائق من جانب العاملين في OhmyNews يقتصر على القصص الإخبارية «الهامة» وليس الأبواب الشخصية التي كان الباب الذي يحرره أحدها.

قطعًا هو لم يفعل ذلك من أجل النقود. فقد كان يكسب من القصص التي كانت تتصدر نظير الصفحة الأولى في OhmyNews أقل قليلًا من 20 دولارًا، وهو أعلى أجر في ذلك الوقت. وكان يتقاضى مبلغًا أقل عن القصص التي كانت تنشر في مكان أدنى على الصفحة وهو يقدر أنه كان يتقاضى ما بين 50 دولارًا و 100 دولار شهريًا. ليس مبلغًا ضئيلًا ولكنه ثروة بالكاد.

كان لي يطمح في أن يكون كاتبًا محترفًا وقال «لا اعتقد أني مؤهل». ولكنه كان يعتقد أنه فاز باستجابة أعظم مقابل أنواع القصص التي كان يكتبها– عن حياة الناس العاديين– من بعض الصحافة المحترفة المنشورة في الصحف وعلى الموقع كل يوم.

إن طموحات OhmyNews ليست مقصورة على الإعلام المطبوع. فهي تدير خدمات فيديو إليكترونية وتخطط لتوسيع وجود وسائطها المتعددة. ويومًا ما سوف يساهم مراسلون صحفيون مواطنون مثل لي بتقارير مصورة بالفيديو وليس فقط بنص في تقاسم مذهل ومتعدد الاتجاهات للمعلومات.

عما قريب سيبدو التعايش السهل بين الهواة والمحترفين أمرًا طبيعيًا. وسوف تظهر مطبوعات شبيهة بـ OhmyNews في كل مكان لأنها منطقية وتجمع بين الأشكال الصحفية القديمة والجديدة. إن OhmyNews تجربة في الغد. وهي حتى الآن تجربة رائعة[176].

أدوات صالة الأخبار

حتى عندما ندعو الجمهور السابق للاشتراك في العملية، يجب على الصحافة أن تحتضن أولًا التكنولوجيا التي تجعل التعاون في إنتاج التقارير الصحفية أمرًا ممكنًا. وقد أجلنا القيام بذلك نوعًا ما في الماضي لكن التغيرات التكنولوجية متسارعة.

ستكون الكتابة على الويب بسيطة إذا كان النص هو كل ما يهم. وسوف يمنح الجيل التالي من الوسائط المتعددة الصحفيين خيارات أكثر– ويربك المحررين نتيجةً

لذلك. وقد وفر ظهور الهواتف المزودة بكاميرات والكاميرات الرقمية الصغيرة عالية الجودة للصحفيين المحترفين، أدوات جديدة وعظيمة تتخطى حدود النشر المكتبي. وينبغي على المنظمات الإخبارية تزويد كل موظف فيها بهاتف مزود بكاميرا وكاميرا رقمية وحث الناس على تصوير أي شيء يشبه الأخبار من قريب أو من بعيد. وبالإضافة إلى الكاميرا الموجودة في هاتفي التي تلتقط عمومًا صورًا رديئة، أحمل أيضًا كاميرا رقمية صغيرة لا تلتقط ليس صورًا فوتوغرافية عالية الجودة فحسب بل تنتج أيضًا لقطات فيديو مصحوبة بالصوت بواقع 30 إطارًا في الثانية.

ينبغي أن نشجع المراسلين الصحفيين على إنتاج لقطات فيديو مصحوبة بالصوت. وأنا اقترح أن نحول المراسلين الصحفيين إلى مصوري فيديو (ليس بعد على أية حال)، لأن أي شيء ينتقص من رسالة المراسل الصحفي بدرجة كبيرة سوف يسبب ضررًا للصحافة. ولكن ليس من المنطقي سوى تصوير لقطة فيديو سريعة لمشهد ما، مثل مكتب شخص نجري معه مقابلة. ربما ستنشر على الموقع الإليكتروني بعد إخضاعها لقدر ضئيل من التحرير، ولكنها حتى إذا لم تكن ملائمة للاستهلاك العام فإنها يمكن أن تذكِّر المراسل الصحفي ببعض التفاصيل المادية للقصة الفعلية. وبالمثل يمكن أن تضخِّم لقطات الفيديو موضوعًا ما وتعطي إحساسًا أفضل بالشخص الذي يجري عقد مقابلة معه. وحيث إن المراسلين الصحفيين يقومون بصورة متزايدة بتسجيل المقابلات بالفيديو، فلا يوجد سبب يمنع تحويل هذه التسجيلات إلى نسخ مكتوبة أو مقتطفات مسهبة لوضعها على الإنترنت (وينبغي أن تكون كذلك كلما كان ذلك مناسبًا).

هل سيهدد ذلك المصورين الفوتوغرافيين المحترفين البارعين في التقاط الصور من أجل المنظمات الإخبارية اليوم؟ آمل ألا يحدث ذلك. فمهاراتهم تفوق بكثير مهاراتي ومهارات معظم الهواة الآخرين. ولكن يجب أن نكون جاهزين لالتقاط الصور عندما لا يكون المحترفون متواجدين. فحتى الصور الفوتوغرافية الرديئة لحدث محوري ما أفضل من عدم وجود صورة على الإطلاق.

سوف يُكسب الجيل التالي للهواتف المحمولة المراسلين الصحفيين قدرة عظيمة على التقاط الصور وإنتاج لقطات الفيديو القصيرة. وسوف تكون أدوات نشر أيضًا. وقد قامت هيئة الإذاعة البريطانية –السبَّاقة والرائدة كعادتها– بتزويد بعض الصحفيين العاملين بها بهواتف محمولة من الجيل الثالث «3G» في أواخر عام 2003[177]. وعملت الهواتف على أحدث شبكات بيانات الهواتف عالية السرعة ومكَّنت المراسلين الصحفيين من إرسال مقابلات فيديو ميدانية في الوقت الحقيقي.

تدريس الجيل الجديد

في الوقت نفسه، توجد فجوة في تعليم الصحافة الذي يكون غالبًا مؤسسة ضيقة التفكير ومحافظة بعناد في حد ذاتها. ليس الأمر أن مدارس الصحافة الأفضل تفتقر إلى التكنولوجيا أو لا تعرف كيف تستخدمها، بل أنها تميل بالأحرى لخدمة هذه الصناعة المحافظة وبطيئة الحركة.

أعترف بأنني يساورني بعض الشك في الدرجات العلمية التي تمنحها الجامعات في الصحافة في المقام الأول. فبعض أفضل الصحفيين الذين أعرفهم لم يدرسوا الموضوع أبدًا في الجامعة ولكن هنا آخرين فعلوا ذلك. وأيًا كانت وجهة نظرك بشأن هذا الموضوع الذي لا ينتهي النقاش حوله، فإن الحقيقة هي أن مدارس الصحافة هي المصدر الرئيسي للعاملين الجدد. ولكن لا يمكننا أن نسمح لها بتخريج جيل جديد من المراسلين الصحفيين والمحررين والمصورين الفوتوغرافيين والمذيعين الذين لا يفهمون ويدركون كيف تغيرت المهنة. والمشكلة أخطر في الحقيقة بين هيئات التدريس منها بين الطلاب. ولست مندهشًا من أن الطلاب الذين التقيت بهم عند قيامي بإلقاء محاضرات في الجامعات الأمريكية كمحاضر زائر وأثناء تجربتي الخاصة بتدريس مقرر دراسي إعلامي جديد بجامعة هونج كونج لمدة 5 أسابيع في كل خريف، أكثر انفتاحًا وتقبلًا لهذا الأسلوب الجديد من معظم الكليات والعمداء[178].

لقد أصبح إنتاج التقارير الصحفية والتحرير التفاعليان الإليكترونيان جزءًا أساسيًا من المنهج الدراسي. لكن تدريس استخدام الأدوات سطحي نسبيًا مع ذلك. وتعليم الطلاب كيف يكونون محبين للبحث والتحقيق وفضوليين بلا هوادة ونزيهين وراغبين رغبةً حقيقيةً في إيصال معلومات للناس مسألة أصعب. هناك الكثير مما يمكن قوله عن التعليم التقليدي للفنون الليبرالية بهذا الخصوص وتقدم برامج التدريس الجامعي للصحافة الأفضل ذلك النوع من التعليم بالضبط.

يطرح جاي روسن بجامعة نيويورك حجة مقنعة تؤيد إيجاد نوع جديد من تعليم الصحافة وليس فهمًا وممارسة محدثين للمهنة ذاتها فحسب. وهو يتصور مدرسة للصحافة تستمد إلهامها من مدرسة ييل للدراما وليس من شبه العلم الذي تفرضه مهنة المعلومات على معظم الجامعات.

قال لي روسن: «يوجد لمدرسة ييل للدراما نصفان. الأول يقول إليك الكيفية التي يمكن أن تدرس بها الدراما وتصبح ممثلًا أو مخرجًا. والجانب الآخر يقول إليك مسرح ذخائر ييل وبرنامج غناء ورقص (كباريه) ويقوم بإنتاج أعمال فنية» إنه يريد أن تقلد جامعة نيويورك شيئًا من هذا.

من خلال منحة من مؤسسة ما تحاول جامعة نيويورك إنشاء ما يطلق عليه روسن اسم «نموذج محفظة تعليم الصحافة». ومن ضمن الأفكار جذب الطلاب الذين يكون بعضهم صحفيين محترفين بالفعل ويعتقدون أنهم يعرفون نوعية الصحفيين التي يرغبون في الانتماء لهم – على سبيل المثال مراسل صحفي لقضايا حقوق الإنسان أو صحفي موسيقي. ثم يقومون بإنشاء محفظة إليكترونية تظهر ما يستطيعون القيام به[179]. وتقدم جامعة نيويورك بعض التدريب الأساسي، لكن التركيز منصب على إنشاء مجموعة من الأعمال التي سيتم عرضها على الويب مصحوبة بمعلومات عن طريقة الاتصال بالطالب. هذه الطريقة التي يجب أن تكون تفاعلية أكثر تتعارض إلى حد ما مع النموذج التقليدي لتعليم الصحافة الذي يميل فيه الطالب لتعلم كيف يكون

شخصًا لا اختصاصي بل متعدد البراعات. ولكن في عصر المدونات والمدونات المتخصصة الذي نعيش فيه - والذي ينضم فيه المزيد من الناس من حقول أخرى إلى المنظمات الإخبارية كمراسلين صحفيين متخصصين- يستحق هذا النهج الدراسة على الأقل.

وعلاوة على ذلك، يجب أن تعكس مدارس الصحافة التطور من نسق المحاضرة إلى النسق التحادثي. وكحد أدنى ينبغي أن تصر مدارس الصحافة على أن يفهم الطلاب المعنى الحقيقي للتفاعلية، التي هي أساس التخاطب مع الجمهور. ويمكنها أن تبدأ بجعل المحادثة أكثر ثراءً بين هيئة التدريس والطلاب في الحرم الجامعي. ولا يزال نسق المحاضرة التعليمي يتمتع بقيمة في بعض الظروف، ولكن في بعضها فقط.

في مدرسة ميديل للصحافة التابعة لجامعة نورث ويسترن المعترف بها على نطاق واسع كواحدة من أفضل المدارس في العالم، يبشر ريتش جوردون Rich Gordon الذي عمل سابقًا مراسلًا صحفيًا ومحررًا مع العديد من الصحف الأمريكية الكبيرة ومنها ميامي هيرالد، بالمحادثة ويطبق ما ينادي به. وقد قال لي في إبريل 2004:

أنا أدّرس الإعلام الجديد في عدد من السياقات المتنوعة- أنا أدرِّس لصفوف مركزة على تأثير الإعلام الجديد على الصحافة، وأزور صفوفًا أخرى للتحدث عن الكيفية التي تغير بها الإنترنت الصحافة، وأؤدي عروضًا تقديمية أمام المديرين التنفيذيين بالشركات الإعلامية حول الإستراتيجية الإعلامية الجديدة. وفي كل هذه الأنواع من الصفوف، أتحدث عن القدرات الفريدة للإعلام الجديد. ومن الواضح أن من أكثرها قوة هي الطريقة التي يغير بها العلاقة بين الصحفي وما أسميناه تاريخيًا الجمهور. وأنا أضرب لهم أمثلة مثيرة للاهتمام لهذا النوع من الصحافة ومنها المدونات الإليكترونية ومنتديات المناقشة و OhmyNews والمدونات المصورة... إلخ. وأثير مسألة لم لا يتجهز عدد أكبر من الصحفيين والشركات الإعلامية التقليدية الفرصة لتغيير علاقتهم بالجمهور.

في ضوء كل ما قلته، أعتقد أن ربع السنة الحالي هو أول ربع سنة أدرِّس فيه لصف مركَّز بالكامل على هذا الموضوع. ولدي مجموعة مؤلفة من ستة من طلاب الدراسات العليا في الإعلام الجديد الذين يستعدون لنيل درجة الماجستير فيه ويعملون مع advance.net (وجيف جارفيس) لدراسة الفرضية التي تقول إن إعلام «المواطنين المفرطين في المحلية» hyperlocal citizens يمكن أن يساعد في تلبية الاحتياجات المعلوماتية لبلدة أو حي سكني ما. وكما تعرف، هناك ميل من جانب الإعلام التقليدي لعدم تغطية المجتمعات التي تكون بهذا الحجم (أقل من 100 ألف نسمة مثلًا) بشكل كافٍ. ولا تستطيع صحف العواصم اليومية ليتانية الرئيسية، تحمل تكاليف شغل الوظائف في صالات الأخبار في عشرات أو مئات المجتمعات التي تكون بهذا الحجم، ولا تستطيع تقسيم القسم المحلي بطرق تكفي لتوفير تغطية على هذا المستوى، وتتقاضى رسومًا باهظة نظير الإعلانات لتحصل على نوعية الإعلانات التجارية المحلية الكفيلة بتغطية أجور الصحفيين في هذه المجتمعات – ونوعية الإعلانات التي يقدر سكان هذه المجتمعات قيمتها كمعلومات مفيدة. وإذا كان مجتمع محلي بهذا الحجم محظوظًا سيكون لديه صحيفة أسبوعية أو يومية جيدة تفهم أن رسالتها هي توفير هذا النوع من الصحافة المفرطة في المحلية. ولكن حتى في الأماكن التي توجد بها صحف مجتمعية جيدة، توجد معلومات لا تصل إلى الإعلام المطبوع. وقد اختار طلاب، مدينة جوردون ستوكي بولاية إلينوي وهي مدينة يبلغ عدد سكانها حوالي 54 ألف نسمة وتقع بالقرب من مقر جامعة نورث وسيترن في إيفانستون لإطلاق تجربتهم. وبعد طلب المساعدة من السكان المحليين والمنظمات المحلية، أطلقوا goskokie.com (وهي مدونة تحتوي على منتديات ووسائط أخرى) تحت شعار «الأخبار من أجل الناس وبواسطة الناس». وقال جوردون إن الطلاب اتصلوا بالمنظمات والأفراد المحليين طلبًا للمساعدة. وستكون متابعة المدونة أمرًا جيدًا ومن المحتمل أن تكون نموذجًا يحتذي بالنسبة لتعليم الصحافة.

مسألة ثقة

إن استخدام أدوات الصحافة متعددة الاتجاهات لا يعني أننا يجب أن نعبر الخطوط الأخلاقية. ولدينا الكثير الذي يمكن أن نتناوله بالفعل حول هذه النقطة مثلما أثبت جايسون بلير سيئ السمعة من خلال ما أقدم عليه من تلفيق وانتحال لآراء الغير أثناء قيامه بإعداد التقارير الصحفية لحساب صحيفة نيويورك تايمز. وعندما نقل مات دراج Matt Drudge الصحفي المسئول عن تغطية القيل والقال على الإنترنت، شائعات عن إجراء تحقيقات مع السيناتور جون كيري- مرشح الحزب الديمقراطي في انتخابات الرئاسة- عن تورطه في علاقة عاطفية مع متدربة سابقة، تناقلت قلة من المنظمات الإخبارية المسئولة القصة، فلم يكن لدراج سجل قوي في الدقة. واتضح أن المطبوعات ومحطات البث الإذاعي قديمة الطراز التي ازدرت القصة قامت بإجراء المكالمة الهاتفية المناسبة على الإنترنت وخارجها معًا (سوف أتناول هذه النقطة بقدر أكبر من الاستفاضة في الفصل التاسع).

أيًا كانت الأدوات والتكنولوجيات التي نستخدمها، يجب علينا الحفاظ على المبادئ الأساسية ومنها النزاهة والدقة والشمول. فهذه ليست أفكارًا تخطر على الذهن متأخرة، بل هي ضرورية وأساسية إذا كانت الصحافة المحترفة تتوقع البقاء على قيد الحياة.

وحتى عندما نصغي بشكل أفضل لجمهورنا السابق ونتحدث بشكل أكثر حرية، نظل ملزمين بجمع أكبر كم ممكن من الحقائق. إننا ملزمون بأن نكون نزيهين، وملزمون بتصحيح أخطائنا. ولحسن الحظ يبدو أننا سنكون أقدر حتى على الحفاظ على تلك المبادئ إذا أصغينا وشاركنا في المحادثة.

وسوف نظل في حاجة إلى محررين. ومؤلفو المدونات الذين يزدرون المحررين كليًا أو يقولون إنه لا توجد صلة بينهم وبين العملية بدرجة كبيرة مخطئون. إن عيون وآذان المجتمع مصوبة نحو ما تقدمه المدونات[130]. وكما ذكرت من قبل، فإن قرائي يجعلون

مني صحفيًا أفضل لأنهم يكتشفون أخطائي ويخبرونني بما فاتني الانتباه له أو فهمه ويساعدونني على فهم الفروق الدقيقة.

ويضيف المحررون الأكفأ خبرتهم الشخصية بطريقة مختلفة. فهم مدربون -من خلال الخبرة الطويلة في معظم الأحيان- على البحث عما يكون ناقصًا في قصة ما. وهم يطرحون أسئلة صعبة ويطلبون تقديم أدلة أفضل مؤيدة لما يدعون و- في النهاية- يفهمون كيف تتجمع أجزاء ما نسميه بالصحافة معًا. وأحيانًا يمكنهم مساعدتنا على إدراك أن الأقل أكثر: لا أستطيع إحصاء عدد المرات التي قال فيها محرر عمودي أن جملة ما غير ضرورية أو مهيجة للمشاعر بدون غرض ويؤدي بي ذلك للموافقة على أن حذفها سيقوي المقال ولا يضعفه. إنهم يجعلون عملي أفضل بطرق مختلف ولا أرغب في أن أراهم يختفون.

إننا نستطيع مساعدة الصحفيين الجدد على فهم وتقدير قيمة الأخلاق وأهمية خدمة ثقة الناس والاحترافية ولا نستطيع – ولا ينبغي لنا – أن نستبعدها.

الفصل السابع

الجمهور السابق ينضم إلى الحفلة

في 10 ديسمبر 2003 نظم آلاف العراقيين مسيرة في شوارع بغداد احتجاجًا على القصف الأمريكي للعراق والعنف الذي تسبب في وقوع إصابات بين المدنيين فاقت عدد الإصابات بين العسكريين. وبرغم كل الأغراض العملية، لم تنتبه صحيفة ذا نيويورك تايمز والمنافذ الإعلامية الرئيسية الأخرى إلى المسيرة ومغزاها.

إلا أن بعض مؤلفي المدونات المحليين لم يغب عنهم ذلك. فقد ظلوا ينفخون في الأبواق معلنين عن المظاهرات المؤيدة للديمقراطية على مدى أيام قبل وقوع الحدث. وتبين أن المدونات أصبحت أفضل طريقة للحصول على أخبار عن حدث هام.

وقد جاء بعض أبرز تغطية من مؤلف مدونة اسمه زياد Zeyad أصبح موقعه المسمى «مداواة العراق» Healing Iraq[181] قناة رئيسية لكل شخص أراد فهم أحوال العراق المحتلة (أو على الأقل ذلك الجزء من بغداد). وكانت تقاريره وافية وكاشفة ونما عدد قرائه بسرعة حالما علم الناس بوجود هذا الموقع.

قال لي زياد في رسالة بريد إلكتروني: «لقد اندهشت من اعتياد الناس على مدونتي كمصدر للمعلومات بالإضافة إلى الأخبار. وقد اعترف لي كثير من قرائي بأنه يتفقدون مدونتي حتى قبل تفقد المواقع الإخبارية مثل: CNN، BBC،... إلخ. والشيء الذي أجد الناس أكثر اهتمامًا به هو الروايات المباشرة التي تصف الحياة اليومية في العراق. ولأن مصدرها مواطن عراقي فإنهم يصدقونها أكثر مما كان مصدرها صحفيين غربيين».

كانت التقارير الصحفية لزياد مجرد مثال آخر للكيفية التي برزت بها القاعدة

الجماهيرية كقوة حقيقية في الصحافة. والواقع أن القاعدة الشعبية تتخطى النزعة الاستهلاكية الشاحبة التي ميزت تغطية واستهلاك الأخبار في نصف القرن الماضي أو أكثر. ولأول مرة في التاريخ الحديث، أصبح المستخدم مسئولًا حقًا كمستهلك وكمنتج.

يركز هذا الفصل على مجموعتين عريضتين. الأولى هي الأشخاص الذين كانوا نشطين وفاعلين بطريقتهم الخاصة، حتى قبل أن تصبح الصحافة الشعبية متاحة بهذه الدرجة للجميع. وهم الكتّاب التقليديون للخطابات الموجهة للمحرر: وهم مشاركون ونشطون عادةً على مستوى محلي. وهم الآن يستطيعون كتابة مدونات إليكترونية وتنظيم اجتماعات عبر موقع Meetup وتحريض الجماهير عمومًا وحشدها حول القضايا السياسية أو غير السياسية التي تهمهم. وما أن يعرفوا إلى أي مدى يمكنهم تخطي المصادر المعيارية للأخبار والتأثير فعليًا في عملية الصحافة حتى يصبح لهم تأثير متزايد من خلال كونهم جزءًا من محادثة أكبر من أي وقت مضى.

أنا أكثر تحمسًا للمجموعة الثانية – التي آمل أن تكون أكبر – من الجمهور السابق. إنها الأفراد الذين ينقلون العملية الصحفية إلى المستوى التالي. إننا نشهد صعود مؤلف المدونة القوي، ومنشئ الموقع الإليكتروني ومالك القائمة البريدية أو مرسل الرسائل النصية القصيرة (SMS) – الوسيط أقل أهمية من حيث المقصد والموهبة – الذي أصبح مصدرًا رئيسيًا للأخبار بالنسبة للآخرين، ومنهم الصحفيون المحترفون. في بعض الحالات بدأ هؤلاء الأشخاص يتحولون هم أنفسهم إلى صحفيين محترفين ويجدون طرقًا لتحويل هوايتهم إلى نشاط تجاري.

الصحفي المواطن: مؤلفو المدونات (وأكثر) في كل مكان

في 19 فبراير 2004 تم اصطحاب ريكس هاموك Rex Hammock إلى داخل مبنى المكاتب التنفيذية القديم في واشنطن. وجلس هو وأربعة رجال أعمال صغار آخرون

مع الرئيس جورج دبليو بوش لإجراء مناقشة قصيرة حول القضايا الاقتصادية. كان هذا الاجتماع واحدًا في سلسلة من الاجتماعات عقدها بوش مع مؤيدي سياسات الإدارة الأمريكية. ولكن على عكس الجلسات السابقة، كانت هذه الجلسة مقصورة على الصحافة.

ولكن ما لم يعرفه مسئولو البيت الأبيض فيما يبدو - أو لم يبالوا به إذا كانوا يعرفون- هو أن هاموك وهو مالك شركة صغيرة للنشر في ولاية تنيسي كان صحفيًا مواطنًا في حد ذاته. وفي طريق عودته إلى المطار في ذلك اليوم كتب على حاسبه المحمول مقالًا طويلًا ومكتوبًا على نحو مفكك إلى حد ما سرعان ما قام بإرساله إلى مدونته[13]. لم يتضمن المقال إذاعةً لأخبار بل كان نوعًا من التقارير الصحفية. لقد أراد أن يعبر عن انطباعاته لا أن يناقش السياسة.

كتب هاموك يقول عن بوش: «هو قطعًا ليس شخصًا مهزوزًا أو مترددًا ولكنه يعرف بوضوح ما يعتقد أنه يجب أن يحدث لكي يتحقق الازدهار للبلد واقتصاده. ولا اعتقد أن النقاشات الدائرة حول «ما إذا لو» و «ماذا عن» تهمه. ولا أنا فيما يخص تلك المسألة».

لقد أصبحت التعليقات المرسلة إلى المدونة والتغطية الإعلامية لما فعله هذا المراسل الصحفي المواطن في غياب تغطية إعلامية قياسية، قصة مصغرة في حد ذاتها. وكان أحد الدروس واضحًا: استبعاد الإعلام من التغطية لم يعد يعني الكثير بالضرورة.

لقد تعلم والت موسبيرج Walt Mossberg وكارا سويشر Kara Swisher اللذان يكتبان عمودين في صحيفة وول ستريت جورنال هذا الدرس، قبل ذلك بتسعة شهور في المؤتمر الذي عقدته الصحيفة تحت شعار «كل الأشياء رقمية» في كاليفورنيا الجنوبية. وكان ما سبب انزعاج رجال الصحافة «الرسميين» الذين حضروا الحدث، وأنا واحد منهم، أنه لم يسمح بتغطية أو تسجيل الجلسات الرئيسية. وبالطبع لم يحل ذلك دون قيام عدد من الحاضرين العاديين بكتابة ما قاله المتحدثون المختلفون ومنهم رئيس شركة

مايكروسوفت بيل جيتس Bill Gates ورئيس شركة أبل ستيف جوبز Steve Jobs في مدوناتهم. (في مدونتي أشرت لاحقًا إلى التغطية غير الرسمية)[183] . وقد تم رفع القيود في مؤتمر 2004.

تُبيِّن هذه الحالات العقم المتزايد الذي يتسم به تعبير «ليس للنشر» Off the Record في مجموعات كبيرة أو عند التعامل مع صحفيين غير محترفين ليسوا على دراية بالمصطلحات الخاصة بما يمكن الإفصاح عنه وما لا يمكن. تذكر الواقعة التي ذكرتها في المقدمة عندما ساعد مؤلفو المدونات على تأليب جمهور ما ضد رئيس تنفيذ لإحدى شركات الهاتف. وفي مؤتمر آخر عقد في الخريف التالي[184]، سُئل هوارد رينجولد عما إذا كانت التغذية المرتدة والتعليق في الوقت الحقيقي اللذان تجسدهما مدونة ناتشيو Nacchio ربما تؤدي بالمتحدثين في المؤتمر إلى اعتماد قدر أقل من الصراحة في مثل هذه الظروف. بعبارة أخرى: تساءل صاحب السؤال هل سيحدث هذا النوع من الأشياء «تأثيرًا مثبطًا» على الخطاب العام؟

على العكس من ذلك قال رينجولد «أعتقد أنه لن يكون هناك أي تأثير مثبط» فرد عليه جمهور الحاضرين بالضحك والتصفيق.

إن تغطية الأحداث العامة من قبل الصحفيين غير المحترفين هو جزء فقط من القصة. والنقطة المهمة أيضًا هي حقيقة أن الناس يعبرون عن رأيهم. ويعد هذا أحد التطورات الإعلامية الأكثر إيجابية منذ وقت طويل. إننا نسمع أصواتًا جديدة -ليس بالضرورة أصوات الأشخاص الذين يريدون كسب رزقهم من التكلم علنًا ولكن الذين يريدون الإفصاح عما يفكرون فيه ويعتقدونه والاستماع لهم ولو حتى من قبل عدد قليل نسبيًا من الناس.

ومن الانتقادات الرئيسية التي توجه للمدونات أن كثيرًا منها من النوع المستغرق في ذاته. وما من شك في أن معظمها لا يهم سوى الكاتب وبعض أفراد أسرته وأصدقائه فحسب. ولكن ليس هذا سببًا يبرر رفض هذا القالب أو التقليل إلى الحد

الأدنى من قيمة تخاطب الناس مع بعضهم. ومع ذلك، فإن ما يثير حماسي في هذا السياق هو أن العدد المتنامي للمدونات المكتوبة بواسطة أشخاص يرغبون في التحدث بذكاء عن مجال خبرة، علامة على وجود شيء حيوي ما. إن المدونات يمكن أن تكون أفعالًا تجسد المشاركة والانخراط المدني.

ويمكن أيضًا أن تكون أفضل – أو تقدم بالتأكيد عمقًا أكبر– من المحترفين الذين يواجهون القيود المعتادة المتعلقة بوقت نقل الأخبار والمساحة (أو زمن الإذاعة) المتاحة لما يعلمونه. والمثال على ذلك هو عمل باميلا جونز Pamela Jones وهي شخصية شبه قانونية تدير مدونة اسمها Groklaw[185] ربما أصبحت أفضل مصدر للمعلومات عن المعركة القانونية الدائرة بين مجموعة «إس سي أو» (SCO) وهي شركة برمجيات ومجتمع البرمجيات الحرة. وفي هذه الدعوى القضائية تزعم مجموعة «إس سي أو» ملكيتها لبرمجيات كانت مقدمة لنظام التشغيل لينوكس. وقاضت المجموعة العديد من الشركات منها آي بي إم وهددت مستخدمي نظام تشغيل لينوكس. ويمكن أن تقرر المعركة مستقبل برمجيات المصدر المفتوح ذاتها. ولم تقم أي منظمة صحفية محترفة بتغطية هذه القضية بالغة التعقيد بنفس كفاءة جونز وفريقها من المتطوعين. ولا يمكن وصف البحث الضخم الذي قاموا بإجرائه إلا بأنه مذهل. في مقابلة على لينوكس أون لاين Linux Online[186]، شرحت جونز دوافعها:

> حسنًا.. لقد قلت لنفسي ما الذي يمكن أن أفعله بصورة جديدة؟ وكانت الإجابة هي: أستطيع إجراء بحوث والكتابة. هذان هما الشيئان اللذان يستخدمني المحامون والشركات لكي أقوم بهما. وقررت أن أفعل ما أجيد القيام به وأقذفه إلى الخارج مثل رسالة داخل زجاجة. لم أظن أبدًا أن عددًا كبيرًا من الناس سيقرءون ما كتبته، باستثناء شركة آي بي إم التي قد تعثر على بحثي وتجده مفيدًا لها أو شخص قد يقرأه ويدرك أن لديه أدلة ذات معنى ويتصل بشركة أي بي أم أو مؤسسة البرمجيات الحرة (FSF). أعلم أن المادة التي نشرتها يمكن أن تفيدهم إذا كانوا لا يعلمون بوجودها

فعلاً. وبسبب تدريبي، فإنني أعرف ما يكون مهمًا فيما يتعلق بهذه القضية. وتقوم الشركات أمثال آي بي أم باستخدام أشخاص ليقوموا بتمشيط الإنترنت بحثًا عن هذه المواد وعن أي شيء يتضمن ذكرًا للشركة، ولذا فقد افترضت أنهم سيلاحظونني. هذا كل ما توقعته. وأنا لا أقصد بذلك أن أقلل من شأن البحث كمساهمة، بل كل ما أريد قوله هو أنني لم أتوقع آلاف القراء كل يوم.

إن ما أمّلت فيه وحصلت عليه كان قوة «العيون الكثيرة في هذا السياق الجديد». وكان ذلك بصيرة ثاقبة حاسمة. لقد نجحت «قوة العيون الكثيرة» (صحافة المصدر المفتوح) لأن العمل، برغم كونه مركّزًا على شغف شخص واحد بالموضوع، انتشر بين أفراد المجتمع. وهذا مثال آخر لشخص شغوف من غير الخبراء استخدم التكنولوجيا لتقديم مساهمة عميقة وإحداث اختلاف حقيقي.

التطوري والثوري

يستطيع الأمريكيون، في ظل الحماية التي يكفلها لهم التعديل الأول، كتابة المدونات عمومًا دون أن يترتب على ذلك إلا عواقب قليلة. إلا أنه في ظل عدم منح حرية التعبير في بلد بعد الآخر يكون مجال المدونات مهمًا بطرق أكثر جدية. ويتسبب ذلك في حدوث ثورات فعلية.

لو كان النظام السياسي الإيراني المشهور بطابعه القمعي يرى أي إمكانية لتحقيق إصلاح بدون المعاناة من ثورة عنيفة أخرى، للعبت مساهمات أشخاص مثل حسين ديرخشان Hossein Derakhshan دورًا ليس بالصغير. يُدعى ديرخشان حودر Hoder. وقد انتقل هذا المغترب الذي يبلغ من العمر 20 عامًا إلى تورنتو بعد مغادرة إيران وربما، كان أول مؤلف مدونة باللغة الفارسية عندما أطلق موقعه في ديسمبر 2000[08]. ومن خلال إجراء بعض التعديلات في هيئة برنامج Blogger، «أستطيع الإرسال والنشر باللغة الفارسية». وهذا شيء لم يكن ممكنًا من قبل بالنظر لصعوبة استخدام مجموعة الحروف الفارسية.

تشجع حودر وقرر مساعدة الإيرانيين الآخرين على إنشاء مدونات خاصة بهم. قال لي حودر: «لقد نشرت الدليل البسيط الذي يشرح طريقة ذلك خطوة خطوة في 5 نوفمبر 2001، وتمنيت أن يستطيع 100 شخص البدء في كتابة مدوناتهم في غضون سنة واحدة. ولكن بعد مرور شهر واحد أصبح لدينا بالفعل أكثر من 1000 مدونة باللغة الفارسية. كان ذلك أمرًا لا يمكن تصديقه».

إلا أنه لم يكن مذهلًا مثلما تطورت الأمور فيما بعد. فقد نمت PersianBlog.com وهي خدمة تم إنشاؤها في 2002، إلى أن أصبح لديها أكثر من 100 ألف حساب مستخدم في أقل من سنتين. وقد قدر حودر أن أكثر من 200 ألف مدونة إيرانية تم إنشاؤها بحلول أوائل 2004، وإن لم تكن جميعها مكتوبة في إيران ولا يتم المحافظة على استمرارية كثير منها. ومن جديد نقول أن النقطة الأكثر أهمية هي ما مكنت الإنترنت من حدوثه: لقد تمكن الإيرانيون الذين يعيشون في بلد قمعي يفرض ضوابط رقابية صارمة على الإعلام من الجهر بآرائهم والوصول إلى كم متنوع من الأخبار والآراء.

تمثل المدونات قطاعًا مستعرضًا من المجتمع الإيراني. ويركز كثيرٌ منها على موضوعات ليس مسموحًا للناس بمناقشتها بحرية في وسائل الإعلام الإيرانية: العلاقات، الجنس، الثقافة والسياسة. وهي شبكة اتصالات بالنسبة لشعب يتعرض للقمع وتتحدث عن نظام حكم يصارع للتحكم في الكيفية التي تُستخدم به التكنولوجيا الحديثة من جانب مواطنيه والرقابة عليها.

تستطيع نظم الحكم القمعية إسكات الأصوات الفردية وهي تفعل ذلك فعلاً. وقد اكتشف المهتمون بالمعلومات في الصين قوة النشر الشخصي منذ زمن طويل وطفقوا يحاولون الإبقاء على أكثره إصغاء للأصوات – على الأقل الناقد للنظام الحاكم أو الذي يناقش موضوعات محظورة خارج نطاق التداول العام. وقد فقدت امرأة صينية شابة تكتب تحت الاسم المستعار موزيمي «Muzimei» وهي مدونة تتضمن توصيفات جريئة لعلاقاتها الجنسية، وظيفتها ككاتبة عمود في إحدى الصحف بمقاطعة جوانج دونج.

ومع ذلك فإن منع الحقيقة من الظهور أمر صعب. وقد اكتشف سينا موطالبي Sina Motallebi وهو مؤلف مدونة إيراني ذلك عندما سُجن بسبب مدونته في 2003. فقد احتج كتّاب مدونات وبعض الصحفيين حول العالم على سجنه وتم الإفراج عنه بعد 23 يومًا وانتقل بعد ذلك إلى أوروبا[188]. ولكن ما كان يتكلم عنه لم يختف من وعي ووجدان الإيرانيين، الذين أرادوا ما هو أكثر من خط حزبهم المحلي. وكتّاب المدونات الفارسية لا يزالون يتحدون الوضع القائم.

من يتمتع منا بالحماية بموجب التعديل الأول في الدستور الأمريكي ينبغي ألا يبالغ في الاعتداد بنفسه. فشغف الأمريكيين بالحرية، ومنها حرية التعبير الحقيقية، يتأرجح على بندول يتحرك حاليًا في اتجاه مثير للقلق. فقد أصبحت السرية هي القاعدة والمعيار في أروقة السلطة، وتؤكد الشركات الكبيرة، لاسيما في صناعة الترفيه، على حقوق «الملكية الفكرية» التي تقتطع أجزاءً كبيرة من حرية التعبير. وسوف أتناول هذه النقطة بمزيد من التفصيل في الفصل التاسع.

نعم... لقد مكّنت التكنولوجيا الملايين من التحدث بحرية ومن إسماع صوتهم، لأول مرة بالنسبة لكثيرين منهم. لكن النضال للمحافظة على تلك الحرية التي تجلب معها مخاطر جديدة حتى في المجتمعات الحرة قد بدأ فقط.

النشر المجتمعي غير الهادف للربح

إن ميلروز ميرور Melrose Mirror ليست مدونة[189]. فهذه المطبوعة الإليكترونية التي يتم تحديثها في يوم الجمعة الأول من كل شهر تشبه نشرة إخبارية مجتمعية أكثر من أي شيء آخر، ولكنها مثال جيد لصحافة الغد. تقول ميلروز على صفحتها التي تحمل عنوان «مرحبًا» Welcome: «إن شبكة الويب ليست من أجل الكسالى، بل هي من أجل الأشخاص الذين يهتمون ويشتركون ويعون».

وقد تم تأسيس مطبوعة ميرور في 1996 لخدمة مجتمع ميلروز بولاية ماساشوسيتس.

وتقوم بتحريرها جماعة Melrose Silver Stringers وهي مجموعة من المواطنين الذين كرسوا وقتهم وطاقتهم للشئون المجتمعية. وهذا الموقع ليس جذابًا لاسيما إذا قورن بمواقع الأخبار التجارية البراقة. كما أنه ليس تفاعليًا. وهو يحتوي على مادة شعبية حقيقية ويمتلئ بمقالات وصور تعطي قراءه إحساسًا متميزًا بالمكان إلى جانب الكثير من المعلومات المفيدة من أجل حياتهم ومجتمعهم.

كانت مطبوعة ميرور حقل التجارب الأصلي لمشروع بدأه كونسورتيوم «الأخبار في المستقبل» التابع لمعهد مساشوسيتس للتكنولوجيا في المختبر الإعلامي الشهير. وقد أنشأ المعهد المذكور برمجيات تعتمد على استخدام الويب المعروف أيضًا باسم Silver-Stringer[190] لتسهيل النشر المجتمعي.

وقد حقق البرنامج نجاحًا كبيرًا. قال جاك دريسكول Jack Driscoll الباحث الزائر والمحرر المقيم بالمختبر الإعلامي ومستشار كثير من الجماعات المستخدمة للبرنامج: «يُستخدم برنامج SilverStringer كثيرًا حول العالم من قبل كبار السن والمراهقين والأطفال». وإلى جانب الولايات المتحدة، تشمل البلدان التي أصبحت فيها هذه المنصة أساس الصحافة الشعبية: فنلندة، إيطاليا، البرازيل، تايلاند، أيرلندة، الهند، المكسيك وكوستاريكا. والمنشأة الأكبر على الإطلاق يجري تشغيلها من قبل صحيفة لا ريبوبليكا في إيطاليا وتستخدم الوحدة الإليكترونية التابعة لها[191] «كاتاويب» Kataweb برنامج SilverStringer للمساعدة في نشر حوالي 4200 صحيفة مدرسية إليكترونية.

لعل الموقع الأكثر شهرةً الذي يستخدم البرمجيات هو جونيور جورنال Junior Journal[192] الذي يديره أطفال من جميع أنحاء العالم بدون إشراف من الكبار باستثناء دريسكول، وهو رئيس تحرير سابق لمطبوعة ذا بوسطن جلوب، بصفته مستشارًا للموقع. وقد عمل أكثر من 300 طفل من 90 بلدًا على جونيور جورنال خلال السنوات الخمس الماضية.

قال لي دريسكول: يقوم الصحفيون الصغار بتحرير عملهم بدقة وصرامة. ولكل قصة ثلاث محررين وأحيانًا يصل العدد إلى خمسة، وتغذي العملية الإحساس بالمسئولية والأخلاق معًا.

قال دريسكول: «كتب أحد الأطفال عن شركة متعددة الجنسيات. وقال في القصة الأصلية إنه يوجد بها تاريخ من الرشوة. وعند التحقق من هذه المعلومة تبين أن الشركة قامت ذات مرة برشوة أحد المسئولين ولكن لم توجه لها أي اتهامات. لقد قام الأطفال بأداء الواجب المنزلي» – وانتهى بهم الأمر إلى تخفيف نبرة القصة.

وفي حالة أخرى، اعترض القائمون على إدارة الموقع على قصة احتوت على كلمات أغنية لمغني الراب إيمينيم Eminem. فقد كتب أحد الصحفيين الصغار مقالًا نقديًا تضمن مقطعًا شعريًا انطوى على محتوى غير لائق. ونظرًا لوجود أطفال في سن التاسعة ضمن الجمهور، فقد رأى المحررون أن ذلك المقال غير مناسب.

إن قلة من العاملين في الإعلام الكبير سترى أن هذه الأنواع من المطبوعات المجتمعية منافسة. لكن وجودها له أثران إيجابيان على الأقل. فأولًا: هي تُعَرِّف الناس بما يمكن أن يقوموا به بأنفسهم. وهي ثانياً: توسع جمع المعلومات في وقت يقوم فيه الإعلام الكبير بتقليص موظفيه وموارده. وتتسم ميلروز ميرور وجونيور جورنال بحيوية لا تخطئها العين يفتقر لها معظم الصحافة اليوم. قال دريسكول: ربما توقظ هذه الأنواع من المطبوعات الإعلام الكبير من سباته. وعلى الأقل يضيف هذا الأسلوب الصحفي أصواتًا نحن في حاجة لها.

وأضاف دريسكول: «إنني أراها امتدادًا للأخبار. إننا نوسع تعريف الأخبار كما يُنظر لها من منظور الأشخاص العاديين الذين لديهم خبرة بالحياة.. إنها شيء يمكن الاشتراك فيه. إنها أخبار أيًا كانت الطريقة التي تنظر بها لها».

الإعلام البديل يزدهر

ربما كان من الغريب أن ما يسمى «بالصحافة البديلة» في أمريكا لم تستخدم الإنترنت بصورة جيدة جدًا. فقد كانت الصحف البديلة بوجه خاص بطيئة في توسيع رسالتها لتشمل الإعلام الجديد. وربما يعود ذلك في جانب منه إلى أن الاندماج في تلك الصناعة، يترك الكثير من الصحف البديلة في أيدي شركتين فقط وهما فيليدج فويس ميديا Village Voice Media ونيو تايمز ميديا New Times Media[193]. وقد فقد بعض هذه الصحف، وليس كلها، صفاته المميزة. ولذا فقد ظهر نوع جديد من الإعلام البديل على الإنترنت إلى جانب المدونات.

من أشهر هذه الأنواع مركز الإعلام المستقل Independent Media Center المعروف أيضًا باسم انديميديا Indymedia[194]. فقد تم تأسيس هذا المشروع في 1999 على يد مجموعة من الناشطين المناهضين للعولمة الذين أرادوا تغطية مؤتمر منظمة التجارة العالمية في سياتل بطرق لم يعرفها الإعلام التقليدي. وقام الناشطون العاملون في المركز بجمع مادة من مصادر مختلفة، منها أشخاص يحملون كاميرات في الشوارع التقطوا صورًا لضباط الشرطة المحلية وهم يسيئون معاملة المحتجين. وفي ظل توافر نشرة إخبارية وموقع له على الويب، تمكن إنديميديا من جذب جمهور كبير – وتسببت زيارة ثقيلة الوطأة من عناصر مكتب التحقيقات الفيدرالي (FBI) في لفت الانتباه للمجموعة بدرجة أكبر. وقد أعطى الجهد المبذول في سياتل مركز الإعلام المستقل دفعةً قويةً فنشر جناحيه. وبحلول منتصف عام 2003 أصبح له عشرات الوحدات التابعة في الولايات المتحدة وحول العالم.

عندما اجتاحت الولايات المتحدة العراق في ربيع عام 2003، نزل المحتجون إلى شوارع سان فرانسيسكو وشلوا الحياة في المدينة وفقًا لروايات كثيرة. ومن خلال تعميم كاميرات رقمية وحاسبات محمولة وWi-Fi، تمكن المراسلون الصحفيون التابعون لإنديميديا – وهم صالة أخبار مجمعة ذاتيًا – من تصوير الأحداث ببراعة. قال بوب

كوثورن Bob Cauthorn نائب الرئيس السابق لديجيتال ميديا بصحيفة سان فرانسيسكو كرونيكل لمجموعة من الصحفيين الإليكترونيين في إبريل 2004: «لقد سدد لنا إنديميديا ركلةً في مؤخراتنا» وقال إن الصحفيين المستقلين بصفة خاصة فضحوا حالات عديدة لوحشية الشرطة لم تقم وسائل الإعلام الرئيسية بتغطيتها.

وبوجه عام حقق جهد إنديميديا بعض النتائج الجديدة بالثناء والإشادة. لكن سجل أدائه متباين بطرق تُشعر الصحفيين التقليديين بالضيق وعدم الارتياح، ويعود السبب الرئيسي في ذلك إلى غياب الإشراف التحريري. وقد قام موقع جوجل نيوز Google News بحذف قصص إنديميديا من قوائمه – وفقًا لشركة البحث – بسبب القلق بشأن الغياب المتعمد لرقابة مركزية تحريرية على ما يساهم به الأفراد في الموقع[195]. ومعظم ما ينشره الموقع عبارة عن صحافة قوية وفي بعض الأحيان رائدة، ولكن كما هو الحال مع جميع الأخبار المنقولة بواسطة الجماعات الشعبية، يُنصح القارئ بالنظر لها بعين الشك.

إن العملية التحريرية جزء رئيسي من «الديمقراطية الآن!» Democracy Now![196]، وهي محطة إذاعية وخدمة إليكترونية ذات ميول يسارية ترعاها شبكة باسيفيكا الإذاعية. وتبرهن إيمي جودمان Amy Goodman وزملاؤها على حدوث قفزات فنية وابتكار في الإعلام الجديد في الوقت الذي ينتجون فيه مادة ذات تأثير حقيقي. ولقد أجرت جودمان التي تعرضت للضرب من قبل عناصر في الحكومة الإندونيسية وتم ترحيلها من تيمور الشرقية أثناء قيامها بتغطية نضال التيموريين من أجل الاستقلال، تغطية صحفية للصراع تعد من بين الأفضل. ولم يكن إخراج المادة الصحفية من البلاد أمرًا سهلًا. ففي مرحلة ما طلبت من ركاب الطائرات المتجهة إلى استراليا أخذ أقراص مدمجة ذات برامج فيديو مضغوطة معهم، وقام مالك مقهى إنترنت استرالي بعد ذلك بإرسال البرامج إلى مقر المنظمة في نيويورك. وأثناء تغطية الحرب في العراق، شرح زميلها جيرمي سكاهيل Jeremy Scahill كيف قامت الحكومة العراقية في الفترة السابقة

للغزو الذي شنته الولايات المتحدة في 2003 بفرض رقابة على المواد الإعلامية المرسلة إلى خارج العراق، وكانت إحدى الطرق التي اتبعتها الحكومة هي عدم السماح بإرسال الملفات الأكبر من نصف ميجابايت من مقاهي الإنترنت. ولذا فقد وجد بعض البرمجيات التي قسمت تقارير الفيديو سعة 80-MB إلى أجزاء أصغر، قام وزملاؤه بعد ذلك بإرسالها من مقاهٍ مختلفة إلى نيويورك.

لا تزال الديمقراطية الآن! تعتمد على الأشكال التقليدية للاتصال، ولكنها في الطريق لأن تصبح «حدودًا مشتركة بين عالم الويب والإعلام الجماهيري». هذا ما قالته جودمان لي. وقالت أيضًا أن الويب مكتظة إلى حد الاختناق بالمعلومات العظيمة، لكن معظم الناس لا يستطيعون الوصول إلى الحاسبات الآلية. ولذا فإنه بالنسبة لمعظم سكان العالم، لا يزال الإعلام الجماهيري مسيطرًا. لكن كل برامج الديمقراطية الآن! الإذاعية والفيديوية المباحة عبر مجاري البيانات والأنباء على الويب، تسمح للمستخدم بمشاهدة أو الاستماع إلى البرنامج بدون إنزال ملفات ضخمة من على الويب أولًا. وعلى غرار إنديميديا، تستخدم المنظمة برمجيات المصدر المفتوح وتقدم أدواتها للآخرين. وكلما كان ذلك ممكنًا، تنقل البرامج الناس إلى الويب لكي يتسنى لهم الاطلاع على مزيد من المعلومات مثل لقطات فيديو إضافية، ومقابلات مطولة ووثائق مؤيدة للموضوع محل الدراسة. إن هذه مادة قوية.

ومن بين مواقع الأخبار المستقلة المفضلة لدى، موقع يقوم قراؤه بكتابة وتحرير مادته بالكامل. وكما سبق أن ذكرت في الفصل الأول، فقد قام موقع كوروشن KuroShin بجعل أسلوب المصدر المفتوح في الصحافة في المتناول، حيث يقوم المستخدمون بالتصويت على ما يحبونه ويحرك التصويت القصص إلى أعلى الصفحة وأسفلها. ومن الأشياء التي تروق لي بصفة خاصة القدرة على التعليق على الإعلانات – الحديث عن تمكين القراء من أسباب القوة.

وقد برز نوع آخر لصالات الأخبار المنظمة ذاتيًا إلى حيز الوجود بقوة أثناء حرب

الخليج عام 2003، كان اسمه Command Post (مركز القيادة)[197] . كان عبارة عن مجموعة من الأشخاص لم يلتق معظمهم ببعض أبدًا. وتمثل هدفهم في جمع كل البيانات التي يستطيعون العثور عليها عن الصراع، بما في ذلك القصص الإخبارية، وإرسالها بأسرع ما يمكن. وقد تطور هذا الموقع الذي أصبح مادة واجبة القراءة بالنسبة لأناس كثيرين إلى موقع سياسي يغطي دورة الانتخابات الأمريكية.

لو كان آي إف ستون I.F.Ston وهو بطل عصر سابق للصحافة المستقلة يعيش بيننا اليوم، لشجع بدون شك وربما أيضًا ساهم في مركز النزاهة العامة Center for Public Integrity[198]، وهو عبارة عن منظمة نالت أخيرًا التقدير العام الذي تستحقه. وقد تم تأسيس هذه المنظمة التي لا تعمل بهدف الربح في 1989 على يد تشارلز لويس Charles Lewis الذي عمل في مجال الأخبار التليفزيونية الشبكية. وقد أصبح نقل الأخبار الذي تقوم به انطلاقًا من واشنطن من أفضل عمليات صحافة التحقيقات التي يمكن أن تجدها في أي مكان. ويتضمن ذلك وحدات التحقيقات في الصحف الرئيسية وشبكات التليفزيون. وعلى غرار الديمقراطية الآن! فاز المركز ببعض من أهم الجوائز في عالم الصحافة ومنها وسام شرف جورج بولك George Polk في 2004 تقديرًا لتغطيتها الإخبارية للعراق والعقود التي منحتها الحكومة الأمريكية لشركات ذات صلات سياسية بها. كما يوزع المركز أيضًا معلومات في صورة مطبوعة. وحقق كتاب من تأليف لويس وزملائه بعنوان «شراء الرئيس في 2004» مبيعات جيدة وتدعمه بيانات إليكترونية غزيرة قام المركز بجمعها ونشرها عن مرشحين مختلفين. ولم تقم أي منظمة صحفية تقليدية بعمل جيد كهذا.

كيف استطاعوا ذلك؟ قال لي لويس: «لقد تطلب القيام بشيء مثل تأليف كتاب «شراء الرئيس» إجراء مئات المقابلات والاعتماد على 53 باحثًا ومحررًا. لا توجد منظمة إخبارية تقليدية مستعدة للقيام بذلك أبدًا».

ربما يكون لويس وفريقه قدوة لجيل جديد. وإذا تراجع الإعلام الكبير، فربما ترى

المؤسسات التي تعمل للمصلحة العامة والأفراد الأثرياء بصورة متزايدة في منظمات مثل مركز النزاهة العامة، إحدى الطرق الوحيدة لتمكين مواطن مطلع من أسباب القوة[199].

ظاهرة إعلام ويكي

يعد Wiki شكلًا لجمع البيانات الإليكترونية ذا صبغة ديمقراطية عميقة. ففي فبراير 2004 نشر Wikipedia وهو واحد من أكثر المواقع المرجعية الإليكترونية شمولًا في العالم قام متطوعون بإنشائه وإدارته، مقاله رقم 500 ألف أو بعبارة أدق: قام أحد المساهمين في الموقع بنشر المقال.

يعد وايكيبيديا Wikipedia[200] واحدًا من أكثر التطورات سحرًا في العصر الرقمي. فبعد مرور أكثر من ثلاث سنوات على ميلاده، أصبح موردًا قيمًا ونموذجًا للكيفية التي يمكن بها للقاعدة الشعبية في عالم اليوم المترابط أن تقوم بأشياء غير عادية. إنه نموذج للإعلام القائم على المشاركة لا يوجد له مثيل وهو امتداد طبيعي لقدرات الويب في سياق الصحافة.

تبدو الفكرة غريبة في ظاهرها ولا شك أنها تثبط همة الصحفي المحترف النموذجي. لماذا؟ لأن أي إنسان تقريبًا يستطيع المساهمة في ويكيبيديا. وأي إنسان يستطيع تحرير أي صفحة. (وسوء السلوك الخطير هو فقط ما يؤدي إلى فرض حظر على مساهمة الناس). وقد أضاف آلاف البشر حول العالم خبرتهم وصورهم ورأيهم وشغفهم، ويظهر متطوعون جدد كل يوم.

يتحدى هذا الموقع الافتراضات التي يمكن أن يضعها المرء من النظرة الأولى. فبرغم كل شيء يمكن أن يتصور المرء أنه إذا استطاع أي إنسان تحرير أي شيء، فلا ريب أن المخربين الإليكترونيين سيدمرونه. ولا شك أن الحروب الملتهبة حول محتوى المقالات ستحبط النوايا الحسنة. وبالطبع ستكون جميع المقالات هراءً من إنتاج هواة. أليس كذلك؟

حسنًا.. ليس بالضرورة. فالطبيعة المفتوحة لموقع ويكيبيديا هي أعظم موارده، وقد برزت كمورد يتمتع بالمصداقية.

يستخدم موقع ويكيبيديا برمجيات Wiki التي وصفناها في الفصل الثاني. وتذكيرًا بما جاء في هذا الفصل أقول إن برنامج Wiki يسمح لأي مستخدم بتحرير أي صفحة ويتتبع ويراقب كل تغيير. وبوسع أي شخص متابعة التغييرات بالتفصيل. وعندما يعمل بشكل سليم، ينشئ مجتمعًا – والمجتمع الذي تتوافر لديه الأدوات المناسبة يستطيع العناية بنفسه.

تميل مقالات ويكيبيديا لاستخدام نبرة محايدة، وعندما يكون الموضوع مثيرًا للجدل، تشرح وجهات النظر المختلفة فضلًا عن بيان الحقائق الأساسية. وعندما يكون بوسع أي شخص تعديل ما قمت بكتابته توًا على الموقع، تصبح مثل هذه النزاهة جوهرية.

قال جيمي ويلز Jimmy Wales مؤسس ويكيبيديا شارحًا لي: «الطريقة الوحيدة التي تستطيع بها أن تكتب شيئًا يبقى، هي أن يتفق معك شخص هو نقيض لك تمامًا».

يتحدث المخططون الحضريون وعلماء الجريمة عن متلازمة «النافذة المكسورة»، وذلك وفقًا لوارد كانينجهام Ward Cunningham الذي كان أول من ابتكر برمجيات Wiki في التسعينيات. فإذا سمح حي سكني للنوافذ المكسورة بالبقاء على حالها ذاك ولم يقم باستبدالها، سوف يتدهور هذا الحي السكني لأن المخربين وغيرهم من الأشرار سيفترضون أن أحدًا لا يبالي.

وبالمثل يستمد ويكيبيديا القوة من متطوعيه الذين يرصدونه ويعالجون كل فعل من أفعال التخريب الإليكتروني. وعندما يعلم المخربون أن شخصًا ما سيصلح التلف في غضون دقائق معدودات ويحول بذلك دون رؤية العالم له، يميل الأشخاص الأشرار للشعور باليأس والانتقال إلى أماكن أضعف.

ولا يعني ذلك القول بأنه لا تحدث خلافات في الرأي، أو أن ويكيبيديا يعمل على

أكمل وجه. فالمحررون يحاولون توجيه المنازعات على نحو يحقق في النهاية نتيجة أعظم. وهناك صفحات تتضمن مناقشات لمحتويات ويكيبيديا (metapages) يناقش فيها الناس أحيانًا بصورة شريرة ومغرضة ما ينبغي أن يتضمنه المحتوى. وفي النهاية، فإنه حتى الخصوم اللدودين ويمكن أن يجدوا أرضية مشتركة من خلال احتواء الاختلافات والاعتراف بها، الأمر الذي يُكسب الموسوعة اتساعًا أكبر. لكن بعض النقاشات يصعب في النهاية التحكم فيها وتهدئتها.

يعد جيمي ويلز الدكتاتور الطيب في الموقع حيث يقوم بتسوية أخطر النزاعات. ولكنه يعمل على تطوير نظام للوساطة والتحكيم سيسمح لأفراد المجتمع بأن يقرروا -مثلًا- ما إذا كان ينبغي منع شخص ما من كتابة تعليقاته وآرائه، وهذا شيء نادر الحدوث.

يقول ويلز إنه يوجد لموقع ويكيبيديا نحو 200 مساهم منتظم يظهرون يوميًا أو بصورة شبه يومية للعمل على الموقع. وهو يقدر أنه يوجد 1000 مساهم منتظم آخر. وهناك عشرات الآلاف من الأفراد الآخرين الذين يساهمون من وقت لآخر أو مرة واحدة فقط.

من المشروعات المقبلة إصدار Wikipedia الملائم للطباعة كما يقول، والذي ستخضع المقالات فيه لمراجعة منظمة بدرجة أكبر. ويثير ذلك أسئلة محيرة. فإذا اعتبر بعض المقالات جيدًا، هل يجعل ذلك بقية ويكيبيديا غير جديرة بالثقة بصورة متأصلة؟ لا اعتقد ذلك. أنا لا أبني الآن قرارًا رئيسيًا على ما أقرأه في هذه الموسوعة أو أي موسوعة أخرى. بل أتفقدها أولًا. ولكن خبرتي تخبرني بأن مجتمع ويكيبيديا يؤدي واجبه المنزلي، على الأقل عندما يتعلق الأمر بموضوعات لدى بعض المعرفة الأعمق بها.

لا زلت أتعجب من كون مجتمعات Wiki في غاية المرونة والقدرة على التكيف، برغم أنها تبدو للوهلة الأولى جدّ هشة. إنها تنجح لأن الجميع يستطيعون القيام بواجبهم.

إذًا هناك ثمة درس بسيط بشكل خادع. عندما تزيل الحواجز والعوائق أمام تغيير الأشياء، فإنك تزيل أيضًا الحواجز أمام إصلاح ما هو مكسور. وقد قال لي كانتجهام أن مواقع Wiki الناجحة هشة بصورة متأصلة فيها ولكنها تظهر شيئًا هامًا: «الناس طيبون بوجه عام».

إن ما يسترعي انتباهي في مواقع Wiki هو أنها أداة صحفية شبه مثالية في ظل الظروف المناسبة. ويظهر موقع WikiTravel[201] هذه الإمكانية. فهو دليل سياحي عالمي مكتوب بالكامل من قبل مساهمين إما يعيشون في المكان الذي يخطونه أو أمضوا هناك ما يكفي من الوقت لكتابة معلومات مناسبة عنه. وهذا الموقع صغير من نواحٍ كثيرة، لكن إمكانية أن يصبح موردًا ممتازًا واضحة بجلاء. وقد قارنت البيانات بتجربتي في الحياة الواقعية في أماكن عديدة ووجدتها دقيقة.

ليس ضروريًا أن تكون مواقع Wiki مفتوحة تمامًا أمام العالم الخارجي، حيث يمكن أن تعيش خلف حائط يمنع امتداد النيران ويمكن حمايتها بواسطة كلمات السر. وتقوم شركة سوشيال تكست SocialText[202]، وهي شركة في كاليفورنيا بدمج مواقع ويكي مع مدونات الويب. ولدى رئيسها التنفيذي روس مايفيلد Ross Mayfield أفكار صحفية أيضًا.

ففي أوائل 2004، درس مايفيلد إمكانيات تنظيم حملة سياسية قومية أسماه موقع Wiki «السجل العام». ولم يكن المشروع قد انطلق بعد أثناء تأليف هذا الكتاب، لكن ميفيلد بدأ منطقيًا بشكل واضح حينما وصفه (على موقع Wiki بالطبع) على النحو التالي: «السجل العام» مورد مستقل منظم ذاتيًا يرصد ويتابع قضايا ومؤثرات الحملة الرئاسية لعام 2004. فالخضوع للمساءلة والثقة في العملية الديمقراطية منخفضة ويضعف ذلك مجتمعنا المدني ومؤسساتنا الديمقراطية. وهناك فرصة لتوفير مورد للمواطنين وبواسطة المواطنين لتقوية وتلاحم مؤسساتنا المدنية.

ماذا لو لم تتنافس وسائل الإعلام بل تعاونت بدلًا من ذلك في سبيل إنشاء سجل

عام؟ إن المقالات والأخبار ذات الأهمية الرئيسية والمصادر والحقائق لا يتم تقاسمها إلا عندما تصبح في صورة مطبوعة. ولكن ماذا لو لم يكن هناك نسخ مطبوعة؟ من الواضح أن النسخ المطبوعة مستمرة وأن المنافسة تحرك الأمور أكثر من التجارة. ولكن كبديل توفر قدرة الهواة على الاستدلال المنطقي والتجميع نموذجًا جديدًا للإنتاج على الأقل.

ويسمح السجل العام الذي يستند أساسًا إلى موقع Wiki لأي مواطن عام بالمساهمة في إنشاء موقع ويب في أي وقت، وهذه أداة تعزز الثقة من خلال التنازل عن الرقابة. ويسمح تدعيم موقع Wiki بالمدونات الإليكترونية بإجراء نقاش صحي حول القضايا والمحتوى بدون إحداث تدهور في المحتوى نفسه -بصيغة نشر/ اشتراك لا تثقل المشاركين بحمل زائد. وتسمح مواقع Wiki لقطاع أكبر من المواطنين بالاشتراك في حركة المصدر المفتوح من خلال السماح بالمساهمات عبر تجميع أفقي للمعلومات (عكس جمع المعلومات الرأسي المتاح فقط للمبرمجين).

وبإمكاني أن أذكر عشرات المشكلات التي سيواجهها موقع كهذا منذ البداية، ومنها مسألة الدقة. ولكن مع وجود الدعم المناسب من واحدة أو أكثر من المنظمات الإعلامية الهامة - وقدر ملائم من التحرير (أو العمل الشُرَطي إن أردت)- يمكن أن يكون هذا موردًا صحفيًا جادًا.

نماذج الأعمال من أجل صحافة الغد الشخصية

قال لي مدير تنفيذي بالوحدة الإليكترونية التابعة لـ بي بي سي نيوز BBC News مازحًا ذات مرة: «إن لدي نموذج الأعمال التالي: ادفع أو اذهب للسجن».

لقد كان يشير إلى رسوم الترخيص - التي هي ضرائب في جوهرها- التي يجب أن يدفعها ملاك التليفزيونات في المملكة المتحدة للمنظمة.

هناك منظمة صحافة إليكترونية واحدة فقط في العالم تستطيع إنفاق 100 مليون

دولار سنويًا بناءً على ذلك النموذج. أما بقية المنظمات فيجب أن تجد طرقًا أخرى لجعل عملها يدر عليها دخلاً. وسوف يواصل الهواة الموهوبون الذين تمتلئ بهم الصحافة الشخصية القيام بعمل عظيم، لكن بعض الناس سيرغبون في كسب رزقهم منها أو على الأقل استكمال دخلهم. وقد بدأ بعض نماذج الأعمال المثيرة للاهتمام في الظهور وكذلك ظهرت تباينات حول طريقة المصدر المفتوح التي يتلهف الناس على ممارسة العمل الصحفي من خلالها لأسباب غير تجارية.

وكما تتوقع فإن الإعلان ربما يكون نموذجًا قابلًا للتطبيق. ومن المحتمل أن تكون الاشتراكات نموذجًا آخر يومًا ما. وحتى الآن يعد منهج جرة الإكراميات Tip-Jar أبعد ما وصلت إليه تلك الفكرة.

فيما يتعلق بكتابة المدونات وأشكال الصحافة الشخصية الأخرى، يأتي العائد على الاستثمار -على افتراض أن المؤلف يرغب في بعضه وأيًا كانت الطريق التي يتم بها احتسابه (الوقت و/ أو النقود)- مع سمعة أفضل. ومدونة جلين فليشمان عن الترابط الشبكي اللاسلكي المذكورة في الفصل الثاني، لا تدر عائدًا كبيرًا ولكنها تصقل وتحسن أوراق اعتماده المهنية كخبير. وتقوم سوزان ميرنيت Susan Mernit وهي مستشارة إنترنت/ إعلام، بالكتابة بشكل متكرر في مدونتها الشخصية[203] عن مجموعة من الموضوعات المتنوعة ذات الصلة بمجال عملها. وذلك علاقات عامة شخصية وهو فعال.

ومن بين جميع نماذج الأعمال الصاعدة، يندرج واحد من أكثرها بروزًا ضمن فئة «النشر النانو» nano - publishing كما يسميه البعض. وتستهدف مطبوعات نيك دنتون Nick Denton على سبيل المثال، قطاعات سوقية صغيرة محددة بأسلوب راقٍ وجودة. وGawker[204] مدونة ويب مخصصة للأخبار والقيل والقال، عن مدينة نيويورك وصناعة القيل والقال الثقيلة فيها. وتغطي مدونة جيز مودو Gizmodo[205] الأجهزة الإليكترونية. وتغطي فليشبوت Fleshbot[206] موضوعات متصلة بالإثارة الجنسية.

ويغطي موقع جديد خاص أيضًا بالقيل والقال اسمه وونكيت Wonkette[207] عاصمة دردشة العالمين ببواطن الأمور في العالم: واشنطن العاصمة. وهناك المزيد من مثل هذه المدونات في الطريق.

ودنتون (الذي توجد له مدونة بالطبع)[208] صحفي سابق عمل في بعض المطبوعات مثل الفاينانشيال تايمز حيث كان مراسلًا يحظى باحترام كبير. وقادته غرائزه التجارية وحبه للعمل الحر إلى الإنترنت. وقبل أن ينتقل إلى عالم مدونات الويب شارك في تأسيس موروفر Moreover[209] الذي يجمع أخبارًا وعناوين رئيسية من أنحاء الويب. وقد كان موروفر إلى حد ما نسخة مبكرة وأعرض بكثير من برنامج RSS لقراءة الأخبار.

يقوم دنتون وزملاؤه الآن بتوسيع حدود صحافة النانو من خلال الاستفادة القصوى من أدوات النشر البسيطة للإنترنت وتكلفتها المنخفضة وكذلك المزايا التي تعود على الذين يستغلون النماذج الجديدة. وقد تضاعف حجم الزوار كل شهرين في جيزمودو وهو أول موقع نشر نانو قام بإنشائه.

وقد ولد جيزمودو مبكرا إيرادات عن طريق توجيه القراء إلى أمازون دوت كوم Amazon.com حيث يستطيعون شراء أشياء قرأوا عنها. ويحصل جيزمودو على عمولة نظير ذلك.[210] لكن موقع جيزمودو أصبح شعبيًا للدرجة أنه يجتذب الآن معلنين. ومن وجهة نظري ينطوي ذلك على إمكانات أكبر، لأن هواة شراء الأجهزة (أنا واحد منهم) يميلون لشراء المجلات من أجل الإعلانات بقدر ما يشترونها من أجل ما تحتوي عليها من مقالات – الاثنتان معلومات مثيرة للاهتمام.

يلعب دنتون وفريقه لعبة ديموجرافية ذكية من خلال استغلال القطاعات السوقية التي تكون صغيرة جدًا بما لا يسمح بتوجيه مجلة لها: فإطلاق مدونة من هذا النوع يتكلف نحو 1000 دولار[211]، وهذا كسر ضئيل من تكلفة إطلاق مجلة. ومن الواضح أننا نشهد تحولًا هامًا ورئيسيًا في نماذج النشر. فقد تغيرت الاقتصاديات إلى الأبد،

وأشك أن هذه الأنواع من المواقع ستؤرق المنظمات الإعلامية التقليدية فهي (أي المواقع) لن تجذب جميع القراء أو المعلنين بعيدًا عنها (أي المنظمات)، ولكنها يمكن أن تكون ضمن البدائل الجديدة الكثيرة التي تستقطب بعض القراء والمعلنين الذين تشتد الرغبة فيهم.

يأتي جهد آخر متعلق بالنشر النانو من جيسون مكابي كلا كانيس وهو ناشر سابق لمطبوعة سيليكون آلي ريبورتر التي تمثل الآن جزءًا من موقع رأس المال المخاطر. وقد أطلق Weblogs Inc. في أواخر 2003 واصفًا إياها بأنها شركة نشر من الأعمال إلى الأعمال هدفا لها إنشاء مدونات أعمال تستهدف قطاعات صغيرة محددة في مجال علوم الحياة والتكنولوجيا والإعلام والتمويل.

تختلف Weblogs Inc[212] عن عملية دنتون في ناحية رئيسية: ذلك أنني برغم أن دنتون يملك المدونات ويدفع المال لأشخاص مستقلين لكتابتها، إلا أن كالكانيس ينشئ شيئًا أقرب للشراكة من خلال إعطاء المؤلف الملكية وحصة من الإيرادات أيضًا. وهناك مجال لتطبيق كلا المنهجين، ولكن ربما سيجتذب كالكانيس نمطًا من مؤلفي المدونات المتمتعين بروح العمل التجاري بدرجة أكبر.

قال لي كالكانيس إن الترتيب المالي بسيط، فكاتب المدونة يأخذ الـ 1000 دولار الأولى المولدة في صورة إيراد كل شهر، ثم يقتسم الإيراد الإضافي مناصفة مع الشركة. ويمتلك مؤلف المدونة ومؤسسة Weblogs Inc. المحتويات بصورة مشتركة. ويحق لمؤلف المدونة الذي يغادر الشركة أخذ نسخة مع جميع كتاباته. وأخيرًا يجوز لأي من الطرفين إنهاء الترتيب في أي وقت.

وقد تم إطلاق الموقع في خريف عام 2003، وفي فبراير 2004 احتوى على نحو 20 مدونة تمت رعاية إحداها (موقع للبرمجيات الاجتماعية) نظير مبلغ 2500 دولار شهريًا. وقال كالكنيس إنه يتطلع لأن يصل عدد المدونات إلى 100 مدونة بحلول نهاية 2004. وأن تولد كل منها إيرادًا شهريًا بمبلغ يتراوح بين 1000 دولار و2000 دولار.

وفي هذه الأثناء، قام مؤلفو مدونات كثيرون بتسجيل أنفسهم للاشتراك في Google AdWords وهو عبارة عن نظام مقدم من خلال محرك بحث جوجل ويسمح لجوجل بوضع إعلانات على صفحة ويب ما بناء على موضوع الصفحة. وقد أمَّن نموذج الاشتراك في الإيرادات لبعض كتاب المدونات دخلًا صغيرًا ولكن يستحق العناء المبذول في سبيله.

وهنا أيضًا بلوجادز[213] Blogads وهي عبارة عن خدمة إعلانية أنشأها هنري كوبلاند henry Copeland، موجهة للمدونات فقط. ويفاخر كوبلاند بالعديد من النجاحات البارزة، ومنها كما ذكرنا في الفصل الخامس – حملة انتخابات الكونجرس الخاصة في ولاية كنتاكي التي شهد فيها المرشح الديمقراطي بين تشاندلر عائدًا بنسبة 1:20 على الإعلانات الموضوعة على المدونات السياسية.

يعكف جيد دي لاسكيا J.D.Lascia الذي يكتب مدونة ممتازة اسمها New Media Musings[214] على تجربة العديد من الأشكال الإعلانية منها Google AdWorsds و Blogads وإعلانات النص العادي من العديد من عمليات المبيعات الإعلانية الإليكترونية المختلفة. ولا يروق له بعض مواقع القمار التي يروج لها معلنوه. ولكنه كما قال لي فإن إعلانات القمار هي الأكثر ربحية على الإطلاق: 300 دولار شهريًا مقابل وصلات نصية على مدونتي وموقعي الشخصي على الويب. وقام لاسكيا مبكرًا بوضع إشعار يقول إنه لا يضمن الخدمات أو المنتجات المعلن عنها إلا إذا كانت قانونية. كما يخبر المعلنين أيضًا أنه سيقتل إعلاناتهم إذا وضعوا برامج تجسس أو كودًا مارقًا آخر على أجهزة الحاسب الآلي الخاصة بالمستخدمين وأضاف لاسكيا شارحاً:

بقدر ما هو بغيض أن ترى هذه الإعلانات في الأيام الأولى لوسيط جديد، فقد يجد قارئ ما إعلانات فاضحة أكثر بكثير ومثار شك وتساؤل في الصفحات الخلفية لأي صحيفة أسبوعية بديلة. ويومًا ما سنصل إلى مكان تنجح فيه الإعلانات الموجهة ويجد فيه المعلنون في وسائل الإعلام التقليدية قيمة في مدونات كمدونتي التي تجذب

يوميا جمهورًا قوامه 3000 أو أكثر من التكنولوجيين ورجال الإعلام المثقفين والمتميزين. وإلى أن يأتي ذلك اليوم، أرفض التوقف عن التعامل مع المعلنين الذين يدفعون لي نقودًا من منطلق إحساس عقيم باللياقة ومراعاة آداب المجتمع.

وكما هو الحال مع كتاب مدونات كثيرين آخرين، فإن المردود الأكثر فائدة بالنسبة للاسكيا يتمثل في الكيفية التي تعزز بها كتاباته سمعته كخبير في الإعلام الإليكتروني. قال لاسكيا: «تدعم الكتابة المستقلة أوراق اعتماد المرء، ولكن يبدو أن الكتابة المنتظمة في المدونات أو المواد الإليكترونية المرسلة بصورة متواترة، هي أفضل الطرق لإثبات مصداقية المرء في موضوع مختار ما».

نماذج الأعمال الجديدة: جرة الإكراميات

لا يوجد شيء جديد في رعاية الأعمال أو الصحافة الإبداعية، لكن كتاب المدونات وغيرهم من الصحفيين الإليكترونيين نقلوا المفهوم إلى العصر الحديث. وفي حين مال الرعاة في أوقات سابقة لأن يكونوا أصحاب مؤسسات أثرياء، يستطيع الصحفيون اليوم استخدام الإنترنت في جمع الأموال على نطاق أوسع. ولعل أشهر مثال على ذلك هو أندرو سوليفان Andrew Sullivan، وهو كاتب في مجلة كانت مدونته[215] من أوائل المدونات التي طلبت نقودًا من القراء عبر التعهدات pledges وذلك أسلوب يشبه إلى حد ما أساليب محطات الإذاعة والتليفزيون العامة.

بل إنني أكثر انبهارًا بكريس ألبريتون Chris Allbritton وهو كاتب سابق في هيئة خدمة سلكية تحول إلى مؤلف مدونة، نقل المفهوم إلى العصر الحديث في 2003. ففي مناشدة موجهة إلى قرائه على الإنترنت، كتب يقول أرسلوا لي نقودًا. وسوف أذهب إلى العراق لأغطي الحرب. ففعلوا وصنع ألبريتون تاريخًا صحفيًا. كما فعل سابقة آمل أن تصبح أكثر شيوعًا بكثير في السنوات القادمة.

وقد بدأت رحلة ألبريتون التاريخية في 2002 عندما أمضي وقتًا في تركيا وأكثر من

أسبوع في شمال العراق، ولدي عودته إلى الولايات المتحدة في ذلك الخريف سمع طبول الحرب تدق في واشنطن، قرر أنه ينبغي أن يعود إلى العراق لتغطية الصراع الذي كان يعرف أنه قادم لا محالة. وفي شهر أكتوبر ذاك أطلق موقعًا أسماه العودة إلى العراق Back to Iraq[216] وهي مدونة طلب فيها من القراء إرسال نقود، وقام بجمع 500 دولار فقط في الفترة من أكتوبر إلى ديسمبر.

وحالفه الحظ في فبراير 2003، عندما أذاعت وايرد نيوز Wired News وهي خدمة إخبارية إليكترونية، قصة عنه وعن مسعاه الدونكيشوتي. وعلى مدى ثلاثة أيام جمع 2000 دولار أخرى. وكتبت المنظمات الإعلامية الأخرى عنه، قال إن حركة الزوار على موقعه ارتفعت ارتفاعًا شديدًا. وإجمالًا قام نحو 342 قارئًا بالتبرع بنحو 14 ألفًا و500 دولار. وسافر ألبريتون عائدًا إلى تركيا ثم إلى شمال العراق وقدم تغطية متميزة للصراع من هناك.

قال لي ألبريتون إن مؤلف المدونة يجب أن ينتقي موضوعًا ما ويلتزم به، فمعظم المدونات بعيدة جدًا عن التركيز. ولكن لكي يجمع المرء مالًا بهذه الطريقة، فإنه يحتاج إلى أن يجد شيئًا مثيرًا للجدل والمأمول أن يكون مستقطبًا. لقد صنعت الحرب شيئًا معدًا تمامًا من أجل هذا النوع من الأمور. كان لديه مشروع محدد وتواريخ محددة. ووثق الناس فيه من عمله السابق أو كانوا مستعدين للمجازفة وساهموا. وفي أواخر 2003، قرر ألبريتون العودة مرة ثانية، وأنشأ صفحة Back to Iraq 3.0 على الويب. وعندما تكلم معي كان قد جمع نقودًا كافية لتغطية النفقات الفورية، وكان يعتزم تدبير النقود اللازمة لتغطية مصروفاته أثناء فترة بقائه هناك من خلال مقالات أخرى بالقطعة.

إن مفتاح نجاح ألبريتون النسبي في مغامرته كان علاقته بقرائه وليس فقط الأشخاص الذين دفعوا النقود وأرسلوا تعليقاتهم بالبريد الإليكتروني أبكر من الأشخاص الذين زاروا الموقع الإليكتروني. ببساطة لقد أصبح القراء عيونه على العالم خارج شمال العراق. قال: لقد أجاد القراء إرسال ملحقات للأخبار الجارية لي كيا قام

القراء أيضًا بإرسال تعليقات غزيرة إلى المدونة. وأحيانًا كانت التعليقات وضيعة واتهمته ظلمًا بالكذب بشأن ما يشاهده هناك لكن قراءً آخرين تصدوا للدفاع عنه.

لم يكن ألبريتون أول كاتب مدونة يطلب نقودًا من القراء، برغم أنه ربما كان أول كاتب مدونة يجمع مالًا من أجل مشروع من هذا النوع. وبالتأكيد لم يكن الأخير.

ففي يناير 2004، طلب جوشوا ميكاه مارشال كاتب المدونة السياسية الممتازة، Taking Points Memo [217] من قراءه مساعدته على السفر إلى نيوهامبشاير لتغطية الانتخابات الرئاسية الأولية، فأرسلوا له أكثر من 4000 دولار. وكانت تغطية الصحفية الميدانية واحدة من أفضل التغطيات لسباق الترشيح الرئاسي المبكر وربما المحوري. ولا يعيش مارشال من عائد المدونة، فقد كتب لحساب مطبوعات عديدة منها عمود في «ذاهيل» وهي مجلة مهنية تخاطب النخبة السياسية في واشنطن. ولكن إذا كنت طرفًا في اللعبة السياسية أو حتى تهتم بالسياسة، فإن قراءة مدونة مارشال ستصبح إدمانًا وشيئًا مطلوبًا بالنسبة لك.

لا أتوقع أن أري كثيرًا من كتاب المدونات الأغنياء أو الخدمات الإعلامية المستقلة، إلا إذا كان لديهم حسابات ودائع في البنوك أو رعاة أثرياء أو مصادر دخل أخرى، لكننا على مشارف عصر يستطيع فيه الناس تقديم بدائل جادة للجمهور، وتقاضي أجر عن ما يفعلونه. وفي النهاية سيتخذ الجمهور القرارات وسوف يكون النجاح من نصيب الخدمات التي تجعل نفسها مادة قراءة أو استماع أو مشاهدة مطلوبة. فهكذا كان الحال دائمًا وهكذا سيكون دومًا.

الفصل الثامن

الخطوات التاليـة

في منتصف التسعينيات من القرن الماضي عندما بدأت شبكة الويب تكتسب شهرة وشعبية كنت واثقًا أن الإنترنت ستصبح قوة جبارة في حياتنا ولكنني لم أكن أعرف أن خدمات مثل جوجل ستنشأ أو أن المدونات والوسائط الشخصية الأخرى ستلعب مثل هذا الدور التحويلي في مهنتي المختارة.

لم أتوقع تجارب إليكترونية مثل Feed، المجلة الإليكترونية الرائدة ولكن البائدة الآن التي تميزت بخصائص اكتسبها كتاب المدونات فيما بعد أو المواقع المحررة بواسطة مجموعات مثل kuroShin التي يقوم الجمهور فيها بكتابة القصص وإعطائها ترتيبات تقييمية ثم إضافة سياق وأفكار لها وهو يناقشها. لم أتصور أن المدونات والأدوات الأخرى ستظهر لتجعل الكتابة على الويب سهلة كالقراءة منها. ولذا فلن أحاول التنبؤ بشكل الأعمال الإخبارية وكيف ستمارس بعد عقد من الآن. ولكن حتى إذا كنا لا نستطيع القيام بتنبؤات محددة، فإننا نستطيع استشراف المستقبل ووضع بعض الافتراضات الآمنة بشأن بنية وتكنولوجيا أخبار الغد ثم تدبر ما توحي به.

ترتكز افتراضاتي على مبدأين هاديين: الأول هو الإيمان بالقيم الصحفية الأساسية ومنها الدقة والنزاهة والمعايير الأخلاقية. أما المبدأ الثاني فهو ضارب بجذوره في طبيعة التكنولوجيا ذاتها: إنها قاسية ولا يمكن إيقافها.

وثمة شيء واحد مؤكد: أننا جميعًا سنصعق مما سيأتي في المستقبل.

القوانين والقواعد الأخرى

وكما أثبتنا بالفعل، فقد كان الإعلام الجماهيري في الجزء الأخير من القرن العشرين منظمًا في الأعم الأغلب على أساس إطار بسيط نوعًا ما متجه من أعلى إلى أسفل. كان المحررون والمراسلون الصحفيون داخل الشركات الكبيرة يقررون أي القصص يجب تغطيتها. وكانوا يحصلون على معلومات من مجموعة متنوعة – ولكن ليست كبيرة أكثر من اللازم – من مصادر رسمية في معظمها وأحيانًا غير رسمية. وكان المحررون ينقحون ما يكتبه المراسلون الصحفيون، وكانت النتائج تنشر في الصحف والمجلات أو تذاع عبر المذياع والتليفزيون. كانت توجد بدائل بالتأكيد، لاسيما عندما ظهر النشر المكتبي على الساحة. لكن الجانب المثير للجدل في الأخبار الذي نناقشه في هذا الكتاب لم يكن قد ظهر بعد.

لقد هيأت التكنولوجيا والاستياء المتزايد من وسائل الإعلام الجماهيرية، الظروف الملائمة لبروز إطار جديد. ولكي نفهم ذلك يجب علينا أن نفهم أولًا التكنولوجيا والاتجاهات التي يقوم عليها التضارب بين الصحافة والتكنولوجيا. وتأخذ هذه الاتجاهات شكل قوانين، ليس من النوع الذي تسنه الحكومات ولكن من النوع الذي يتخيله العلماء ومن يراقبون المجتمع عن كثب.

القانون الأول يحمل اسم جوردون مور Gordon moore الشريك المؤسس لشركة أنتل Intel الصانعة لرقائق الكمبيوتر. ويعد قانون مور – أكثر من أي شيء آخر – مفتاح فهم واقع اليوم وإمكانيات الغد.

يقول قانون مور إن كثافة الترانزيستورات في قطعة معينة من السليكون ستتضاعف كل 18-24 شهرًا. وهذا صحيح منذ أن طرح مور هذه الفكرة في الستينيات ويبدو أن وتيرة التحسن ستستمر لبعض الوقت في المستقبل. ولا يوجد نظير تاريخي لهذا النوع من التغيير، فالبشر محظوظون لأنهم يستطيعون الآن القيام بأي شيء أسرع مرتين أو بشكل أفضل مرتين من الماضي، ومضاعفة هذا التحسن مرارًا وتكرارًا. إن

قانون مور يتعلق بالتغير الأسي: لن يمر وقت طويل قبل أن تكون قد زادت القدرة power آلاف المرات[218].

وفيما يقوم المهندسون بتقليص ملايين الترانزيستورات إلى رقائق دقيقة، فإنهم يستطيعون أن يدمجوا قدرة حسابية هائلة – شيء أقرب إلى الذكاء – في كل جهاز إليكتروني نستخدمه تقريبًا. فأنت وأنا نستخدم حاسبات آلية كثيرة كل يوم: توجد المعالجات الدقيقة microprocessors المعروفة أيضًا بوحدات التحكم المصغرة microcontrollers، في الحاسبات الآلية والأجهزة المحمولة باليد والساعات المنبهة وأجهزة صنع القهوة والأدوات الأوتوماتيكية المنزلية لتنظيم الحرارة (الترموستات) وساعات المعصم والسيارات. ويحتوي معظم هذه الأجهزة على قدرة معالجة أكبر بكثير من تلك الموجودة في الحاسبات المركزية العملاقة المبكرة.

إننا لاندمج فقط أدمغة داخل كل شيء نلمسه، بل نضيف أيضًا ذاكرة لكل شيء، ويقوم صانعو رقائق ذاكرة الحاسب الآلي ومشغلات الأقراص بتحسين منتجاتهم بوتيرة أسرع من قانون مور. والآن في ظل الاتصالات الحديثة – السلكية واللاسلكية – نستخدم أجهزة تتزايد قوتها يومًا بعد يوم.

تتغذى الصحافة الشعبية على كل هذه الابتكارات. فقد طفقت الأجهزة الخاصة بجمع البيانات والعمل من خلالها وتوزيعها تغدو أصغر حجمًا وأكثر قوة كل عام. ويكتشف الناس كيفية تشغيلها بطرق لم يبدأ الصحفيون المحترفون في مواكبتها إلا الآن فقط، مثل مواقع الأخبار التعاونية التي يقوم القراء فيها بالكتابة والتحرير وإرسال صور إخبارية من الهواتف المزودة بكاميرات.

لقد اندهش مور نفسه نوعًا ما من طول المدة التي أبقى مهندسو وادي السليكون فيها قانونه ليس فقط حيًا بل أيضًا نابضًا بالحيوية والنشاط. وقال لي في 2001 «لقد وصل إلى أبعاد ومستويات أبعد بكثير مما كنت أتصور».

القانون التالي هو قانون ميتكالف Metcalfe's Law نسبة لبوب ميتكالف Bob

Metcalfe مبتكر معيار الترابط الشبكي Ethernet الذي أصبح الآن موجودًا في كل حاسب شخصي[219] وفي الأساس، يقول هذا القانون إن قيمة شبكة اتصال، ما هي تربيع عدد العقد أو اتصالات نقاط النهاية. بعبارة أخرى: خذ عدد العقد وأضربه في نفسه.

وأبرز مثال مقبول لقانون ميتكالف هو نمو أجهزة الفاكس. فإذا كان هناك جهاز فاكس واحد في العالم لا يكون ذلك أمرًا جيدًا كثيرًا. ولكن في اللحظة التي يحصل فيها شخص آخر على جهاز فاكس، ويمكن استخدام كلا الجهازين ويتم خلق قيمة حقيقية. وكلما زاد عدد الأشخاص الذين يقتنون أجهزة فاكس، زادت القيمة الموجودة في الشبكة – منفعة تتجاوز بكثير الأعداد الخام – لأن كل مستخدم فردي يوجد لديه عدد أكبر من الناس يستطيع إرسال فاكسات لهم[220].

إن كل حاسب آلي جديد متصل بالإنترنت يمثل عقدة. لذلك، فإنه بصورة متزايدة، بات هذا هو حال كل هاتف محمول جديد قادر على إرسال واستقبال بيانات عبر الإنترنت أيضًا. وفي غضون سنوات قليلة من المحتمل أن يشكل معظم الأجهزة الأكثر ذكاء التي مكن قانون مور من ظهورها – كل شيء من الثلاجات إلى السيارات إلى أجهزة الكمبيوتر، ستكون عقدة. وعندما يتم ربط مليارات أو حتى تريليونات البشر والأشياء، سوف تتخطى قيمة الشبكة القدرة على احتسابها.

وأخيرًا هناك قانون ريد Reed's Law والذي يحمل هذا الاسم تيمنًا بديفيد ريد David Reed، الذي سأتحدث عنه أكثر في الفصل الحادي عشر. لاحظ ريد أنه عندما يدخل الناس على الإنترنت، لا يقومون فقط بإجراء اتصال واحد لواحد كذلك الذي يحدث في حالة استخدام الهاتف أو جهاز الفاكس، بل يجرون أيضًا اتصالات من كثرة إلى كثرة ومن قلة إلى قلة.

وطبقًا لقانون ريد، تمثل المجموعات نفسها عقدًا. وهو يؤكد أن قيمة الشبكات في ذلك السياق هي عدد مضروب المجموعات (factorial). والمقصود هنا بمصطلح

مضروب أنك تأخذ عدد المجموعات وكل عدد صحيح أقل من ذلك العدد عائدًا للوراء إلى العدد واحد (1) وتضرب كل تلك الأعداد في بعض. على سبيل المثال: رقم 8 المضروب هو 1 مضروبًا في 2 مضروبًا في 3 مضروبًا في 4 مضروبًا في 5 مضروبًا في 6 مضروبًا في 7 مضروبًا في 8. إن مضروب عقد المجموعات هو عدد كبير جدًا جدًا جدًا[221].

ومن الواضح أن قانون ميتكالف وقانون ريد رأيان بقدر ما هما أي شيء آخر. لكنهما منطقيان بديهيًا وتزداد منطقيتهما يومًا بعد يوم بطريقة عملية: فكلما نمت الإنترنت كلما ازدادت قيمة وقوة[222].

إن محصلة جميع هذه الاتجاهات، مطبقة على الاتصالات بوجه عام هي عملية راديكالية لإضفاء الصبغة الديمقراطية على فرص الوصول إلى وسائل الإنتاج والتوزيع وذلك وفقًا لما قاله لي هوارد رينجولد.

إن الأشخاص الذين سيخترعون إعلام الغد ليسوا من الفئة العمرية التي أنتمي لها. فهم لا يزالون في طور النمو الآن. وقد قال رينجولد إنه في غضون عشر سنوات، سيصبح «المراهقون البالغون من العمر 15 عامًا الذين يعيشون اليوم في سول وهلسنكي والبارعون بالفعل في تعبئة الإعلام لخدمة غاياتهم، في الخامسة والعشرين. وسيكون ما يحملون في جيوبهم أقوى آلاف المرات مما لديهم اليوم».

ما الذي يعنيه ذلك بالنسبة للأخبار والصحافة؟ مع تزايد قوة تكنولوجيا الإنشاء والاتصال وتضاؤل حجمها وتحولها في النهاية إلى جزء من نسيج الحياة، سيتوافر لنا كم أكبر بكثير من البيانات الخام. وسف نحتاج إلى أدوات - وبشر - لمساعدتنا على فهم الأمر كله.

إنشاء الأخبار

لم يعد هناك أي شك في أن النشر الصحفي بمختلف صوره في طريقه لأن يصبح

اتجاهًا رئيسيًا هامًا. وقد أظهر مشروع بيو الخاص بالإنترنت والحياة الأمريكية Pew Internet & American Life Project إنه في منتصف عام 2003 كان أقل قليلًا من نصف مستخدمي الإنترنت الراشدين قد استخدموا الإنترنت في نشر أفكارهم والرد على آخرين وإرسال صور والاشتراك في ملفات والمساهمة في النمو الهائل في المحتوى المتاح إليكترونيا[223]. وإذا أضفت لهؤلاء السكان الذين يقل عمرهم عن 18 سنة، فلا شك أن الأعداد سترتفع بصورة كبيرة. وفي حين أن معظم ما يعتبر نشرًا على الإنترنت تألف من ملفات تجارية، الأمر الذي دفع بعض المتشككين للتقليل من شأن المسح، إلا أن النتيجة النهائية كانت وجود كادر ضخم ومتنام من منشئي المحتوى كان بعضهم ينشئ أخباراً.

إن أدوات الإنشاء موجودة الآن في كل مكان وفي تحسن مستمر. إذ يستطيع الموسيقيون الحصول على ما يشبه أستوديو التسجيلات الكبير في حزمة تتكلف ألفين دولار فقط أو أقل بكثير، إذا كانوا على استعداد لتقديم بعض التنازلات. ويتجه الفيديو الرقمي لأن يصبح رخيصًا لدرجة أن أي شخص يتمتع بالموهبة المطلوبة يستطيع أن يصنع فيلمًا سينمائيًا بتكلفة أقل كثيرًا مما كانت عليه ذات يوم. وفكرة الكتابة على الويب أخذت في الاتساع لتشمل كافة أنواع الوسائط ولا يوجد تقريبًا ما يمكن أن يقف في طريقها.

إن الويب لا تستطيع أن تنافس اليوم – وقد لا تنافس خلال سنوات عمرنا في الدنيا – البث التليفزيوني الحي، على تغطية الأحداث الكبيرة. فالبنية لا تسمح بذلك فحسب. ولكن برغم كل شيء آخر، فإنها مثالية. ويتصور آدم كاري الذي أصبح مذيعًا بارزًا في شبكة إم تي في MTV ويستكشف منذ ذلك الحين مجال المدونات وحتى وسائل الإعلام الأحدث[224] «شبكات تليفزيونية شخصية» تستخدم الإنترنت بطريقة أكثر ملائمة في تقديم محتوى الفيديو. وفي مستهل إحدى جلسات مؤتمر للمدونات عقد في 2004 [225] وصف ذلك على النحو التالي:

منذ اختراع جهاز تسجيل الفيديو، يتم إنشاء معظم المحتوى المقدم عبر التليفزيون خارج الإنترنت ويتم إعداده قبل إذاعته بفترة طويلة. وفي حالات كثيرة سيكون البرنامج قد عرض على إدارة الشئون القانونية وتمت مراجعته للتأكد من انسجامه مع سياسيات الشبكة لذلك فإن البرنامج يظل واقفًا في الصف، ينتظر أن يتم توزيعه. وخلال هذا الوقت يمكن توزيع البرنامج بواسطة سعادة يركبون درجات بخارية ومع ذلك يصل في الوقت المناسب الذي يتعين فيه تشغيل جهازك حسب التعليمات الواردة في دليل التليفزيون أو... يمكن توزيعه من خلال الإنترنت وحيث إن الملفات الكبيرة يستغرق إنزالها وقتًا طويلًا، فإن يومًا كاملًا من الإنزال ينبغي أن يكون وقتًا كافياً. ويمكن أن يجري الإنزال من على الإنترنت أثناء الليل عندما يكون استخدام شبكتك وحاسبك الشخصي منخفضًا والأهم من ذلك أنه عندما لا تكون منتظرًا إياه فسوف «تجده هناك فحسب» في الصباح[226].

يستخدم مئات الملايين من البشر في الولايات المتحدة والخارج هواتف مزودة بكاميرات (ستكون عما قريب هواتف مزودة بكاميرات فيديو) وخدمة الرسائل النصية القصيرة (SMS) لتقاسم المعلومات. وقد قال لاري لارسن محرر الوسائط المتعددة بمعهد بوينتر عن الموقع location إن الموقع سيكون إحدى نقاط البيانات. فقد قال لي على سبيل المثال أنه إذا كان يبحث عن منزل ليشتريه ينبغي أن يكون قادرًا على زيارة موقع ما وسؤال جهازه Treo المحمول أن يعطيه كافة القصص الإخبارية ذات الصلة بهذا الموضوع ضمن دائرة يبلغ نصف قطرها ميلان. وكتب يقول لي أذا تضمن معظم المعلومات جرائم عنيفة فلن أشتري منزلًا هناك[227].

ولكن إلى أي مدى سيكون استخدام أدوات الإنشاء سهلًا؟ تعد المدونات نموذجًا مبكرًا ولكنها تظل مع ذلك أدوات فجة نسبيًا. ولازلت بحاجة لمعرفة لغة ترميز النص الفائق HTML لكي تتمكن من تشغيل مدونة ما وإنجاحها. وفي المستقبل يقتضي الأمر أن تصبح الأدوات في منتهى البساطة وإلا فلن يتحقق وعد الصحافة الشعبية.

سيكون المراسل الصحفي - الهاوي أو المحترف - مسلحًا في المستقبل بطاقم عدة مذهل. لكن التغطية الصحفية أكثر من مجرد جمع للحقائق أو البيانات الخام. وقد بدأت هواتف رينجولد المحمولة الذكية تتحول إلى فريق إخباري لا يوجد مثيل لمدى ما يستطيع الوصول له. ولكن هل يوجد عمق في المقابل؟

في انهيار الثلج[228] وهي رواية صدرت في 1991 عن المستقبل الأمريكي في حقبة ما بعد الرؤيا النبوئية، قدم نيل ستيفنسون صورة التصقت بذاكرتي:

يمثل الكرغل (أشخاص لهم وجوه قبيحة) الجانب المحرج في هيئة الاستخبارات المركزية. فبدلًا من استخدام الحاسبات المحمولة يضعون أجهزة الحاسب الخاصة بهم على أجسامهم مجزأة إلى وحدات مستقلة بذاتها معلقة في خصورهم وعلى ظهورهم ومن سماعات رءوسهم. إنهم يعملون بمثابة أجهزة مراقبة بشرية تسجل كل شيء يحدث حولها. لا يوجد ما يبدو أغبى من ذلك. إنهم المظهر العصري لغمد الخنجر أو قراب السيف أو جراب الآلة الحاسبة المثبت في الحزام، ويصورون المستخدم على أنه ينتمي إلى فئة أو طبقة أعلى وأدنى من المجتمع الإنساني في آن واحد.

إن الكرغل في الرواية ليسوا صحفيين حسب رؤية ستيفنسون، بل هم أقرب إلى مساعدين شخصيين من البشر يؤدون دورًا مزدوجًا. تسجيل ما يجري في البيئة ثم التفاعل مع الشبكة عن طريق البحث عن وجه شخصي ما أو سيرته الذاتية على الإنترنت مثلًا. وإلى حد ما يمكن اعتبار هؤلاء كاميرات إليكترونية لها أدمغة.

قال ستيفنسون لي المفروض أن يقوم الصحفيون بتصفية وفرز المعلومات لا أن يكونوا مجرد كاميرات إليكترونية. والوظيفة الصحفية تحظى باحترام ضئيل جدًا عندما ينظر لها الناس على أنها بديل بدائي لامتلاك كاميرات إليكترونية في كل مكان. لا يوجد لدى أي شخص الوقت اللازم لفرز كل هذا الهراء.

سيقوم البشر والآلات معًا بعملية الفرز هذه. وسوف يتغير دور الصحفي لا ريب ولكنه لن يختفي، ولكن دور الأدوات الآلية سيتزايد.

فرز المعلومات

إن القدرة على الحصول على الأخبار التي تريدها هي السمة البارزة لعالم مترابط شبكياً، حيث يستطيع الناس إنشاء التقارير الإخبارية الخاصة بهم اعتمادًا على عدد من المصادر المتنوعة، وليس فقط المصادر الموجودة في البلدات مسقط رءوسهم التي تسيطر عليها نموذجيًا صحف ومحطات تليفزيونية احتكارية محلية سوف تضطر للبحث والتنقيب بشكل أعمق لتكون سطحية.

لا يزال إعداد التقارير الإخبارية الخاصة بنا أمرًا عشوائيًا إلى حد كبير. فالحجم المطلق للمعلومات في حد ذاته كفيل بردع أكثر جامعي الأخبار وصائديها تفانيًا وإخلاصًا. لكن الأدوات آخذة في التحسن بسرعة. ولن يمر وقت طويل قبل أن يستطيع الناس الانتقاء والاختيار بطريقة أكثر تنظيمًا عما يفعلون اليوم. وقد بدأت أنواع جديدة من الإعلام الكبير تظهر في هذه الفئة وتشمل جوجل ومايكروسوفت وياهوو. لكن فرصة الإعلام الصغير هائلة كذلك.

وأنا أشجع جوجل نيوز Google News منذ إطلاقها بشكل «بيتا» في أوائل 2002 (وكانت لا تزال بيتا أثناء تأليف هذا الكتاب).. وقد أصبحت هذه الخدمة التي هي إحدى بنات أفكار كريشنا بهارات Krishna Bharat شعبية، وأنا أري أنها جزء أساسي من البنية التحتية الإخبارية للويب. يتجول محرك البحث في مواقع الأخبار المختلفة – المصممة بواسطة البشر – ثم تتولي الأجهزة عرض كافة أنواع العناوين الرئيسية عن مجموعة متنوعة من الموضوعات من الأعمال إلى الرياضيات إلى الترفيه وهلم جرا. والعرض محسوب بحيث يشبه الصحيفة. إنه يعطي لمحة فعالة عن الأخبار الهامة الموجودة على الويب الآن أو على الأقل ما يعتقد المحررون أنه هام.

والمستخدم الذي يرغب في أن يكون أفضل اطلاعًا بشأن موضوع معين، يستطيع استخدام جوجل نيوز من أجل الغوص بشكل أعمق، وربما يكون ذلك أهم جانب في الموقع. فمن خلال نقرة واحدة يحصل المستخدم على قائمة مصنفة وفقًا لما يقدر جوجل

أنه وثيق الصلة بالموضوع أو حسب التاريخ لجميع القصص الصحفية حول موضوع معين ويوجد قدر كبير من التكرار. ولكنه يمكن أن يكون بمثابة فتح لعيني المستخدم ليرى بالكيفية التي تغطي بها المنظمات الإعلامية المختلفة القضية الواحدة أو ما هي الزوايا المختلفة التي تختار إبرازها والتركيز عليها.

ثمة عنصر مفيد في جوجل نيوز يسمي Google Alerts وهو عبارة عن خدمة تمكّن المستخدمين من إجراء عمليات بحث بواسطة الكلمات المرشدة يتم إرسال نتائجها بالبريد الإليكتروني بصورة منتظمة. ولكن اعتبارًا من أوائل 2004 لم تسمح الخدمة للمستخدمين بقراءة التنبيهات في RSS (صيغة تقاسم المحتوى والأخبار التي ناقشتها في الفصل الثاني وسوف أتناولها مرة ثانية فيما بعد) وهذا عيب خطير.

وكان هناك عيب آخر موجود في جوجل نيوز أثناء تأليف هذا الكتاب، وهو رفض الاعتراف بالمحتوي الإخباري القادم من مجال الصحافة الشعبية. فعلى سبيل المثال فإن قلة فقط من المدونات هي التي تعتبر ذات قيمة. وفي ذلك استهانة بقيمة أفضل المدونات. وقد قال لي بهارات إن للموقع قاعدة أساسية واحدة: الأخبار تتطلب محررين، ويعرض موقع جوجل نيوز ما يعتقد المحررون أنه مهم في أي لحظة معينة. وهو يرى أن هذا الموقع مكمل لما تفعله الصحف لكن بدا أن ذلك يبخس إمكاناته. بالطبع ما كان لهذا الموقع أن يوجد بدون عمليات تغطية الأخبار وتحريرها الفعلية التي تتم في أماكن أخرى، ولكن لديه القدرة على التحول إلى صفحة أولى افتراضية بالنسبة لبقيتنا.

تتمتع مايكروسوفت التي تلهث للحاق بجوجل في حروب محركات البحث، بمكانة راسخة وماض عريق في مجال الأعمال الإخبارية. ويعد MSNBC وهو شراكة الشركة مع وحدة NBC News التابعة لشركة جنرال إليكتريك، موقعًا إخباريًا كلاسيكيًا له محتوى ثري وجاد وكبير. وهو مبتكر من حيث أسلوبه في توفير أخبار عن طريق الوسائط المتعددة. والآن تجري مايكروسوفت تجارب على نمط جوجل في مجال

الأخبار أيضًا من خلال موقعها Newsbot[230] الذي تشبه الاختبارات المبكرة له موقع جوجل نيوز إلى حد كبير.

ولعل الأمر الأكثر إثارة للاهتمام - بسبب صدى اسمه هو منتج مقبل لمايكروسوفت يسمى NewsJonkie من المقرر إصداره في أواخر 2004. وكما ذكرت كريستي هايم في صحيفة سان جوزيه ميركوري نيوز في 24 مارس 2004، فإنه يجري تعميمه من أجل رصد ومتابعة ما شاهده القراء بالفعل مع إجراء بعض التنقيحات كتبت تقول: «إنه يعيد تنظيم القصص الإخبارية بحيث يضع القصص المحتوية على أحدث المعلومات عند القمة والقصص المحتوية على معلومات مكررة عند القاع أو يخضعها لعملية ترشيح بالكامل».

وعند استعراض لتحركات شركات الويب الرئيسية، انبهرت بشلة باتجاه ياهوو. فقد وجدت أن صفحة My Yahoo قابلة للإنشاء حسب مواصفات المستخدم أكثر من أي مواقع رئيسية أخرى بما يسمح للمستخدم بإنشاء تقرير إخباري حسب مواصفاته ومتطلباته بدرجة كبيرة. وفي أوائل 2004، قامت ياهوو بدمج تكنولوجيا RSS ضمن الخدمة، الأمر الذي يسمح للمستخدمين باختيار ملفات من المدونات ومواقع أخرى وإضافتها إلى صفحة My Yahoo![231] الإخبارية إنه أفضل مزيج حتى الآن بين القديم والجديد.

تكنولوجيا تبادل المحتوى تنطلق

دعونا نتذكر معًا ما هو RSS. إنه ملف مولد أتوماتيكيًا بواسطة برمجيات المدونات ومواقع الويب. وبصورة متزايدة بواسطة تطبيقات أخرى تصف محتوى الموقع بغرض تقاسمه (syndication).

وإليكم مثال. تتكون المدونة النموذجية من صفحة رئيسية توجد عليها مواد مكتوبة عديدة. وكل مادة تتكون من عنوان رئيسي ونص وملف RSS عبارة عن ملف

يحتوي على قائمة بالعناوين الرئيسية وبعض نص المواد المكتوبة أو كله. بعبارة أخرى يصف RSS هيكل صفحة معينة وبعض محتواها.

ويمكن قراءة ملفات RSS بواسطة برمجيات مجمعة أو قارئات أخبار تسمح للأفراد بجمع الأخبار من مواقع كثيرة مختلفة وعرضها على شاشة واحدة مليئة بالمعلومات بدلًا من الاضطرار للتنقل من صفحة إلى أخرى. واليوم يعد قراء RSS بدائيين بعض الشيء، ولكن ذلك سيتغير في السنوات المقبلة.

إن بعضًا من أكثر العمل الجديد المحيط بتكنولوجيا RSS إثارة للاهتمام، يأتي من شركات وليدة مثل فيدستر Feedster التي تعالج بيانات RSS وتتبع تنويهات كتاب المدونات بالمنتجات ضمن عدة أشياء أخرى. وتبدو الإمكانيات الكامنة شبه لا متناهية، ومنها القدرة على متابعة المحادثات بطرق أكثر تفصيلًا بكثير. وأثناء وضعي اللمسات الأخيرة على هذا الكتاب سربت مايكروسوفت بهدوء خبرًا مفاده إنها تخطط لإطلاق «Blogbot» وهي أداة بحث بدت قريبة الشبه إلى حد كبير بـ Feedster و Technorati. والأمر المثير للاستغراب هو أن جوجل التي تملك Blogger وهي شركة تصنع برمجيات كتابة المدونات، لم تفعل شيئًا من هذا.

يرى التكنولوجيون العاملون في هذا الحقل ذخائر وفيرة في RSS والبيانات الأخرى المنشأة على المدونات ومواقع الويب. ويجري إنشاء جبال من البيانات كل يوم بواسطة ملفات RSS وغير ذلك من المعلومات محددة الإطار المهيكلة. ويبتكر أصحاب الأعمال والباحثون الأذكياء أدوات أعتقد أنها ستصبح جزءًا لا يتجزأ من بنية الأخبار في الغد.

شبكة الويب العالمية الحية

أنشأ ديف سيفري Dave Sifry وهو صاحب سلسلة من المشروعات، برنامج Technorati في 2002. وبحلول إبريل 2004 أصبح يتابع أكثر من 2 مليون مدونة

بالإضافة إلى آلاف المدونات الإليكترونية التي يتم إنشاؤها يوميًا. وبرغم أن أشخاصًا كثيرين يتخلون عن مدوناتهم إلا أن خط الاتجاه ينمو بسرعة.

إن أدوات Technorati هي في الأساس استفسارات شبه معلبة (أي مسجلة) تدخل قاعدة بيانات عملاقة يجري تحديثها باستمرار. ويشبهها سيفري بمحرك بحث في الوقت المضبوط. وتساعد الخدمة الناس على التصفح أو البحث عن مدونات ويب مشوقة أو مدونات ويب شعبية والأخبار الذاعة والموضوعات الساخنة للمحادثة وهي تسمح للمستخدمين أيضًا بإعطاء ترتيب تقييمي للأشخاص ومدوناتهم وموضوعات المدونات ليس فقط حسب الشعبية – عدد المدونات التي تشير إلى شيء ما، بل حسب الشعبية المرجحة أو التي تقررها شعبية المدونات التي تقوم بالإشارة. ويمكنك أن تشاهد أيضًا ليس فقط المدونات الأكثر شعبية بل أيضًا أسرعها صعودًا.

وقد تلقت مدونتي حوالي 2100 إشارة من مواقع ومدونات أخرى في آخر مرة تفقدتها فيها وإذا حصلت على 100 أخرى يكون ذلك مرضيًا ولكنه لن يكون تغييرا ضخما من الناحية النسبية، إذا التزمنا الصراحة.

ولكن إذا تلقي شخص لديه اليوم 12 إشارة واردة منا أخرى فإن ذلك يكون تغييرًا ضخمًا نسبيًا ومن المحتمل أن يبرزه برنامج Technorati. اعتبر ذلك مقياسًا لتحديد مدى سرعة صعود أو تراجع شعبية كاتب مدونة ما أو مادة مكتوبة من قبل كاتب المدونة.

إن الفكرة التي تقف وراء تكنوراتي Techmoroti يمكن تسميتها بفرضية جوجل: وهي أن هيكل الوصلات (الإشارات) مهم، وذلك لمعرفة من يشير إلى من. يمكن أن تأخذ مجموعة عشوائية ظاهريًا من المدونات، وتستخلص مجموعة من المعلومات محددة الإطار مهيكلة بدرجة مرتفعة. ويمكن بعد ذلك فلترة (أو ترشيح) هذه المعلومات بعدة طرق مختلفة. وقد كان تطبيق Technorati الأصلي هو Link Cosmos الذي أسماه سيفري قائمة مشروحة annotated بكل مصادر المدونة التي تشير إلى موقع مدونة في

وقت قريب. أكتب العنوان الإليكتروني لمدونة ما (أو مادة مكتوبة فردية)، وسوف يعرض المحرك قائمة مدونات تشير إلى عنوان الموقع الإليكتروني ذاك مصنفة حسب توقيت الإشارة أو حسب الوزن وقوة الإقناع - يتم ترتيب المدونة الأكثر شعبية التي يقوم مؤلفها بالإشارة أولًا. وسوف يظهر البحث على مدونة الربط الخاصة بي في Cosmos الخاصة بها كذلك وهلم جرا. (أتخيل كيف سيبدو ذلك إذا تم عرضه بيانيًا على هيئة شبكة من الوصلات وفي النهاية سيقدم شخص ما مثل هذه الأداة).

بالإضافة إلى قائمة Cosmos يمكن التعبير عن بيانات في صورة قوائم مرتبة وتظهر قائمة المائة الأعلى Top 100 على سبيل المثال المواقع المائة الأكثر شعبية على الويب سواء كانت مدونات أو مواقع ويب بناء على عدد الإشارات الصادرة من المدونات. وبرغم أن نظام الحد العشري في Technorati أبسط من منهاج جوجل إلا أن Technorati يمكن أن يقدم لمجتمع كتابة المدونات ما يقدمه جوجل من خلال موقعه Google News التوقيت المناسب. فنظرًا لأن عالم المدونات يتحرك بسرعة شديدة، فإنه من المفيد معرفة متى تمت كتابة شيء ما. وينظر جوجل إلى الوصلات والوثائق ليحصل على ترتيب الصفحة، ولكن برنامج Technorati يضيف شيئين: توقيت الكتابة وحقيقة أنه مع المدونات تكون المواد المكتوبة شخصية أكثر منها مؤسسية. لقد قال السفر «أدمج هذا كله معًا فيصبح لديك شبكة ويب عالمية حية» فرع من شبكة الويب العالمية مندمج في المحادثة الفعلية.

وفي مارس 2004 تضمنت خدمات Newstalk Technorati وهي (الموضوعات الإخبارية التي يتحدث عنها الناس) و Booktalk (الكتب التي يتحدث عنها الناس (Current Events) (الحديث الذي يدور حول أحداث راهنة) وبالنسبة لمستخدمي الأخبار الجادين كانت هذه إضافات لا تقدر بثمن.

سبر معايير API وخدمات الويب

إن قلة من مستخدمي برنامج Technorati تعرف، وعددا أقل منهم يهتم، بشيء اسمه API تكنوراتي. ويعني مصطلح API واجهة «الحدود المشتركة لبرمجة التطبيقات» وهو مصطلح يستخدمه الفنيون لشرح كيفية وصل برنامج بآخر. والواقع أن API عبارة عن معايير وضعت للمساعدة في ضمان قدرة منتج معين على العمل بشكل متبادل مع منتج آخر. أعتبر مقبس الهاتف على حائطك واجهة API يسمح لك بتوصيل هاتفك بشبكة الهاتف. ويستطيع أي شخص صنع قابس RJ-11 متصل بسلك يمتد بين هاتفك والحائط.

يعتمد تطوير البرمجيات على API. وتحتوي نظم التشغيل عليها لكي يتمكن مبرمجو البرمجيات المستقلون من إنشاء تطبيقات مثل معالجات النصوص التي تستخدم الملامح والخواص الأساسية للنظام. ولا داعي لأن يعيدوا اختراع العجلة مضرب الأمثال، في كل مرة يكتبون فيها برمجيات، وهي تساعد في ضمان وجود نظام إيكولوجي نابض بالحيوية والنشاط على أي منصة برمجة يستخدمونها. وتعد Technorati واحدة من عدد متنام من شركات الويب يشمل جوجل، وأمازون Amazon، تقوم بإنشاء ونشر الحدود المشتركة لبرمجة التطبيقات API من أجل برمجياتها. وتوجد حدود مشتركة لبرمجة تطبيقات لمعظم برمجيات كتابة المدونات أيضًا.

وفي ظل وجود هذه الحدود المشتركة لبرمجة التطبيقات الأخرى، يستخدم المبرمجون تكنولوجيا تسمي «خدمات الويب Websservices» لإحداث مزيد من التغيير في القواعد الأساسية للعبة المعلومات. وطبقًا للمبرمج وكاتب المدونة إيرك بنسون Erik Benson [233]، فإن خدمة الويب هي في الأساس نظام يسمح لمواقع الويب بالتحدث مع بعضها وتقاسم في المعلومات فيما بينها بدون تدخل بشري. وإلى حد ما استخدم البشر الويب بهذه الطريقة لسنوات. اكتب استفسارًا على جوجل أو أشتر كتابًا على أمازون وبذلك تستخدم خدمة الويب.

وعندما تقدم جوجل وأمازون تكنوراتي API في بياناتها فإنها لا تقدم لها قاعدة البيانات بأسرها بالطريقة التي تفعل بها الحكومة الأمريكية ذلك، على سبيل المثال، بيانات التعداد التي يمكن إنزال الكثير منها وإرساله في رسائل ساعة يشاء المرء.

إنهم يقدمون طريقة للحصول على معلومات محددة من قاعدة بيانات بطريقة مهيكلة. لكن رغبتهم في القيام بهذا تعني أننا نستطيع عن طريق استخدام خدمات الويب بناء أنواع جديدة كلية من التساؤلات – وأن نتعلم أشياء جديدة – بقدر قليل فحسب من الخبرة. قد يتجاوز هذا وقد يتجاوزني، لكن المبرمجون أنشأوا بالفعل بعض التطبيقات المفيدة باستخدام API وخدمات الويب، مثل «Amazon Light» (ضوء أمازون)، الذي يستخدم Amazon API لتحويل موقع قطاعي إلى أقرب شبهًا بمحرك بحث.

وهناك تطبيق آخر مثير للاهتمام على نحو غير عادي في تحليل Valdis Kreb للناس الذين يشترون كتبًا عن السياسات ذات الميول اليمينية أو اليسارية ومدى صغر التداخل بين الأشخاص الذين يشترون هذه الكتب.

بل إن خدمات الويب تغدو أكثر إثارة للاهتمام عندما نتأمل كيف نستطيع أن نربط بينها معًا لخلق أنواع جديدة من التطبيقات.

وقبل أن يبدأ تكنوراتي مراقبة المحادثات عن الكتب بزمن طويل. أنشأ بتون Allconsumis التي جمع أربع خدمات للويب لمراقبة ما يناقشه أصحاب مدونات الكتب وإلقاء الضوء عليه.

وأنا منبهر بـ Good Obits، النص المصحوب بترجمة للعقيدة والمقالات من الصحف ثم تزيدها بمحركات بحث جوجل.

وتشكل هذه التكنولوجيات جزءًا من نظم نشر الأنباء في المستقبل. فعلى سبيل المثال آمل في أن أتمكن من تتبع أنباء التطبيقات الجديدة لتليفوني الذكي Tres. ويتضمن النبأ محادثات بين أشخاص أحترمهم، وليس الصحفيين المياريين. فإذا نشر شخص ما

في المجموعة التي أثق بها، بندًا ما عن الـ Tres، فسأود أن أعرفه بالطبع. لكنني أريد أيضًا معرفة ما يقوله آخرون في تلك المجموعة – والأشخاص الذين يحددونهم باعتبارهم جديرين بالثقة أو حسني الاطلاع – عن هذا الخبر. إنني أريد برمجيات لا تتبع بند المستوى الأعلى فحسب، والذي يمكن أن يكون في هذه الحالة قصة أو نشرة مدونة أو ردًا على رسالة قصيرة، ولكن تتبع كيف تتشكل بعدئذ المحادثة عن البند عبر تشكيلة من وسائل الإعلام. تخيل الآن أن لديك نفس القدرة على تتبع محادثة بشأن قضايا محلية أو دولية. ذلك مستحيل حاليًا، لم لاقي طرق مجتهدة ومبددة للوقت. وفي النهاية، فإن خدمات الويب ستجعل ذلك ممكنًا.

حسنًا، لكن «بمعلومات» من تثق؟

من بين المكونات المفقودة في هذا التسلسل الهرمي، طريقة لتقييم سمعة شخص ما تتجاوز النظام الفج المطبق حاليًا. إن نظامًا موثوقًا به لتقييم السمعة، سيتيح لنا التحقق من الأشخاص والحكم على صدق الأشياء التي يقولون أنهم يستندون إليها. وبمعنى ما، فإن لدى جوجل بالفعل نظام للسمعة: إن جوجل هو اسمي وستكشف الكثير عني، بما في ذلك أين أعمل، وما أكتب، والكثير عما اعتقده بشأن قضايا كثيرة – وما يعتقده بعض الأشخاص الآخرين عني (وليس ذلك بمباهاة بأية حال). ولدى تكنوراتي أيضًا هذا النوع من النظام: كلما زاد عدد الناس الذين يتصلون به زاد مالك من «قوة على الإقناع». لكن من المهم ملاحظة أن غالبية المدونات التي تتبعها تكنوراتي لا أحد يتصل بها. وهذا لا يعني أن المدونة تفتقر إلى القيمة، لأن هناك أشخاص قريبين من مؤلف المدونة يثقون فيها. وأيًا من كنت، فربما تعرف شيئًا ما عن موضوع ما جدير بلفت الانتباه له.

ويومًا ما، سيتمكن شخص مهتم بمعرفة أخبار عن نظام محلي للتعليم، وهو موضوع نادراً ما يردد عنه أكثر مادة موجزة إلا لتغطية حدث ما غير عادي، من

الحصول على وجهة نظر أكثر تفصيلاً عن هذا المرفق الحيوي. إن أي موضوع يمكنك تسميته سيكون تتبعه أسهل بهذه الطريقة. وفي المجال السياسي فحسب، فإن المدى سيتجاوز حوكمة المدارس إلى مجالس المدن إلى حكومة الولاية والحكومة الاتحادية إلى الشئون الدولية. والآن ضاعت هذه العملية في كل مجالات الاهتمام الأخرى، المهنية وغيرها. وعندما تصبح السمعيات والفيديو جزءًا لا يتجزأ من هذه المحادثة – وقد بدأ ذلك يحدث بالفعل عندما يربط المطورون تطبيقات متباينة لوسائل الإعلام – فإن المحادثات ستتعمق فحسب.

إن الأدوات يجري بناؤها حاليًا. انظر إلى موقع الويب المصاحب لهذا الكتاب، حيث نحتفظ بقائمة طويلة بالإشارات إلى صناع الأدوات.

الديناصورات والمخاطر

تخبرنا التكنولوجيا أننا نمضي في اتجاه واحد، لكن القانون والأعراف الثقافية لديها شيئًا يقولانه عن العملية، لقد كانت وسائل إعلام أواخر القرن العشرين دائرة اختصاص الشركات الكبيرة. ومع تساوي كل الأمور الأخرى، يمكن أن تمضي نحو الانقراض. ولو كانت وسائل الإعلام الكبيرة الحالية، ديناصورًا، فلن تموت بهدوء. إذ ستحاول بمساعدة من الحكومة السيطرة على وسائل الإعلام الجديدة، بدلاً من أن تدرك أن نماذج أعمالها تتقوض بفعلها.

وفي الوقت نفسه، فإن الالتزام بالنزاهة هو من ثمار الصحافة الجديدة – وإن كان الحفاظ عليها ضعيف أحيانًا.

لقد اصطحب نمو الصحافة الجماهيرية قضايا أخلاقية خطيرة منها الصدق والصحة والغش السافر. فهل تتفق القيم التقليدية مع هذا الوسيط الجديد. إن مسائل النزاهة والصراع على السيطرة ربما تكون ذبابًا قاتلا في مرهم إعلام الغد. وسوف نلقي عليها نظرة في الفصول العديدة التالية.

الفصل التاسع

محترفو التشويش وتحريف الحقائق وحدود الثقة

في ربيع عام 2001، لم يصب أحد بالدهشة تقريبًا لدى سماع أن العديد من استوديوهات هوليوود تنشئ مواقع ويب زائفة لإثارة ضجة حول الأفلام الجديدة. وكانت المواقع التي يفترض أنها مدارة بواسطة معجبين، كانت مجرد أحدث نسخة من بعض الخدع المألوفة في أجزاء من عالم التسويق.

وقد سلط انفضاح هذا الغش، الضوء من جديد على واقع العصر الحديث : وهو أن الإنترنت بالنسبة للمتلاعبين والفنانين المزيفين مروجي القيل والقال والمهرجين بكل أنواعهم يعد الوسيط الذي هبط عليهم من السماء.

لقد منحتنا التكنولوجيا عالمًا يستطيع فيه كل إنسان تقريبًا نشر صفحة ويب تبدو متمتعة بالمصداقية. وأي شخص لديه جهاز حاسب آلي وهاتف خلوي يستطيع أن يكتب ما يشاء في المنتديات الإليكترونية. وأي شخص يتمتع بقدر معقول من المعرفة ببرامج الفوتوشوب أو برمجيات التلاعب بالصور الأخرى يمكن أن يشوه الواقع. والمؤثرات الخاصة تجعل حتى لقطات الفيديو غير جديرة بالثقة.

إن لدينا مشكلة هنا.

قص ولصق.. خطأ وصواب

إن انتشار المعلومات الكاذبة لا يكون دائمًا نتيجة تعمد الإيذاء. فكر في مشكلة القص واللصق.

حتى وقت قريب، كان الناس يقتطعون قصاصة من مقال إخباري منشور في

صحيفة أو مجلة، يعطونها أو يرسلونها بالبريد لشخص آخر. أما الآن فنحن ننسخها رقميًا ونرسلها لمن نريد. ولكننا عندما نقص ونلصق نصًا، يمكن أن نتعرض للمتاعب. فأحيانًا يؤدي القص إلى حذف معلومات هامة. وفي بعض الأحيان يتم تغيير كلمات أو جمل لتحريف المعنى بالكامل. وكلا الأسلوبين يمكن أن يثبتا أنهما ضاران، لكن الأسلوب الثاني خبيث بصورة واضحة.

في واحدة من أشهر حالات القص واللصق، وجد عمود في صحيفة شيكاغو تريبيون بقلم ماري سميتش Mary Schmich طريقه إلى الإنترنت ككلمة في حفل تخرج معهد ماساشوسيتس للتكنولوجيا افترض أن التي ألقتها كيرت فونيجوت Kurt Vonnegut. كانت سميتش قد كتبت نسخة من كلمة ظريفة كانت ستلقيها إذا طلب منها ذلك – وكانت كلمة حفل التخرج التي كتبتها تبدأ بعبارة «ادهن كريمًا واقيًا من الشمس».

ولكن على نحو ما مع تداولها على الإنترنت، حُذف اسمها وحل محله اسم فونجوت (لابد أنني استلمت العشرات من رسائل البريد الإليكتروني حول هذا الموضوع). وفي أغسطس 1997، كتبت سميتش تقول تعليقًا على الحالة في عمود تالٍ تقول: «في الفضاء الإليكتروني تكون الحقيقة هي ما تقول إنه الحقيقة وقد تم تداول خواطري البسيطة عن الوشاح الحريري والكريم الواقي من أشعة الشمس باعتبارها حكمة كيرث فونجوت الخالدة. ياللرجل المسكين. إنه لا يستحق أن يتم تلويث سمعته بهذه الطريقة».[242]

وكانت الأكثر إزعاجًا هي حالة آفي روبين Avi Rubin عالم الحاسب الآلي وقاضي الانتخابات الرسمي في انتخابات ولاية ماريلاند الأولية عام 2004 الذي وجه انتقادًا عنيفًا لآلات التصويت الإليكترونية. وكتب مقالًا طويلًا عن تجربته عام 2004 مع الآلات الجديدة. وبرغم تأكيده على اعتراضاته القوية على أوجه القصور في العملية إلا أنه أبدى بعض الملاحظات الإيجابية عن إمكانيات الآلات.[243] وتم بعد ذلك إخراج

كلماته من السياق التي قيلت فيه – وهذا ما قاله لي بعد حدوث ذلك بعدة أسابيع مؤيدو الآلات المعيبة. وأرسل لي رسالة بريد إليكتروني من مساعد تشريعي في أوهايو أكدت الانطباع الخاطئ – لم يكن واضحًا ما إذا كان هذا العمل مقصودًا أم غير مقصود – وحاول جاهدًا تصحيحه.

لقد تعرضت كتاباتي للاقتباس (أو العرض) الخاطئ في عدد من المناسبات، جاء أبرزها في 1997 عندما كتبت عمودًا ساخرًا كان عنوانه «عمود ساخر» «نقلت» فيه عن مدير تنفيذي في شركة مايكروسوفت لم أذكر اسمه اعترافه بحدوث ممارسات أعمال غير قانونية. وفي نفس العمود نقل عن متحدث باسم مجموعتين مهنيتين في صناعة البرمجيات، اعترافه بأن منظمته ربما تكون قد أطلقت تخمينات مبالغ فيها حول كمية البرمجيات الجاري نسخها بصورة غير قانونية. وأخيرًا نشرت تصريحًا على لسان متحدث باسم صناعة الحاسبات الشخصية أعلن فيه نهاية أسلوب عرض المراقيب (شاشات المراقبة) المهلهل، في إعلانات الحاسبات الآلية ثم قوله بحروف صغيرة إن هذا لا يشمل المرقاب.

بعد مرور أسبوع على قيام خدمة نايت رايدر تريبيون السلكية بإرسال المقال تلقيت مكالمة هاتفية من سيدة جادة في تحالف برمجيات الأعمال. قالت لي هذه السيدة إنها مذهولة بشدة من الاقتباسات المنسوبة للمتحدث باسم منظمتها واتحاد ناشري البرمجيات. وأرادت أن أعرف أنه لا يعقل أن يكون أحد قد أخبرني بأن صناعة البرمجيات تبالغ في تقديراتها لممارسات القرصنة، كما أوحي بذلك عمودي.

قلت لها: «لقد كانت مزحة».

صمتت السيدة برهة من الوقت على الطرف الآخر للخط ثم قالت «أوه». وتبين أن شخصا ما كان قد أرسل لها بريدًا إليكترونيًا احتوي على عبارات مقتبسة مسيئة ولكن بدون السطر الافتتاحي الذي قال «قصص إخبارية من المستبعد أن نقرأها»، وقد أدت هذه العبارة الناقصة إلى حدوث أكثر من حالة سوء فهم واحدة. والواقع أنني

تلقيت مكالمة مماثلة في ذلك اليوم من مسئولة علاقات عامة مشهورة، قالت فيها إن هناك بريدًا إليكترونيًا يتم تداوله في أنحاء مايكروسوفت وشركة العلاقات العامة التي تعمل بها، ويصر فيه مديرون تنفيذيون عديدون على أنهم لم يكونوا المصادر التي لم يتم ذكر أسمائها في مقالي.

لم يستغرق تحول المقال إلى حديث المدينة وقتًا تقريبًا. وفيما بعد سجلت تأملاتي عن هذه الواقعة في مقال قلت فيه «إن أسوأ جزء في الحقيقة هو أن بيل جيتس قطع الكلمة التي كان يلقيها أمام قادة العالم في سويسرا، ليتصل بي هاتفيًا ويعرض علي 10 ملايين دولار (بالإضافة إلى خيارات أسهم) نظير التوقف عن كتابة هذا العمود وأن أصبح محرر العمود الذي يكتبه لحساب نقابة ذا نيويورك تايمز. وقد أخبرت رئيسي في العمل بما حدث وطلبت زيادة راتبي ولكن لسبب ما لم يصدقني. ومن دواعي سروري أن أحدًا آخر لم يصدقني أيضًا هذه المرة».

لقد تعلمت درسًا قيمًا «أرسل بالبريد الإليكتروني نسخة من المقال الكامل أو عنوان موقع إليكتروني إلى الأصل واترك الحكم للقارئ. ومثلما توحي حالتي، يجب عليك توخي الحذر عند التهكم أو السخرية» فبعض الناس لا تسمح لهم شخصيتهم بتقبله.

طرق جديدة للتضليل

في أوائل عام 2004، تعرضت حملة جون كيري الرئاسية لهجوم شديد عندما نشر نقاد الويب المحافظون – والعديد من الصحف سهلة الانخداع – صورة فوتوغرافية مركبة له مع جين فوندا Jane Fonda التي تعد واحدة من الأهداف المفضلة للجناح اليميني. فقد ظهر كيري وفوندا «معاً» في مؤتمر حزبي عقد في السبعينيات للاحتجاج على حرب فيتنام[240] في صورة تبين أنه تم التلاعب بها. ولم يكن واضحًا من اصطنع الصورة المزيفة، لكن استعداد أناس كثيرين للثقة في الصورة كان دليلًا واضحًا على مدى سهولة التلاعب بالرأي العام.

وعلاوة على ذلك، فقد كانت الواقعة أحدث برهان على وجود اتجاه ضار وخبيث حقًا في التزييف الحديث. إن الصور الفوتوغرافية ليست دليلًا على شيء بصفة خاصة[245]. ولهذا السبب تتعرض المطبوعات التي تنشر هذه الأنواع من الصور لنقد لاذع، كما حدث مع ناشيونال جيوجرافيك عندما نقلت أحد الأهرامات المصرية في صورة غلاف. إن التلاعب بالصور بدون ذكر ذلك بوضوح خطأ خطير في معظم الصحف والمجلات الإخبارية[246].

لا شيء – من المنظور الصحفي – يبرر الغش الصارخ. لكن الخط الفاصل بين التلاعب غير اللائق وجعل صورة ما أفضل، أقل وضوحًا مما قد نحب. على سبيل المثال: إن القص البسيط يمكن أن يحذف شخصًا كان موجودًا في الصورة الأصلية أو يبرز عنصرًا هامًا في الصورة. وبرمجيات الفوتوشوب وغيرها من أدوات التلاعب بالصور، تعطي فنيي التحميض الذين استخدموا يومًا ما تقنيات مادية عديدة ومتنوعة لإبراز بعض أجزاء الصور ونقل البعض الآخر إلى الخلفية – طرقًا جديدة قوية لإحداث تغيير في الصور.

وثمة ظاهرة أخرى أكثر مدعاة للقلق، وهي الاستخدام المتزايد للقطات الفيديو المتلاعب بها. فقد أصبح من الشائع الآن أن تظهر في الأحداث الرياضية المذاعة تليفزيونيًا، إعلانات مقحمة فيها رقميًا، مثلًا، على جدران الاستاد التي تكون خالية في الواقع. وقد بدأ مجال وضع المنتجات التي تحمل أسماء علامات تجارية داخل البرامج التليفزيونية والأفلام السينمائية المتنامي، يقترب من العملية الإخبارية. وينبغي أن يكون ذلك سببًا لانزعاج الجميع. وكما أظهر فيلم فوريست جامب، يمكننا أن نضع صورة شخص في مشهد لم يكن موجودًا فيه في الواقع، وتعني التحسنات المطردة في التكنولوجيا الرقمية أن ذلك سيصبح أمرًا في غاية السهولة.

لقد وجد عنصر خداع ما لسنوات طويلة في البرامج الإخبارية. فعلى سبيل المثال: كثيرًا ما يتم عرض خلفيات تمثل محيطات حضرية خلف المذيعين يتم إدخالها إليكترونياً.

لكن شبكة سي بي إس نيوز – على سبيل المثال- نقلت هذا الأسلوب إلى مستوى آخر في 1999 عندما تضمنت التغطية الإخبارية لدان راثر Dan Rather المنقولة من تايم سكوير، لافتات إعلانية رقمية عن بعض المنتجات. في ذلك الحين قال مسئولو سي بي إس إنهم لا يجدون شيئًا خاطئًا في هذا الأسلوب[247]. ولا يرقى هذا الخداع لما فعله جيسون بلير Jayson Blair عندما لفق صورًا وهمية في صحيفة نيويورك تايمز، ولكن لا ينبغي لأي منظمة إخبارية مسئولة أن تدخل في أي تقرير أشياء ليست موجودة في الحقيقة. وإذا اعتاد المشاهدون على هذا النوع من الخداع، فإننا سنواجه جميعًا ورطة.

إن هذه التقنيات يتم تطويرها من أجل الإنترنت التي تنتشر عليها الأكاذيب بسرعة، ويمكن أن تسبب أضرارًا جسيمة قبل أن تظهر الحقيقة. ويتمتع بعض الحلول – ومنها التعليم المائي الرقمي للصور ولقطات الفيديو للتمكين من اكتشاف الصور المزيفة – بجاذبية في ظاهرها. ولكنها ليست فعالة من الناحية الفنية لأن القراصنة يستطيعون باستمرار التغلب على هذه الأنظمة وسوف يشجعون بذلك على فرض قيود أكثر صرامة فيما يتعلق بحقوق النشر والتأليف ومن ثم أشد ضررًا على الإعلام الشعبي والبحث العلمي من القيود السارية حالياً.

من الذي يتحدث ولماذا؟

في 2000 أصدر مارك سيمون جيكوب Mark Simeon Jakob نشرة صحفية كاذبة تسببت في حدوث هبوط حاد في سعر سهم شركة تدعى إيميوليكس Emulex بعد أن تعاملت معها منظمات أخبار ساذجة بجدية. وكان قد باع أسهمه على المكشوف، مراهنًا في الحقيقة على أن السعر سيهبط وجنى من وراء ذلك مكسبًا قدره 241 ألف دولار قبل أن يتم ضبطه. وقد اعترف مارك بارتكابه جنحة وحكم عليه بالسجن[248].

كانت جريمته بشعة. ولكن إلى أي مدى اختلفت عن غرف الدردشة ولوحات المناقشة التي أصبحت شديدة الشعبية في السنوات الأخيرة؟ لقد تم التلاعب بهذه

النقاشات لسنوات طويلة من خلال قيام المستثمرين بزرع معلومات ثم البيع أو الشراء تبعًا لها. وكان هذا النوع من السلوك أحد العوامل الرئيسية التي غذت فقاعة الإنترنت - ولم يكن ذلك إليكترونيًا فقط. فقد راح محللو وول ستريت ينصحون الناس بشراء أسهم في شركات كانوا يسمونها الكلاب في رسائل بريد إليكتروني خاصة مرسلة إلى زملائهم. وأنا أشعر بالتعاطف مع صغار المستثمرين الذين خسروا جزءًا كبيرًا من أموالهم في الفقاعة، وبالاحتقار تجاه الأشخاص الذين روجوا عن علم وبينة لأسهم أسعارها مبالغ فيها بصورة مضحكة ومنافية للعقل. لكن الطمع كان في كل مكان وكان صغار المستثمرين يبحثون أيضًا عن شيء كان جيدًا بدرجة لا يمكن معها أن يكون حقيقيًا ويتنافى مع الإدراك السليم.

ومع ذلك فإن المنتديات الاستثمارية، يمكن أن تكون مصدرًا لمعلومات جيدة بصورة لا تصدق أيضًا. ففي بعض الأحيان يقوم الموظفون الغاضبون بكتابة حكايات من داخل شركاتهم على الإنترنت يمكن أن تكون تحذيرًا من أوقات أصعب تنتظر المساهمين. وأحيانًا يكتشف محلل هاوٍ بارع شيئًا وثيق الصلة لم ينتبه له المحترفون. ورفض جميع المعلومات الإليكترونية بدون تفكير عمل أحمق، ومثله تجاهلها بالكامل - لكن إخفاق المرء في البحث والتحري والاستقصاء قبل اتخاذ قرار خطير يمكن أن يكون هو الخطأ الأكثر حمقاً.

وعند القيام بالبحث والتحري، فإن من أكثر الممارسات حسمًا دراسة المصدر. والصحفيون الأكفأ يعرفون ذلك بحكم الممارسة. فنحن لا ننتقي عشوائيًا شخصًا موجودًا في الشارع ونفترض أنه خبير في الطاقة النووية مثلًا، ونضحك كثيرًا من فكرة قراءة مادة مكتوبة على الإنترنت غير مذكور اسم صاحبها ثم استخدامها كأساس واقعي لمقال ما - أنا على الأقل أجد ذلك مضحكاً.

لا يمارس مات درادج Matt Drudge مروج القيل والقال على الإنترنت، ما أسميه الصحافة المحترمة (ولكي أكون منصفًا هو لا يسمي نفسه صحفياً) ولكنني أحترمه

لقيامه بالتوقيع باسمه على كل ما يكتبه على الإنترنت. ربما لا يمثل ذلك ترضيه كبيرة لجون كيري المرشح الديمقراطي في حملة انتخابات الرئاسة عام 2004. ولعلكم تذكرون أن كيري طاردته في أوائل فبراير إشاعة عن تورطه في خيانة زوجية «فضيحة» لم يكن هناك على الإطلاق أية أدلة على حدوثها ونفاها كل من افترض تورطه فيها وكان السبب في تفجرها ما نشره درادج عنها على موقعه على الويب.[249]

برغم أن «علاقة كيري الغرامية» كلها كانت مؤسفة، إلا أننا كنا نعرف على الأقل من المسئول عن حدوثها أصلاً، وكان بإمكاننا أن نقيم الادعاءات في سياق عمل الكاتب السابق. إلا أننا لا نستطيع إصدار مثل هذه الأحكام على كثير من الأشياء الأخرى التي نقرأها على الإنترنت. أن إحدى الخصائص العظيمة للإنترنت وهي القدرة على الاحتفاظ بمجهولية الهوية يمكن أن تكون أيضًا أحد عيوبها الرئيسية.

أخبرني أشخاص أحترمهم أننا بحاجة إلى الاستغناء عن مجهولية الهوية على الإنترنت - ولديهم أسباب منطقية.

لكن مجهولية الهوية راسخة في ثقافتنا حتى وإن كان استخدامها يمكن أن يكون بغيضًا أحياناً. وهناك أسباب ممتازة تدعو المرء لإخفاء هويته. فالشخص المصاب بمرض الإيدز أو بمرض آخر يمكن أن يفقد وظيفته أو منزله أو يتعرض للاضطهاد بطرق أكثر عنفاً. وقد يرغب شخص يعتنق وجهات نظر لا تتمتع بشعبية في بلدة صغيرة تميل بقوة في اتجاه معين، في مناقشتها مع آخرين لهم نفس عقليته وأسلوب تفكيره. ويحتاج كاشفوا الأستار في الحكومة والشركات للتمتع بالقدرة على الاتصال بالسلطات والصحفيين دون الخوف من انكشاف هويتهم. ويستحق المنشقون السياسيون في البلدان التي قد يكون مثل هذا السلوك مهددًا للحياة فيها أكثر من أي أشخاص آخرين حماية مجهولية الهوية عندما يحتاجون لها.

برغم وضوح مزايا مجهولية الهوية، إلا أن هناك مخاطر مرتبطة بها. ففي أحد الأمثلة الشهيرة في 2004، كشف أحد أخصائيين البرمجيات في أمازون دوت كوم عن

شيء كان أناس كثيرون يشتبهون فيه بشأن المقالات النقدية عن الكتب المكتوبة بواسطة العملاء: فقد كتب المؤلفون مقالات نقدية أشادت بكتبهم تحت أسماء مستعارة وفي بعض الأحيان انتقدوا بشدة الكتب المنافسة. وقد أظهرت قصة نشرتها نيويورك تايمز[250] وجود استعداد لافت للنظر من جانب المؤلفين لتسويغ ما يرتكبونه من غش وتدليس على أساس أنه أداة تسويق أخرى. وساقوا عذرًا آخر أكثر معقولية وهو مواجهة المقالات النقدية الرديئة التي يكتبها أعداؤهم. إنني قلق مما سيحدث عندما ينشر هذا الكتاب. فأنا بالتأكيد لدي نصيب من الخصوم والمعارضين. فهل سيسيئون لي ولكتابي على أمازون؟ هذا أمر أكيد. هل سيضر ذلك المبيعات؟ ربما. هل يمكنني أن أفعل شيئًا حيال ذلك بافتراض أنهم لا يشهرون بي؟ لا أعتقد ذلك.

في واحدة من المناقشات الإليكترونية على مدونتي، تحديت معلقًا اسمه «جورج» بسبب رفضه الإفصاح عن هويته، فقلت «أنا أرحب باحتفاظك باسمك مجهولًا ولكني أعتقد أنك ستتمتع بقدر أكبر من المصداقية في هذه المناقشة إذا كشفت عن هويتك. فالقارئ العابر يمكن أن يتساءل عن سبب رغبتك في عدم الكشف عنها».

فأجاب: «ينبغي أن تحكم على مصداقيتي على أساس كيف تتطابق أقوالي مع الحقائق والمنطق والقانون وليست على أساس من أكون»[251].

لقد كان محقًا بعض الشيء. فمهارات المناظرة والنقاش ليست دليلًا على أي شيء وفي ظل غياب أساس لتعليقاته لم يكسب ثقة أحد. إن المصداقية لا تنبع من الحجج الذكية فحسب، بل أيضًا من الاستعداد للوقوف وراء تلك الحجج عندما لا يكون هناك سبب مقنع للبقاء مجهول الهوية. ولم يكن هناك أي سبب مقنع في هذه الحالة.

دافع معلق آخر استخدم أيضًا اسمًا مستعارًا عن استخدام أحد صناع أجهزة التصويت الإليكترونية قانون حقوق النشر والتأليف لحجب مذكرات كشفت عن وجود عيوب في نظم التصويت بها. وبدا أنه كان يكتب تعليقات مستخدمًا اسمًا مختلفًا ولكن بلغة مماثلة (وفي بعض الحالات مطابقة) لما كان ينشر على مدونة عن حقوق

الملكية الفكرية ترعاها كلية الصحافة بجامعة كاليفورنيا – بيركلي. وقد علمت ذلك لأن ماري هودر Mary Hodder وهي إحدى المؤلفين الرئيسيين لتلك المدونة[252] لاحظت وجود أوجه تشابه في أسلوب التعليقات المكتوبة على موقعينا اللذين نعتقد أنه يوجد قراء مشتركون لها بسبب الموضوعات التي نغطيها. وقد تفقدنا عناوين الإنترنت التي تم إرسال التعليقات منها ووجدناها متطابقة. ولم يُثبت ذلك بصورة قاطعة أن شخصًا واحدًا أرسل بكلا التعليقين ولكنه ساعد في استنتاج أن هذا الشخص لم يرفض فقط التعريف بهويته بل كان أيضًا يحاول الإيهام بأن جماعة من الأشخاص تراقب مدونتينا لإظهار خطأ أساليبنا بينما في الحقيقة كان شخص واحد هو الذي علق على الاثنين.

ما الذي تشير له هذه الأمثلة؟ أن الحكمة تقتضي من الأشخاص الذين يقرأون التعليقات على لوحات المناقشة أن يتحروا عن مدى صدق معلق ما حينما لا يكونون متأكدين من مصدر التعليق المكتوب[253]. وكما سبق أن ذكرنا في الفصل الثامن، فإن الإنجازات التكنولوجية من المحتمل أن تقدم لنا طرقًا أفضل لقياس – في الحقيقة – إدارة السمعة والتحقق من سلامة نية معلق ما دون كشف هويته الفعلية للعالم.

ويبدو البحث من خلال جوجل لمعرفة ما قاله شخص ما إليكترونيًا في أماكن أخرى نقطة بداية جدية. ولكنه في النهاية ليس الحل. بيد أنه إذا استخدم شخص ما اسمًا مستعارًا باستمرار، فتتاح لنا على الأقل إمكانية معرفة ما إذا كان هذا الشخص يتمتع بسمعة طيبة أم يسبب متاعب في أماكن أخرى.

وفي الوقت الحالي فإن الحل المفضل لدي ليس الأكثر عملية: إذا كان لدي الجميع مدونة أو نوع آخر من مواقع الويب، ينبغي عليهم تضمين وصلة (إشارة) كنوع من التوقيع الرقمي. صحيح أن مواقع الويب يمكن تزييفها، لكن الخدعة التي يتم فيها استخدام اسم شخص آخر أو يختبئ مرتكبها وراء اسم مستعار من أجل أغراض غير أخلاقية أو غير لائقة، يمكن أن تلفت انتباه السلطات – ونظرًا لأن ملاك مواقع الويب

مضطرون لدفع مبالغ مالية لشخص ما لكي يستضيف موقعهم، يمكن تعقب المالك. وأعود فأقول إنني لن أفعل شيئًا لوقف مجهولية الهوية على الإنترنت. ولكن إذا كنا نريد أن تدور مناقشات إليكترونية جادة، أعتقد أن جميع الأطراف - فيما عدا حالات استثنائية قليلة - ينبغي أن تكون على استعداد للتحقق من هوية المشاركين في المناقشات وإلا خاطرت بتعريض مساهماتها للشك والتساؤل - في بعض الأحوال - والتجاهل.

محترفو التشويش ومنغصات أخرى

ليس تقرير ما إذا كان تعليق ما لا يحمل اسم صاحبه فكرة جيدة أم سيئة، هو المشكلة الوحيدة التي تعاني منها الصحافة الشعبية. بالنسبة للمبتدئين فكر في محترفي التشويش.

يتعامل روب مالدا Rob Malda، وجيف بيتس Jeff Bates وزملاؤهما في موقع سلاشدوت Slashdot مع محترفي التشويش Trolls منذ سنوات. وعلي Slashdot يقوم قراء News for Nerds: Stuff that Matters بالعمل الشاق، حيث يقومون بتمشيط الويب بصورة متواصلة بحثًا عن معلومات مشوقة - مقالات، قصص إخبارية، نشرات صحفية وتعليقات في القوائم البريدية - وتذكية المادة لدى فريق تحرير Slashdot الصغير. وكل يوم يختار المحررون 12 أو نحو ذلك من أفضل المواد ويقومون بإبرازها على الصفحة الرئيسية للموقع مع ملخص قصير ووصلة فائقة ودعوة القراء للتعليق عليها إليكترونياً. ثم يبدأ المحررون في مراقبة ما يجري وهذا ما يفعله أيضًا مئات الآلاف من الأشخاص الآخرين.

إن الملخصات والوصلات المبدئية هي بداية المحادثة على موقع Slashdot وليست النهاية. فالمادة العادية تولد نحو 250 تعليقاً، والبعض يولد عددًا أكبر بكثير. ويعطي مديرو المناقشات - المختارون هم أنفسهم على أساس مشاركتهم في مناقشات أخرى - تقديرات تقييمية لجودة المواد والتعليقات المكتوبة. وبإمكان القراء تعديل النتائج

بحيث يشاهدون كل شيء أو - كما يفعل معظمهم - جزءًا من التعليقات الأكثر جوهرية.

لقد كان على فريق Slashdot أن يواصل مراقبة البرمجيات التي تشغل موقع Slashdot، بالإضافة إلى نظام إدارة المناقشات بواسطة المستخدمين، بسبب محترفي التشويش والمخربين الذين يحاولون حشو الموقع بتعليقات ومواد بذيئة أو عديمة الصلة بموضوعات المناقشة، مدمرين بذلك التجربة على الآخرين. وقال لي بيتس إن ذلك منغص مستمر ولكنه جزء من ثمن مزاولة الأعمال.

كيف تعرف إن كان هناك محترف تشويش على موقعك؟ إن التعريف الوارد على موقع Wiki الخاص بوارد كاننجهام هو أفضل مرشد:

يعمل محترف التشويش عن عمد على استفزاز الآخرين بقصد إهدار وقتهم وطاقتهم. إن محترف التشويش سارق للوقت. فالتشويش يعني السرقة من الناس. وهذا ما يجعله عملًا شائنًا.

يمكن التعرف على محترفي التشويش من خلال عدم اندماجهم في محادثة أو مجادلة ما. إنهم لا يؤمنون بما يقولونه ولكن يقولونه لإحداث تأثير فقط.

الدافع الذي يحرك محترفي التشويش هو الرغبة في جذب انتباه الناس وهم لا يستطيعون أو يريدون الحصول على ذلك الانتباه بطريقة منتجة ومثمرة.

يمكن أن يكون الشخص من النوع الذي لا يطاق والمثير للغضب ومتعصبًا وجاهلًا حتى أن المرء يود أن يطرده دون أن يكون من محترفي التشويش.

لاحظ أيضًا أن محترف التشويش لا يتعمد بالضرورة توجيه الإهانات أو يكون عديم الأدب حتى. وأشكال التشويش الأكثر فجاجة ووضوحًا فقط هي التي يمكن التعرف عليها بسهولة.

إذا وجدت نفسك تشرح باستفاضة وتفصيل شديد نقطة غامضة لشخص ما ليس حتى مهذبًا معك، فأغلب الظن أنك تتعرض لأسلوب التشويش[251].

إن تسجيل المستخدمين على نظم التعليقات، مع بيان الاسم وعنوان بريد إليكتروني يمكن التحقق منه، يمكن أن يكون رادعًا لمحترفي التشويش. وأسوأ شيء يمكن أن تفعله - كما يعرف زوار المواقع الإليكترونية (Netizens) - هو أن تعير محترف التشويش اهتمامًا، فتجاهله يكون عادة هو الحل الأفضل. وإذا صدرت عن الناس عبارات مسيئة يمكن منعهم من الاشتراك في المناقشات. فليس من حق كل إنسان أن يتكلم على موقع كل شخص آخر أو أن يكون جزءًا من محادثة كل شخص آخر.

دورية تحريف الحقائق

لقد أصبح الصحفيون معتادين على عملية يطلق عليها تحريف الحقائق (Spinning). وتصف موسوعة ويكيبيديا هذه العملية وصفًا دقيقًا في سياق العلاقات العامة بأنها «وضع أحداث أو حقائق لاسيما تلك المتصلة بالأحداث أو الحقائق ذات الأهمية السياسية أو القانونية في سياقات تكون في صالح المرء أو عميل له أو قضية يتبناها، على الأقل بالمقارنة بالخصوم. ويمارس صناع الأخبار والمهنيون في مجال العلاقات العامة هذا الأسلوب معنا منذ أن أصبح الإعلام طريقة لتوصيل المعلومات إلى عامة الناس وقد تراوح موقفنا منه بين التأييد والمعارضة طيلة هذا الوقت».

في العالم المادي، أحاول أن أسأل نفسي دائمًا عما ينتظر الشخص الذي أجرى معه مقابلة وما يتحقق من وراء هذه المقابلة. إننا بحاجة للاعتراف بأن الدوافع تلعب دورًا فيما يقال لنا وأننا نكيف تغطيتنا النهائية تبعًا لذلك.

لكن تحريف الحقائق يسلك بعض السبل الماكرة والغادرة إلى عامة الناس. ومن أسوأ أشكاله استخدام الإعلام الكسول للنشرات الصحفية كأخبار. ومعروف عن بعض الصحف الأصغر أنها تقوم بنشرها حرفيًا كما لو كان مراسل صحفي قد قام بإجراء تغطية إخبارية وكتابة ذلك. ومؤخرًا أصبحت النشرات الصحفية الفيديوية وصمة عار على جبين مهنتي الصحافة والعلاقات العامة معًا، حيث تتسلم محطات

التليفزيون المحلية نشرات فيديو تتضمن غالبًا قيام «مراسلين صحفيين» مزيفين بإجراء مقابلات مع مسئولين في شركة أو هيئة حكومية ترغب في نشر أخبار عنها. وفي أحيان كثيرة جدًا تلعب هذه المحطات دورًا في كل هذه الأعمال الصحفية الزائفة أو بعضها. وفي مارس 2004، تم توجيه لوم عنيف لإدارة بوش لقيامها بإصدار نشرات فيديو بهدف الترويج بطريقة سياسية شديدة لمشروع قانون خاص بالأدوية كان الكونجرس قد أقره قبل بضعة شهور[255].

ويتراوح تحريف الحقائق الإليكتروني بين غير الضار نسبيًا بل وحتى المسلي من ناحية والأساليب غير الأخلاقية من ناحية أخرى. فعلى الجانب عديم الضرر يوجد «قصف جوجل» Google bombing. وهو عبارة عن طريق لتوصيل كلمة أو عبارة بموقع ويب محدد من خلال محرك بحث جوجل. وبعد أن منيت مجموعة من قاذفي جوجل «بفشل ذريع» في الإشارة إلى صفحة السيرة الذاتية لجورج دبليو بوش على موقع البيت الأبيض، رد مؤيدوه بربط صفحة جون كيري بكلمة كعكة «Waffles»[256] وعاجلًا أو آجلًا سوف تمنع شركة جوجل هذا النوع من الممارسات وإلا جازفت بفقد بعض مصداقيتها.

يزداد تحريف الحقائق الإليكتروني تطورًا وتعقيدًا، لاسيما عندما يتعلق الأمر بالتعليقات أو المواد الأخرى المكتوبة من شخص ما يحاول طرح وجهة نظر ولكنه لا يوضح صلته بالموضوع. والمدافع عن حقوق النشر والتأليف في صناعة الترفيه الذي أصر على نقد ملونتي لم يكن يمارس تحريف الحقائق وقلبها معي فحسب بل مع جهودي كذلك. وهذا تأثير غير مقصود للمحادثة ولكنه تأثير سوف يتعين علينا التعايش معه.

قبيل افتتاح معرض الإليكترونيات الاستهلاكية في يناير 2004 استلمت بريدًا إليكترونيًا من شخص أخبرني فيه بطريقة لاهثة نوعًا ما بمنتج كان من المقرر الإعلان عنه في المعرض. بدا لي أنه جذلا لأن الشركة أفشت بدون قصد معلومات كانت تنوي الاحتفاظ بها في طي الكتمان إلى أن يحين موعد الإعلان الرسمي. وأشار إلى عدة

صفحات، منها صفحة بها صورة للمنتج (وهو جهاز خاص بالترابط الشبكي للوسائط المتعددة في المنزل) وصفحة أخرى كان الرئيس التنفيذي للشبكة كان قد أكد فيها وجود المنتج على منتدى لدعم المنتج.

وهكذا أودعت هذه المعلومات في مدونتي وكتبت أقول: «اعتبر ذلك مثالاً صغيرًا لصحافة الغد اليوم». لقد «قام قارئ يعرف أكثر مني بكثير عن شيء ما يخص العمل الصحفي وعثر لي على معلومات تستحق الإشارة. والآن أنتم أيضًا تعرفون».

هل تعرضت لعملية تحريف حقائق؟ فبرغم كل شيء لم يكن منتجًا من المحتمل أن أغطيه في المقام الأول. ورأيي الذي اعتمد على مراجعة متابعة قمت بها، أن ذلك لم يكن تحريفًا للحقائق بل كان معلومة من شخص أعتقد حقًا أنه يقدم لي سبقًا صحفياً. ومع ذلك فأنا أعتزم توخي المزيد من الحرص والحذر قبل كتابة مثل هذه الأشياء في مدونتي في المستقبل.

من الواضح أن بعض تحريف الحقائق الإليكتروني، خادع مثلما اكتشف آدم جافين Adam Gaffin. يدير جافين منتدي إليكترونيًا يسمي Wicked Good (الطيب الشرير) على موقع بوسطن أون لاين[257]. وفي 2003 تحدث المنتدى عن شركة وهمية في مسلسل عن المشاكل المنزلية، تنظم مسابقة «الرجل الأكثر إثارة جنسيًا». وتحدث شخص اسمه Dixie Wrecked عن المسابقة والبرنامج التليفزيوني. انتاب الشك جافين وفحص العنوان الإليكتروني الذي كان «dixi» يرسل منه تعليقاته، واكتشف أن مصدرها شركة تتخذ من واشنطن مقرًا لها اسمها نيو ميديا ستراتيجيز New Media Strategies وتقدم – وفقًا لموقعها على الويب – خدمة تسويق إليكترونية معتمدة على الأقاويل الشفهية بهدف إثارة ضجة دعائية حول المنتجات والعلامات التجارية. قال جافين[258] لأعضاء منتداه «لقد تم التلاعب بنا «مضيفًا» وفي حال إن قررت شركة جوجل فهرسة هذه الصفحة: شركة نيو ميديا ستراتجيز تبعث على الاشمئزاز. دعوني أكرر: شركة نيو ميديا ستراتيجيز تبعث على الاشمئزاز».

والأمر المثير للاهتمام هو أنه بحلول أوائل 2004، كانت إحدى المواد على الصفحة الأولى لقوائم جوجل التي تستخدم مصطلح «إستراتيجيات الإعلام الجديدة» New Media Strategies مؤشرًا إلى صفحة على موقع بوسطن أون لاين بعنوان «لماذا تبعث شركة نيوميديا ستراتيجيز على الاشمئزاز؟» (وبحلول أواخر أبريل كانت المادة قد نقلت إلى الصفحة الثانية).

إنني لا أقصد الهجوم على شركة نيو ميديا ستراتيجيز هنا أو القول بأن خطأها في هذه الحالة يمثل الأساليب العامة للشركة[259]. ولا أريد الإيحاء بأن واقعة واحدة فقط من هذا النوع إذا تم اكتشافها وأحدثت بعد ذلك أي درجة من درجات الغضب والسخط يمكن أن تكون نقطة سوداء لا يمحوها الزمن من تاريخ الشركة.

درس آخر: الفضح يمكن أن يكون عاملًا معقولًا موازنًا للتصدي لمارمي تحريف الحقائق. ولكن لسوء الحظ لا يستطيع كل إنسان ضبط هذه الأفعال. ولذا فنحن بحاجة إلى طرق أفضل لرصدها ثم فضحها بعدد من الأدوات المتنوعة، ومنها نظم السمعة. وفي حالات كثيرة، يكون الحل الأفضل هو التأكد من وجود محادثة صريحة بين قراء مطلعين لأنهم سيخبرون بعضهم بصورة جماعية.

المراسلون الصحفيون المواطنون يهبون للإنقاذ

عبر مؤلف المدونات كين لين Ken Layne [260] عن واحدة من الخصائص الأساسية للعالم الإليكتروني في تعليق كلاسيكي في 2001 حيث قال[261]: «إننا نستطيع تقصي الحقائق والدخائل ببراعة. فعندما يوجد عدد كبير من المراسلين الصحفيين المواطنين الذين يفحصون بدقة ما يقوله الآخرون، تكون لديهم طريقة للوصول للحقيقة أو على الأقل تسليط الضوء على الجوانب المتناقضة».

وكمثال على هذا: «أنشأت كيسي نيكول Kaycee Nicole مدونة لتتحدث فيها عن الحياة والمرض والفقد. وعندما مرضت وشارفت على الموت أنشأت مجتمعاً. وزار

آلاف الناس مدونتها في 2000 و 2001 وواسوها – وواسوا بعضهم – برسائل الدعم والمساندة وعروض المساعدة. بل إنهم أجروا بحوثًا عن مرضها بحثًا عن طريقة لتحسين حالتها الصحية. وتحسنت حالة كيسي الصحية فعلاً، على الأقل برهة من الوقت. إلا أن المرض اشتد عليها ثانية و في النهاية ماتت بعد صراع مع مرض اللوكيميا».

ولكن في 18 مايو 2001، أرسل شخص يدعي Acridrabbit سؤالًا بسيطًا إلى ميتافلتر MetaFilter وهي عبارة عن مدونة جماعية وموقع ويب: «هل من الممكن أن تكون كيسي شخصية وهمية لا وجود لها؟». وأثار السؤال جدلًا غاضباً. وقامت مجموعة صغيرة نسبيًا ولكن نشيطة ومتحمسة من زوار الإنترنت (Net Denizens) بحل لغز حكاية الألم والحزن واكتشفت حدوث خدعة. فقد قامت هذه المجموعة بفحص سجلات المحاكم وقارن أفرادها النتائج التي توصلوا لها مع بعضهم. لقد قاموا بأفضل تحريات يمكن أن تراها.

إن ما أنجزته هذه المجموعة كان إلى حد ما صحافة تحقيقات. ولكنهم لم يكونوا صحفيين محترفين. بل كانوا غرباء يعرفون بعضهم من الإنترنت. ولكن من خلال الجمع بين قوة الإنترنت والعمل الصحفي على الطراز القديم، تجمعوا معًا – يملؤهم الشعور بالأسى أولًا ثم الشعور بفزع تحول إلى غضب – لفحص موقف ما بدقة، وفي النهاية تمكنوا من حل اللغز وكشف الغموض[262].

إن تقصي الحقائق Fact checking هو مجرد أداة واحدة يمكن لمجتمع ما أن يوظفها. وكما هو الحال في المشروعات مفتوحة المصدر، فإنه من خلال دمج كل هذه العيون والأفكار يمكن خلق ظاهرة تقويم للذات. وفي صيف عام 2003، اكتشفت أنا وديفيد واينبيرجر David Weinberger مزايا مجتمعية أخرى. كنا قد أطلقنا موقع ويب صغير غير تجاري اسمه WordPirates [263] كان الغرض منه تذكير الناس بالكيفية التي تم بها الاستيلاء على بعض الكلمات الجيدة في لغتنا من قبل المصالح المؤسسية والسياسية.

قمنا بفتح الموقع للسياح لأي شخص بإضافة كلمة مشفوعة بشرح للسبب الذي ينبغي أن توجد هناك من أجله. وكما توقعنا، فقد استخدم البعض النظام لإرسال مواد خارج الموضوع وغير مناسبة وصبيانية للموقع وبدون شرح في أحيان كثيرة. وكان علينا أن نقوم بعملية تشذيب مكثفة.

لكن أحد المخربين عثر على عيب أمني في البرمجيات المشغلة للموقع واستغله عن طريق إدخال كود برمجة في شكل محتوى - شكل من أشكال لغة ترميز النص الفائق - لنقل المستخدمين إلى صفحة ويب غير تابعة لموقعنا احتوت على واحدة من أكثر الصور الفوتوغرافية إثارة للاشمئزاز رأيتها في حياتي. وقمنا بإزالة المادة البذيئة بفضل مبرمج حاد الملاحظة أعلمنا بالكيفية التي تم بها إساءة استخدام الصورة على هذا النحو الفاحش. وأخيرًا قام مطور البرمجيات التي كنا نستخدمها والذي لم يتوقع حدوث هذا النوع من إساءة الاستخدام، بعلاج الاختراق الأمني.

لقد شهدنا بلا ريب الجانب السلبي في الإنترنت، لكننا شاهدنا أيضًا الجانب الإيجابي من خلال الطريقة التي ساعدنا بها المجتمع على العثور على المشكلة وتحليلها وعلاجها. وكما قال واينبيرجر بعد المشكلة التي حدثت بسبب الكود الشرير «إن الأمر يبدو وكأن الإنترنت لا تصحح نفسها بشأن مسائل الحقيقة فقط، بل تصحح نفسها أخلاقيًا أيضًا: فالانعطاف السيئ يتم تصحيحه بواسطة عدة انعطافات جيدة».

هروب إلى الجودة؟

يمكن أن يكون لطوفان المعلومات غير الموثوقة على الإنترنت تأثير باعث على السخرية، يتمثل في تعزيز الإعلام الكبير على المدى القصير على الأقل. ويفترض ذلك بالطبع أن يثق مستخدمي الصحافة الإليكترونية في الإعلام الكبير أصلاً. لكن الكثيرين لا يثقون به.

وعلى عكس كثير من الأمريكيين، وعلى الرغم من بعض الفضائح الإعلامية، فإن

لدي إيمانًا لا يتزعزع بأن الصحف الرئيسية تحاول جاهدة أن تكون دقيقة ونزيهه. فعلى سبيل المثال: فإنني أنا أقرأ صحيفة وول ستريت جورنال منذ سنوات وأثق في أن المقال الإخباري النموذجي المنشور على الصفحة الأولى تم إعداده وكتابته وتحريره بصورة جيدة. ولكن ذلك لا يعني أنني أفترض أن كل شيء فيه صحيح، وإن كنت أظن أن الصحيفة بذلت كل ما بوسعها، وأن هناك آليات مؤسسية موجودة لتصحيح أي شيء إن كان خاطئاً. وقد تدعمت هذه المعتقدات مع قيامي - بصورة متزايدة - بقراءة هذه الصحيفة على الإنترنت وليس في شكلها المطبوع. (وحتى بعد مشكلة جيسون بلير، أقول الشيء نفسه عن صحيفة نيويورك تايمز).

لكن الإعلام الكبير الذي يشارك في المحادثة الجديدة إليكترونيًا. يتحمل مخاطر يمكن أن تضر المصداقية بصورة أكبر. فيومًا ما سيخترق شخص ما النظام الأمني لموقع إعلامي رئيسي على الويب - وول ستريت جورنال أو تايمز أو سي إن إن - ويدخل بعض «الأخبار» التي يتضح فيما بعد أنه لا أساس لها من الصحة على الإطلاق. ربما ستزف القصة أخبارًا سارة لشركة ما أو أخبارًا فظيعة، الأمر الذي سيعطي قراصنة الحاسب الآلي والإرهابيين معدومي الضمير أو حتى الأشرار ذوي الصلات السياسية الفرصة للتلاعب في سوق الأوراق المالية أو التسبب في حالة من الفزع والهلع أو سرقة انتخابات[264].

هذا الفعل الذي أعتبره يقينًا أكثر منه احتمالًا، سيغير معادلة الثقة في الإعلام الإخباري على الأقل لبعض الوقت. فهل سيكون له تأثير يدوم طويلًا؟ نعم إذا حدث بصورة متكررة.

المنطق السليم القديم الواضح

يتضمن أن تكون مراسلًا صحفيًا بعض الممارسات والأساليب الأساسية. فعندما أري أو أسمع عن شيء ما أعتقد أنه ربما يستحق تغطيته ونقله إلى جمهوري، أحقق منه أو أقتبس عن أناس موثوقين لهم معرفة به أو أذهب إلى المصدر (بشرًا كان أو وثيقة).

وإذا أشرت إلى شيء ما مثير للاهتمام على مدونتي ولكنني لا أعرف إن كان صحيحًا أم لا، أذكر هذه الحقيقة. وبوجه عام لا أقوم بتكرار مادة صاحبها مجهول الهوية فحسب.

وإذا لم تأت الحقيقة محل المناقشة من مصدر أثق به، فإنني أتحري عنها.

إن مستخدمي المعلومات الإليكترونية بحاجة لتطوير مرشحات ومصافي مماثلة. إنهم في حاجة إلى هيكل هرمي للثقة.

في الهيكل الهرمي الخاص بي، أثق في صحيفة نيويورك تايمز أكثر من صحيفة مصغرة يصدرها سوبر ماركت. وأثق أن دول سيرلز Doc Searls يخبرني على مدونته أكثر مما يقول مؤلف مدونة عشوائي على صفحة لم أشاهدها من قبل.

وكما ذكرت من قبل، نحن بحاجة إلى أدوات أفضل للتوصية والسمعة وبرمجيات تسمح لنا بالإبحار في الويب باستخدام توصيات من أصدقاء موضع ثقة وأصدقاء أصدقاء. وسوف نتعرف على كيفية تحقيق ذلك في السنوات القليلة المقبلة وأنا على ثقة بأننا سنصبح أفضل وأفضل في هذا الشأن.

> أما الآن فالناس في حاجة لأخذ المعلومات الموجودة على الإنترنت مع حبة الملح مضرب الأمثال. فعندما يشاهدون أشياء تعد بإحداث تأثير قابل للقياس على حياتهم – مثل القصص الإخبارية التي تقنعهم ببيع أو شراء شيء غالي الثمن – ينبغي عليهم التحقق من صدق الادعاء قبل أن يصدروا رد فعل.

هناك حدود لذلك، ولكن عندما يتعلق الأمر بالمسائل التي تكون الرهانات الشخصية مرتفعة بدرجة كافية فيها، ربما يستحق الأمر تذكر النصيحة الأسطورية التي يقدمها المحررون المسنون سريعو الغضب للمراسلين الصحفيين اليافعين: إذا قالت لك أمك إنها تحبك فعليك أن تتحقق من صدق هذا القول.

الفصل العاشر

ها قد جاء القضاة (والمحامون)

كان بروك ميكس Brock Meeks متفوقًا على معظمنا بكثير، فيما يتعلق بإدراك قوة الإنترنت كأداة صحفية. ففي 1993، وكان آنذاك مراسلًا صحفيًا بصحيفة كوميونيكيشنز ديلي وهي مطبوعة مهنية مقرها في واشنطن، أنشأ خدمة إخبارية برقية رائدة عبر البريد الإليكتروني. وأسماها CyberWire Dispatch. وعلى مدى السنوات العديدة التالية، حقق بانتظام سبقًا صحفيًا تفوق به على وسائل الإعلام الرئيسية في القصة تلو القصة[265].

لكن ميكس الذي يعمل الآن مراسلًا صحفيًا لحساب MSNBC يوجد سبب آخر لشهرته. فقد كان – وفقًا لمعظم الروايات – أول صحفي إنترنت تتم مقاضاته بتهمة القذف – وبرغم كل الأغراض العملية، كسب ميكس القضية ولم يدفع شيئًا للشركة التي أقامت دعوى قضائية ضده بسبب تقريره الذي انتقد فيه ممارسات وأساليب الأعمال الخاصة بالشركة برغم أنه وافق على إخطار الشركة قبل نشر أي شيء آخر عنها أو عن الرجل الذي كان يديرها[266]. ودفع ميكس لمحاميه ومنهم العديد من المتخصصين البارزين في التعديل الأول الدستوري الذي تبرعوا بالأغلبية العظمى من وقتهم. وإلى حد ما كان محظوظًا لأن قضيته جذبت انتباه الأشخاص الذين أرادوا حماية حقوقنا.

لقد كانت قضية ميكس جرس إنذار نبه إلى أنه برغم أن الإنترنت وسيط يمنح حرية كبيرة، إلا أنه لا يوجد في فراغ. فالقانون يسري على الفضاء الإليكتروني والعالم المادي، ويجب على من يعتزمون ممارسة الصحافة الشعبية أن يأخذوا ذلك بعين الاعتبار.

ليس القصد من هذا الفصل تخويف أحد من الإنترنت البتة. كما ينبغي ألا يعتبره أي قارئ نصيحة قانونية لا من قريب ولا من بعيد. وفي إساءة استخدام لأكليشيه مشهور: أنا لست محاميًا ولا أنوي أن ألعب دورًا لمحامي على هذه الصفحات. وإذا كنت بحاجة إلى إجابة مهنية عن سؤال قانوني، أرجو أن تبحث في مكان آخر (يحتوي موقع الويب المصاحب لهذا الكتاب هو http://wethemedia.oreilly.com على إشارات إلى مصادر قانونية).

ولكن من المهم دراسة بعض القضايا القانونية التي ثارت في المجال الإليكتروني. ويعد القذف Libel إحدى هذه القضايا وهو لا ينطبق ليس على من يسمون أنفسهم صحفيين فحسب بل ينطبق أيضًا على المعلقين في غرف الدردشة. وتتضمن المسائل الأخرى حقوق النشر والتأليف، والإشارة لمحتوي الغير (Linking)، والاختصاص والمسئولية عن ما يقوله الآخرون على موقعك.

التشهير والقذف وأشياء أخرى بغيضة

إنني واثق إلى حد ما أنني تعرضت للقذف شخصياً. بعبارة أخرى: لقد كتب الناس عني الكثير من الافتراءات من النوع الذي لا أقبل أبدًا أن أكتبه عن أي شخص آخر بدون بعض المصادر الموثوقة بصورة استثنائية. لم أقاض أحدًا برغم ذلك. وبعد ما يقرب من 25 سنة في مهنة الصحافة لم يقاض أحد أيضًا. ربما أكون مخطئًا في رأيي أو في تفسيري للحقائق، ولكني أحاول عدم فهم الأمور الأساسية بصورة خاطئة وعندما أعرف أنني ارتكبت خطأً، أقوم بتصحيحه.

والصحفيون الإليكترونيون مطالبون على قدم المساواة مع أي شخص آخر بالالتزام بالقانون. وكاتب المدونة الذي يرتكب قذفًا ربما يضطر لتحمل العواقب[267].

لقد أقيمت دعوي تشهير واحدة على الأقل ضد صحفي إليكتروني بارز. ففي 1997، استشهد مروج القيل والقال على الإنترنت مات درادج بأقوال مصادر لم يذكر

أسماءهم زعموا ارتكاب سيدني بلومينثال Sidney Blumenthal المسئول الديمقراطي والمؤلف والمساعد السابق للرئيس كلينتون في البيت الأبيض خيانة زوجية. كان ما قاله درادج غير صحيح وقام بتصحيحه في مدة زمنية قصيرة نوعًا ما. لكن بلومينثال أقام ضده دعوى تشهير بشخصه. وفي 2001، تمت تسوية القضية. وطبقًا لروايات صحفية متنوعة، فقد دفع بلومينثال نحو 2500 دولار كنفقات سفر لمحامي درادج. في الحقيقة لقد انتصر درادج أو على الأقل لم يخسر.

وكما ذكرت في الفصل التاسع، فأنا لا أبالي بأسلوبه أو استعداده لنشر الإشاعات بسهولة شديدة، ولكن ما يزعجني هو حقيقة أنه تمت مقاضاته أصلاً. فبرغم كل شيء تراجع درادج عن قصته بسرعة وقال عن مصدره (مصادره) «أعتقد أنني كنت شيئًا». إن دعوى بلومينثال ربما تكون قابلة للفهم – فقد كانت التهمة مقززة وكان من الممكن أن تكون كارثة مدمرة لحياته المهنية – لكن أي شخص أهتم بمعرفة ما حدث علم سريعًا أن القصة ملفقة. وهو لم يعول أيضًا على الجماعات السياسية المحافظة التي عرضت الدفاع عن درادج، وبذلك تحمل نفقات في قضية لم يكن من السهل الفوز فيها على أية حال بالنظر للتراجع السريع وحذف الكلمات المسيئة من موقع Drudge Report. ومع ذلك ففي النهاية، فإنه مهما كانت أقوال درادج الأصلية مسيئة، فقد عززت القضية حرية الصحافة[368].

كان أحد محامين بروك ميكسي في قضية القذف الخاصة به ديفيد ل. ماربورجر David L. Marburger. وقد تخصص ماربورجر في قضايا التعديل الأول في الدستور في أوهايو لأكثر من 20 سنة. وبرغم أنه لا يزعم أنه خبير في قانون الإنترنت إلا أنه أسدى نصيحة تنطبق على كافة أنواع الصحفيين، ومنهم المراسلون الصحفيون الإليكترونيون.

قال لي: أولاً، ينبغي لأي شخص يكتب بانتظام على الإنترنت على أفراد أو مؤسسات أخرى أن يحاول التأمين على نفسه ضد القذف إذا كان يستطيع تحمل تكاليف التأمين والحصول عليه. ثانيًا: «ينبغي على الكتاب مراعاة أن أكثر من يقيمون دعاوي قضائية

هم الأشخاص الذين تعتمد أرزاقهم على حسن نية الجمهور العام ويعتمدون على السمعة. وقال إن هذه الفئة تضم المحامين والأطباء والمسئولين الحكوميين بالإضافة إلى الشركات.

أثار ماريبورجر قضية شائعة في واحدة من ملاحظاته التحذيرية: إن الكتاب الذين يعملون بدون محررين - معظم مؤلفي المدونات على سبيل المثال - لا توجد لديهم نموذجياً، تلك المجموعة الثانية والثالثة من العيون لينظروا بها إلى المادة. إن المخاطرة ستكون أعلى واحتمال أن تحلل نقديًا العمل الخاص بك أقل من احتمال قيام محرر بذلك.

يبدو أن النشر على الويب كان له مزاياه بهذا الخصوص. فبرغم كل شيء، عندما يستطيع قراؤك إعلامك بأنك ارتكبت خطأ، تستطيع إصلاحه بسرعة وتمنع نشر الخطأ على نطاق واسع. ولكن كما قال ماريبورجر: «أحيانًا يمكن أن يكون قارئك هو المدعي عليك أيضًا».

وجلين رينولدز Glenn Reynolds مؤلف المدونة Instapundit غزير الإنتاج وأيضًا مدرسي قانون الإنترنت في ولاية تنيسي. وهو أكثر تفاؤلًا نوعًا ما بشأن الإمكانات المتاحة مستقبلًا أمام مؤلفي المدونات، أو على الأقل بالنسبة لمعظمهم، لأن كتابة المدونات تتعلق بالرأي أكثر مما تتعلق من نقل الأخبار.

قال: «إن معظم ما يفعله كتاب المدونات هو النقد. ومن الصعب ارتكاب القذف عبر النقد. ومعظم المدونات تتضمن إشارة إلى عمل شخص آخر ثم التعليق عليه».

وعلاوة على ذلك، يميل كتاب المدونات المشهورون إلى الكتابة عن «شخصيات عامة».. أشخاص يجب عليهم الوفاء بمعيار أعلى بكثير لإثبات وقوع القذف. إنك لا تستطيع قذف شخصية عامة حتى إذا كانت القصة كاذبة إلا إذا نشرتها بدافع ما يسمي «سوء النية وإضمار الأذى» Malice مما يعني في هذه الحالة إما التعريف القياسي للكلمة أو اللامبالاة بما إذا كانت القصة صادقة أم كاذبة.

وعلى أية حال، ربما لا يملك معظم مؤلفي المدونات من المال ما يكفي لجعل

المقاضاة تستحق العناء، طبعًا بافتراض أن الحصول على تعويضات نقدية هو هدف المدعي. ومع ذلك، إذا كان الهدف هو إسكات شخص ما، فإن التهديد برفع دعوى قضائية يمكن أن يفي بالغرض لأن تكلفة الدفاع يمكن أن تكون باهظة.

وهذا هو السبب في أن رينولدز أسمي نفسه «حلم وكيل التأمين» – أي أنه مؤمن عليه بصورة كافية ضد أي متاعب. قال المحامي الذي يعي جيدًا كيفية عدم التشهير بالآخرين «إن السبب الحقيقي ليس الخوف من قذف شخص ما، بل التحوط من مقاضاة شخص ما لي والتسبب في إفلاس بدافع الحقد والضغينة أو لإسكاتي».

وحتى إذا كان كاتب المدونة يستطيع قذف شخص آخر من خلال تعليقاته، فإن مالك المدونة ربما لا يكون مسئولًا عما يكتبه شخص آخر في التعليقات، وذلك وفقًا لجاك م. بالكين Jack M. Balkin أستاذ القانون الدستوري والتعديل الأول ومدير مشروع مجتمع المعلومات بكلية حقوق ييل. وقد كتب على مدونته المسماة Balkinization[269]، معلقًا على حكم لمحكمة الاستئناف يقول، إن قانون الاتصالات عن بعد لسنة 1996 «يحمي الناس الذين يديرون مواقع ويب من التعرض للمقاضاة بسبب إعادة نشر المواد التي تتضمن قذفًا لشخص آخر».

ويستطرد بالكين قائلًا: «لا يعني هذا أن كتاب المدونات معصومون من مواد القذف التي يكتبونها بأنفسهم، بل يعني أنهم معصومون من (على سبيل المثال) مواد القذف المنشورة في قسم التعليقات الموجود في مدونتهم (إن وجد) لأن هذه التعليقات مكتوبة بواسطة أشخاص آخرين وصاحب المدونة هو فقط من وفر مساحة لنشرها. ولقد أراد الكونجرس معاملة مشغلي غرف الدردشة وخدمات الكمبيوتر التفاعلية الأخرى بشكل مختلف عن الخطابات المرسلة إلى أعمدة المحررين في صحيفة محلية ما»[270].

حتى الآن ربما يكون كتاب المدونات قد تفادوا الوقوع تحت طائلة القانون. وإن كانت التهديدات الموجهة ضدهم كثيرة. وقد تعرض المعلقون على منتديات الإنترنت لمتاعب أكثر. وبصفة خاصة، اتسم بعض الشركات بالحزم في الدفاع عن حقوقها في

المنتديات المالية حيث تطالب مقدمي خدمة الإنترنت بالتعريف بهوية الأشخاص الذين قاموا بإرسال مواد تزعم أنها تتضمن قذفًا وتشهيراً.

وتتباين السياسات المحددة لكيفية التعامل مع مثل هذه الطلبات بين مقدمي خدمة الإنترنت. فمنهم من يقدم المعلومات الشخصية الخاصة بالمشتركين دون إخبار العميل بينما لا يفعل الشرفاء منهم ذلك بل يخبرون المشترك لمنحه وقتًا للطعن في استدعاء ما للمثول أمام المحكمة. وفي بعض الحالات، تتم الموافقة على طلب استدعاءات «جون دو» (أي الطرف في قضية مجهول الاسم) هذه، خاصة عندما تكون المادة المكتوبة تتضمن قذفًا في ظاهرها.

لكن جماعات الحريات المدنية طلبت من القضاة، بنجاح أحياناً، تطبيق معيار حازم في هذه القضايا. وفي إحدى القضايا التي بدأت في 2001. طلبت شركة للأدوية اسمها نيموكس Nymox من شركة ياهو ا تسليم أسماء المشتركين ومعلومات أخرى عنهم بشأن بعض أمثال «الأطراف مجهولة الاسم» الذين أرسلوا تعليقات ومواد أخرى إلى لوحة رسائل نيموكس. لم يكن هناك شك في أن الرسائل مثيرة للأعصاب، حيث زعمت ارتكاب الشركة أفعالًا منافية للقانون، لكن السؤال كان ما إذا كانت إرتقت إلى مستوى يعطي للشركة حقًا مشروعًا في رفع دعوى قضائية.

قاوم صف ستانفورد الدراسي لقانون الإنترنت بكلية حقوق يل الاستدعاءات. ففي أوائل 2003، أصدر قاضي فيدرالي في سان فرانسيسكو حكمًا لصالحه. وقد كتب يقول إن شركة نيموكس لكي تكسب القضية كان لابد أن تبرهن – ضمن عدة أشياء أخرى – على أن العبارات المكتوبة على لوحة ياهو تبرر المقاضاة أو تسوغ اتخاذ الإجراءات القانونية (Actionable) – بعبارة أخرى: كان لابد أن تثبت نيموكس أن أي قاضي لن يرفض النظر في الدعوى لعدم وجود أدلة إذا ما تم فعلًا إقامة دعوى قذف. كما أضاف أن نيموكس توجب عليها تقديم ما يثبت أن التعليقات موضوع الدعوى تسببت فعليًا في الأضرار بالشركة.

قال القاضي إن أحد التعليقات كان تشهيريًا بوضوح، ولكنه أشار إلى أنه كان من الضروري مراعاة سياق الرسالة وليس محتواها فحسب:

فقد تمت كتابة العبارة بدون ذكر اسم صاحبها على لوحة رسائل على الإنترنت. وتؤدي نبرة جميع التعليقات المقدمة بالقارئ العادي للنظر إلى محتوياتها بعين الشك والريبة. ولم تبذل شركة نيموكس جهدًا لإرجاع أي أذى إلى مصدر هذا التعليق. وبرغم أن نيموكس قالت في جلسة الاستماع على نحو ضعيف وغامض إن سعر سهمها هبط بعد إرسال هذه التعليقات، إلا أنه ما من مستثمر كان سيعتمد على مثل هذه المعلومات غير الموثوقة بشكل واضح.

وقد استجاب القاضي لطلب الطرف مجهول الاسم بإبطال الاستدعاء، مما سمح لهذا الطرف بالبقاء مجهول الهوية[27].

أنا لست من هواة بعثات البحث والتنقيب عن المثالب. وفي الوقت نفسه، لم يقيم كاتب التعليقات المعادية لشركة نيموكس في هذه القضية، تعاطف أي شخص على أساس أخلاقي لأن التعليقات كانت فجة في أفضل الأحوال. لكن المحافظة على قيمة مجهولية الهوية وقوة التعبير أمر حيوي. وقال القاضي، محققًا توازنًا ملائمًا، إنه لا يجوز التشهير بالآخرين والأضرار بهم تحت عباءة مجهولية الهوية. إن الشركة لم تقدم في هذه القضية حججًا قوية تدعم موقفها فيها فحسب.

الاختصاص

هل سأحتاج إذا وصفت قضاة المحكمة العليا الأسترالية بأنهم بعض الناس الأكثر بلاهة وتبلدًا على سطح هذا الكوكب لإلغاء رحلتي التالية إلى استراليا؟ ربما.. لأن واحدًا منهم أو أكثر قد يقرر أنني شهرت بهم من خلال إبداء مثل هذا الرأي. وبفضل حكمهم الصادر بشأن دعوى قضائية في 2002، أنشأوا حقًا في مقاضاتي في بلدهم بموجب قوانين التشهير التقييدية في أستراليا بسبب ما قلته على مدونتي وعمودي الموجودين في الولايات المتحدة.

إن القضية التي نحن بصدد الحديث عنها تتعلق بمقال ظهر في Barron's، وهي

صحيفة أسبوعية خاصة بمؤشر داو جونز تنشر في الولايات المتحدة. ولم يعجب مدير تنفيذي في استراليا ما نشرته عنه، ولذا فقد أقام دعوى قضائية في استراليا، محاجًا بأن النشر عبر الإنترنت يشبه إصدار صحيفة محلية، في كل دائرة اختصاص. والأمر المثير للدهشة هو أن المحكمة العليا اتفقت معه في الرأي[278].

كان الحكم ضربة للطبيعة المفتوحة للإنترنت. والقول بأن التشهير يحدث حينما يكون شيء قد قرئ، حينما يكون قد كتب على الإنترنت، هو دعوة للتسوق في المنتديات – والإساءة من جانب المدعين.

لقد طاردت مسائل الاختصاص الإنترنت لبعض الوقت. ففي عام 1994، نقلت وزارة العدل في إدارة الرئيس بيل كلينتون بالعربات ملاك Milpitas بكاليفورنيا وهي لوحة نشرات كمبيوترية موجهة للراشدين إلى قلب بايبل بيلت وقاضتهم بتهمة الفحش والبذاءة. كانت لوحة النشرات تحتوي على صور إباحية لم تكن مخالفة لمعايير كاليفورنيا لكن قيام مفتش بريد بإنزالها إلى حاسبه الآلي في تاشفيل اعتبر انتهاكًا للمعايير المحلية لمجتمعه. وقد تمت إدانة ملاك الخدمة الإليكترونية وصدرت ضدهم أحكام بالسجن. وكانت المقاضاة إساءة لنظام العدل الجنائي وهجومًا مباشرًا على الحقوق التي يكفلها التعديل الأول لأنها أوحت بأن المعايير السائدة في أكثر مجتمعات الأمة تزمتًا وكبتًا يمكن أن تقرر ما يجوز لبقية الأمة أن تقرأه أو تسمعه أو تشاهده.

والآن علي أن أتساءل إن كانت الأمة الأكثر كبتًا وقمعًا تستطيع أن تحدد معاييرنا. لقد أمرت المحاكم الفرنسية شركة ياهو بغلق مواقع مزادات الأشياء التذكارية النازية. واستصدرت ياهو! حكمًا من محكمة أمريكية يقضي ببطلان الأمر، ولكن في النهاية أغلقت الخدمة الإليكترونية مواقع المزادات الأوروبية كليًا – وقالت الشركة إن هذا قرار متصل بالأعمال.

وفقًا للمنطق الذي استندت إليه المحكمة الاسترالية في قضية داو جونز، فإنه سيتعين على أي شخص أو منظمة تكتب شيئًا على الإنترنت، منهم قوانين القذف المطبقة

في 190 بلدًا والالتزام بها ومعرفة من يعلم عدد دوائر الاختصاص الوطنية الفرعية. إن هذا الكلام مناف للعقل. وهو خطر أيضًا لأنه يشجع أصحاب النفوذ والمصابين بجنون الاضطهاد على استغلال القوانين المحلية التي سيصاغ بعضها بهدف منع وصول الأخبار أو الآراء غير المرحب بها. هل يبدو كلامي هذا جنون الاضطهاد؟ إنه ليس كذلك لأن الديكتاتوريين أدركوا بالفعل فائدة القوانين المقيدة في خنق أو إسكات النقاد. ففي نظام الحكم الديكتاتوري في زيمبابوي، قاضت الحكومة مراسلًا صحفيًا بريطانيًا بسبب تعليق مكتوب على الموقع الإليكتروني لصحيفته الموجود في المملكة المتحدة. وقد تمت تبرئته وترحيله من البلاد، ولكن بعد أن تكبدت مطبوعته خسارة مالية كبيرة وتضررت ممارسة الصحافة المهنية في بلد يحتاج إلى قدر أكبر - وليس أقل - من النقل الجاد للأخبار. إن الأحكام من نوع الحكم الذي صدر في أستراليا، هي حجج مؤيدة لإبرام معاهدة دولية ترسي قواعد خاصة بالقذف، ويفضل أن تكون شديدة الليبرالية فيما يتعلق بالناشرين. والبديل هو إنترنت مبلقنة بصورة متزايدة. ويتوقع جوناثان زيترين Jonathan Zittrain وهو شريك مؤسسي في مركز بيركمان وأستاذ القانون بجامعة هارفارد. بذل مزيد من الجهود «لتقسيم» المحتوى الموجود على الإنترنت إلى مناطق (Zoning)، على سبيل المثال. وعندئذ فإن ما سيشاهده المواطن الأمريكي على صفحة ويب معينة لن يكون هو ما يشهده شخص من فرنسا حتى عندما يكتب الاثنان عنوانًا إليكترونيا واحداً. ويثير ذلك سؤالين على الأقل. الأول هو هل مثل هذا التقسيم إلى مناطق فكرة سيئة تمامًا في كوكب متعدد الثقافات؟ فبرغم كل شيء توجد لصحف مثل نيويورك تايمز وول ستريت جورنال طبعات قومية ودولية. وإذا كان البديل يعني أن جهات الاختصاص الأكثر تقييدًا ستتمكن من الرقابة على المحتوى والتحكم فيه، فإن التقسيم إلى مناطق قد يكون بديلًا أفضل. ثانيًا: هل التقسيم إلى مناطق حتمي الحدوث ببساطة؟ آمل ألا يكون الأمر كذلك، فإجبار المواقع على توفير نسخ لكل بلد مسألة غير عملية ومتعارضة مع حرية التعبير بصورة جوهرية.

البريد الإليكتروني وحرية التعبير

طبقت مؤسسة إنتل، عملاق وادي السليكون الصانع للمعالجات الدقيقة التي تعمل بمثابة أدمغة مركزية لمعظم الحاسبات الشخصية، نظرية قانونية غير مألوفة عندما قاضت موظفًا سابقًا لقيامه بإرسال رسائل بريد إليكتروني معادية لإنتل إلى موظفين حاليين. وذهبت الشركة إلى أن كوروش كينيث حميدي Kourosh Kenneth Hamidi تعدي على وحدات الخدمة في الحاسبات الخاصة بها.

قالت محكمة كاليفورنيا العليا في 2003 إن الشركة بالغت في رد فعلها وسوف يكون لقرار المحكمة الذي صدر بفارق 4 ضد 3 فقط تداعيات هامة على حرية التعبير. وقالت المحكمة أن كين حميدي لم يتعد قانونيًا على حاسبات إنتل من خلال إرسال بريد إليكتروني لم يطلب منه لأنه لم يقع ضرر على نظم الشركة. لم يقر حكم المحكمة ما فعله حميدي ولكنه نص على عدم جواز استخدام الشركة قوانين غير ملائمة لتقييد حريته في التعبير[273].

وكما هو متوقع، فقد أثارت إنتل ومؤيدوها شبح حدوث طوفان هائل من البريد الدعائي بسبب شجبهم للحكم. لكن هذه القضية لم تتعلق أبدًا بالبريد الدعائي وكان لدي إنتل طرق فنية للتعامل مع رسائل حميدي دون اللجوء إلى موقف قانوني تحول إلى هجوم على حرية التعبير نفسها.

إن ما يلفت النظر في الآراء المؤيدة والمعارضة هو الطريقة التي جاهد بها القضاة – دون جدوى في الغالب الأعم – للتوصل إلى مجازات (استعارات) بارعة. كتبت القاضية كاثرين ويرديجار Kathryn Werdegar تقول في الحكم الصادر عن الأغلبية: «إن انتهاكه لممتلكات إنتل لا يعد عملًا أفدح من حمل متظاهر لافتة أو صياحه عبر ميكروفون خارج المقر الرئيسي لإحدى الشركات أو إرساله خطابًا بالبريد أو شكواه عبر الهاتف من ممارسة مؤسسية معينة». لكن المعارضين لهذا الرأي في هيئة المحكمة شبهوا أفعاله باقتحام غرفة البريد وتسليمه خطابات لثلاثين ألف موظف.و ما يهم في النهاية هو أن

أغلبية هيئة المحكمة لم تقتنع بأن هيدي تسبب في أي ضرر حقيقي يجاوز ما كان محميًا بحرية التعبير.

إساءة استخدام عمل الأشخاص الآخرين

ربما كانت مراقبة الغش أصعب. ومع ذلك فالغش متفشي في مجتمعنا. فلا يجد بعض الطلاب غضاضة في الغش في الصف الدراسي، وتري الشركات أن الغش تكتيك أو أسلوب متصل بالأعمال. وتمارس الشركات والأفراد الغش بصورة روتينية في الإقرارات الضريبية. ويبدو أن الاتجاه الحالي نحو الغش يتلخص في: «ما يكون مقبولًا هو ما تستطيع الإفلات من عقوبة القيام به».

وقد نالت الصحافة التقليدية نصيبها من ممارسات الغش مؤخراً. فقد شق جيسون بلير سيئ السمعة الذي كان يعمل سابقًا في صحيفة نيويورك تايمز طريقه إلى الشهرة ثم الدمار بالأكاذيب وانتحال آراء الغير. وفي وقت أقرب كشفت صحيفة يواس ايه توداي عن أن المراسل الصحفي النجم جاك كيلي Jack Kelly لفق بعض أعماله التي أوصلته إلى المراحل النهائية للترشيح لنيل جائزة بوليتزر.

إن ثقافة القص واللصق يجري صنعها خصيصًا من أجل الإنترنت التي يسود فيها اتجاه «كل شيء تقريبًا مسموح به». والقص واللصق ليس شيئًا سيئًا في حد ذاته، فالاستشهاد بعمل الآخرين جانب روتيني في البحث العلمي على سبيل المثال. ولكن عندما يستخدم الناس بشكل روتيني عمل الغير باعتباره شيئًا خاصًا بهم، يكون ذلك شططاً. وقد جلب غش الطلاب معظم الانتباه في هذه الفئة لأنه يبدو أنه المخالفة الأكثر تفشيًا وانتشاراً. لكن صحفيي الويب مارسوه أيضًا. ففي إحدى الحالات قامت مساهمة كندية في موقع ويب عن أخبار التكنولوجيا، بنسخ مادة من زميلي في ميركوري نيوز، مايك لانجبيرج Mike Langberg. وطبقًا لتغطيتنا للقصة في 2001 فقد تم فصلها. وفي 2002، اعتذر مؤلف المدونة المشهور شون بول كيلي Sean - Paul Kelley علنًا لقيامه

بأخذ مادة متعلقة بحرب العراق من مصادر أخرى. وفي عصر يرفض فيه البعض الاعتراف بما فعلوه حتى عندما يتم ضبطهم، يبدو استعداده هذا لتحمل مسئولية أفعاله أمرًا يبعث على الشعور بالتفاؤل والانتعاش. ولكن بالرغم من ذلك فقد تعرضت مصداقيته لضربة ولو مؤقتًا على الأقل[274].

إن الغش قد يكون متفشياً، لكن الإنترنت تعطينا آليات لضبط مرتكبيه. وتلعب محركات البحث مثل جوجل والأدوات الموجهة بدرجة أكبر نحو التربويين مثل برمجيات Turnitin[275] (التي تقارن أوراق الطلاب بقاعدة بيانات ضخمة تضم كتابات منشورة على الإنترنت وخارجها) دورًا فعالًا في هذا المجال.

يحقق الناس النتائج النهائية لأفعالهم في أماكن مختلفة. لكن السلوك الأخلاقي والقانون يقولان ما يلي: إذا استخدمت عمل شخص آخر، ولو حتى جزء ضئيل منه، ينبغي أن تنسب له الفضل، ولا يمكنك أن تنسخ بشكل قانوني أكثر مما هو مقبول في سياق «الاستعمال العادل» – أي اقتباس قصير. وإذا نسخت عمل الآخرين وأعدت بيعه، باستثناء ما يتم بالطرق التقليدية، مثل الاستشهاد به من أجل عمل آخر فقد تجد نفسك في المحكمة.

تحث ويندي سيلتزر Wendy Seltzer وهي محاميه بمؤسسة الحدود الإليكترونية (EFF) على توخي الحذر والحيطة عند المقارنة بين التعدي على حقوق النشر والتأليف وانتحال آراء الغير في المقام الأول. وشرحت ذلك قائلة:

برغم أن هناك احتمالًا أقل أن تتم مقاضاتك بسبب نشر قدر كبير من كتابات آخرين على الإنترنت مع بيان الأشخاص المنقولة عنهم، إلا أنه إذا قاضاك شخص ما فعلًا فلن يحول هذا البيان فعل التعدي إلى استخدام عادل. إن اقتباس جزء كبير من «لُب» عمل محفوظة حقوق نشره مع بيان المقتبس عنه قد يكون عملًا لا غبار عليه من الناحية الأخلاقية ولكنه يعتبر تعديًا من الناحية القانونية، والعكس صحيح حيث يمكن اعتبار نشر عبارة قصيرة مقتبسة دون ذكر اسم الشخص المقتبسة عنه استخدامًا

عادلًا ولكن مشكوك فيه أخلاقياً. ومن المشكلات المرتبطة باستخدام العادل أنه لا يتبع عمومًا ودائمًا الأفكار الخاصة «بالعدالة».

قد لا نستطيع مطلقًا أن نعرف العدالة بدقة ولكننا جميعًا نعرف ما هو الغش. والمجتمع يتقبل الكثير منه.

حقوق النشر والتأليف والممارسات الخاطئة المرتبطة بها

من بين أكثر الاتجاهات شرًا وضررًا في العصور الحديثة، تطبيق حقوق الملكية على كل ما هو رقمي تقريبًا. ويعد قانون حقوق النشر والتأليف. المشكلة الكبرى كما سنرى في الفصل الحادي عشر، لكن القضايا تتشعب إلى عدد من المجالات المتنوعة.

من هذه القضايا العلامات التجارية: وتعني الكلمات والعبارات والشعارات والأشياء الأخرى التي تساعد في تحديد علامة تجارية ما. قالت سيلتزر: «ينطلق قانون العلامات التجارية من حماية المستهلك: والعلامات التجارية، الكلمات والرموز التي تحدد مصدرًا ما للسلع محمية بحيث يستطيع الجمهور الاعتماد عليها كمؤشرات للجودة (أو كوسائل تحذيرية لتحاشي علامة تجارية ما بعد المرور بتجربة سيئة معها)».

وطبقًا لمنظمة شيلينج إيفيكتس كليرينجهاوس Chilling Effects Clearinghouse [276]. وهي منظمة ترعاها مؤسسة الحدود الإليكترونية وبعض كليات الحقوق البارزة مثل كليتي حقوق هارفارد وستانفورد، فإن الشكاوي المتعلقة بالعلامات التجارية شائعة إلى حد ما اليوم. ومن الشكاوي الشائعة استخدام أسماء للحوز أو للمجال domain names «مطابقة أو مماثلة لماركات (علامات) مشهورة» تسجل نموذجيًا بواسطة ما يسمي «بواضعي اليد الإليكترونيين» cybersquatters الذين يريدون استغلال حركة الزوار أو إعادة بيع الاسم. ويحظر القانون الأمريكي «التربح بسوء نية» من مثل هذه الأنشطة. أما الشكوى الشائعة الثانية فهي النسخ المباشر للشعارات ونقلها إلى موقع ما للإيحاء بوجود «صلة مصرح بها» بمنتج أو خدمة شخص آخر أفضل سمعة وشهرة.

إن من الصعب الاعتراض عندما يريد مالك علامة تجارية ما، منع شخص ما من محاولة استغلال علامته التجارية، وقد اعترض عدد قليل من زوار المواقع الإليكترونية (Netizens) عندما أقنعت صحيفة نيويورك تايمز، المنظمة العالمية للملكية الفكرية (WIPO)[277]، وهي إحدى المنظمات التي تتمتع بصلاحيات تخولها اتخاذ مثل هذه القرارات، بإعطائها مجال newyorktimes.com الذي كان قد تم تسجيله من قبل طرف ثالث.

ولكن افرض أنك وجدت نفسك تنظر إلى موقع ويب اسمه mercurynewssucks.com وهو هجوم إليكتروني على صحيفتي سان جوزيه ميركوري نيوز ومحتوياتها. إن مثل هذا الموقع الذي يحظر أي تطاول قذف أو معلومات كاذبة الهدف منها إحداث حالة من البلبلة للناس سوف تتم حمايته باعتباره شكلًا من أشكال حرية التعبير. ولنفس هذا السبب، من الأرجح أن تسخر منا المحاكم الأمريكية إذا رفعنا دعوى قضائية لسحب المجال. ولسوء الطالع سيحالفنا حظ أفضل إذا رفعنا قضيتنا إلى المقر الرئيسي للمنظمة العالمية للملكية الفكرية في سويسرا. ومن الجائز أن تأمر مسجلي اسم المجال بتسليم العنوان الإليكتروني المسيء لنا لأن رسالة هذه المنظمة لا تتعلق بحرية التعبير بل بتدعيم حقوق الملكية الفكرية بدرجة أساسية.

لقد أظهرت المنظمة العالمية للملكية الفكرية، برغم ما يقال عن التزامها بالحياد في عملية التحكيم لديها، تحيزًا قويًا لتسليم المجالات المتنازع عليها إلى حاملي العلامات التجارية. فحتى منتصف مارس 2004، طبقًا لإحصائيات منشورة على موقع المنظمة على الويب، استجابت المنظمة لطلب الطرف الشاكي بنقل المجال في 80٪ من الحالات التي بتت فيها.

لقد قامت بعض قرارات المنظمة العالمية للملكية الفكرية بمط المنطق – وهذا تعبير متأدب. فكما أشار مشروع المستهلك للتكنولوجيا Consumer Project on Technology[278] الذي يتخذ من واشنطن مقرًا له في عام 2000، أمرت المنظمة في العديد من الحالات بأن

يتم تسليم المواقع المعادية للشركات التي تستخدم «companynamesucks.com» إلى الشركات الشاكية حاملة العلامات التجارية.

فعلى سبيل المثال: ففي نزاع شكت فيه سلسلة متاجر الإليكترونيات التي تحمل اسم ديكسونز Dixon's في لندن من موقع اسمه dixonssucks.com، أشار المحقق في النزاع إلى نمو مواقع الويب المستخدمة بهذه الطريقة وتساءل إن كان اسم المجال هذا عديم الصلة بالشركة الشاكية بشأن استخدام اسمها بهذه الطريقة. كلا.. هذا ما خلص إليه المحقق:

إن أول عنصر يلفت النظر فورًا في اسم المجال هو اسم الشاكي. واستخدامه في اسم المجال من المحتمل أن يؤدي ببعض الناس للاعتقاد بأن للشاكي صلة به. وسوف يعامل بعض الناس كلمة Sucks الإضافية (وتعني مثير للاشمئزاز) كتعجب ازدرائي ومن ثم يفصلونه عن الشاكي، لكن ربما يعجز آخرون عن إعطائها أي معنى محدد ويصابون بلبس وتشوش بشأن إمكانية ارتباطها بالشاكي[279].

هل الأمر ملتبس عليك؟ أنا أشك أن طفلًا عاديًا في العاشرة من عمره يستطيع أن يعرف الفرق.

أنا لا أريد الإيحاء بأن المنظمة العالمية للملكية الفكرية WIPO تزايد دائمًا على حائزي العلامات التجارية. لكن قرارات كهذه ليست غير منطقية فقط بل معادية أيضًا لمفاهيم تستحق الحماية كحقوق الملكية تمامًا - منها حرية التعبير. ولسوء الحظ لا يوجد للفضاء الإليكتروني تعديل أول عالمي مكتوب بصيغة قانون حتى إذا كان موجودًا في الأعم الأغلب في الواقع العملي.

وأحيانًا يقلد موقع ما موقعًا آخر من حيث المظهر والروح تمامًا ثم يحاول استخدامه بهدف تحقيق مكسب تجاري. ومن الواضح أن هذا عمل غير لائق، ولكن عندما يكون الغرض هو السخرية والتهكم، فإن الموقف يصبح أكثر ضبابية وغموضاً.

في مارس 2004، نشر الموقع الإليكتروني المسمى المناظرة القومية National Debate

صفحة احتوت على «تصويبات» لأعمدة الرأي في صحيفة نيويورك تايمز بنفس أسلوب صفحة تصويبات صحيفة تايمز[280]. وحيث إن صحيفة تايمز لم تكن تجري تصويبات أعمدة – وذلك لأنه بمقتضى سياسة جديدة لها كانت تترك للكتاب حرية تضمينها أو عدم تضمينها في أعمدتهم – فقد سدت الصفحة المزيفة ما اعتبره روبرت كوكس Robert Cox مؤلف الموقع ثغرة في محتوى ورقة السجل Paper of Record. وقد لفت نظري أن بعض «التصويبات» هراء وكلام فارغ، لكن البعض الآخر كان أبعد ما يكون عن التفاهة والعبث. وقد كان المحتوى الساخر – برغم كونه لاذعًا – تدريبًا مفيدًا على مراقبة الإعلام.

وقد استعانت صحيفة تايمز بشكل أخرق، بمحاميها مستخدمة قانون حقوق النشر والتأليف الرقمية الألفية بصورة غير ملائمة بدرجة لافتة للنظر. ويسمح القانون لحائزي حقوق النشر والتأليف بإخبار مقدمي خدمة الإنترنت بأن الأعمال المحفوظة حقوق نشرها، يجرى التعدي عليها ويجب على ISP رفع الصفحات المسيئة المزعومة إلا إذا قال مالك ذلك الموقع إنه سيلجأ للقضاء (يرد المزيد عن القانون المذكور في الفصل الحادي عشر). وقد بدا ذلك أكثر شبها بمسألة علامات تجارية منه بمسألة حقوق نشر وتأليف حتى إذا كان لدى صحيفة تايمز وجهة نظر مشروعة واحدة: هو أن الصفحة استخدمت من عناصر تصميم تايمز الفعلي ما يكفي لأن يتخيل قارئ ما أن صحيفة تايمز نفسها مسئولة عن الموقع.

كانت نتيجة التهديدات قابلة للتنبؤ بها. فقد بدأ العديد من مواقع الويب الأخرى في وضع المحتوى المحظور على الحاسبات الخادمة الخاصة بها في تحد مقصود لصحيفة تايمز. وهكذا أصبح لموقع National Debate قراء أكثر من ذي قبل، وبدت صحيفة تايمز أشبه بملاكم من الوزن الثقيل، وكانت هذه هي الاستجابة التي تصورتها الصحيفة بالكاد. وفي النهاية، قالت الصحيفة أنها ستكون راضية إذا ذكر موقع National Debate في مكان بارز على صفحته أنها تهكمية وليست شيئًا حقيقياً. وقامت

الصحيفة في نهاية الأمر بتغيير سياستها الخاصة بالتعامل مع أخطاء كتاب الأعمدة الواقعية عن طريق مطالبة كتاب الأعمدة بوضع تصويبات في أعمدة تالية[281].

الوصلات المحظورة وانتهاكات أخرى

إذا كان للويب وظيفة مركزية فهي الربط أو الوصل Linking. أنشر صفحة فيستطيع أي شخص الاتصال بها.. أليس كذلك؟ حسناً.. ليس دائمًا.

أحيانًا يكون ذلك مجرد فكرة سيئة. سيكون من المستبعد جدًا أن أتصل (أو أشير) إلى موقع أعتبره خارجًا مثل موقع يحرض على العنف. إلا أنه إذا كانت الوصلة تخدم أغراضًا صحفية فمن المتصور عندئذ أن أدرجها، ولكن حتى وقتها سأفكر طويلًا وبعمق أولًا. إن تحديد المكان الذي نرسم فيه الخط الفاصل بشأن مثل هذه المسائل يميل لأن يكون قرارًا شخصيًا ومهنياً. والأهم من ذلك كله، أننا بحاجة للتفكير في الأمر من حيث الأخلاق والحكم على الأخبار.

ولكن هذا يفترض أنه مسموح لي بعمل الوصلة. وقد اختبرت شركات عديدة ذلك الافتراض. ففي 1997 قاضت شركة تيكيت ماستر Ticketmaster، وهي شركة إصدار تذاكر الاحتفالات، شركة مايكروسوفت لأن الشركة التي تنشر دليل المدينة لحساب مايكروسوفت كانت تنشئ وصلات عميقة إلى داخل موقع تيكيت ماستر، وصولًا إلى الصفحة التي تصف الاحتفال بدلًا من توجيه الناس خلال الباب الأمامي (الصفحة الرئيسية) الافتراضي لشركة تيكيت ماستر. وفي النهاية حكم القاضي بأن الوصلات العميقة قانونية.

إن ما جعل هذه القضية غريبة هو عدم استعداد شركة تيكيت ماستر لاستخدام التكنولوجيا بصورة أفضل، فليس من الصعب منع شخص ما من التوغل عميقًا داخل موقع ما. ولو كانت تيكيت ماستر مستاءة من تصرف مايكروسوفت، لكان كل ما ينبغي عليها أن تفعله هو وقف الإحالات. وبالطبع أثار ذلك سؤالًا: لم كانت تيكيت ماستر

مستاءة من توجيه دوائر الأعمال لطريقها؟ لم أقتنع أبدًا بتفسيرها وهو أنه لها الحق في التحكم في الوصول عن طريق الإصرار على أن يبدأ جميع الزوار من صفحتها الرئيسية[282].

هناك قضية أكثر خطورة «للوصلات المحظورة» وهي قضية يونيفرسال ضد ريمردز، وسوف يستغرق شرحها بعض الوقت.

عندما تم تطوير صيغة قرص الفيديو الرقمي DVD أول مرة، تحالفت استوديوهات الأفلام، المصابة بجنون الاضطهاد حيال قضية حقوق النشر والتأليف، مع كارتيل الشركات المسيطرة على صيغة قرص الفيديو الرقمي DVD لإنشاء معيار تشفير. وتم استحداث هذا المعيار لمنع الناس من تشغيل قرص الفيديو الرقمي الـ DVD على أجهزة لم يكن مصرحًا باستخدامه في تشغيلها. و كان باستطاعة ملاك قرص الفيديو الرقمي الـ DVD نسخ الملفات المحتوية على البيانات الرقمية ولكنهم لم يستطعوا تشغيلها. وكان كود تشفير البرمجيات المستخدم للحيلولة دون اختراق الملفات يسمي CSS – أي نظام مزج المحتويات.

ولكن حدث في سبتمبر 1999 أن قام مراهق نرويجي يدعى يون يوهانسن Jon Johnsen (وأشخاص آخرون مجهولون) باختراق الكود الذي كان حماية ضعيفة في الحقيقة. وقال يوناسين أنه كان يريد تشغيل اسطوانات قرص الفيديو الرقمي الـ DVD الخاصة به على حاسبات آلية تعمل بنظام التشغيل لينوكس الذي لم يكن له مشغلات قرص الفيديو الرقمي الـ DVD مصرح بها. وقد تم وضع عمله – الذي أسماه DeCSS – على الإنترنت. ومن هناك قام الناس بتطويعه لنظم تشغيل أخرى. وأصيبت الاستوديوهات بالفزع لأن رقابتها المطلقة على تشغيل اسطوانات قرص الفيديو الرقمي الـ DVD تعرضت للخطر.

وتوالت الدعاوي القضائية بعد ذلك، ومنها قضية في النرويج. ووجهت ليوهانسن تهمة انتهاك قانون حقوق النشر والتأليف، وبرأت ساحته محكمة نرويجية. فاستأنف الادعاء الحكم وعقدت محاكمة أخرى، لكنها حكمت ببراءته أيضًا.

في هذه الأثناء، قاضى العديد من الاستوديوهات في قضية كان لها آثار خطيرة على الصحافة محرر مجلة قراصنة أسمها (2600). وقالت شركات الإنتاج السينمائي أنه من خلال وضع كود DeCSS على موقع مجلة (2600) على الويب والاتصال بمواقع أخرى تحتوي على الكود، انتهك إيريك كورلي Eric Corley رئيس تحرير المجلة قانون حقوق النشر والتأليف الرقمية الألفية لصنع تكنولوجيا يمكن استخدامها لتفادي ضوابط حماية حقوق النشر والتأليف المتاحة للآخرين. وكسبت الاستوديوهات القضية، ولكنها دمرت أيضًا بعض ضوابط الحماية الحيوية التي يوفرها التعديل الأول كما سنرى.

وفي سلسلة من الأحكام القضائية الصادرة بدءًا من 2000، أيدت محكمة في نيويورك وفيما بعد محكمة استئناف الدائرة الثانية، فكرة أنه في حين أن الكود يدخل ضمن حرية التعبير التي تستوجب حماية التعديل الأول، إلا أن الكود «الوظيفي» له وضع من الدرجة الثانية وبالتالي يجوز حظره بسبب الاستخدامات غير القانونية التي يمكن أن يسهلها، حتى إذا كانت هناك استخدامات قانونية. وردًا على هذه الأحكام وضع الناشطون الإليكترونيون كود DeCSS على موقع T-Sherts وصاغوه في قالب Haiku (أسلوب للشعر الياباني) الشعري وبعدد متنوع من الصيغ والأشكال الأخرى التي يمكن بلا ريب الحكم بعدم قانونيتها ولكنها تبين خلو الحكم من المنطق. لكن ردود الفعل الساخرة هذه لا تغير من حقيقة أن الهراوة موجودة الآن في أيدي حائزي حقوق النشر والتأليف والحكومات، وأن بإمكانهم أن يقرروا استخدامها انتقائيًا ضد الأفراد.

ثانيًا وربما الأكثر مدعاة للقلق، إن المحاكم أقرت مبدأ أنه حتى الاتصال (أو الربط) بالكود - أي وضع وصلة فائقة إلى صفحة على الويب محتوية على الكود حتى لو كانت خارج نطاق اختصاص الولايات المتحدة يعتبر أيضًا مخالفة للقانون. وقال قاضي المحاكمة، مؤيدًا بمحكمة الاستئناف، إن إنشاء الوصلات الفائقة في ظل هذه الظروف يمكن تحريمه[283].

إن التأثير الخانق المحتمل لهذا الحكم يبدو واضحًا إذا قرر حائزو حقوق النشر والتأليف تفعيله. ولم تتم مقاضاة رب عملي ولا مقاضاتي من قبل استوديوهات الأفلام عندما أنشأت وصلة إلى كود DeCSS من مدونتي. فهل كنت صحفيًا «شرعيًا» بدرجة أكبر من كورلي؟ لقد قامت المحكمة فعليًا بذلك التمييز ولكنه كان تمييزًا مخيفًا. وكما قال مارك ليملي Mark Lemley، أستاذ القانون بجامعة كاليفورنيا - بيركلي لمجلة صالون Salon الإليكترونية:

إن المحكمة تحاول بوضوح تقييد الظروف التي يؤدي فيها إنشاء وصلات (أو الوصل) إلى نشوء مسئولية، ولكن الحقيقة هي أن المحكمة تقول إن الإحالة إلى معلومات موجودة في مكان آخر عمل غير قانوني - حسنًا.. سيكون لذلك بعض التداعيات المقلقة على إعلام الأخبار ضمن عدة أشياء أخرى. فإذا أرادت مجلة صالون مثلًا تعريف قرائها بحقيقة الضجة المثارة حول DeCSS، فإن ذلك يمكن أن يفضي بالمراسلين الصحفيين إلى المحكمة وسؤالهم عن السبب الذي جعلهم يتصلون بالمعلومات. أستطيع أن أتخيل من الآن أنه سيكون هناك الكثير من التقاضي حول نية الصحافة ومثول كثير من الصحفيين أمام القضاء[284].

إن الخبر السار في ذلك - على قدر علمي - هو أن هذا السيناريو لن يحدث. ولكن تبقي إمكانية حدوثه قائمة، مضافًا لها خطر آخر يتربص بنا. فإذا كان القضاة يستطيعون القول إن نوعًا من الصحفيين شرعي ونوعًا آخر ليس كذلك، فإن مفهوم صحافة القاعدة الشعبية برمته يكون مهددًا. إننا ننشئ تقسيمًا (أ) غير موجود و (ب) ينبغي أن يثبط جميع من يسمون بالصحفيين «المشروعين». هل يعني هذا أن الصحفيين سيتم إعطاؤهم تراخيص يومًا ما.؟

أثارت قضية الـ DVD - CSS قضية أخرى متعلقة بحرية التعبير عندما قاضت صناعة السينما رجلًا من تكساس في إحدى محاكم كاليفورنيا بزعم أن قيامه بوضع كود DeCSS على الإنترنت يرقى إلى مرتبة سرقة أسرار مهنة. وقد أشار محاموه، ومنهم

محامون من مؤسسة الحدود الإليكترونية، إلى أنه بالنظر للانتشار واسع النطاق للكود، فلم يعد أحد أسرار المهنة بالكاد. ووافقت المحكمة على هذا الرأي[285]. وبذلك يحرز الإدراك السليم نقطة !

إن النقاش المتصل بحقوق التأليف والنشر يتجاوز بمراحل الهجوم على حرية التعبير والوصل (Linking)، فهو يمتد إلى لُب الإنترنت والتكنولوجيا. وسوف نشرح ذلك بمزيد من الاستفاضة في الفصل التالي.

الفصل الحادي عشر

الإمبراطوريات ترد الضربة

كان الوعد هو الحرية، ولبعض الوقت كانت الحرية واقعاً.

وقد اعتقد بعضنا في بدايات الإنترنت أنها ستكون مجالًا غير خاضع للتنظيم بدرجة كبيرة ولن تكون للحدود أهمية فيه - مكان ستكون فيه الحرية الفردية، سواء استخدمت في الخير أو الشر، هي الحالة السائدة. وبرغم كل شيء كانت الإنترنت نظام اتصالات قوياً، وكان يمكن -- نظريًا - أن تصمد في وجه هجوم نووي. ولذا يمكن مسامحة زوار المواقع الإليكترونية (Netizens) الأوائل على افتراضهم أن قواعد مختلفة سرت، لأن هذا ما حدث فعلًا فترة من الوقت.

لقد رأينا أن الحرية الإليكترونية سوف تمتد إلى الثقافة والمعلومات بطرق قوية بل غير مسبوقة. وكانت الإنترنت - أول وسيط بين كثيرين وكثيرين - على وشك أن تحررنا من طغيان الإعلام المركزي والنزعة الاستهلاكية الفاسدة التي تقول إننا مجرد متلقين لما تريد الأعمال الكبيرة، بما في ذلك الإعلام الكبير، منا أن نشتريه. كنا سنحول عالم «اقبل أو ارفض» إلى معادلة عالمية مستنيرة. وكان المستهلكون سيصبحون مستهلكين حقيقيين، ويصبح المحكومين «نحن الشعب» مشاركين في العملية السياسية.

لكن الهجوم بدأ. فأينما ننظر نجد أن قوى المركزية والسلطة تجد طرقًا لإبطاء - وربما إيقاف - مسيرة الإنجازات التي حققناها.

هذه القوى تشمل المشتبه بهم المعتادين وهم الحكومة، وشركات الاتصالات عن بعد الكبيرة وما أسميه كارتيل شركات الترفيه. ولكنهم يضمون للأسف أيضًا بعض رواد التكنولوجيا الذين وعدوا يومًا ما بالكثير في مجال الحرية الرقمية.

هل يمكن أن تؤثر هذه القيود المتزايدة على صحافة القاعدة الشعبية؟ نعم بالتأكيد وسوف يتوجب علينا أن نناضل في سبيل المحافظة على حرياتنا. والبديل يمكن أن يكون نظامًا للأخبار تمليه الحكومات والمؤسسات الضخمة بصورة شبه كاملة – وهذا وضع أسوأ مما نحن فيه اليوم والذي يتحكم فيه الإعلام الكبير في كثير جدًا من الأمور بالفعل.

وأقدم فيما يلي وصفًا لأخطر التهديدات وما يمكن أن نفعله – فرديًا وجماعيًا – لمواجهتها.

الحكومات تصبح عصبية والأعمال الكبيرة تصبح فضولية

حتى الآن مال تدخل الدولة لأن يكون فظًا أكثر منه فعالًا عند تطبيقه على صحافة القاعدة الشعبية. فعلى سبيل المثال: قامت حكومة الصين عدة مرات خلال عام 2003 بمنع الوصول إلى مدونات الويب بدون تمييز. وحائط منع امتداد النيران العظيم المستخدم بالفعل لغلق مواقع إخبارية ومعلوماتية معينة لا تريد الحكومة أن يشاهدها الناس (ومنها موقع صحيفتي)، يمنع الآن قراءة كافة أنواع المواقع المنشأة على Blogspot.com (وهو موقع رئيسي لاستضافة المدونات) من جانب مستخدمي الويب داخل البلاد[286].

إن الصين ليست الوحيدة التي تمارس الرقابة على المحتوى السياسي على الإطلاق. فهناك أيضًا المملكة العربية السعودية التي توجد بها ضوابط رقابية منتشرة، وذلك وفقًا لدراسة أجراها جوناثان زيترين وبن ادلمان من مركز بيركمان للإنترنت والمجتمع بكلية حقوق هارفارد. لكن تدخل الحكومة – مثل وقف حركة البيانات وفقًا لأهواء حكومة أو شركة ما – بدأ يصبح أكثر شيوعًا وليس أقل شيوعًا، وهو لا يقتصر على الأنظمة القمعية كالصين والمملكة السعودية بل يوجد أيضًا في فرنسا وسنغافورة. كما أن الفلترة (أو الترشيح) ليست هي التعدي الوحيد. فمسئولو تطبيق القانون في الديمقراطيات

الغربية ومنها الولايات المتحدة، يضغطون من أجل زيادة قدرات المراقبة التي سيكون لها بلا ريب تأثير مثبط على حرية التعبير السياسي خارج تيار الوسط[287].

وتعني حرية الوصول إلى المعلومات، القدرة على إرسال واستلام معلومات دون التعرض للتتبع. ونحن آخذون في فقد هذه القدرة بسرعة والمفارقة الساخرة الكبرى هي أن منشآت الأعمال الأمريكية وليس الحكومات هي المنتهكة الرئيسية للخصوصية عندما يتعلق الأمر بتطبيق التكنولوجيا على المراقبة اليومية[288].

وفقًا لبنية الويب الأصلية، لم توجد طريقة تمكّن أي شخص من معرفة ما إذا كنت قد زرت موقعًا على الويب أو ماذا فعلت هناك. ولكن في منتصف التسعينيات، طورت شركة نتسكيب ملفات صغيرة توضع في حاسبات المستخدمين وتسمح لمالك موقع ويب ما بمعرفة أين ذهب الزوار ومتى وأطلعت عليها اسم «cookies» (أي بسكويت). وقد قال أستاذ القانون في ستانفورد لورانس ليسيج Lawrence Lessig الذي يساوره القلق بشأن تأثيرات هذه الملفات على الخصوصية، إنه بدلًا من إطلاق اسم حلو وسعيد مثل «cookies»على التكنولوجيا كان ينبغي عليهم أن يطلقوا عليها اسمًا يعبر عن حقيقتها: «جاسوس الشبكات» Network Spy.

لقد كان لملفات Cookies ولا تزال، تداعيات كبيرة على الخصوصية. ولكن مثل جميع التكنولوجيات من هذا النوع، توجد لها بعض المزايا والإيجابيات. فهي تستطيع توفير وقت المستخدم وتخزين تفضيلات المرء الخاصة بموقع معين. ولولا ملفات cookies، ما وُجدت صفحتي ذات الطابع الشخصي على ياهو!. لكن المخاوف من هذه الملفات دفعت بعض مستخدمي الإنترنت لضبط برامج تصفح الويب الخاصة بهم، بحيث ترفض وضعها على حاسباتهم لكي لا يكون بالإمكان تتبعها. وفي هذه الأثناء وجد مطورو المواقع أنها مفيدة للغاية في أغراض التسويق وسهولة الاستخدام. وقد أصبحت ملفات cookies عنصرًا أساسيًا في الإنترنت ولن تزول من الوجود.

إن ملفات cookies تصبح مشكلة أخطر فيما يتعلق بالخصوصية عندما تفكر في

موقف في العالم الواقعي. فعندما تذهب إلى مركز للتسوق لا يتبعك أحد بكاميرا فيديو مسجلًا كل ما تنظر له. (الكاميرات المخبأة التي تزداد انتشارًا يمكن أن تغير هذه المعادلة). ولكن هذا بالضبط ما تسمح به ملفات cookies: نظرة على كل شيء يفعله مستخدم الكمبيوتر على الويب. ونتيجة لذلك، أصبحت بيانات الناس الخاصة، سلعة تتم مقايضتها مع من يعرض أعلى ثمن أو أي شخص يحمل استدعاءً للمثول أمام المحكمة.

وتستطيع الحاسبات الآلية أيضًا تتبع حركة المعلومات في أنحاء الإنترنت. وقد تذكر ليسيج الوقت الذي نصب فيه حاسبًا خادمًا «ند لند» بحيث يستطيع الناس إنزال نسخ من محاضراته بحرية من على الإنترنت. وقد تلقي مكالمة هستيرية من «شرطة شبكات» ستانفورد — مديرو نظم الجامعة – أفادت رصد نشاط غير قانوني على جهاز في مكتبه. ونتيجةً لذلك فقد تم فصل الجهاز، خوفًا من غضب صناع الترفيه. كان المديرون قد افترضوا ارتكاب أفعال غير قانونية بسبب وجود التكنولوجيا برغم إنهم كانوا في الحقيقة يعرقلون استخدامًا قانونيًا تامًا للبرمجيات.[289]

وقد أدى ترشيح البريد الدعائي والموارد الأخرى التي تسمى المحتوى القابل للاعتراض عليه، إلى نشوء نظام لغلق المحتوى. وقد تم تبني قوائم البريد الدعائي السوداء المدارة بواسطة منظمات متطوعة على نطاق واسع، وتسبب ذلك في اختفاء بريد المستخدمين الأبرياء – الذين يتصادف أنهم يتعاملون مع مقدم خدمة إنترنت لديه أيضًا مرسل بريد دعائي يستخدم نفس النظام – داخل ثقب أسود. ليس هذا رقابة من الناحية القانونية لأن الحكومات لا تقوم بعمليات الغلق. لكنه اتجاه يثير الاضطراب عندما تؤدي النوايا الطيبة إلى غلق المحتوى واسع الانتشار الذي لا يكون قابلًا للاعتراض عليه إلا بالنسبة لمجموعة صغيرة ممن استلموه.

ومن الممكن أن يتضمن الترشيح (filtering) ما يدعوه التكنولوجيون IP Mapping وفيه تفحص وحدة خدمة عنوان الإنترنت الجاري طلب بعض البيانات منه. وسوف

تكون النتيجة الحتمية هي تقسيم الإنترنت إلى مناطق. وكما سبق أن ذكرت في الفصل العاشر، فسوف يأتي يوم في المستقبل القريب يزور فيه أشخاص من بلدان مختلفة صفحة واحدة ويشاهدون معلومات مختلفة.

كارتيل حقوق النشر والتأليف

تخول المادة الأولى من الباب الثامن في الدستور الكونجرس «سلطة دعم وتشجيع التقدم العلمي والفنون المفيدة عن طريق تأمين حق المؤلفين والمخترعين الحصري في كتاباتهم واكتشافاتهم لفترات محدودة».

لن أخوض في التفاصيل التاريخية لقانون حقوق النشر والتأليف (فكتابات ليسيج، وبصفة خاصة كتابه «الثقافة الحرة: كيف يستخدم الإعلام الكبير التكنولوجيا والقانون لتقييد الثقافة والتحكم في الإبداع»[290] ، مكان جيد لمعرفة المزيد). ولكن يمكن القول باطمئنان أن الوضع القائم اليوم انحرف عن قصد المؤسسين ويبدو أنه يمكن أن يزداد سوءًا.

إن من المهم فهم الكيفية التي تغيرت بها فكرة حقوق النشر والتأليف ذاتها منذ أن أرساها المؤسسون أول مرة في الدستور. فقد كان المقصود بها أصلًا أن تكون صفقة بين المبتكرين وبقية الشعب، لكنها أصبحت أداة لرقابة فظة ومطلقة. لقد اختفي التوازن.

ويحكم القانون والتقاليد، فتحت قوانين حقوق النشر والتأليف حقوقًا لمستخدمي عمل ما محفوظة حقوق نشره وليست فقط لمبدع العمل. فعلى سبيل المثال: يمكن للدارسين والباحثين الاقتباس من أعمال محفوظة حقوق نشرها من أجل إنشاء أعمال جديدة. وهذه هي فكرة «الاستخدام العادل» - أي استخدام جزء صغير من عمل شخص آخر كجزء من عمل جديد.

وقد اتسع نطاق الاستخدام العادل في الآونة الأخيرة ليشمل - ضمن عدة أشياء أخرى- إعداد نسخ احتياطية شخصية من البرمجيات وتغيير أوقات مشاهدة البرامج

التليفزيونية (تسجيل برنامج لمشاهدته فيما بعد). لكن قوى الرقابة والتحكم حركت الخط الفاصل. وهي تعتقد أن الاستخدام العادل شيء لا يمكن أن يمنحه حائز حقوق النشر والتأليف إلا إذا كان هذا الشخص (أو الشركة) مستعدًا لمنح الاستخدام العادل – وعندما تدخل تكنولوجيا جديدة حيز الاستخدام يؤيد القانون هذا الموقف بصورة متزايدة.

لكن الغاية الأساسية للاستخدام العادل هي تحديد منطقة استخدام لا يصرح بها حائز حقوق النشر والتأليف تحديدًا بل وربما يعارضها، ولكنها تكون قانونية على أية حال. ويروي سيفا فيدهاياناثان Siva Vaidhyanathan مدير برنامج دراسات الاتصال بقسم الثقافة والاتصال بجامعة ييل قصة مؤلف ألف كتابًا علميًا عن الموسيقى الريفية ولكنه لم يشر إلى بيانات أي أغاني. وقرر ناشر المؤلف، الذي خشي أن يرفع حائزو حقوق النشر والتأليف دعاوي قضائية برغم أن استخدام مثل هذه الاقتباسات كان سيندرج بوضوح تحت القواعد الإرشادية الخاصة بالاستخدام العادل، إن ذلك لم يكن يستحق الدخول في متاعب من أجله، وهكذا تم نشر الكتاب بدون جميع كلمات الأغاني التي أراد استخدامها[29]. إن تحويل الاستخدام العادل إلى مجال حصري للاستخدامات المصرح بها، يعني القضاء على الاستخدام العادل كليًا. وسوف نعود إلى هذه النقطة الجوهرية في موقع لاحق من هذا الفصل.

من الركائز الأساسية «للملكية الفكرية» إن أي عمل ما لا يدخل المجال العام إلا بعد انقضاء ما أسماه المؤسسون بـ «الفترات الزمنية المحدودة» التي سمحت لعمل محفوظة حقوق نشره بالانتقال إلى المجال العام لكي يتسنى للآخرين البناء عليه. وقد تم تحديد «الفترات المحددة» أولًا بـ 14 سنة ولكن تمت إطالتها تدريجيًا من قبل الكونجرس بناءً على طلب حائزي حقوق النشر والتأليف مثل شركة ديزني. والآن أصبح ما كان يومًا ما 14 سنة حياة المؤلف بالإضافة إلى 70-95 سنة، عندما تكون شركة هي الحائزة لحقوق النشر والتأليف. ومن قبيل الصدفة المذهلة أن مدد حقوق النشر

والتأليف تطول في كل مرة يقترب فيها ميكي ماوس من دخول المجال العام، مما يعني أنه لم يعد هناك شيء يدخل المجال العام. وهذه سرقة مزدوجة بالإكراه يقوم بها حائزو حقوق النشر والتأليف: فهم يسرقون من تراثنا المشترك لكي يحموا قلة من الأعمال القيمة ويخنقون الابتكار.

لو أن القواعد ونظم تطبيق القانون السارية اليوم طبقت في الثلاثينيات ما استطاع والت ديزني أبدًا ابتكار شخصية ميكي ماوس المبنية على إبداعات أشخاص آخرين. ولابد أن فيكتور هوجو Victor Hugo يتقلب في قبره الآن حزنًا على الأسلوب الذي أخذت به إمبراطورية ديزني قصة أحدب نوتردام وحولتها إلى فيلم رسوم متحركة للأطفال. لكن عمله دخل المجال العام وكان ظهور فن جديد هو النتيجة.

ما الذي يعنيه هذا بالنسبة لصحافة القاعدة الشعبية التي تعتمد على حرية الناس في استخدام كافة أشكال المحتوى الرقمي بكافة الطرق؟ لا شيء جيد.

عين الناظر

هناك الكثير من المفارقات الساخرة في النقاش الدائر حاليًا حول حقوق النشر والتأليف، لعل أبرزها حقيقة أن الصناعات التي تضغط الآن من أجل اكتساب القدرة على التحكم والرقابة المطلقة مارست في بداياتها ما تسميه اليوم بـ «القرصنة». ولكن عار أيضًا أن نرى صناعة كافحت بشرف للحفاظ على حماية التعديل الأول الذي لولاه ما استطاعت البقاء على قيد الحياة، تقود الآن هجومًا يهدد حرية تعبير الآخرين.

وتهدد الإنجازات التكنولوجية أيضًا نماذج الأعمال الراسخة، ويحاول الأشخاص الذي تتعرض أعمالهم للتهديد دائمًا وقف مسيرة التقدم. وكوري دوكتورو Cory Doctorow نصير إليكتروني للحريات المدنية ومؤلف قصص خيال علمي نشر روايتين وجعلهما أيضًا قابلتين للإنزال بحرية إليكترونيًا وفي نفس اليوم الذي أصبحتا موجودتين فيه في المكتبات. قال لي دوكتورو: «كان على ممثلي مسرح الفود فيل الذين

قاضوا ماركوني Marconi بسبب اختراعه المذياع، أن يتنقلوا من نظام كانوا يتمتعون فيه بالسيطرة بنسبة 100٪ على من يدخل المسرح ويسمعهم وهم يمثلون إلى نظام تمتعوا فيه بالرقابة بنسبة صفر٪ على من يمكن أن يبني أو يقتني مذياعًا ويحول مؤشر المذياع إلى تسجيل لهم وهم يمثلون!. بعبارة أخرى: «أراد الممثلون منع تكنولوجيا جديدة من إحداث خلل واضطراب في نموذج أعمال قديم ناجح».

لم تكن هذه هي المرة الوحيدة. ففي واحد من أهم الأمثلة الحديثة، حاولت هوليوود القضاء على مسجل الفيديو المنزلي. ولم يتمكن الأمريكيون من الحفاظ على الحق في تسجيل برنامج تلفزيوني ثم تشغيله لمشاهدته لاحقًا، إلا حينما صدر حكم حاسم من المحكمة العليا بأقل فرق في الأصوات عام 1984[292].

لقد أرعب ظهور التكنولوجيا الرقمية صناعة الترفيه لأسباب منطقية في ظاهرها. فبرغم كل شيء لا تتدهور النسخة الرقمية من أي شيء بنفس الطريقة التي تتدهور بها نسخ البث عبر الإشارات التماثلية (الأنالوج)، مثل نسخة من شريط فيديو، خلال جيلين فقط. وقد هدد الفضاء الإليكتروني بأن يكون أكبر عامل تمكين التعدي من أسباب القوى في العالم بسبب سهولة نسخ وتوزيع المواد عليه.

لكن الصناعة قامت ببراعة - ولكن بشكل خاطئ - بتأطير القضية باعتبارها «سرقة» مقابل «حقوق ملكية». والحقيقة أنها ليست كذلك. فالأفكار تختلف عن الملكية المادية، وهي تعامل بصورة مختلفة طوال تاريخنا. فإذا أخذت أنا سيارتك فإنك لا تستطيع أن تستخدمها. وإذا كان لدي نسخة من أغنيتك، يظل لديك الأغنية. إن التعدي عمل خاطئ وأنا لا أدافع عنه.ولكن لطالما كان هناك بعض التعدي وتعايش معه حائزو حقوق النشر والتأليف كجزء من صفقتهم الكلية مع المجتمع.

وقد بدأت هوليوود وشركات الموسيقى بصورة خاصة تطلق جرس إنذار في أوائل التسعينيات. ووجدت آذنًا صاغية في الكونجرس - وكان السبب الرئيسي هو تبرعات الحملات الكبيرة فضلًا عن التحيز نحو حقوق الملكية أكثر من جميع الحقوق

الأخرى – وفي عام 1998 أقنعت صناع القانون الفيدراليين بإقرار قانون حقوق النشر والتأليف الرقمية الألفية (DMCA)، وهو قانون قيل إنه يدخل سياسة حقوق النشر والتأليف، العصر الرقمي ويحترم حقوق المستخدمين والمنتجين.

كان قانون DMCA[293] تشريعًا متطرفًا ومعقدًا آمال كفة الميزان نحو حائزي حقوق النشر والتأليف ومنحهم امتيازات فاقت بكثير ما تمتعوا به من قبل. وجرّم أحد أحكامه السيئة على وجه الخصوص، استخدام تكنولوجيا يمكن استخدامها في التهرب من ضوابط حماية النسخ مهما كانت مشروعية استخدام هذا التهرب. وحظور حتى إخبار الناس بكيفية القيام بمثل هذه الأفعال. وهذا ما اكتشفه يون يوهانسن القرصان النرويجي الذي اخترق كود نغمة اسطوانات قرص الفيديو الرقمي الـ DVD وإيريل كوري الناشر الذي تجرأ ووضعه على الإنترنت وسبب لها الرعب والفزع.

لقد تمت إساءة استخدام القانون بصورة متكررة. فقد واجه الدارسون والباحثون تهديدات قانونية لقيامهم بنشر بحوث عن ضوابط الحماية الأمنية الضعيفة التي استخدمتها شركات الترفيه على مادتها[294] . وأدين مبرمج روسي في 2001 وقُدمت شركته للمحاكمة (وتمت تبرئتها) بتهمة بيع برمجيات قابلة للاستخدام في صنع نسخ من الكتب الإليكترونية[295]. واستخدمت شركة طابعات قانون DMCA لمقاضاة شركة صانعة لكارتريدج (حبارة) بديل زهيد الثمن[296] . وعدد القضايا في تنامٍ مستمر وتزداد غرابتها كل سنة.

السحر والقسوة

لا يستطيع أحد أن يلخص القضية من منظور صناعة الترفيه أفضل من جاك فاليتي Jack Valenti رئيس اتحاد الأفلام السينمائية الأمريكي لمدة طويلة وزعيم جماعة الضغط من أجل حقوق النشر والتأليف. فحينما زرته في مكتبه الكائن في واشنطن في خريف عام 2002 ألفيته ساحرًا كعهدي به دائمًا. وطبقًا لفاليتي ينبع كل شيء من مبدأ

أن هوليوود تريد إسعاد عملاءها، والإنترنت يمكن أن تكون واحدًا من أعظم الوسائط لتحقيق ذلك. لكن إمكانيات الإنترنت تقابلها تهديدات رئيسية. وعلى عكس الطرق السابقة لتقديم الأفلام للزبائن، تعطي الإنترنت للناس طرقًا جديدة «لأخذ أشياء لا تخصهم».

حسنًا، لقد بدا الكلام معقولًا. لكن فاليتي رفض بدماثة الإجابة عن سؤال هام وهو كيف ظنت هوليوود أن باستطاعتها أن تحمي أفلامها وبرامجها التليفزيونية من النسخ والتوزيع على الإنترنت دون التعدي في الوقت نفسه على حقوق المواطنين في الاستخدام العادل (مثل الاقتباس من البرامج وليس تغيير مواعيد المشاهدة فحسب) وتلك مسألة شديدة الحيوية والجوهرية للصحافة والابتكار الفكري بوجه عام. وقد أصّر بعناد على أن تكنولوجيا المستقبل - بما في ذلك الحسابات الشخصية - سوف يتعين تعديلها لمنع الناس من صنع نسخ غير مصرح بها.

وقد ذكر فاليتي، الذي قال في أوائل 2004 إنه سيتنحى عن منصبه في وقت لاحق من تلك السنة، ثلاثة مجالات تبحث فيها صناعة الترفيه عن حلول وهي علم البث الإذاعي broadcast flag وثقب تكنولوجيا البث عبر الإشارات التماثلية (الأنالوج) وتقاسم الملفات بأسلوب الند للند peer-to-peer file sharing. وقال إنه في كل حالة سوف يتعين أن تسفر المفاوضات مع شركات التكنولوجيا والإليكترونيات الاستهلاكية عن نتائج مقبولة لجميع الأطراف.

كانت هناك ناحية واحدة فقط هي التي تم التفاوض عليها مع صناعة التكنولوجيا وقامت اللجنة الفيدرالية للاتصالات (FCC) بتفعيلها في 2003 وهي «علم البث الإذاعي»[297] - أسلوب تعليم المواد المذاعة رقميًا لمنع النسخ غير المصرح به. ومن الناحية النظرية، سيظل مشاهدو التليفزيون في المنازل قادرين على تغيير مواعيد مشاهدة المواد المذاعة رقميًا، ولكنهم لن يستطيعوا إعادة توزيع البرامج التي قاموا بنسخها. وبالطبع فحتى الحق في النسخ بالمنزل هو مجرد قاعدة، ومن المؤكد أن صناعة الترفيه ستحاول

تفادي والالتفاف حول هذا المستوى من حرية العملاء. ناهيك عن استحالة منع أي نوع من الاستخدام فعليًا – النسخ خارج المنزل – مع السماح الكامل بالمرونة داخل المنزل في ذات الوقت.

كانت المشكلة الثانية التي حددها فاليتي هي ما تسميه شركات الترفيه «ثقب تكنولوجيا البث عبر الإشارات التماثلية (الأنالوج) analog hole». فالبشر لا يستطيعون قراءة الأرقام صفر وواحد التي تتألف منها الوسائط الرقمية. وتترجم الأجهزة المحتوى الرقمي إلى ما تشاهده عيوننا وتسمعه آذاننا كفيديو وصوت. حتى إذا استطعت إغلاق أرقام الصفر والواحد، فإن كل ما يتعين على شخص ما أن يفعله هو تشغيل الفيديو على جهاز تليفزيون، ثم استخدام كاميرا فيديو لصنع نسخة من المعروض على الشاشة وإعادة رقمنة النسخة فتبدأ المشكلة من جديد. وتبحث الصناعة عن تكنولوجيا – وقوانين – من أجل جعل القيام بذلك مستحيلًا وغير قانوني.

كانت الناحية الثالثة المثيرة للقلق هي الأكبر: التقاسم في الملفات الإليكترونية بأسلوب الند للند. فقد شاهدت صناعة السينما ما حدث في مجال الأعمال الموسيقية وأصيبت بالفزع[298]. والأفلام السينمائية المتاحة الآن على الإنترنت أفلتت من الرقابة إلى الأبد، ولكن يجب فعل شيء ما للحيلولة دون سرقة الأفلام السينمائية من خلال شبكات التقاسم في الملفات وفقًا لفاليتي.

تطالب شركات الترفيه الآن بأن تقيد شركات التكنولوجيا قدرات الأجهزة منذ البداية. وهي تريد شل الحاسبات الشخصية والأجهزة الأخرى لكي لا تستطيع صنع نسخ لا يسمح بها صراحة حائزو حقوق النشر والتأليف. ويعد علم البث الإذاعي خطوة في اتجاه خطر. والأكثر من ذلك أن صناعة الترفيه تريد أيضًا السماح لها باختراق الشبكات والأجهزة التي تعتقد أنه يجري استخدامها في انتهاك حقوق النشر والتأليف. وفي 2002، اقترح عضو في الكونجرس عن ولاية كاليفورنيا قانونًا يجيز هذا التدخل الموسمي ويجعله قانونيًا. ولكن أحمد الله أنه لم يتم حتى الآن إحراز تقدم كبير بشأنه.[299]

إنك إن منحت حائزي حقوق النشر والتأليف القدرة على «علاج» كل مشكلاتهم المدركة (أو المتصورة) المتعلقة بالتعدي، تمنحهم بذلك رقابة غير مسبوقة على معلومات الغد وعلى الثقافة نفسها. وإليك مثال: يُجرِّم القانون في الوقت الحاضر نسخ جزء من قرص الفيديو الرقمي(DVD) لاستخدامه كجزء من عمل آخر. ولكن بإمكانك أن تفعل ذلك مع جزء من نص، وإن كانت صناعة الكتب الإليكترونية تعمل على منع القيام حتى بعملية قص ولصق صغيرة ما لم يصرِّح بها حائز حق النشر والتأليف. وإذا كنا نحتاج إلى إذن أو ينبغي علينا أن ندفع نقودًا للاقتباس ببساطة من أعمال أخرى، فإن البحث العلمي سيكون ضحية واحدة فقط.

هناك أيضًا مسألة خطيرة تتعلق بالقرصنة في نقاش حقوق النشر والتأليف. فالطريقة الوحيدة الممكنة لكي تفعِّل شركات الترفيه حقوق النشر والتأليف الخاصة بها هي تتبع ما يشتريه الأفراد وكيف يستخدمونه. ويومًا ما – أقرب مما تظن – ستعرف المؤسسات الكبيرة والحكومات كل عمل محفوظة حقوق نشره تقرأه وتستمع له وتشاهده. وأي إنسان يستقرئ التاريخ ينبغي أن يخشى مثل هذا النظام.[300]

إن هذا النوع من المستقبل سيحكم بالفشل على معظم وليس كل الصحافة القائمة على المشاركة التي أدعو لها في هذا الكتاب. فعلى سبيل المثال: إذا اضطر كل صحفي هاوٍ لطلب الإذن قبل الاقتباس من عمل محفوظة حقوق نشره أو اضطر لدفع مبلغ من المال مقابل كل اقتباس، فلن يأبه بها معظمهم. وسوف يكون التهديد الموجود دائمًا من جانب حقوق النشر والتأليف التي تفسر الاستخدام العادل من خلال أحدث قوانين الكونجرس التقييدية، مثبطًا كأي شيء يمكن لنا تخيله.

والمحزن أن شركات الأفلام والموسيقى ليست وحدها من يتخذ هذا الموقف، فناشرو الكتب ينظرون بصورة متزايدة للتوزيع الإليكتروني بخوف في الوقت الذي ينبغي عليهم فيه أن يروا فيه خطوةً واحدةً عمليةً نحو التخلص من نظم الطباعة والتوزيع العتيقة وفرصةً لكسب عملاء جدد. وهم يساندون نظامًا يسخر من التعديل

الأول الذي يعتمد عليه وجودهم ذاته، فبرغم كل شيء يقوم النشر على أساس من حرية التعبير. وسوف تتعرض المكتبات التي تعير الكتب بصفة خاصة للخطر، إذا اتخذ الناشرون نفس الموقف المتصلب الذي اتخذته شركات الموسيقى والأفلام، لأن في نظام لحقوق النشر والتأليف يتم فيه دفع مبلغ من النقود نظير كل مطالعة pay-per-view، ستصبح الإعارة مستحيلة.(301)

من جديد نادرًا ما ينجو الاتساق الفكري من التهديدات والأخطار المالية سواء كانت متصورة مدركة أو حقيقية. وأعود فأقول أنه يمكنني تفهم أسباب القلق. فالناشرون قلقون من التأثير الذي يمكن أن يحدثه التوزيع غير القانوني على النتائج النهائية لأعمالهم، أكثر من اهتمامهم بالإمكانيات التي لا تصدق الكامنة في استغلال الإمكانيات (بأفضل معنى لكلمة استغلال). وتروق لي فكرة القدرة على تقديم حاشية تفسيرية لكتاب إليكتروني والذهاب إلى مورد آخر عبر وصلات فائقة مثلًا، ولكن إذا كان الثمن هو العجز عن صنع نسخة احتياطية لاستخدامها على جهاز إليكتروني آخر أو حتى قيدًا يحظر عليّ إهداء الكتاب، فإنه يكون باهظًا عندئذ.

وإليكم طريقة أخرى يمكن لأهداف صناعة الترفيه أن تشكل بها عائقًا شديدًا لصحافة الند. في الفصل الثاني شرحت قيمة تكنولوجيا اتصال الند للند peer-to-peer في توزيع ملفات صوت وفيديو كبيرة منشأة مثلًا بواسطة كاتب مدونة بتكلفة منخفضة. ويتقاضى مقدمو خدمات الإنترنت رسومًا بناءً على حجم الحركة التي يستقبلها موقعك وحجم عرض النطاق (أو الاتساع الموجي) المطلوب لكي تقدم محتواك للناس الذين يرغبون في مشاهدته. بعبارة أخرى: كلما ازدادت شعبية محتواك كلما ارتفعت التكلفة التي تتحملها - وهذا وضع معاكس بشكل مؤلم لذلك الذي تواجهه في العالم المادي الذي تعمل فيه وفورات الحجم لصالحك.

الآن تذكر أن صناعة الترفيه تكره تكنولوجيا اتصال الند للند لأنها لا تسيطر عليها. تذكر أيضًا أنها أقامت سلسلة من الدعاوي القضائية التي قضت على شركات

مبتكرة مثل نيبستر Napster وريبلاي تي في ReplayTV، وهي شركة ابتكرت نظم فيديو منزلي لتسجيل وتخزين البرامج وتفويت الإعلانات التجارية. كما أطلقت صناعة الترفيه أيضًا كتائب من المراوضين في جماعات الضغط لإقناع الكونجرس والجهات التنظيمية بفرض قيود على تكنولوجيات اتصال الند للند الأخرى، وهي تلاحق الأشخاص الذين يستخدمونها[302].

وإذا نجحت في حملتها الهجومية، سوف تعوق طريقة التوزيع الأكثر فعالية بالنسبة للسمعيات والفيديو الشعبي. وحتى إذا كان كل ما تنجزه هو إجبار خدمات الند للند peer-to-peer على أن تتتبع فرديًا ما يتم إرساله وأين، فسوف يكون ذلك عاملًا مثبطًا لنوعية الصحافة الشعبية بالغة الحيوية بالنسبة للحرية في البلدان الاستبدادية. إن مستقبل الإعلام ليس ملكًا للأشخاص الذين يستطيعون الاعتماد على التعديل الأول وحدهم بل هو أيضًا ملك لبقية العالم أو هكذا ينبغي أن يكون.

خيانة صناعة التكنولوجيا

قبل بضع سنوات تحدث مراقبو السياسة عن الحرب الدائرة بين حماية حقوق النشر والتأليف والابتكار. وتم رسم الخطوط: فقد كان وادي السليكون يخترع تكنولوجيا جديدة وأرادت هوليود السيطرة على استخدامها. ولم تكن الأخبار الآتية من الجبهة سارة بالنسبة للأفراد الذين يعتمدون على التكنولوجيا في إنتاج أخبار الغد.

وبطيئًا ولكن بخطى ثابتة، تحول الأفراد الرئيسيون في النخبة التكنولوجية من الاستقلالية الشديدة إلى التزلف والخنوع لشركات الترفيه فيما يخص بعض القضايا الرئيسية. وتبدو بصمات أصابع إنتل، الشركة العملاقة الصانعة لرقائق الكمبيوتر، ظاهرة على كل تكنولوجيا عَلَم البث الإذاعي التي أقرتها اللجنة الفيدرالية للاتصالات (FCC). ولم تكن هذه هي المرة الأولى التي تخون فيها إنتل زبائنها. فقد فعلت ذلك أثناء مفاوضات أقراص الفيديو الرقمية الـ DVD قبل سنوات عندما طالبت هوليوود بنظام

مزج المحتويات (CSS) الذي أدى لاستخدامات مقيَّدة بشدة لأقراص الفيديو الرقمية الـ DVD – وهو نظام اعترف أحد العالمين ببواطن الأمور في إنتل فيما بعد بأنه سبَّب مشكلات حقيقية لمستخدمي الحاسب الشخصي.

ولكن لا توجد شركة تكنولوجيا تملَّقت كارتيل حقوق النشر والتأليف أملًا في كسب رضاه، مثل مايكروسوفت، وهي شركة تجاهلت (مثل كثير من شركات التكنولوجيا) مرارًا قانون حقوق النشر والتأليف في سبيل بناء أعمالها القوية. وإليك الأسلوب الذي عبر به كوري دوكتورو عن ذلك:

> عندما شحنت مايكروسوفت أول محرك بحث من إنتاجها (وهو يصنع نسخة من كل صفحة يبحث فيها) خالفت نص قانون حقوق النشر والتأليف. وعندما صنعت مايكروسوفت أول وحدة خدمة توكيلية (وهي تصنع نسخة من كل صفحة تخبئها)، انتهكت قانون حقوق النشر والتأليف. وعندما شحنت مايكروسوفت أول تكنولوجيا أقراص مدمجة من إنتاجها، خالفت قانون حقوق النشر والتأليف.
>
> لقد خالفت هذا القانون لأنه كان معيبًا. إنه يتغير طول الوقت ليعكس الأدوات الجديدة التي تحب شركات مثل مايكروسوفت أن تخترعها. وإذا أرادت مايكروسوفت تقديم خدمة متعددة الأغراض لعملائها، دعها تصنع أدوات ذات أغراض عامة لها الأثر الجانبي المتمثل في تحطيم «إدارة الحقوق الرقمية» في سوني وآبل ومنح عملاءها خيارًا أكبر في المشغلات التي يستخدمونها. لقد أبدت مايكروسوفت استعدادها لمواجهة المسئولين عن مكافحة الاحتكار دفاعًا عن النتائج النهائية لأعمالها وبالمقارنة بهؤلاء تبدو محاكم حقوق النشر والتأليف وصانعو القوانين أهدافًا سهلة المنال. إن بإمكان مايكروسوفت أن تلتهمهم على الغداء بنفس الطريقة التي وجهت بها سوني ضربة لهم على مؤخرتهم في 1984 عندما دافعوا عن الحق في بناء وبيع مسجلات الفيديو كاسيت حتى وإن كان بعض الناس قد يفعلون بها أشياءً سيئة. وكما فعل الصناع الأوائل لمشغل MP3 عندما التهموا غداء سوني من خلال شحن منتج رفضت سوني شحنه.[308]

وللأسف فقد كان رد مايكروسوفت هو دمج إدارة الحقوق الرقمية – المصطلح الأكثر ملاءمة هو «إدارة القيود الرقمية» – في كل شيء تصنعه تقريبًا. ونطاق القيود واسع. فقد يُسمح لك بمشاهدة شيء على أجهزة متعددة أو جهاز واحد فقط. وقد يُسمح لك بنسخ قسم من مادة أو المادة كلها أو لاشيء على الإطلاق. وقد لا تستطيع طباعة وثيقة نصية وهلم جرا. هذه القيود جزء من نظام «مركز وسائط ويندوز» Windows Media Center الذي يربط الحاسبات الشخصية بأجهزة التليفزيون والأجهزة الأخرى. ويرى المؤمنون بإدارة الحقوق الرقمية أن هذه النظم تحسن الأمن وتحمي الملكية الفكرية. إلا أن تأثيرها يتمثل في حرمان الناس من الاستخدام العاجل والاستخدامات الأخرى غير المثيرة للجدل لما اشتروه أو حتى يملكونه.

وحتى شركة أبل ركبت قطار إدارة الحقوق الرقمية، وإن لم يكن ذلك بنفس الحماس الذي أظهرته مايكروسوفت. وتقوم وحدة آي تيونز ميوزيك ستور iTunes Music Store التي تبيع الأغاني بتكويدها بصيغة لا يمكن تحويلها بسهولة إلى صيغ MP3 أو OGG المفتوحة. ويعطي نظام إدارة الحقوق الرقمية – الذي تم إنشاؤه لأن صناعة الموسيقى طلبت ذلك – مستخدمي أبل حرية لنسخ الأغاني بين أجهزة مختلفة أكبر مما شاهدناه في نظم سابقة لإدارة الحقوق الرقمية. ولكنه يميل لمعاقبة بعض أفضل عملاء أبل – الأشخاص الذين يشترون حاسبات ماكنتوش. ويستطيع الشخص الذي يستخدم iTunes Music Store الاستماع للأغاني على خمس حاسبات آلية، لكن إدارة التصاريح يمكن أن تكون مشكلة مزعجة. ومن المهم أيضًا تذكّر أن الحرية التي تعطيها أبل اليوم يمكن أن تختفي غدًا[304].

تعمل مايكروسوفت وإنتل والعديد من شركات التكنولوجيا الأخرى الآن على إطلاق مبادرة «الحاسبات المؤتمنة» الرامية لمنع الفيروسات والديدان من الاستحواذ على الحاسبات الشخصية للناس وتأمين الوثائق من العيون المتلصصة. يبدو ذلك أمرًا جيدًا لكن تأثيره قد يكون مدمرًا لحرية الصحافة. إن المقدمة المنطقية التي تنطلق منها هذه

النظم ليست الثقة بل الشك والريبة. في الحقيقة، فقد كتب الخبير الأمني روس آندرسون Ross Anderson يقول في 2003 إن مبادرة الحاسبات المؤتمنة «سوف تنقل التحكم النهائي في حاسبك الشخصي منك إلى أي شخص كتب البرمجيات التي يتصادف أنه يشغلها». ثم استطرد قائلًا:

> توفر مبادرة الحاسبات المؤتمنة منصة حسابية يمكنك عليها أن تعبث ببرامج التطبيقات، ويمكن أن تتواصل عليها هذه التطبيقات بأمان مع مؤلفيها ومع بعضها بعضًا. وقد كان الدافع الأصلي هو إدارة الحقوق الرقمية (DRM): سوف تتمكن شركة ديزني من أن تبيع لك أقراص الفيديو الرقميةDVD تفك شفرة منصة المبادرة وتعمل عليها ولكنك لن تستطيع نسخها. وسوف تستطيع صناعة الموسيقى أن تبيع لك مواد موسيقية مُنزلّة من على الإنترنت لن تستطيع مبادلتها. وسوف يكونوا قادرين على أن يبيعوا لك أسطوانات مدمجة (CDs) تستطيع أن تشغلها ثلاث مرات أو في يوم عيد ميلادك فقط. إن كافة أنواع الإمكانيات التسويقية ستصبح متاحة.

ولكن فكر الآن في الطرق التي يمكن بها استخدامها إلى جانب مجرد تتبع حائزي حقوق النشر والتأليف لما يبيعونه:

> إن إمكانية إساءة الاستخدام تتخطى إلى حد بعيد التنمُّر التجاري والحرب الاقتصادية إلى الرقابة السياسية. وأنا أتوقع أنها ستخطو خطوة واحدة في المرة الواحدة: أولًا ستتلقى قوة شرطة ما حسنة النية أمرًا ضد صورة إباحية لطفل أو دليلًا حول كيفية تخريب إشارات سكك حديدية. وسوف تقوم جميع الحاسبات الشخصية الملتزمة بمبادرة الحاسبات المؤتمنة بإلغاء أو ربما الإبلاغ عن هذه الوثائق السيئة. ثم يحصل متقاضٍ في قضية قذف أو حقوق نشر وتأليف، على حكم من محكمة مدنية ضد وثيقة سيئة - ربما سيسعى دعاة السايتنولوجي لوضع إفادة فيشمان الكتابية الشهيرة المشفوعة بقسم على القائمة السوداء. ويمكن أن تعاقب الشرطة السرية لديكتاتور ما مؤلفة منشور منشق عن طريق إلغاء كل ما سبق أن أنشأته باستخدام ذلك النظام -

كتابها الجديد، إقرارها الضريبي وحتى شهادات ميلاد أطفالها - حيثما انتهى بها المطاف. وفي الغرب، يمكن أن تطبق محكمة ما مبدأ المصادرة لإدخال جهاز استُخدم في صنع صورة إباحية لطفل في «ثقب أسود». وما أن يدرك المحامون ورجال الشرطة والقضاة الإمكانيات، حتى تتحول القطرات إلى طوفان[305].

إن الإجراءات المرتبطة بمبادرة الحاسبات المؤتمنة تعيد للأذهان محادثة جرت في أوائل 2000 مع آندي جروف Andy Grove الذي شغل منصب الرئيس التنفيذي لشركة إنتل فترةً طويلةً وأحد الرواد الحقيقيين لصناعة التكنولوجيا. كان يتحدث عن مدى السهولة التي سيمكن بها تبادل لقطات الفيديو مع أحفاده عما قريب. وقلت حينها إن الاتجاهات إذا استمرت على وضعها الحالي فسوف يحتاج يومًا ما للحصول على إذن من هوليود. وعندئذ نعتني الرجل الذي ألف الكتاب الأفضل مبيعًا «فقط المصابون بجنون الاضطهاد هم الذين يبقون على قيد الحياة»[306] بالمصاب بجنون الاضطهاد. وبعد عدة سنوات، وسط هجوم صناعة حقوق النشر والتأليف المتزايد والدور القيادي المؤسف لشركة إنتل في مساعدة حائزي حقوق النشر والتأليف على غلق كل شيء، سألته إن كنت مصابًا حقًا بجنون الاضطهاد إلى هذا الحد. ولكنني لم أتلق أبدًا ردًا مباشرًا.

نهاية الوصول إلى آخر كمبيوتر متصل بالشبكة

أحد الأهداف الأساسية لتصميم الإنترنت الأصلية هو مبدأ الوصول إلى آخر كمبيوتر متصل بالشبكة end-to-end. وينص هذا المبدأ بصورة جوهرية على أننا نريد إبقاء الأخبار عند حواف الشبكة وجعل نقل البيانات بسيطًا قدر الإمكان في الوسط. بعبارة أخرى: استخدم الشبكة لنقل أعداد الصفر والواحد ذهابًا وجيئة مع أقل تدخل ممكن ودع الناس المستخدمين للحاسبات الشخصية ووحدات الخدمة والأجهزة الأخرى يقومون بكل شيء آخر. وفي بريد إليكتروني وصف ديفيد ريد David Reed، أحد الأشخاص الذين تنسب لهم الفكرة، الفكرة على النحو التالي:

ينبغي ألا تنفذ نظم الاتصالات وظائف يمكن أن ينفذها مستخدموها. وبصفة خاصة ينبغي على مصممي النظم العمل جادين لإيجاد أو اختراع تصميمات نظم تتفادى وضع وظائف معينة موجهة نحو المستخدم داخل بنية تحتية غير مرنة عن طريق نقل تنفيذ تلك الوظائف إلى حواف الشبكة الجاري تنفيذها فيها كجزء من التطبيقات المتحكم فيها بواسطة المستخدمين.

وفي ضوء الخبرة في مجتمع تصميم الإنترنت، توجد وظائف كثيرة يُعتقد أنها وظائف أو قدرات «شبكية» يمكن تنفيذها في صورة بروتوكولات بين المستخدمين أو تطبيقات المستخدمين. فعلى سبيل المثال، يمكن تنفيذ الأمن عن طريق تشفير الوصول لآخر كمبيوتر وأوراق الأمن عن طريق تشفير الوصول لآخر كمبيوتر وأوراق اعتماد الوصول لآخر كمبيوتر (لا يمكن تزويرها) بحيث لا تحتاج الشبكة إلى تأمين على الإطلاق.

وبالمثل عندما تضطر للتفكير في مشكلات مثل البريد الدعائي بطريقة الوصول لآخر كمبيوتر، تدرك عدم إمكانية حل مشكلة البريد الدعائي في «الشبكة» – وبدلًا من ذلك فإنها مشكلة بين مستخدمي الشبكة ويجب حلها هناك. ويظل الأمر صعبًا بالطبع ولكن صعوبته تكمن في الصراع بين الرغبة في السماح لأي شخص بالاتصال بنا بحرية والرغبة في الانعزال. إن الشبكة لا تستطيع فهم تفاصيل رغباتنا الفردية، يقول مبدأ الوصول إلى آخر كمبيوتر يتصل بالشبكة إنها ينبغي ألا تحاول ذلك حتى.

إن القيمة الإيجابية في حجة الوصول إلى آخر كمبيوتر متصل بالشبكة هي إنها تحافظ على مرونة الشبكة وقدرتها على التكيف مع الاستخدامات الجديدة غير المتوقعة وتكنولوجيا التنفيذ غير المتوقعة.

وفي عالم قد ينتهي بنا المطاف فيه إلى التعامل مع واحد أو اثنين أو ثلاثة على الأكثر من مقدمي الاتصالات واسعة النطاق في أي مجتمع محلي، يكون مبدأ الوصول إلى آخر

كمبيوتر متصل بالشبكة معرضًا للخطر بشدة. هل ينبغي أن تمارس شركة الاتصالات عن بعد العملاقة – وهي مقدمي الكبل والهاتف المحلية – رقابة عمودية على كل شيء من نقل البيانات إلى المحتوى نفسه. فعلى سبيل المثال: أثناء قيامي بتأليف هذا الكتاب كانت كومكسات Comcast، وهي الشركة المحتكرة لخدمات الكبل التليفزيوني في منطقتي تحاول شراء ديزني. وقد فشلت المحاولة. ولو حدث ذلك لكان من الممكن أن تقرر كومكاست تقديم محتوى ديزني إليكترونيًا أسرع من أي جهة أخرى ومارست التمييز ضد المواد على أساس اعتبارات مالية. ومثل هذا النظام سيكون كارثة بالنسبة لتدفق المعلومات دون أن يعترضها أي شيء. وينبغي علينا أن نصر على نظام أفقي بدرجة أكبر يكون فيه مالك الأنبوب ملزمًا بتوفير اتصالات متبادلة مع الخدمات المنافسة. وللأسف فإن القوة التنظيمية والسياسية في عالم اليوم تميل في الاتجاه الخاطئ.

في 2003 أصرت شركات الكبل والهاتف على أنها بحاجة إلى رقابة وتحكم رأسي، مهددة بأنه إذا لم يحدث ذلك فسوف توفر اتصالات بيانات نطاق واسع للأسر الأمريكية. وأقنعت رئيس لجنة الاتصالات الفيدرالية مايكل باول Michael Powell وغالبية زملائه بسلامة موقفها. وأعطت لجنة الاتصالات الفيدرالية شركة الهاتف الإقليمية الأمريكية الحق في التحكم في الوصول إلى أي أنابيب بيانات عالية السرعة تقوم بإنشائها، برغم أنه قيل لها إنه يجب عليها الاستمرار في التقاسم – في الوقت الحاضر – في خطوطها النحاسية. وقد عكست هذه السياسة في جوهرها قواعد سابقة تسمح للشركات الكبلية، التي أنشأت أيضًا شبكات عن طريق إقناع احتكارات مدعومة من الحكومة برفض التقاسم في الوصول إلى خطوطها.[207]

وقد أظهرت شركات الكبل والهاتف مرارًا وتكرارًا إساءة استخدامها للقوة. إنها احتكارات تاريخية تسيطر على مناطق شاسعة ممنوحة لها من قبل الحكومة، ولكنها اعتادت أن تكون احتكارات منظمة. وبصورة متزايدة بدأت تحرر نفسها من التنظيم.

لا تحب ناقلات الاتصالات عن بعد الكبيرة، التي كانت بطيئة للغاية في بناء بنيتها

التحتية الخاصة بالنطاق الواسع، أن يستخدم آخرون تكتيكاتها. وتستطيع حكومات الولايات والحكومات المحلية وينبغي عليها أن تبني شبكات الألياف الخاصة بها كما فعل البعض بالفعل في أشلاند بولاية أوريجون على سبيل المثال. ومما لا يدعو للدهشة أن شركات الكبل والهاتف تمارس ترويض جماعات الضغط على الأجهزة التشريعية بالولايات لكي تحظر الأخيرة هذا الأسلوب. وفي ولايات عديدة أصبح من غير القانوني الآن أن تقدم البلديات خدمة إنترنت.

وفي غضون سنوات قليلة، وفي ظل حظر حدوث انتهاكات رئيسية من جانب المنافسين اللاسلكيين، يمكن أن يصبح الوصول إلى بيانات عالية السرعة في الولايات المتحدة تحت رحمة اثنتين من أشد الصناعات مناهضة للمنافسة وهما: احتكارات الكبل والهاتف.. أنا أشك أنهما تجرؤان على قمع حرية التعبير التي لا تحبانها، ولكنهما تستطيعان تحويل نظامهما إلى ما يسميه العاملون في الصناعة «حدائق محاطة بجدران» walled gardens، حيث يلقى المحتوى الذي توفرانه معاملة تفضيلية وحيث تمارسان التمييز ضد المواد التي لا تتحكمان فيها. إن مثال كامكاست - ديزني الذي ذكرته لم يحدث بعد، لكن المفهوم ليست تكهنًا لا أساس له.

تقدم كيسكو سيستمز Cisco Systems، الشركة التي تبيع المعدات المستخدمة في توجيه الحركة حول الإنترنت، بسعادة لشركات الاتصالات عن بعد الأدوات اللازمة لإنشاء هذه الحدائق المحاطة بجدران. والأمر المخزي هو أن أول من استخدم هذه التكنولوجيا كان نظمًا ديكتاتورية تعاونت معها شركة كيسكو ومجموعة من شركات التكنولوجيا الأخرى منها نورتيل Nortel ومايكروسوفت. وطبقًا لمنظمة العفو الدولية، فقد نفت الشركات تداعايات هذا المسلك، قائلة إنها ليست مسئولة عن الكيفية التي يستخدم بها العملاء ما تبيعه لهم[306].

وحتى بدون تمييز سافر، تعمل قوة السوق على تشويه الاختيارات. فشركة إس بي سي كوميونيكشنز SBC Communications، التي تعد واحدة من أكبر شركات الاتصالات

عن بعد في الولايات المتحدة، مرتبطة بعلاقة شراكة مع ياهوا فيما يتصل بالعملاء المشتركين في اتصالات DSL. ويحظي محتوى ياهوا بمكان مفضل على صفحات المقر الخاصة بالمكتبين. ويستطيع المشتركون تغيير صفحة المقر، لكن معظم عملاء أي منتج يتشبثون به حتى إذا كان به عيب.

قال ييل برونستاين Yale Braunstein الأستاذ بمدرسة إدارة ونظم المعلومات بجامعة كاليفورنيا – بيركلي: «إن الأمر لا يحدث مرةً واحدةً فقط. صحيح أنك ستستطيع الوصول إلى ذا نيويورك تايمز، ولكن قد يكون الوصول إلى هناك أصعب».

إن نص المقالات الإخبارية سيكون إنزاله من الإنترنت سريعًا نسبيًا دائمًا. ولكن عندما يتعلق الأمر بمحتوى معلوماتي أكثر تقدمًا، وبصفة خاصة الفيديو، تكون فرص مقدمي الاتصالات عن بعد في توجيه نظام ما لمصلحتهم أعظم بكثير.

وهذا هو السبب في قيام شركة والت ديزني بالتوقيع في أواخر عام 2002 على خطاب لم يُنتبه له إلا قليلًا وقدمته إلى لجنة الاتصالات الفيدرالية حثتها فيه على الإصرار على منح معاملة متساوية لجميع خدمات الإنترنت على خطوط الأنابيب المتزايدة التركيز.[32] وقد تضمنت الشركات التي شاركت ديزني التوقيع على الخطاب شركة مايكروسوفت والعديد من جماعات المصالح العامة التي لا تقف في العادة في صف أي من هاتين الشركتين. وقد انتقدتُ نوايا شركة ديزني في بعض النواحي، ولكن في هذا الموقف تساند الشركة الحرية.

ردت صناعة الكبل – التليفزيون على الخطاب بقولها – بدقة – إن مايكروسوفت منافقة عندما تشجب نوعًا من التكتيكات المعادية للمنافسة تمارسه هي نفسها منذ سنوات واكتسبت سمعة سيئة بسبب ذلك. حتى المنافقين يمكن أن يكونوا على حق.

وفي الوقت الحالي، يوجد لدى شركات الكبل العملاقة حافز أقوى بكثير على التلاعب بنظمها أكثر من إس بي سي (SBC). فالشركات الكبلية العملاقة تمتلك معظم البرامج التليفزيونية التي تتدفق على نظمها، وهي تريد أن يبقى الوضع على ما هو

عليه. وتملك كامكاست - وهي حتى الآن أكبر مشغلي الكيبل الأمريكي - حصص ملكية كثيرة في المحتوى.

قال برونستاين إن القلق بشأن الملكية المشتركة الواضحة يبعدنا عن القضية الأكبر. فإذا استبدلت الملكية بالعقود الحصرية مثل صفقة إس بي سي مع ياهو!، فإنك تحقق بذلك نفس النتيجة.

إن عدم انتباه الإعلام الكبير لهذه القضية مفهوم نوعًا ما. فالتهديد لايزال نظريًا أكثر منه حقيقيًا، في الولايات المتحدة على الأقل. ويعرف الناس في الصين التي تمارس فيها الحكومة الرقابة على محتوى الإنترنت مباشرة، خطر نقاط الاختناق المركزية.

وبالطبع يتجاهل الإعلام الكبير، الغارق في صراع مصالح، أيضًا الخطر الحالي النابع من التركُّز المتنامي في الملكية. ويشهد على ذلك، الإخفاق المخزي في تغطية قواعد ملكية الإعلام الصادرة عن لجنة الاتصالات الفيدرالية الذي حدث مؤخرًا.

وقد تجاهلت البرامج الإخبارية الشبكية تقريبًا قيام شركاتها الأم بممارسة مناورات مراوضة جماعات الضغط من أجل توسيع الاندماج الإعلامي بينما كانت القواعد لا تزال معلقة. وما كان ذلك ليصبح مشكلة لو كان هناك الكثير من قنوات البيانات، ولكنها ليست موجودة. والحل هو فصل المحتوى عن التقديم في مثل هذه الأسواق المركَّزة.

إن الإنترنت وسيط متنوع بشكل لامتناهٍ. ولكن إذا لم تستطع العثور عليه أو كانت هناك حواجز اصطناعية تقف حائلًا دون مشاهدة المحتوى الموجود عليه، فإن التنوع لا يعني شيئًا في هذه الحالة[13].

عودة المستخدمين الأقوياء

في معرض الإليكترونيات الاستهلاكية السنوي الذي عقد في يناير 2004، أحاطت كارلي فيورينا Carly Fiorina الرئيسة التنفيذية لشركة هيوليت - باكارد نفسها على

مسرح في لاس فيجاس ببعض الفنانين المشهورين. ثم أدت - وهي رئيسة شركة تكنولوجيا - يمين ولاء وإخلاص لصناعة حقوق النشر والتأليف.

وفي السنوات المقبلة، ستبيع هيوليت باكارد إليكترونيات استهلاكية مثل مراكز الوسائط المنزلية المعتمدة على الحاسبات الشخصية، ومشغلات الموسيقى، وأجهزة التليفزيون الرقمية وأكثر.

وقد تعهدت فيورنيا بأن تستخدم هيوليت باكارد كل طريقة تحت تصرفها لمساعدة حائزي حقوق النشر والتأليف على غلق الاستخدام غير المصرح به لمحتواهم. وإذا قيدت هيوليت - باكارد أيضًا حقوق العملاء في «الاستخدام العادل» - أي القدرة على صنع نسخ شخصية والاستشهاد بأعمال الآخرين - فأنا أعتقد أن ذلك مشكلة شخص آخر.

حسنًا.. إليكم قسمي: سيكون حاسبي المحمول ماركة هيوليت - باكارد الذي اشتريته قبل شهرين هو آخر منتج اشتريه من هذه الشركة إلى أن تتذكر بعض المبادئ الأخرى التي أرتكز عليها وجودها ونجاحها مثل تمكين العملاء من أسباب القوة.

إن ما أرمي إليه هنا هو قوة العميل. والمشكلة هي أن المسئولين في مايكروسوفت وإنتل وهيوليت - باكارد يفكرون أولًا في عملائهم في صناعة الترفيه ويفكرون ثانيًا في عملائهم في العالم الواقعي.

وأنا أرمي أيضًا إلى أن تصبح قوة العميل ناشطة وفاعلة سياسيًا. كيف؟ فيما يلي بعض الأشياء التي يستطيع - وينبغي على - أي شخص القيام بها:

- اكتب إلى واتصل بالمسئولين الذين انتخبتهم، ليس فقط في واشنطن بل أيضًا في عواصم الولايات لأن هوليوود وحلفاءها يعملون على كافة مستويات الحكومة للسيطرة على المعلومات.
- ساهم في المنظمات التي تدافع عن حقوقك. وتعد مؤسسة الحدود الإليكترونية[311] واحدة من منظمات كثيرة تستخدم محامين ومراوضي جماعات الضغط لمواجهة جيوش

الإذاعة والتليفزيون والهواتف الخلوية، الشرطة والاتصالات الطارئة وأكثر - للوكالات الحكومية والشركات الخاصة بناءً على المبدأ الذي يقول إن الطيف كان شحيحًا وأنه كان لابد أن تقسّم موردًا متناقصًا.

ويقوم هذا المبدأ على العلم القديم، وذلك وفقًا لبعض من أفضل المفكرين في المجال. وهم يقولون بشكل مقنع أن الطيف لا حدود له جوهريًا إذا استخدمناه بشكل صحيح - أي باستخدام أجهزة لاسلكي وبث حديثة تقضي على مشكلات التشوش (أو التداخل) التي كانت موجودة في الماضي.

وربما يكون هؤلاء المفكرون قد أقنعوا رئيس لجنة الاتصالات الفيدرالية مايكل باول الذي يبدي استعدادًا يثير القلق لإعطاء الإعلام وشركات الكبل والهاتف ما تريده. ويُظهر ما قاله في كلمة ألقاها في 2003 فهمه لقضية الطيف والفرصة التي يمكن أن تقدمها من خلال التحفيز على وجود منافسة حقيقة في النطاق الواسع.

قال باول: «لقد غيرت التكنولوجيا الحديثة بصورة جوهرية مدى استخدام الطيف. وأعتقد أن اللجنة ينبغي أن تبحث باستمرار عما إذا كانت هناك سوق أو حلول تكنولوجية قادرة - على المدى الطويل - على أن تحل محل الحلول التنظيمية الصرفة للتداخل (أو التشوش) أو استكمالها».[315]

إذا قام باول وزملاؤه - وكونجرس يميل للإذعان لمصالح المؤسسات جيدة التمويل التي تتمتع بالقدرة والرغبة في إبقائه - بتفعيل سياسة ذكية متعلقة بالطيف، فلن يكون للآليات الفاسدة لاحتكارات الكبل والهاتف أي أهمية.

هناك أدلة كثيرة على أن الابتكار سيشهد طفرة إذا قامت لجنة الاتصالات الفيدرالية بتحرير المزيد من الطيف غير المرخص. انظر لما حدث مع Wi-Fi، وهي تكنولوجيا جديدة تمامًا وصناعة ناتجة عنها تحولت من لاشيء إلى نشر واسع الانتشار في غضون سنوات قليلة باستخدام طيف غير مرخص. أو ربما يكون الطيف - كما سنرى في المناقشة بعد قليل - أكثر تفتحًا تجاه الابتكار مما يظن معظم الناس.

إن البعض في صناعة التكنولوجيا يفهم ذلك جيدًا. وبرغم أنهم يدعمون على مضض احتكار النطاق الواسع للكبل/ الهاتف على المدى القصير، إلا أنهم يسعون أيضًا لإيجاد منافسة من مصادر أخرى تشتمل على تكنولوجيات لاسلكية جديدة مبتكرة. وقد قال لي مسئول تنفيذي كبير بشركة إنتل إنه يكره شركات الكبل والهاتف ولكنه يأمل في تفاديها في النهاية.

إذا تصرفت لجنة الاتصالات الفيدرالية بشكل سليم مع الطيف، وقامت الحكومات المحلية بنشر الكثير من الألياف البصرية في الوقت ذاته، فإن شركات الهاتف والكبل يمكن أن يكون لديها خدمات سلكية خاصة بها لأن الاحتكاريين لن يملكوا عندئذ القدرة على إساءة استعمال ما يملكونه، ليس عندما تكون المنافسة قد توصلت لتوفير بديل.

على المدى الطويل، ربما نستعيد مبدأ الوصول إلى آخر جهاز كمبيوتر متصل بالشبكة من خلال الفيزياء البحتة.

نهاية الشح؟

ماذا لو تبين أن الشح في موجات الهواء نتاج صنعي للتاريخ وتكنولوجيا عفا عليها الزمن؟ إذا أمكن التغلب على الشح فإن التداعيات ستكون مثيرة ومسببة للخلل والاضطراب معًا – سوف نرى مجموعة كبيرة من الاتصالات التي تنذر بحدوث مشكلات وفرص لبعض أكبر شركات الاتصالات عن بعد عندنا. وقد قال لي ديفيد ريد أن رسالة لجنة الاتصالات الفيدرالية الأساسية معيبة وربما أيضًا عتيقة وبالية.

إن ريد ليس وافدًا جديدًا على الساحة التكنولوجية، فهو يحمل درجة دكتوراه من معهد مساشوسيتس للتكنولوجيا حيث درّس علم الحاسب الآلي ورأس فريق هيكل نظم الحاسب الآلي التابعة لمختبر علم الحاسب الآلي. وشغل أيضًا وظيفة كبير العلماء في لوتس ديفيلوبمنت وسوفتوير آرتس، وهما شركتا برمجيات رائدتان، كما عمل أيضًا في

شركة انترفال ريسيرتش المغلقة الآن، هي مركز أبحاث ممول من بول آلن Paul Allen في بالو آلتو. وهو مشغول بالتفاصيل الفنية للإنترنت منذ عدة عقود ويعمل مؤخرًا كاستشاري ورجل أعمال وباحث.[316]

قال ريد: بتعبير بسيط يجب أن تبدأ في النظر للطيف على أنه سلعة لا حدود لها تقريبًا وليس كسلعة نادرة.

وقال لي: إن النظام التنظيمي الحالي الذي يوزع الطيف «مجاز قانوني لا يتفق مع الواقع المادي. لم لا؟ فأولًا: تتعلق فكرة التداخل بالمعدات التي نستخدمها في إرسال واستقبال الإشارات بأكثر مما تتعلق بفيزياء الموجات اللاسلكية. إن الموجات اللاسلكية تمر خلال بعضها، ولا تفسد بعضها».

في الأيام الأولى لظهور جهاز اللاسلكي، كان يمكن أن ترتبك المعدات بسبب الإشارات المتداخلة. ولكننا نستطيع الآن صنع أجهزة قادرة على فرز الحركة.

والطريقة الثانية التي يتحدى بها الواقع المنطق القديم هي ما يحدث عندما تضيف أجهزة لاسلكية إلى الشبكات. لن أخوض في تفاصيل وجهة نظر ريد التي يمكنك الاطلاع عليها على موقعه، ولكنه يرى إن الأمر ينتهي بك إلى امتلاك سعة أكبر – القدرة على نقل أجزاء من البيانات هنا وهناك – مما كانت عندما بدأت.

قال ريد: «من حيث المبدأ، تزداد سعة عرض نطاق (اتساع موجي) معين في حيز مادي معين كلما زاد عدد المرسلات المستقبلة في حيز معين. ومع ذلك تنظم اللجنة الفيدرالية للاتصالات موجات الهواء كما لو كانت السعة كمية ثابتة»[317]

قال: نعم هذا مناف للبديهة. ومن المؤكد أن هناك خبراء يختلفون معه في هذا الرأي.

ولكن إذا كان هو وآخرون في معسكره على صواب، فإن ذلك يعني أن أمامنا عمل كثير يجب علينا القيام به لإصلاح نظام تنظيمي قاصر بصورة ميئوس منها. وإذا حدث ذلك، فإن السماء ستكون هي حدود الاتصالات المستقبلية بمعنى الكلمة. وفي

الوقت نفسه، قد تكون العواقب وخيمة بالنسبة لبعض أقوى الشركات في اقتصادنا لأنها قائمة على الشح الاقتصادي. فعلى سبيل المثال: تنبع قيمة شركات البث الإذاعي الكبيرة إلى حد كبير من التراخيص الممنوحة.

يريد ريد من اللجنة الفيدرالية للاتصالات أن تفتح بعض الطيف للشبكات اللاسلكية الجديدة الأكثر انفتاحًا، وبذلك تعطي أصحاب المشروعات مساحة عامة جديدة يبتكرون فيها ويخلقون قيمة من أجل بقيتنا. وهو ليس واثقًا ممن سيجني نقودًا في هذه المساحة، لكن الشركات الصانعة للمعدات والشركات الأخرى لاسيما شركات البرمجيات، ستكون بلاريب وسط موجة من الابتكار.

تمثل البرمجيات مفتاح المستقبل الذي يتصوره ريد. فمعظم الأجهزة الشبيهة باللاسلكي التي تستخدم الطيف اليوم – أجهزة المذياع، أجهزة التليفزيون، الهواتف المحمولة وما شابه ذلك – تقوم على الطريقة القديمة لفعل الأشياء وهي مقيّدة بمكونات مادية لاستقبال وبث الإشارات بطرق محددة وفي أماكن محددة.

وقال إننا لكي نحصل على أثر المضاعف الكامل، نحتاج إلى أجهزة ذات مكونات مادية عامة نوعًا ما ولكنها قوية. ووفقًا لريد وآخرين يروجون للمفهوم: ستكون «أجهزة اللاسلكي المحددة بالبرمجيات» أكثر قابلية للتكييف وأكثر فائدة من أبناء عمومتها قديمة الطراز. ويستخدم الجيش هذه الأجهزة المسماة «اللاسلكي الذكي» منذ بعض الوقت، وقريبًا ستصبح متاحة للمدنيين مع انخفاض التكاليف.

إن تخيل هذا العالم الجديد يتطلب إعطاء دفعة قوية لإحدى الحريات المدنية التي نتعامل معها على أنها من المسلمات في أمريكا ولكنها ضعفت في ظل النظام التنظيمي الحالي، وأقصد بذلك حرية التعبير. فقد تضمن تنظيم موجات الهواء فرض قيود على حرية التعبير تحديدًا مثل أوامر اللجنة الفيدرالية للاتصالات إلى قطاع البث الإذاعي والتليفزيوني في أمتنا بشأن ما يجوز وما لا يجوز أن يقال على الهواء. وقد دخل التنظيم منعطفًا قبيحًا في ربيع عام 2004 حينما قامت اللجنة الفيدرالية للاتصالات بإيعاز من

الكونجرس المنتخب في تلك السنة، بفرض غرامات ضخمة على محطات البث فيما كان بلا ريب الهجوم الأكثر مباشرةً منذ سنوات على حرية التعبير.

وقد تم تبرير مثل هذه القيود على حرية التعبير - في جانب منها - على أساس فكرة أن الطيف مورد عام ومحدود. وإذا لم يكن ذلك صحيحًا، فلن يكون هناك سبب لتنظيم التعبير بهذه الطريقة. يومًا ما ربما سيعني التعديل الأول شيئًا ما عندما يبث الناس وجهات نظرهم وليس فقط عندما يكتبونها على الورق أو على الإنترنت.

قال ريد إن أسوأ اتجاه يمكن أن تمضي فيه اللجنة الفيدرالية للاتصالات الآن هو الاستمرار في إعطاء الطيف أو بيعه بالمزاد «لملاك احتكارات» الذين لن يستخدموه بكفاءة. مضيفًا أن إيجاد نوع جديد من الحيز المفتوح يتعلق في جوهره بالصالح العام ويوجد له نظير جيد في التاريخ الحديث.

قال ريد: «إننا بحاجة لأن نفعل من أجل الطيف ما فعلته الإنترنت من أجل الشبكة».

الفصل الثاني عشر

صنع الأخبار الخاصة بنا

إننا نميل للتقيد بالماضي حتى عندما نستطيع تخيل المستقبل. ومع ذلك فإننا نتحول أحيانًا ويمكن أن يكون الإعلام في قلب الطريقة التي نرى بها هذه التغييرات.

لقد أحدث عصر النهضة الإيطالية العديد من التحولات الجوهرية في الحضارة الغربية، كان أهمها من أجل أغراض هذا الكتاب هو المنظور. فقد أعطى رسامون أمثال جيوتو دي بوندوني Giotto di Bondone في القرن الرابع عشر وتوماسو ماساتشيو Tommaso Masaccio في القرن الخامس عشر عمقًا لما كان في معظمه عالمًا ثنائي الأبعاد من الفن الأوروبي. وكان مؤلف Decameron لبوكاتشيو Boccaccio المنشور في 1353 من بين أوائل الأعمال الأدبية التي قالت بأن وجود وجهة نظر أمر حاسم للفهم.

وأحدث آلة الطباعة التي اخترعها جوتينبيرج Gutenberg ثورة ما كان لأحد أن يتوقعها في ذلك العصر. ووقف رهبان الفاتيكان الذين كانوا يسيطرون على النشر عاجزين أمام هجوم هذه التكنولوجيا الجديدة. ويعد جوتينبيرج محررث كلمة الله من عقيدة البابا.

تعد الإنترنت أهم وسيط منذ اختراع آلة الطباعة، فهي تتضمن كل ما جاء قبلها وتحدث تحولًا بالطريقة الأكثر أساسية وجوهرية. وعندما يستطيع أي شخص أن يكون كاتبًا بأكبر معنى للكلمة ومن أجل جمهور عالمي، فإن كثيرين منا سيكونون كذلك. إن الإنترنت آخذة في تغيير عدد كبير جدًا من الأشياء التي افترضناها بشأن الإعلام ونماذج الأعمال لدرجة أننا نعجز بالكاد عن مواكبة التغييرات، ومن الصعب المحافظة على المنظور وسط التحول من الهرمية المتجهة من أعلى إلى أسفل إلى شيء أكثر

ديمقراطية بصورة هائلة ومع ذلك فوضوي. ولكننا يجب أن نحاول ولا يوجد مجال يعد القيام بذلك جوهريًا فيه مثل الشكل القديم للمعلومات: الأخبار. وسوف ننعم بأنواع جديدة للمنظور في هذا النظام الناشئ وسوف نتعلم كيف نجعله يعمل لصالح الجميع.

إن المدونات والوسائط الحديثة الأخرى عبارة عن نظم تغذية مرتدة. وهي تعمل في شيء قريب من الوقت الحقيقي وتلتقط - بأفضل ما في الكلمة من معنى – الأفكار المتعددة والواقع الذي يستطيع كل منها أن يقدمه. وعلى الإنترنت، فإن ما يحددنا هو ما نعرفه ونتشارك فيه. والآن ولأول مرة في التاريخ، يمكن أن يكون نظام التغذية المرتدة عالميًا وفوريًا تقريبًا.

إن هدفي من هذا الكتاب هو إقناعك بأن للصدام بين الصحافة والتكنولوجيا عواقب رئيسية على ثلاث دوائر: الصحفيون وصانعو الأخبار والجمهور. وتبدو الأدلة مقنعة بأن شيئًا ما كبيرًا يحدث.

لقد بدأ الصحفيون يفهمون ما يحدث. فخلال السنوات الثلاث الأولى من وجود مدونتي كانت واحدة من المدونات القليلة الوحيدة الموجودة في صحافة الصحف. ولكن لم يعد الحال كذلك. فقد ظهرت مدونات ممتازة ومشهورة في بعض أكبر المنظمات الإخبارية.

إلا أنني لازلت غير مقتنع بأن الإعلام الكبير يفعل أهم شيء: الإنصات. فنحن لا نزال في نموذج متجه من أعلى إلى أسفل ولا ندرك أن المحادثة أهم من بياناتنا الرسمية. وأنا أرى تقدمًا ولكنه ليس كافيًا.

أما صانعو الأخبار فهم ليسوا أكثر تقدمًا على طريق فهم ما يجري لهم في عالم الاتصالات الجديد هذا. كما أنهم لم يستخدموا الأدوات التي من شأنها أن تساعدهم على التعامل مع الجمهور، بما في ذلك وسائل الإعلام الإخبارية، بفعالية أكبر. وقد أظهر بعض المسئولين التنفيذيين، معظمهم من صناعة التكنولوجيا، أنهم يفهمون فعلًا ما يجري. وقد استفادت قلة من السياسيين من قوة القاعدة الشعبية، ويفعل عدد أكبر

منهم ذلك طول الوقت. ولحق بالركب بعض من مهنيي العلاقات العامة لكن الصناعة متخلفة عن العصر في معظم النواحي على نحو مثير للشفقة. وقد فهموا واستوعبوا الأخطار المحدقة مثل حقيقة أن كل شخص يمكن أن يكون له رأي وقول عام جدًا فيما يفعله صانعو الأخبار، وأن من الصعب كتمان الأسرار والأصعب هو محاولة إعاقة التصديق على مشروع قانون ما بفعالية. وقد رأوا الإمكانيات، فالشفافية الأكبر أفضل بصورة شبه دائمة.

ومع ذلك فأنا راضي كل الرضا عن الكيفية التي أخذ بها «الجمهور السابق» كما أسميه هذه الأدوات وحول أفكارها اللامتناهية إلى مثل هذه الأشكال غير المتوقعة وأحيانًا الرائعة من الصحافة. صحيح أن هذا الإعلام الجديد خلق أو على الأقل فاقم قضايا صعبة متعلقة بالمصداقية والنزاهة سوف نصارعها لعقود مقبلة، ولكنني واثق من أن المجتمع سيستطيع، بمساعدة الصحفيين المهنيين وغيرهم، التصدي لها وحسمها جميعًا.

يلعب الجمهور السابق الدور الأكثر أهمية في هذه الحقبة الجديدة: إذ يجب أن يكون أفراده مستخدمين فاعلين للأخبار وليسوا مجرد مستهلكين لها. وينبغي أن تكون شبكة الإنترنت حليفة الفكر والفروق الدقيقة التي لا تكاد تدرك في المعنى وليست عاملًا معززًا لرد الفعل التلقائي واللاإرادي. ولا يستطيع المواطنون المطلعون الاكتفاء بتلقي المزيد من نفس ما قدم لهم دائمًا، بل يجب أن يطالبوا بالمزيد وأن يكونوا جزءًا من المحادثة الأكبر. وسوف تكون خسارتنا عظيمة إذا لم يحدث ذلك.

أحيانًا أشعر بالخوف من احتمال ألا يسمح لذلك بالحدوث. إننا أفضل اطلاعًا حاليًا بكثير بسبب القوائم البريدية ومواقع الويب والمدونات والرسائل النصية القصيرة وتكنولوجيا تبادل المحتوى والأخبار (RSS). وهذه الأدوات ضاربة بجذورها في شبكات تشجيع الابتكار.

إن النظم المفتوحة ذات أهمية محورية لأي مستقبل يكون تدفق المعلومات حرًا فيه.

غير أن قوى التحكم المركزي - الحكومات ومنشآت الأعمال الكبيرة، لاسيما كارتيل حقوق النشر والتأليف - تضغط أكثر وأكثر من أجل تضييق الخناق على شبكاتنا. ولكي تحافظ على نماذج أعمالها التي أصبحت بالية بصورة متزايدة في عصرنا الرقمي، سوف تعمد إلى تقييد الابتكار - وفي النهاية - أنماط الإبداع التي أسست عليها منشآت أعمالها. والخطر الكامن في ذلك شديد، لكن الناس لايزالون غافلين عنه، ويرجع ذلك جزئيًا إلى أن الإعلام الكبير فشل في تغطية القصة كما ينبغي. ولا أظن أن ذلك مصادفة.

لاشك لدى أن التكنولوجيا ستفوز في نهاية المطاف لأنها في الطريق لأن تصبح موجودة في كل وقت ومكان أكثر فأكثر. ولدي أيضًا إيمان - ربما يكون مضللًا - بأن المسئولين العموميين سيولون اهتمامًا ملائمًا في النهاية لمصالح ناخبيهم وليس فقط لمصالح الصناعات التي تمول حملاتهم الانتخابية.

ترخيص المشاعات الإبداعية

حدث أكثر من مرة أثناء هذا المشروع أنني سُئلت إن كان شغفي بالصراحة يشمل محتويات هذا الكتاب. وكانت إجابتي أنه كذلك.

برغم وجود أدلة وفيرة تثبت العكس، إلا أن بعض الناس يعتقدون أنني ضد حقوق النشر والتأليف. إنني أحترم حق النشر والتأليف بالصورة التي تم تخيله عليها أصلًا. وأعتقد أنه ينبغي أن يكون صفقة معقولة تعطي مبدعي الأعمال الجديدة ثمار عملهم، وتزود المجتمع في ذات الوقت بالثمار الأهم لنقاش قوي والقدرة على ابتكار وإبداع أعمال جديدة مبنية على الأعمال القديمة - وفي النهاية - تحقيق منافع المجال العام نفسه.

إنني أقدر قيمة حق النشر والتأليف وأمقت إساءة استعماله.

ولحسن الحظ، فإن لدى أسلوبًا للتعبير عن وجهات نظري يقر حق النشر والتأليف ويستخدمه بصورة ملائمة معًا. ولحسن الحظ أيضًا أن لدي ناشرًا يفهم هذه النقطة، ومستعد للاشتراك في عمل سيرفضه معظم الناشرين الآخرين بدون تردد.

وكما ذكرت في الفصل الحادي عشر، تسمى تلك الوسيلة حق نشر وتأليف المشاعات الإبداعية Creative Commons Copyright، وهو عبارة عن نظام بديل لترخيص حقوق النشر والتأليف يسمح لمبدع عمل ما أن يقرر أي الحقوق يريد الاحتفاظ بها لنفسه، ويسمح لعامة الناس بالبناء فوق أفكاره في ذات الوقت. ربما تكون قد شاهدت عبارة حق النشر والتأليف المألوفة التي تقول «جميع الحقوق محفوظة». أما نظام المشاعات الإبداعية فهو نظام «بعض الحقوق محفوظة»[318].

سأروي لكم ماذا فعلت أنا وناشري مع هذا الكتاب. أولًا: قمنا بتحديد مدة سريان حق النشر والتأليف صراحةً بـ 14 عامًا، وكانت تلك هي المدة المعمول بها عندما صاغ مؤسسو أمريكا قانون حقوق النشر والتأليف لأول مرة. وكما ذكرت في الفصل الحادي عشر، فإن مدة سريان حق النشر والتأليف الحالية هي حياة المؤلف بالإضافة إلى 70 سنة، وهذه مدة طويلة جدًا لا تعطي المؤلف أي حوافز إضافية جادة حتى برغم أنها تعري مجالنا العام الحيوي.

ثانيًا: سوف ننشر هذا الكتاب على الويب ونقدمه مجانًا منذ اليوم الأول لطرحه في المكتبات. وكلمة مجانًا لا تعني في هذه الحالة الحق في إعادة طبعه من أجل إعادة بيعه، بل تعني الحق في إنزاله من على الويب وقراءته بدون شراء الكتاب. وبطبيعة الحال أنا أفضل أن تشتري الكتاب. واعتقد أنا وناشري أننا لن نخسر مبيعات إجمالًا، وأن الإنزال المجاني من على الويب سيخلق طلبًا أكبر وليس أقل على الكتاب. ولكن حتى إذا كنا مخطئين وعانينا ماليًا بسبب ذلك، فنحن على استعداد للمجازفة.

لماذا أفعل ذلك؟ لسببين: أولًا: إنني أؤمن بحق النشر والتأليف وأريد أن أدعمه - ولكن بالطريقة الصحيحة. ففي عملية الإبداع نحن نقف على أكتاف من سبقونا. ويعني حبس التراث خنق الابتكار الحيوي. وأنا لا أريد أن أكون واحدًا من الناس الذين يحولون الحماية المعقولة إلى سيطرة مطلقة، ثالثًا: أنا أتساءل عما سيفعله الناس بهذا الكتاب. فكر فيما حدث مع أحدث عمل للوارنس ليسيج والذي قام هو وناشره

بوضعه تحت ترخيص المشاعات الإبداعية. فقد قامت جماعة من الناس بإنشاء نسخة صوتية وحولها شخص آخر إلى Wiki. ولما كان أحد الأهداف التي أبغي تحقيقها من تأليف هذا الكتاب هو تشجيع التجريب، فإنني آمل أن يستخدم الناس - في حدود ترخيص «بعض الحقوق محفوظة» - هذا الكتاب من أجل توسيع المحادثة بطرق لم أتخيلها. بالطبع سيكون لدينا موقع ويب، ولكني آمل أن يكون مجرد البداية.

التغيرات اليومية

كان من ضمن التحليات - والمباهج - التي ارتبطت بتأليف هذا الكتاب مراقبة سرعة التغيرات التكنولوجية. ويبدو أنه ينشأ كل يوم موقع ويب جديد أو يقع حدث إخباري يبين مدى سرعة حدوث التحول. وعند حلول موعد طرح هذا الكتاب في المكتبات، ستبدو الخريطة مختلفة. وهذا أحد الأسباب التي تجعلنا ننشئ موقع ويب نابضًا بالحياة (http://wethemedia.oreilly.com) يراقب عن كثب التغيرات الحادثة ويطلع زواره باستمرار على كل ما هو جديد في مجال الأدوات المبتكرة وعلى الأحداث الهامة والرئيسية. وأرجو أن تتذكروا المشاركة في التطوير المستمر للموقع. ربما نكون بذلك قد وصلنا إلى نهاية الكتاب، لكن المحادثة لا تزال مستمرة - وهي تتعلق بمصالحك بقدر ما تتعلق بمصالحي.

آمل أن أكون قد ساعدتك على فهم الكيفية التي يحدث بها هذا التحول الإعلامي - هذه الطفرة في المحادثات - وإلى أين يتجه. والأهم من ذلك أنني آمل أن أكون قد أقنعتك بالوقوف في وجه التحدي بنفسك.

إن صوتك مهم. والآن إذا كان لديك شيء يستحق أن يقال يمكن أن تجد آذانًا صاغية.

إن بإمكانك أن تصنع الأخبار الخاصة بك.. كلنا نستطيع.

فهيا بنا نبدأ.

خاتمة الكتاب وشكر وتقدير

في عصر اليوم العاشر من مارس 2004، قمت بكتابة مسودة مقدمة هذا الكتاب والفصل الأول منه على مدونتي. وطلبت من القراء إخباري، ويفضل بواسطة البريد الإليكتروني، إن كانوا لاحظوا أية أخطاء في الوقائع. كما طلبت منهم أيضًا إخباري عما إذا كنت أغفلت أي موضوع حاسم أو ما إذا كانوا يعلمون سابقة مثالية ما أغفلتها أو كان يجب إدراجها بكل تأكيد.

رد على القراء. ونبهتني واحدة من رسائل البريد الإليكتروني الأولى لعنوان ويب خاطئ فقمت بتصحيحه على الفور. وأشارت رسالة أخرى إلى ورود خطأ في قسم عن برمجيات المصدر المفتوح.

واقترحت رسائل بريد إليكتروني أخرى، أن أسهب في الحديث عن نقاط معينة أو تساءلت عن سبب مناقشتي موضوعًا معينًا. وأصبح قسم التعليقات في مدونتي الإليكترونية مناقشة حول الكتاب.

لقد أصبحت الأفكار التي أناقشها في كتاب نحن الإعلام، جزءًا لا يتجزأ من التغطية الصحفية والكتابة المتصلة بالكتاب نفسه. وعندما بدأت لم أكن أعلم في الحقيقة ما الذي ينبغي أن أتوقعه. ولكنني أستطيع أن أقول الآن دون أي خوف من التناقض إن هذه العملية نجحت.

شكرًا لكم جميعًا.

الملخص والأفكار

كانت بداية انطلاق نسختي من الصحافة مفتوحة المصدر صاروخية. ففي أوائل ربيع عام 2003، قمت بوضع ملخص للكتاب على موقعي الإليكتروني ودعوت لإبداء تعليقات عبر البريد الإليكتروني. وكانت النتيجة هي امتلاء صندوق البريد الوارد عن آخره.

ثم وقعت كارثة صغيرة. فقد كنت قد نقلت جميع المقترحات إلى حافظة منفصلة في صندوق بريدي، ولكن عندما بحثت عنها بعد عدة شهور وجدتها اختفت. ولازلت لا أعرف إن كنت أنا السبب في حدوث ذلك أم مقدم خدمة الإنترنت. وفي أي الحالتين، فقد أصبت بالرعب، وذلك لأني لم أفقد فقط بعض الأفكار الممتازة بل لأنني لم أكن قد شكرت كل الذين قدموا لي اقتراحات. ولا حاجة للقول بأنني لم يكن لدى نسخة جارية محلية احتياطية على قرصي الصلب.

تمكنت من إعادة بناء بعض الرسائل من نسخة احتياطية قديمة وبعض الردود التي كنت قد أرسلتها وكانت لاتزال محفوظة لدى. لكن الكثير من الرسائل – وربما عدة آلاف منها – اختفى إلى الأبد. اعتبر ذلك اعتذارًا مني لكل من ينتمي منكم للفئة الأخيرة.

لكن التعليقات التي تمكنت من حفظها والتي وصلت إلى من جميع أنحاء العالم ساعدتني على بلورة أفكاري من أجل هذا الكتاب.

وقد جاء واحدٌ من أكثر التعليقات المبكرة عمقًا في التفكير من توم ستايتس وهو صديق قديم لي ورئيس تحرير وظفني يومًا ما وأصبح إحدى ركائزي في الصحافة. قال ضمن أشياء أخرى:

إذا كان ما تصفه هو صحافة الغد بحق، فإنني أخشى أن الديمقراطية محكوم عليها بالموت. وأنا أستهل كلامي بهذه العبارة التحذيرية لأنني أفهم أن ما تصفه هو نخبة صغيرة منشغلة بالمدونات السياسية / الإخبارية، وتحتاج الديمقراطية إلى صحافة

غدة تصل إلى جمهور عريض وتنشطه. إن نخبة المدونات التي أصفها ليست نخبة قوة منشآت الأعمال / الحكومة بل مجموعة من العالمين ببواطن الأمور رفيعي التعليم والثقافة والفضوليين بدرجة عميقة المتمحورين حول الكفء تكنولوجيًا. والحقيقة المحزنة هي أن معظم الناس مستهلكون سلبيون للأخبار، ولا يستطيعون بسبب اللغة الاصطلاحية للعالمين ببواطن الأمور التي تكتب بها المدونات عادةً، فك شفرة معظم المدونات. أما قطاع المواطنين الأذكياء والذين يسعون وراء الأخبار على نحو سباق فهو صغير جدًا ولا أعتقد أن هذا الحال سيتغير كثيرًا.

لقد تمنى قراء عديدون لو كنت نشرت الملخص على نحو يسمح لهم بإبداء تعليقات عليه بصورة مباشرة من خلال موقع Wiki مثلًا. وكم كان بودي أن أفعل ذلك لأن هذه الخطوة كانت ستبسط الأمور. وفي الكتب التي سأقوم بتأليفها في المستقبل، سأستخدم هذه الأدوات الإليكترونية بشكل أفضل.

أرسل إيلوين جينكينز Elwin Jenkins في مايكرو دوك نيوز Microdoc Mews (وهو موقع لم يعد يبدو إليكترونيًا للصحافة) اقتراحًا تحذيريًا قائلًا أنني أتعمق في موضوع الصحافة بأكثر مما يجب. وخلص في تعليق له على المدونة إلى أن: «كتَّاب المدونات ليسوا صحفيين. فنحن باحثون عن المعلومات وبناة معلومات وصناع معرفة. إننا أقرب شبهًا بالمعلمين منا بالصحفيين»[319]. قلت لنفسي كلام جميل لكن هذا الكتاب يتعلق بالصحافة وليس بمجال المدونات إجمالًا. ومع ذلك فقد كان تذكيري بالسياق الأوسع مفيدًا.

تلقيت اقتراحات حول كتب ينبغي قراءتها وأشخاص ينبغي إجراء مقابلات معهم، وسبل ينبغي سلوكها. وقد كتب أحد المراسلين وهو كريس جالكر Chris Gulker[320] عن «صالات الأخبار ذاتية التجميع»، وهي مفهوم أسعدني واستخدمته في العروض التي أقدمها وفي هذا الكتاب.

ومع مضي عام 2003، استخدمت مدونتي في مناقشة كثير من المفاهيم التي كتبت

عنها. وحينما كنت أرى قصصًا إخبارية مناسبة كنت أشير لها وسجلت ملاحظاتي الخاصة عن هذه الأمثلة المصغرة (أو الجزئية) للاتجاهات الكلية. كنت حينها قد شغّلت نظام التعليقات وانبرى القراء يقدمون ملاحظات مفيدة خاصة بهم.

المسودات والمواد المكتوبة الأخرى

قبل الشروع في تنفيذ هذا المشروع، دارت دردشة بيني وبين ديفيد واينبيرجر الذي استمتعت بقراءة كتابه الثاني «القطع الصغيرة المربوطة معًا بشكل غير محكم: نظرية موحدة للويب»[321]، وهو دراسة عميقة التفكير لهذا الوسيط. وكان قد قام بإنجاز الكتاب بصورة مفتوحة تمامًا من خلال وضع مسودات فصوله على موقعه الإليكتروني لكي يتمكن جمهوره من التعليق عليها.

يستخدم مطورو البرمجيات تعبير «البناء الليلي Nightly Build» ويعني آخر تحديث لبرنامج ما. وكان واينبيرجر يقوم فعليًا بعمليات بناء ليلي لكتابه. وسألته كيف تمت هذه العملية.

قال لي محذرًا: «لا تفعل ذلك». فقد كانت المتاعب التي كابدها أكثر مما تستحق. واعتقد أن وضع مسودات الفصول على المدونة فكرة جيدة ولكن ليس كل تغيير يقوم به. نصيحة جيدة وقد أخذنا بها.

بعد مرور بضعة أيام على قيامي بوضع مسودات المقدمة والفصل الأول لكتابي على المدونة، استلمت بريدًا إليكترونيًا من ستيفن ووترز Stephen Waters وهو ناشر مطبوعة Rome Sentinel في نيويورك. كتب يقول: «إن كان يهمك الأمر، فقد بذلت جهدًا لأعلق. وأرفق برسالته ملفًا احتوى على الفصل الأول بصيغة مايكروسوفت وورد، مع تشغيل خاصية «تتبع التغييرات» لكي أتمكن من مشاهدة التغييرات والاقتراحات التي قام بها»[322].

إن ووترز لم يبذل جهدًا فحسب، بل مزق المادة وتوقف عند المشكلات الصغيرة

والكبيرة التي رآها. وفي ملخصه في النهاية كتب يقول: «الوقت مناسب والموضوع مناسب ولكن كتابك يستحق أن يكون أفضل من ذلك».

بعد أن هدأت نفسي ولملمت كرامتي المبعثرة، فكرت فيما قاله واتصلت به.

وخلال محادثتنا ورسائل البريد الإليكتروني التالية علمت شيئًا عنه. إنه أخصائي حاسب آلي عاد إلى الصحيفة التي تملكها عائلته. كان قد درس التاريخ ويعشق مجال المدونات وما يمكن أن يفعله. وهو رجل عميق التفكير ولديه أفكار جيدة وكانت معرفته ببعض القضايا الهامة أكثر من معرفتي. لقد خط ووتر بقلمه الأزرق الافتراضي على كل فصل أودعته المدونة. ودرست بعناية وأناة مقترحاته وأدرجتها في الفصول.

أيضًا اتصل بي بعض الأشخاص الذين ذكرت عملهم في الكتاب. وقدم العديد منهم تصويبات أو إيضاحات وكان ذلك بالضبط ما كنت آمل في الحصول عليه وقد سعدت كثيرًا بالنتيجة.

يسعدني أن أقول إن عمليتنا ساهمت في إلهام مؤلفين آخرين. فقد ذكر روبرت سكوبل Robert Scoble وشيل إسرائيل Shel Israel اللذان يؤلفان كتابًا عن كتابة مدونات الأعمال، هذه العملية باعتبارها واحدة من العلامات المادية التي استرشدوا بها[323]. وقام الاثنان بإنشاء مدونة سجلا فيها التقدم الذي أحرزه كتابهما بشكل أكثر تفصيلًا. ويبدو لي أننا نشجع اتجاهًا مفيدًا بصورة جماعية.

هل تسربت أخطاء إلى داخل الكتاب في صورته المنشورة؟ بالطبع. فقد اكتشف القراء بعضها. و اكتشفنا نحن أنفسنا بعضها. وعثر كازوهيروتايرا Kazuhiro Taira الذي ترجم الكتاب لحساب أساهي Asahi وهو ناشر ياباني على أخطاء أخرى أثناء جهوده الدقيقة بصورة استثنائية. ولكن هل توجد أخطاء أقل عددًا مما كان يمكن أن يكون عليه الحال؟ بدون شك وهل احتوى الكتاب على فكر وفروق دقيقة في المعنى؟ أنا مقتنع بأن ذلك هو ما حدث.

بمعنى ما، كانت تجربتي اختبارًا للنسخة المقبلة من الصحافة. وقد أثبتت أنها عملية وهذا لا يثير استغرابي. وأعتقد أنها يمكن أن تفيد الجميع تقريبًا.

شكر وتقدير

أولًا أود أن أشكر الأشخاص الكثيرين الذين أرسلوا تعليقات إلى مدونتي واتصلوا بي أو كتبوا لي، عارضين مقترحاتهم وتعليقاتهم وتصويباتهم. ونظرًا لأنني فقدت بعضًا من بريدي كما أشرت من قبل، فإنني لا أستطيع أن أشكر كل فرد على حدة. (إذا كنت ضمن تلك المجموعة، أرجو إخباري وسوف أضيف اسمك إلى القائمة عندما تنشر إليكترونيًا وفي طبعات الكتاب في المستقبل). أما أولئك الذين لم أفقد رسائلهم (ومنهم عديدون استخدموا أسماء مستعارة) فيشملون: بول أندروز، نيك أرنيت، ألفريدو أسكانيو، جيري أشر، كيفن أيلوارد، فيل بيكر، أليسيو بالبي، بيتر باسوفين، بيل بور، مورتن باي، أندرو بيتش، مايكل بين، تيم بيشوب، تشارلز براونستاين، باز براجمان، سي آر برايان، سكوت بوركي، كيفن بيرتون، برايان دبليو جارفر، فرانك كاتالانو، ديفيد كاسيل، جلبرت كاتوار، جيليرمو سيركو، برايان كلارك، جو كلارك، مايكل أوكونور كلارك، مايكل كولينز، جويس كونكلين، جيف دانزيجر، توم دوليمبو، ديف دونلمو، جون دوجان، ستيفن داونسيت، آمي فيسمان، جريج إيلين، مارك فيدرمان، شون فيتزباتريك، جون فليك، ديف فليتشر، تريب فوستر، بيورن فريمان - بنسون، روندا جيرامي، وارد جيرلاتش، جون جيلمور، بيرني جولدباتش، فيل جوميز، كريس جالكر، ستيف هارمون، تيم هاردينج، إستر هارجيتاي، رودني هوفمان، دينيس هاول، رايان أيرلان، تيري إيرفينج، جوان جيكوبز، إيلوين جينكينز، نيكولاس جينكينز، دينيس جيرز، موري جونستون، جوردون جوزلوف، كريس كامينسكي، روهيت خار، سوزان كيتشينز، برايان كروس، توني لاسي، جيوف لانجهورن، لاري لارسون، ليونارد لين، هيثي ليتجينز، سكوت لوف، تريستان لويس، ريتشارد لاندكويست، زاك

لينش، مارك ماكبرايد، مايك ماكليستر، وين ميرسيه، جيم ميللر، بيل ميتشيل، نيل مور، أندرياموررو، روبرت نايلز، مورين س أوبرايان، مايك أويتز، إيفان أورينسكي، أندرو أورلويسكي، أولاف أوفريبو، نايجل بارتي، أنجيلا بيني، رالف بوول، مات بريسكوت، جيه بي رانجاسوامي، وين راسانين، سيليا ريدمور، ويليان ريسكي، كورماك راسيل، جيسون سالزمان، جاري د. ساندرز، جاري سانتورو، دان شيرليس، ترودي شويت، بام شوارتز، سوم راندوم هامانويل، كاثلين سيراكلين، ستيف سترووه، ارنست سفينسون، جلين توماس، فونسي تونسترا، مانوليس تزاجاراكيس، مايك بانكس. فالانتاين، إد فيلميتي، تايلور والش، جوناثان ويفر، جوشوا وييرج، دان وينتروب، أليكس ويليامز، فيل ودلف، جاي وودز، جيم زيلمر وإيثان زاكرمان.

وقد نزعت لتجاهل التعليقات التي قالت: «لا تستقل من وظيفتك النهارية» – إلا عندما شرح أصحابها السبب في اعتقادهم هذا. وأميل للتعلم من الأشخاص الذين يعتقدون أنني مخطئ أكثر من الأشخاص الذين يقولون إني مصيب. وعندما يسوقون أسبابًا أعيرها اهتمامًا شديدًا، حتى إذا ظللنا مختلفين في الرأي. وأود أن أشكر أولئك الذين اعترضوا على افتراضاتي ولو بأسلوب قاسي (وهم يعرفون أنفسهم).

لقد أغدق على أناس كثيرون جدًا من وقتهم (إحدى المعضلات التي واجهتني عند تأليف هذا الكتاب كانت ما إذا كان ينبغي أن أستخدم الأسماء الأولى عند الحديث عن أو الاقتباس من الأصدقاء والمعارف الكثيرين الذين استرشد عملي بعملهم ولذا فقد تم ذكره في النص: وقد استخدمت الأسماء الأخيرة مراعاةً للاتساق). ومن ضمن الأشخاص الذين ساعدوني على فهم هذه العملية من خلال المحادثات والمقابلات الرسمية و / أو المراسلات: كريس ألبرتون، كريس أندرسون، عظيم أزهر، جيف بيتس، جون بيري بارلو، كاميرون باريت، يوتشاي بنكلر، كريشنا باهارات، باز بروجان، ويس بويد، نيك برادبوري، بل برونستاين، دان بريكلين، جون بروكمان، كيفن بيرتون، جيسون ماكابي كلاكانيس، مارك كانتر، جيري سيبوس، ينج تشان،

جوكلارك، إد كون، روبرت كوكس، مارك كوبان، وارد كاننجهام، روب كيرلي، أنيل داش، نيك دنتون، حسين درخاشان، سامتي ديساناياكا، كوري دوكتورو، جاك دريسكول، إستر دايسون، بين إيدلمان، رينيه إيدلمان، تشارلز آيزيندراث، ديف فاربر، إد فلتن، راستي فوستر، كارل فريش، جلين فليشمان، آدم جافن، ستيف جيلمور، وايلي جيلمور، فيندوجويل، فيل جوميز، آمي جودمان، ريتش جوردون، جنيفر جرانيك، مات جروس، تيراسو جراب، جاستن هول، بيتر هارتر، مات هوي، سكوت هيفرمان، ماري هودر، ميج هوريهان، جيونج وون هيون، ديفيد أيسينبيرج، جوي إيتو، جيف جارفيس، سكوت جونسون، دينيس نيل، لانس نوبل، بروس كون، هوارد كيرتز، جيه دي لاسيكا، لي بونج ريول، لورانس ليسيج، تيم ليفيل، تشارلز لويس، أندرو ليه، كارلين ليلينجتون، كريس لوك، كيفن لينش، روب مالدا، ديفيد ماربورجر، جون ماركوف، كيفن ماركس،كاميرون مارلو، جوشوا ميكا مارشال، بيل ميتشيل، برايان مونرو، جريج نيومارك كريس نولان، أو يون هو، ستيف أوتنج، راي أوزي، كريس بيريللو، جون رازكويسكي، لي رين، ميتش راتكليف، ديفيد ريد، جريج ريتاكير، جلين رينولدز، هوارد رينجولد، جون روب، بيت روجاس، جيم رومينيسكو، جاي روسن، جاك روسن، سكوت روزنبرج، أفي روبن، سام روبي، كين سكامورا، روبرت سكوبل، هالي سوت، دوك سيرلز، ويندي سيلتزر، جيسون شيلين، كلاى شيركي، ديف سيفري، برينت سيمونز، مارك سميث، نيل ستيفنسون، توم ستايتس، إيرتي سفينسون، ريفاير تيتشاوت، جو تريبي، بن تروت، ميناتروت، سيفا فايد هاياناثان، جاك فاليتي، يومي فاردي، مارتن فوجل، إيريك فون هيبيل، جيمي ويلز، كريس وورنر، ملفرتون والاس، ستيفن ووترز، ديفيد وينبيرج، مايك وندلاند، ويل ويل ويتون، إيفان ويليامز، فيل ويندلي، ديف ونتر، ليونارد ويت، زيادة جوناثان زيترين، ماركوس موليتساس زونيجا، وآخرون اختاروا عدم الكشف عن أسمائهم. لكل هؤلاء أقول شكرًا وأعتذر لأي شخص لم أذكر اسمه بدون قصد.

لقد أجريت مقابلات مع بعض هؤلاء الأشخاص أولًا من أجل الأعمدة التي

كنت أكتبها في صحيفة سان جوزيه وإليكترونيًا على SiliconValley.com وهو موقع إليكتروني تابع للصحيفة وشركتها الأم نايت ريدر Knight Ridder. وبرغم أن زملائي الطيبين والموهوبين اعتقدوا أن قيامي بتأليف هذا الكتاب عمل جنوني، إلا أن طيبتهم منعتهم من قول ذلك. وأتوجه بالشكر الخاص لمحرري ميركوري نيوز الذين سمحوا لي بالعمل بنظام الدوام الجزئي أثناء عملي في هذا المشروع.

وأشكر استر ديسون ودافني كيس وكريستينا كوكوس وزملاؤهم في Release 1.0 الذين كتبت عددًا من نشراتهم الإخبارية عن المدونات و RSS. ويحتوي هذا الكتاب على جزء من مادة ذلك المقال.

وقد قام كوري دوكتورو، جيه دي لاسيكا، لاري ليسيج، ويندي سيلتزر، دان شيفر، ليونارد ويت وجيف جارفيس بقراءة مسودات الفصول وأحيانًا المسودات المبكرة جدًا وساعدوني على فهم أين انحرفت عن صلب الموضوع وأين كنت منطقيًا ومفهومًا. وكما سبق أن ذكرت. فقد شجعني ستيفن ووتوز (محرر الصحيفة في ولاية نيويورك) على الاجتهاد في العمل أكثر. وتجاوز جاي روسن حدود الواجبات الوظيفية من خلال قيامه بقراءة الفصول والدخول معي في العديد من المناقشات الطويلة.

ويتغلل تفكيره في تفكيري عن هذه النقطة. وكانت استبصارات وتشجيع هوارد رينجولد مفيدة بصورة لا حد لها. وكان دوك سيرلز مذهلًا.

يبهرني تيم أورايلي Tim O'Reilly، مؤسس والرئيس التنفيذي لأورايلي ميديا O'Reilly Media ناشر هذا الكتاب بصورة مستمرة بتركيبته الفريدة من رزانة التفكير وسخاء الروح. وعندما وصفت له الفكرة في 2002 قال على الفور أنه يرغب في نشر الكتاب، ولكنه أعتقد أنني سأكون أفضل حالًا من الناحية المالية مع دار نشر إيست كوست هاوس. ولكنني تمسكت به برغم الجهود التي بذلتها وكالة أدبية مرموقة. وعندما أتأمل ما حدث أشعر بالسعادة لأن العمل مع تيم وفريقه - الذي ضم رايل دورنفيست وبيتي واليزويسكي وسارة وينجر - كان متعة حقيقية.

وقد رعي ألين نورتي – وهو محرر في أورايلي ميديا ومؤلف ممتاز – هذا الكتاب وحرره.. وإنني شديد الإعجاب بصبره وعمق تفكيره وحسه السليم. وقد تحداني باستمرار لجعل هذا الكتاب أفضل، وإذا كان ذلك فإنه يستحق أن ينسب له الفضل الأكبر في ذلك. شكرًا يا ألين.

ونوريكو تاكي جوتشي ينبوع لا ينضب أبدًا من الهدوء والمرح. وقد تحملت ساعاتي الطويلة بصورة غير معقولة – ومنها شهور من رنين المنبه في أوقات مبكرة بصورة غير معقولة – وكانت تحثني على العمل عندما أتكاسل. إنها تجعلني عاقلًا.. إنها تنير حياتي.

موقع الدليل

20six: http://www.20six.co.uk/
50 Minute Hour: http://www.50minutehour.net/
ActiveWords: http://www.activewords.com/
AllConsuming: http://www.allconsuming.com/
Amazon Light: http://www.kokogiak.com/amazon/
Amazon's Web Services:
http://www.amazon.com/gp/aws/landing.html/102-2039287-6152169
American Journalism Review: http://www.ajr.org/
Back to Iraq: http://www.back-to-iraq.com/
Jack Balkin: http://balkin.blogspot.com/
BBC iCan project: http://www.bbc.co.uk/ican/
Yochai Benkler: http://www.benkler.org/
Erik Benson: http://erikbenson.com/
Berkeley Intellectual Property Blog:
http://journalism.berkeley.edu/projects/biplog/
BitTorrent: http://bitconjurer.org/BitTorrent/
Blogads: http://www.blogads.com/
Blogger: http://www.blogger.com/
Blogging of the President: http://www.bopnews.com/
BoingBoing: http://www.boingboing.net/
Boston Online: http://www.boston-online.com/
Bush in 30 Seconds: http://www.bushin30seconds.org/
Center for Public Integrity: http://www.publicintegrity.org/
Chilling Effects Clearinghouse: http://www.chillingeffects.org/
Cluetrain Manifesto: http://www.cluetrain.com/
Columbia Journalism Review: http://www.cjr.org/
Columbia Journalism Review's "Campaign Desk":
http://www.campaigndesk.org/
Command Post: http://www.command-post.org/
Consumer Project on Technology: http://www.cptech.org/
Creative Commons: http://www.creativecommons.org/
Adam Curry: http://live.curry.com/
CyberJournalist: http://www.cyberjournalist.net/
Daily Kos: http://www.dailykos.com/

Howard Dean blog: http://blog.deanforamerica.com/
Dean Defense Forces: http://www.deandefense.org/
DeanSpace: http://www.deanspace.org/
DefenseLink: http://www.defenselink.mil/
Democracy Now: http://www.democracynow.org/
Nick Denton: http://www.nickdenton.org/
John Dowell's MX Blog: http://www.markme.com/jd/
Matt Drudge: http://www.drudgereport.com/
Earth911: http://www.earth911.com/
Edventure Holdings: http://www.edventure.com/
Electronic Frontier Foundation: http://www.eff.org/
Engadget: http://www.engadget.com/
Fair and Accuracy in Reporting: http://www.fair.org/
FCC Spectrum Policy Task Force: http://www.fcc.gov/sptf/
FeedDemon: http://www.bradsoft.com/feeddemon/index.asp
Feedster: http://www.feedster.com/
Fleshbot: http://www.fleshbot.com/
Free Software Foundation: http://www.fsf.org/
Gawker: http://www.gawker.com/
Dan Gillmor's blog: http:// dangillmor.typepad.com
Gizmodo: http://www.gizmodo.com/
GNU Project: http://www.gnu.org/
Go Skokie: http://goskokie.com/
Phil Gomes: http://www.philgomes.com/blog/
GoogObits: http://www.googobits.com/
Google's API: http://www.google.com/apis/
Google Groups: http://groups.google.com/
Google News: http://news.google.com/
Groklaw: http://www.groklaw.net/
Chris Gulker: http://www.gulker.com/
Justin Hall: http://www.links.net/
Rex Hammock: http://www.rexblog.com/
Healing Iraq: http://healingiraq.blogspot.com/
Hoder's "Editor:Myself" blog: http://hoder.com/weblog/
Dennis Horgan: http://denishorgan.com/
Meg Hourihan: http://www.megnut.com/
Indymedia: http://www.indymedia.org/
Interesting People Mail List: http://www.interesting-people.org/
Ipoding: http://www.ipoding.com/
IT Conversations: http://www.itconversations.com/
Joi Ito: http://joi.ito.com/
Junior Journal: http://journal.jrsummit.net/

Kataweb: *http://www.kataweb.it/*
Valdis Krebs' political book-buying analysis:
http://www.orgnet.com/divided.html
Kristof Responds:
http://forums.nytimes.com/top/opinion/readersopinions/forums/editorialsoped/opedcolumnists/kristofresponds/
KuroShin: *http://www.kuro5hin.org/*
Lawrence Journal-World: *http://www.ljworld.com/*
Ken Layne: *http://www.kenlayne.com/*
Sheila Lennon blog: *http://www.projo.com/blogs/shenews/*
Lawrence Lessig: *http://www.lessig.org/blog/*
LiveJournal: *http://www.livejournal.com/*
LockerGnome: *http://www.lockergnome.com/*
Donald Luskin: *http://www.poorandstupid.com/*
Macromedia: *http://www.markme.com/mxna/index.cfm*
Tom Mangan: *http://tommangan.net/*
Janet "StrollerQueen" McLaughlin: *http://www.strollerqueen.com/*
McSpotlight: *http://www.mcspotlight.org/*
Meetup: *http://www.meetup.com/*
Melrose Mirror: *http://toy-story.media.mit.edu:9000*
Memory Hole: *http://www.thememoryhole.org/*
Susan Mernit: *http://susanmernit.blogspot.com/*
Microsoft Channel 9: *http://channel9.msdn.com/*
Microsoft Newsbot: *http://newsbot.msn.com/*
Moreover: *http://www.moreover.com/*
MoveOn: *http://www.moveon.org/*
Tom Murphy blog: *http://www.natterjackpr.com/*
MyYahoo RSS: *http://add.my.yahoo.com/s/about/rss/index.html*
National Debate: *http://www.thenationaldebate.com/*
NetNewsWire: *http://www.ranchero.com/*
News.com: *http://www.news.com/*
NewsIsFree: *http://www.newsisfree.com/*
New Media Musings: *http://www.newmediamusings.com/*
New York Times forums: *http://www.nytimes.com/pages/readersopinions/*
Kaycee Nicole FAQ: *http://www.rootnode.org/article.php?sid=26*
Nieman Reports: *http://www.nieman.harvard.edu/*
Nublog: *http://www.contenu.nu/*
OhmyNews: *http://ohmynews.com/*
Online Journalism Review: *http://www.ojr.org/*
Ray Ozzie: *http://www.ozzie.net/blog/*
Pacific News Service *http://news.pacificnews.org/news/*
Patterico: *http://patterico.com/*

Pets911: http://www.pets911.com/
Pew Internet Project: http://www.pewinternet.org/
Tim Porter: http://www.timporter.com/
Public Journalism Network: http://www.pjnet.org/
David Reed: http://www.reed.com/
The Register: http://www.theregister.co.uk/
Alan Reiter's wireless blog: http://reiter.weblogger.com/
Glenn Reynolds (Instapundit): http://www.instapundit.com/
John Robb: http://jrobb.mindplex.org/
Jim Romenesko: http://poynter.org/Romenesko/
Jay Rosen's PressThink: http://journalism.nyu.edu/pubzone/weblogs/pressthink/
Salon Blogs: http://www.salon.com/blogs/
Doc Searls: http://doc.weblogs.com/
Robert Scoble: http://scoble.weblogs.com/
Clay Shirky: http://www.shirky.com/
Sign On San Diego: http://www.signonsandiego.com/
SilverStringer: http://silverstringer.media.mit.edu/
Six Apart: http://www.sixapart.com/
Slate Fraywatch: http://fray.slate.msn.com/id/2099475/
Smart Mobs: http://www.smartmobs.com/
Marc Smith: http://research.microsoft.com/~masmith/
SocialText: http://www.socialtext.com/
Spokane Spokesman-Review: http://www.spokesmanreview.com/
Sreenath Sreenivasan: http://sree.net/
Ernest Svenson: http://www.ernietheattorney.net/
Tom Standage site: http://www.tomstandage.com/
Stanford Cyberlaw Clinic: http://cyberlaw.stanford.edu/
Andrew Sullivan: http://www.andrewsullivan.com/
Syndic8: http://www.syndic8.com/
Talking Points Memo: http://www.talkingpointsmemo.com/
Technorati: http://www.technorati.com/
Technorati Developers Center:
http://www.technorati.com/developers/index.html
Times on the Trail: http://www.nytimes.com/pages/politics/trail/
Tobacco Control Archives: http://www.library.ucsf.edu/tobacco/
Tron Project: http://tron.um.u-tokyo.ac.jp/
Turnitin: http://www.turnitin.com/
Jon Udell: http://weblog.infoworld.com/udell/
Urban Legends: http://www.snopes.com/
UserLand Software: http://www.userland.com/
Siva Vaidhyanathan: http://www.nyu.edu/classes/siva/
Erich Von Hippel: http://web.mit.edu/evhippel/www/cv.htm

Wall Street Journal "Best of the Web": http:/www.opinionjournal.com/best/
Washington Post Live Online: http://www.washingtonpost.com/wp-srv/liveonline/
Washington Post White House Briefing:
http://www.washingtonpost.com/wp-dyn/politics/administration/whbriefing/
We Media: http://www.hypergene.net/wemedia/weblog.php
Weblogs Inc.: http://www.weblogsinc.com/
Dan Weintraub blog: http://www.sacbee.com/insider/
We the Media: http://wethemedia.oreilly.com/
Wil Wheaton: http://www.wilwheaton.net/
Wiki: http://c2.com/cgi/wiki/
WikiTravel: http://www.wikitravel.org/
Phil Windley: http://www.windley.com/
Dave Winer's Scripting News: http://www.scripting.com/
Wonkette: http://www.wonkette.com/
WordPirates: http://www.wordpirates.com/
World Intellectual Property Organization: http://www.wipo.org/
Yahoo Groups: http://groups.yahoo.com/

مسرد المصطلحات

الحاسب العميل (Client):

جهاز حاسب مثل حاسب شخصي (PC) أو منظم محمول باليد أو هاتف محمول يطلب وثائق من حاسب خادم. على سبيل المثال: شخص يتصفح الويب من خلال حاسب شخصي عميل ويسترجع معلومات من حاسبات خادمة تستضيف صفحات على الويب.

قاعدة البيانات (Database):

مجموعة من البيانات، تكون عادةً في صورة مهيكلة، يمكن البحث فيها وتحليلها والاستفسار عنها. ومن الممكن أن تحتوي قواعد البيانات على نص وأعداد وصور وحتى وسائط متعددة كالفيديو. على سبيل المثال القوائم المنشورة على Amazon.com موجودة في قاعدة بيانات.

البرمجيات الحرة (Free software):

هي برمجيات تكون تعليمات البرمجة أو كود المصدر متاحة فيه بحرية وقابلة للإنزال من على الإنترنت والتعديل. وتشمل الأمثلة على البرمجيات الحرة (المعروفة أيضًا ببرمجيات المصدر المفتوح) نظام تشغيل لينوكس Linux.

القرصنة (Hacking):

التوغل داخل برنامج أو شبكة ما بهدف الاستكشاف أحيانًا وإدخال تحسينات أحيانًا أخرى. وبعض القراصنة يكونون حاقدين ويسببون ضررًا أو أعطوا كلمة «قرصان» اسمًا سيئًا. وتشمل الأمثلة على القرصنة «الجيدة» تحديث أو تحسين

أجهزة مادية مثل السيارات أو أجهزة الحاسب الشخصي بطرق ليس مصرحًا بها تحديدًا من جانب الصانع.

لغة ترميز النص الفائق (Hypertext Markup Language) (HTML)

لغة ترميز نصية تقرأها برامج تصفح الويب لعرض صفحات الويب. ولكي تشاهد لغة HTML الخاصة بأي صفحة على الويب اختر قائمة Source ← View في أي برنامج تصفح.

لينوكس (Linux):

نظام تشغيل مفتوح المصدر يشبه يونيكس يشغّل غالبية الحاسبات الخادمة على الإنترنت وقد صُمم لينوكس كبديل مجاني لنظم التشغيل المكلفة مثل يونيكس وويندوز.

القائمة البريدية (Mailing List):

قائمة بريد إليكتروني موجهه نحو الموضوع يشترك فيها الناس. ويستلم كل عضو اشترك في القائمة جميع الرسائل المرسلة إلى القائمة. ومن الأمثلة الواردة في هذا الكتاب القائمة البريدية الخاصة بديف فاربر والمسماة Interesting People (أشخاص مثيرون للاهتمام).

برمجيات المصدر المفتوح (Open Source Software)

هي برمجيات تتم بشكل جماعي تطويرها وإدارتها وتوزيعها من قبل أشخاص كثيرين في أنحاء العالم. وتتضمن الأمثلة على برمجيات المصدر المفتوح نظام تشغيل لينوكس وبرمجيات الحاسبات الخادمة أباتشي وبرمجيات قاعدة البيانات MySQL. وبرمجيات المصدر المفتوح متاحة بحرية و «مفتوحة» بحيث يمكن تعديل كود المصدر.

نظام التشغيل (Operating System)

البرمجيات الأساسية التي تنظم وتتحكم في جميع البرامج والعمليات في حاسب آلي ما. وتشمل الأمثلة على نظم التشغيل لينوكس، OSX، يونيكس وويندوز.

الند للند (Peer-to-peer)

نظام اتصالات يسمح بالتشارك في الملفات مثل النص والصوت والفيديو عبر الشبكات. والمثال الأكثر شهرةً لنظام ند لند هو نظام نيبيستار الأصلي للتشارك في الملفات الموسيقية.

نظام تبادل المحتوى أو الأخبار (RSS) Really Simple Syndication

هو بروتوكول لوصف الأخبار أو المعلومات الأخرى على مواقع الويب للاشتراك فيها من جانب مواقع ويب وأجهزة اتصالات أخرى مثل الهواتف المحمولة. وتتم قراءة ملفات RSS بواسطة برمجيات معروفة باسم «المجمّعات» أو «قارئات الأخبار» تعرض المعلومات.

الحاسب الخادم (Server):

جهاز حاسب آلي يرسل النص والصوت وملفات الفيديو إلى حاسبات أخرى. وعندما تنقر على وصلة ما على صفحة ويب، يرسل حاسب خادم الملفات المطلوبة لعرضها على برنامج تصفح.

نظام الرسائل القصيرة (SMS) Short Message System

نظام اتصالات نصية مستخدم على الهواتف المحمولة على نطاق واسع. وعند استخدام هذا النظام يستطيع ملّاك الهواتف المحمولة إرسال رسائل نصية قصيرة إلى بعضهم.

مدونة الويب (Weblog)

دفتر يوميات إليكتروني يحتوي على مواد قصيرة مكتوبة إليكترونيًا بترتيب تاريخي معكوس عادة (المادة الأحدث زمنيًا أولًا). وتشمل الأمثلة مدونتي الموجودة على

http://dangillmor.typepad.com/

ويكي (Wiki):

برنامج يسمح لأي شخص بإنشاء وتحرير صفحات ويب بحرية باستخدام متصفح ويب. وتعد ويكيبيديا (http://www.wikipedia.org) وهي عبارة عن موسوعة إليكترونية – مثالاً لبرنامج Wiki.

الحواشي الختامية

INTRODUCTION

1. Esther Dyson's column about Nacchio incident can be found at *http://www.edventure.com/conversation/article.cfm?Counter=8648145*.
2. I'm convinced Nacchio was perfectly capable of annoying the audience all by himself. Clay Shirky, also in the room that day, felt the mood shifting, and wondered why until someone pointed out the blogging on a nearby computer screen. He told me:
   "Now, normally, a blog entry like this would take a day or so to ripple outwards, but because this was such a wired crowd and, frankly, because Nacchio's talk was so dull, a lot of people were catching up on their blog reading during the talk, and even people not reading were near people who were. So the whole thing, from discovery to publication to spread, got really compressed, and basically happened during the time he was onstage.

CHAPTER 1, FROM TOM PAINE TO BLOGS AND BEYOND

3. Cambridge University Press, 2003
4. Bimber also observes that the Founders based their new nation essentially on information. An informed electorate was necessary to self-government. The Federalist papers, newspapers, and other writings were the beginnings of the world's first information-based society.
5. Tom Standage's *The Victorian Internet* (1998) observes the remarkable similarities in rise of 19th-century telegraph networks and the modern Internet, including stock market bubbles, absurd predictions, and, in the end, the rise of an enormously powerful tool for communications (*http://www.tomstandage.com*).
6. *Nation* magazine, July 21, 2003.
7. In the early 1970s, big newspaper companies persuaded Congress to pass a "newspaper preservation" law that limited antitrust enforcement. The law let competing newspapers merge their advertising, printing, and circulation staffs while maintaining separate newsrooms and publishing two papers. My company, Knight Ridder, enjoys the fruits of several such Joint Operating Agreements, as they're called. If there was ever a justification for this law, which is doubtful, the Net makes it less justifiable now. The nation would be better off if the law was repealed.

8. Direct mail has also pulled advertisers away in large numbers, notes Stephen B. Waters, publisher of the *Rome Sentinel* in upstate New York. "In 1979 they rejiggered the rates to begin to suck up advertising to keep postponing until the next elections a day of reckoning because of a bloated, expensive labor force," he wrote me. "The advertising dollar has gone to Direct Marketing, not radio and television. It still is the case."
9. I rely on somewhat fading memory, not archives, for the details of my XyWrite programming-assistance story.
10. Usenet newsgroups live on today in many forms, including "Google Groups" (*http://groups.google.com*).
11. Left-wing groups were also using these systems to organize, but from my observations at the time, not as effectively.
12. The MIDI standard (*http://www.midi.org*) revolutionized music, and continues to do so.
13. For example, see the Pacific News Service (*http://news.pacificnews.org/news/*).
14. Howard Kurtz column: *http://www.washingtonpost.com/wp-dyn/nation/columns/kurtzhoward/*.
15. Justin Hall: *http://www.links.net*.
16. Being available worldwide isn't the same as being seen worldwide. In his essay, "Power Laws, Weblogs, and Inequality" (*http://www.shirky.com/writings/powerlaw_weblog.html*), Clay Shirky observes that in a system such as the blog arena, "where many people are free to choose between many options, a small subset of the whole will get a disproportionate amount of traffic (or attention, or income), even if no members of the system actively work towards such an outcome. This has nothing to do with moral weakness, selling out, or any other psychological explanation. The very act of choosing, spread widely enough and freely enough, creates a power law distribution." But he adds that newcomers can gain significant audiences nonetheless.
17. McGraw-Hill, 1964.
18. Bantam Books/Random House, 1967.
19. William Morrow, 1980.
20. Cluetrain Manifesto: *http://www.cluetrain.com*.
21. Dave Winer's "Scripting News" blog: *http://www.scripting.com*.
22. UserLand Software: *http://www.userland.com*.
23. GNU Project: *http://www.gnu.org*.
24. In the early 1990s, after many of the core pieces of Stallman's software project had been created, Torvalds, then a Finnish college student, wrote a "kernel," the core element of what became Linux. It's important to recognize, as Torvalds gladly does, that Linux derived from Stallman's original vision.

25. Stallman and others in the free software movement strongly object to the "open source" terminology. For more on why, visit the Free Software Foundation's site (*http://www.fsf.org*).
26. Proprietary software makers and some security experts dispute this, saying open code is not inherently safer. But "security through obscurity" is plainly not a workable answer, either.
27. Coase's Penguin: *http://www.benkler.org/CoasesPenguin.html*.
28. Kuro5hin: *http://www.kuro5hin.org*.
29. Leonard Witt , professor of communications at Kennesaw State University in Georgia (*http://www.kennesaw.edu/communication/witt.shtml*), persuasively argues that blogs and other bottom-up journalism are doing what advocates of "public journalism"—the idea that journalists have an obligation to further civic discourse and improvement—have been pushing for years, with limited interest from professional journalists. Witt says "intermediaries are no longer needed as public journalism morphs into the public's journalism." See the essay by blogger Tim Porter, who delves deeply into these subjects, for more on this notion (*http://www.timporter.com/firstdraft/archives/000246.html*).
30. Interesting People Mail List: *http://www.interesting-people.org*.
31. 50 Minute Hour: *http://www.50minutehour.net/archive/2001_09_01_index.htm*.
32. "Gus," the Brooklyn blogger: *http://www.spies.com/~gus/ran/0109/010911.htm*.
33. Meg Hourihan blog: *http://www.megnut.com/archive.asp?which=2001_09_01_archive.inc*.
34. Tamim Ansary: "An Afghan-American speaks": *http://dir.salon.com/news/feature/2001/09/14/afghanistan/index.html*.chapter 2, the read-write web
35. *The Guardian*, one of the most prominent national newspapers in the United Kingdom, offers thoughtful, hard-hitting journalism from a slightly left-of-center perspective. In the weeks before the 2003 Iraq war, the site saw a big increase in visitors. This happened to most serious newspapers, but *The Guardian*'s traffic boost came in large part from Americans. What were they looking for? No one is absolutely certain, but Simon Waldman, who runs *The Guardian*'s online operations, told me he believed many of the American visitors were looking for something they couldn't find in the U.S. press: a different perspective from the relentlessly pro-war coverage they were seeing at home. I leaned in favor of the war, but I was appalled at the lack of nuance in American journalism during a time when about half the population opposed the war.
36. Scribner, 2002

37. Steven Johnson interview: *http://www.oreillynet.com/pub/a/network/2002/02/22/johnson.html*.
38. David Isenberg's "Rise of the Stupid Network": *http://www.hyperorg.com/misc/stupidnet.html*.
39. Yahoo Groups: *http://groups.yahoo.com*.
40. Gizmodo: *http://www.gizmodo.com*.
41. Wi-Fi Networking: *http://wifinetnews.com*.
42. Jay Rosen's PressThink: *http://journalism.nyu.edu/pubzone/weblogs/pressthink/*.
43. Six Apart: *http://www.sixapart.com*.
44. Radio UserLand: *http://radio.userland.com*.
45. LiveJournal: *http://www.livejournal.com*.
46. Blogger: *http://www.blogger.com*.
47. 20six: *http://www.20six.co.uk*.
48. Wiki: *http://c2.com/cgi/wiki*.
49. Cunningham's Wiki categories: *http://c2.com/cgi/wiki?CategoryCategory*.
50. WikiTravel: *http://www.wikitravel.org*.
51. Instant messaging is also one way people spread news, mostly in the U.S., but SMS is much more global and destined, as devices become more mobile, to be *the* headline service of the Digital Age.
52. Perseus, 2002
53. Rheingold's Smart Mobs web site continues to follow this evolution: *http://www.smartmobs.com*.
54. See *The Washington Post*'s coverage of banned camera phones at *http://www.washingtonpost.com/ac2/wp-dyn/A49274-2003Sep22*.
55. Blogging of the President: *http://www.bopnews.com*.
56. Full disclosure: I've been a guest several times on the program.
57. IT Conversations: *http://www.itconversations.com*.
58. BitTorrent: *http://bittorrent.com*.
59. LockerGnome: *http://www.lockergnome.com*.
60. NetNewsWire: *http://www.ranchero.com*.
61. FeedDemon: *http://www.bradsoft.com/feeddemon/index.asp*.
62. NewsIsFree: *http://www.newsisfree.com*.
63. Syndic8: *http://www.syndic8.com*.
64. Feedster: *http://www.feedster.com*.
65. Technorati: *http://www.technorati.com*.

CHAPTER 3, THE GATES COME DOWN

66. For considerably more detail on the Lott incident, see the case study from the Shorenstein Center at Harvard University's Kennedy School of Government (*http://blogs.law.harvard.edu/2004/03/08*). Blogger Mickey

Kaus(http://slate.msn.com/id/2075444&#darkmatter) says some well-timed emails from a Democratic political operative played a role, though this is less clear.

67. Talking Points Memo: http://www.talkingpointsmemo.com.
68. CNET quotes Intel executive on Pentium bug: http://news.com.com/20091001_3-224567.html.
69. MacMerc on how to win the Pepsi iTunes giveaway: http://www.macmerc.com/news/archives/1270.
70. The primary source for this section is a translation from a book by Chinese journalist Zhang Shumei, who played a key role in these events.
71. Hong Kong government's use of SMS: *The Guardian*, April 3, 2003. http://www.guardian.co.uk/online/news/0,12597,928906,00.html?=rss
72. Camera phone abduction story: http://www.cnn.com/2003/TECH/ptech/08/01/camphone.abduction/.
73. Slashdot: http://slashdot.org
74. Slashdot user exposes Microsoft PR trick: http://apple.slashdot.org/apple/02/10/14/1232229.shtml?tid=109.
75. McSpotlight: http://www.mcspotlight.org.
76. Tobacco Control Archives: http://www.library.ucsf.edu/tobacco/.
77. Memory Hole: http://www.thememoryhole.org.
78. Greenwood Pub Group, 1914.
79. One site's instructions on upgrading digital video recorder: http://echostaruser.manilasites.com/dpclone.
80. iPoding: http://www.ipoding.com.
81. EDN Access story on auto codes: http://www.e-insite.net/ednmag/index.asp?layout=article&articleid=CA46067.
82. A company called Dinan (http://www.dinancars.com) sells software upgrades for the BMW line, removing a governor that limits top speed in the U.S. Although I can't see why this is needed—and can imagine many improper uses— BMW's Big-Brotherish settings are also annoying.
83. Erich Von Hippel: http://web.mit.edu/evhippel/www/cv.htm.
84. Tron Project: http://tron.um.u-tokyo.ac.jp.
85. Marc Smith: http://research.microsoft.com/~masmith.
86. CNETAsia: http://asia.cnet.com/newstech/communications/0,39001141,39127700,00.htm
87. *The New York Times Magazine*: http://www.nytimes.com/2001/02/25/magazine25STOCKTRADER.html?ei=5070&en=84cb0288bcd4667a&ex=1083211200&pagewanted=print.
88. Doc Searls on the Segway: http://doc.weblogs.com/2001/12/05#theSecrecyGame.

89. The Marketing of the President, 2004," *Baseline Magazine*: http://www.baselinemag.com/article2/0,3959,1410983,00.asp.
90. Perseus Books, 1998.
91. Matt Smith column on Poindexter: http://www.sfweekly.com/issues/2002-12-24/smith.html/1/index.html.
92. Cryptome: http://cryptome.org/tia-eyeball.htm.
93. Information Awareness Office: http://www.darpa.mil/iao/.
94. Jim Romenesko's Poynter Institute media blog: http://poynter.org/Romenesko.
95. *The New York Times* report on Blair incident: http://www.nytco.com/committeereport.pdf.
96. Donald Luskin blog: http://www.poorandstupid.com.

CHAPTER 4, NEWSMAKERS TURN THE TABLES

97. *The Washington Post* interview with Donald Rumsfeld: http://www.defenselink.mil/news/Feb2002/t02052002_t0109wp.html.
98. The assumption of accuracy is not automatic, and the Pentagon severely compromised its credibility in April 2004 in a similar circumstance. According to *The Washington Post* (http://www.washingtonpost.com/wpdyn/articles/A28729-2004Apr20.html), the Defense Department "deleted from a public transcript a statement Defense Secretary Donald H. Rumsfeld made to author Bob Woodward suggesting that the administration gave Saudi Arabia a two-month heads-up that President Bush had decided to invade Iraq." Woodward provided his own transcript. Will journalists and sources be posting dueling transcripts in the future?
99. Phil Gomes blog: *blog*: http://www.philgomes.com/blog.
100. ActiveWords: http://www.activewords.com.
101. Tom Murphy blog: http://www.natterjackpr.com.
102. Ray Ozzie blog: http://www.ozzie.net/blog/.
103. Mark Cuban's Blog Maverick: http://www.blogmaverick.com.
104. John Dowdell's MX Blog: http://www.markme.com/jd/.
105. Macromedia aggregated blogs: http://www.markme.com/mxna/index.cfm.
106. Microsoft Channel 9: http://channel9.msdn.com.
107. Windley is now a consultant on enterprise computing (http://www.windley.com).
108. Robert Scoble's Scobleizer blog: http://scoble.weblogs.com.
109. Scoble's "Corporate Weblog Manifesto" list: http://radio.weblogs.com/0001011/2003/02/26.html#a2357.
110. Ernest Svenson's Ernie the Attorney blog: http://www.ernietheattorney.net.
111. Wil Wheaton blog: http://www.wilwheaton.net 112. O'Reilly, 2004.

113. Cisco's RSS feeds: http://tools.cisco.com/newsroom/contactSearch/jsp/syndicationSearch.jsp.
114. Jon Udell's PR instructions: http://weblog.infoworld.com/udell/2002/08/14.html#a383.
115. NUblog: http://www.conteou.nu.116. Alan Reiter's wireless blog: http://reiter.weblogger.com.
117. Janet "Stroller Queen" McLaughlin: http://www.strollerqueen.com.
118. *The Wall Street Journal,* Sept. 8, 2003, page one article.
119. Engadget: http://www.engadget.com.

CHAPTER 5, THE CONSENT OF THE GOVERNED

120. Daily Kos: http://www.dailykos.com.
121. Blogads: http://www.blogads.com.
122. *Wired News* story by Chris Ulbrich on Chandler and blog advertising: http://www.wired.com/news/politics/0,1283,62325,00.html.
123. Perseus, 2002.
124. Meetup: http://www.meetup.com.
125. At a dinner in Vermont while I was visiting the campaign, an old friend of Dean's (and mine; I lived in Vermont for almost 15 years until the mid-1980s) turned to me as I was describing my positive impressions of the Dean Internet activities and said, "But Howard's such a Luddite." Vermonters, I discovered, were amused by the former governor's Net savvy, because he'd been reluctant, at best, to bring the most advanced technology into state government until well into his latter terms. Another person at the table offered, "But he learns fast."
126. Dean's official blog site: http://blog.deanforamerica.com.
127. Dean Defense Forces: http://www.deandefense.org.
128. Dean campaign spam story by Declan McCullagh: http://news.com.com/2100-1028_3-5065141.html.MoveOn: http://www.moveon.org.
130. Bush in 30 Seconds: http://www.bushin30seconds.org.
131. DeanSpace: http://www.deanspace.org.
132. Command Post: http://www.command-post.org.
133. The Schwarzenegger campaign was an exception. Local TV covered the recall and the candidates' positions with surprising fervor, perhaps due to the actor's star power.
134. Joi Ito's "Emergent Democracy" paper: http://joi.ito.com/static/emergentdemocracy.html.
135. Cameron Barrett quote: http://weblog.siliconvalley.com/column/dangillmor/archives/010238.shtml.
136. Earth 911: http://www.earth911.com.

137. Pets 911: http://www.pets911.com
138. DefenseLink: http://www.defenselink.mil.
139. Note some parallels here with journalism (and other institutions being affected by the Internet)—threats to all kinds of centralized power structures from the edges, where technology gives disproportionate capabilities to individuals.
140. John Robb: http://jrobb.mindplex.org.
141. Mancy column in *USA Today*: http://www.usatoday.com/tech/columnist/2001/10/24/maney.htm.

CHAPTER 6, PROFESSIONAL JOURNALISTS JOIN THE CONVERSATION

142. *Jane's Intelligence Review* thanks Slashdot readers: http://slashdot.org/features/99/10/07/120249.shtml.
143. OhmyNews: http://ohmynews.com/articleview/article_view.asp?menu=04219&no=153109&rel_no=1.
144. *The New York Times* forums: http://www.nytimes.com/pages/readersopinions/.
145. Kristof Responds: http://forums.nytimes.com/top/opinion/readersopinions/forums/editorialsoped/opedcolumnists/kristofresponds/index.html.
146. Slate Fraywatch: fray.slate.msn.com/id/2099475/.
147. *The Washington Post* live chats: http://www.washingtonpost.com/wp-srv/liveonline/.
148. As we'll discuss in Chapter 9, blogs and other discussion sites are constantly fighting a battle against trolls and spammers; it's an arms race, but I'm hopeful that we'll be able to keep far enough ahead of the bad guys to hold onto the value of the conversation.
149. CyberJournalist.net blog list: http://www.cyberjournalist.net/cyberjournalists.php.
150. Dan Weintraub blog: http://www.sacbee.com/insider/.
151. *The Wall Street Journal* "Best of the Web": http://www.opinionjournal.com/best/.
152. Sheila Lennon blog: http://www.projo.com/blogs/shenews/.
153. Like so many journalism organizations, the *Charlotte Observer*'s excellent work has disappeared behind a pay-per-view firewall. You can find the hurricane coverage, or some of it, in the nonprofit Web Archive: http://web.archive.org/web/20010307020840/http://www.charlotte.com/special/bonnie/0828dispatches.htm
154. Tom Mangan blog: http://tommangan.net/printsthechaff.

155. CNN to Online Journalism Review: http://www.ojr.org/ojr/workplace/1049381758.php.
156. Olafson fired: http://www.houstonpress.com/issues/2002-08-8/hostage.html/1/index.html.
157. Dennis Horgan blog: http://denishorgan.com.
158. The *Nieman Reports* back issues are, perversely, available only as PDFs: http://www.nieman.harvard.edu/reports/03-3NRfall/V57N3.pdf.
159. So are some broadcasters. Minnesota Public Radio (http://www.mpr.org) looks like it will lead the way, with a variety of programs designed to bring listeners into the process.
160. Spokane *Spokesman-Review*: http://www.spokesmanreview.com.
161. Lawrence *Journal-World*: http://www.ljworld.com.
162. White House Briefing: http://www.washingtonpost.com/wp-dyn/politics/administration/whbriefing/.
163. Times on the Trail: http://www.nytimes.com/pages/politics/trail/.
164. *Columbia Journalism Review*: http://www.cjr.org.
165. *American Journalism Review*: http://www.ajr.org.
166. Patterico: http://patterico.com.
167. In May, Patterico, whose real name is Patrick Frey, told Online Journalism Review's Mark Glaser that he'd contacted the *Times* not as a blogger but as an interested reader. His impact was no less real in any event. See http://patterico.com/archives/002026.php.
168. Minnesota Public Radio's Michael Skoler put it well in an interview on Leonard Witt's Public Journalism blog (http://pjnet.org/weblogs/pjnettoday/archives/000172.html) when he said: "If 'establishment' media organizations can plug into the energy and wisdom of the collective brain of the public, we'll bring the strength of traditional journalism— editorial judgment, fact-checking, truth-seeking— into a new age of better, more trusted news coverage. If we don't do this, I think the unfiltered, weblogtype model of journalism will overtake traditional media with its sheer energy and we will lose a powerful way of informing the public about critical issues in our democracy."
169. NASA asks public for shuttle photos: http://www.jsc.nasa.gov/instructions.html.
170. BBC call for people's photos: http://news.bbc.co.uk/2/hi/talking_point/2732695.stm.
171. Sign On San Diego Fire Coverage: http://www.signonsandiego.com/news/fires/weekoffire/index.html.
172. Salon Blogs: http://www.salon.com/blogs.
173. http://www.hypergene.net/wemedia/weblog.php.
174. BBC iCan: http://www.bbc.co.uk/ican.

175. What's not unlimited is people's patience for reading long articles; invariably, when I encounter a lengthy piece that I want to read carefully, I print it out first.
176. Could an OhmyNews-like operation work in the United States and other countries? It's difficult to know, in part because there are different legal issues. But the indications are that the potential is there. One of the best U.S. community news sites I've seen is called iBrattleboro (http://www.ibrattleboro.com), based in Brattleboro, Vermont, where the daily quasi-monopoly newspaper is owned by one of the more rapacious chains. From my distant perspective, iBrattleboro consistently covers important events and issues that the newspaper all but ignores.
177. BBC uses 3G phones: http://www.cyberjournalist.net/news/000793.php.
178. I started requiring my Hong Kong students to create blogs in 1999, when the software I used was still in "beta" form, and the concept itself was virtually unknown.
179. New York University student portfolios: http://journalism.nyu.edu/portfolio/.
180. Do bloggers need editors? I was part of a panel on blogging and journalism where that topic was discussed at length. J.D. Lasica reported on it in Online Journalism Review: http://www.ojr.org/ojr/lasica/1032910520.php.

CHAPTER 7, THE FORMER AUDIENCE JOINS THE PARTY

181. Healing Iraq blog: http://healingiraq.blogspot.com.
182. Rex Hammock blog: http://www.rexblog.com.
183. Blog postings from *The Wall Street Journal* "D" conference: http://weblog.siliconvalley.com/column/dangillmor/archives/001058.shtml.
184. Rheingold's comment came at the PopTech (http://www.poptech.org) gathering in Camden, Maine.
185. Groklaw: http://www.groklaw.net.
186. Jones interview: http://www.linux.org/people/pj_groklaw.html.
187. Hoder's Editor: Myself blog: http://hoder.com/weblog.
188. See "Iranian Journalist Credits Blogs for Playing Key Role in His Release From Prison," in Online Journalism Review: http://www.ojr.org/ojr/glaser/1073610866.php.
189. Melrose Mirror: http://toy-story.media.mit.edu:9000.
190. SilverStringer: http://silverstringer.media.mit.edu/.
191. Kataweb: http://www.kataweb.it.
192. Junior Journal: http://journal.jrsummit.net.
193. See *The New York Times* coverage at http://www.nytimes.com/2003/01/27/business/media/27PAPE.html.
194. Indymedia: http://www.indymedia.org.

195. Google News does post some flagrantly biased stories from other sources, however.
196. Democracy Now: http://www.democracynow.org.
197. Command Post: http://www.command-post.org.
198. Center for Public Integrity: http://www.publicintegrity.org.
199. In focusing more on public affairs–oriented sites in this section, I don't want to slight any of the more topical online journalism being done. Technology has been a prime example of how cyberspace, where speed is of the essence, can beat paper. CNET's News.com service (http://www.news.com) has been a stalwart of excellent tech coverage, as has The Register (http://www.theregister.co.uk), a British-based site that is both smart and sassy in its coverage. Both sites are essential reading for tech journalists.
200. Wikipedia: http://www.wikipedia.org.
201. WikiTravel: http://www.wikitravel.org.
202. SocialText: http://www.socialtext.com.
203. Susan Mernit blog: http://susanmernit.blogspot.com.
204. Gawker: http://www.gawker.com.
205. Gizmodo: http://www.gizmodo.com.
206. Fleshbot: http://www.fleshbot.com.
207. Wonkette: http://www.wonkette.com.
208. Nick Denton blog: http://www.nickdenton.org.
209. Moreover: http://www.moreover.com.
210. I'm squeamish about this kind of thing because it raises ethical questions. The connection was clearly stated on the Gizmodo site, however, so at least there was full disclosure. Ultimately, Denton said, readers will decide on the credibility: "If you're pitching bad stuff, readership will decline."
211. The cost of launching a personal blog is much lower, ranging from free to a few dollars a month plus the cost of the computer and Internet access.
212. Weblogs Inc.: http://www.weblogsinc.com.
213. Blogads: http://www.blogads.com.
214. New Media Musings: http://www.newmediamusings.com.
215. Andrew Sullivan blog: http://www.andrewsullivan.com.
216. Chris Allbritton's Back to Iraq: http://www.back-to-iraq.com.
217. Talking Points Memo: http://www.talkingpointsmemo.com.chapter 8, next steps.
218. Moore's original paper on the subject is on Intel's web site at: ftp://download.intel.com/research/silicon/moorespaper.pdf.
219. In this 2003 CNET interview, Metcalfe talks about the genesis and future of Ethernet: http://news.com.com/2008-1082-1008450.html.
220. As Hal Varian and Carl Shapiro noted in their important 1999 book, *Information Rules* (Harvard Business School Press), Metcalfe's Law relies

on what economists call "network externalities." This is the notion that the larger the network, the more attractive it will be to users in most cases—and the harder it will be for a new entrant in the market to get people to switch.

221. David Reed's own explanation of his "law" is on his site: *http://www.reed.com/Papers/GFN/reedslaw.html*.
222. I'm particularly indebted to Howard Rheingold for his observations, in conversations and his writing, which have helped clarify my own understanding of the power of these various laws.
223. Pew report on online content production: *http://www.pewinternet.org/reports/toc.asp?Report=113*.
224. Adam Curry: *http://live.curry.com*.
225. Curry's BloggerCon session introduction: *http://blogs.law.harvard.edu/bloggerCon/2004/04/09#a1119*.
226. Andrew Grumet has been experimenting with video as RSS "enclosures," delivered to a desktop (or other device) as needed. See *http://blogs.law.harvard.edu/tech/bitTorrent* for more information.
227. Advertisers saw this potential long ago. In Hong Kong in 2000, a friend showed me a mobile phone that let him know if a nearby store was having a sale.
228. Bantam, 1991.
229. Google News: *http://news.google.com*.
230. Microsoft Newsbot: *http://newsbot.msn.com*.
231. MyYahoo! RSS: *http://add.my.yahoo.com/rss/*.
232. Erik Benson blog: *http://erikbenson.com*.
233. Google's API: *http://www.google.com/apis/*.
234. Amazon's Web Services: *http://www.amazon.com/gp/aws/landing.html/102-2039287-6152169*.
235. Technorati Developers Center: *http://www.technorati.com/developers/index.html*.
236. Amazon Light: *http://www.kokogiak.com/amazon*.
237. Valdis Krebs' political book-buying analysis: *http://www.orgnet.com/divided.html*.
238. AllConsuming: *http://www.allconsuming.com*.
239. GoogObits: *http://www.googobits.com*.
240. In April 2004, Technorati launched a preliminary version of a service that went part of the way toward making the conversation visible. It let a weblogger automatically show a link to Technorati's index of all the blogs that had linked to a specific posting. It was launched first on BoingBoing and became an instant hit.
241. As David Weinberger says, updating the Andy Warhol aphorism: "In the future everyone will be famous for fifteen people."

CHAPTER 9, TROLLS, SPIN, AND THE BOUNDARIES OF TRUST

242. Schmich column about the Vonnegut episode: http://www.chicagotribune.com/news/columnists/chi-970803cyperspace.column.
243. Avi Rubin article describing experience as polling judge: http://avirubin.com/judge.html.
244. The photo was debunked by the urban legends site Snopes.com: http://www.snopes.com/photos/politics/kerry2.asp.
   Ken Light, who took the original Kerry picture used for thecomposite, discussed the incident on the DigitalJournalist site: http://www.digitaljournalist.org/issue0403/dis_light.html.
245. This is not a new phenomenon. As Paul Martin Lester, communications professor at California State University at Fullerton, observes (http://commfaculty.fullerton.edu/lester/writings/faking.html):
   Photojournalism, photography that accompanies stories intended for newspaper and magazine readers, has a long and cherished tradition of truthfulness. The faking of photographs, either through stage direction by the photographer or through darkroom manipulation, unfortunately, also has a long tradition. As a result, Pulitzer Prize-winning images, photographs that have moved people to action, and pictures that have been hailed as beautiful humanistic documents filled with hope and joy, have been questioned. Consequently, their impact has been diminished by charges of photographic faking. Such accusations are usually easily proven unsubstantiated and are the exception rather than the rule for photojournalism images. However, computer technology puts photographic faking on a new level of concern as images can be digitized and manipulated without the slightest indication of such trickery.
246. Columbia University journalism professor Sreenath Sreenivasan has compiled a page of doctored photos: http://sree.net/teaching/photoethics.html.
247. Fairness and Accuracy in Reporting report: http://www.fair.org/activism/cbs-digital.html.
248. See Securities and Exchange Commission documents at http://www.sec.gov/litigation/litreleases/lr17094.htm.
249. Matt Drudge: http://www.drudgereport.com.
250. *The New York Times*, February 14, 2004: "Amazon Glitch Unmasks War of Reviewers."
251. For the full exchange between me and "George," visit the posting: http://weblog.siliconvalley.com/column/dangillmor/archives/001675.shtml.
252. Berkeley Intellectual Property Blog: http://journalism.berkeley.edu/projects/biplog.

253. Some people who comment on my blog have said they choose to use phony email addresses so that spammers can't scrape their email addresses off their postings. This is a valid concern. Spammers are always looking for new email addresses and regularly spider forums and blogs for email addresses. Forum and blogging software is improving, however, and it'll soon be more difficult for a spammer's software to effectively scrape email addresses off comment postings.
254. Ward Cunningham goes far beyond simply defining trolls. He offers distinctions and good advice on what to do about them: *http://c2.com/cgi/wiki?TrollDefinition.*
255. The *Columbia Journalism Review*'s Campaign Desk site covered the drugbenefits controversy in some depth: *http://www.campaigndesk.org/archives/000446.asp.*
256. See Mark Memmott's *USA Today* story on Google bombing: *http://www.usatoday.com/news/politicselections/nation/president/2004-04-11-kerry-waffles_x.htm.*
257. Boston Online: *http://www.boston-online.com.*
258. Adam Gaffin's recounting of the "dixie wrecked" situation: *http://www.wickedgood.info/cgi-in/forum/gforum.cgi?post=12703;#12703.*
259. For example, as another commenter observed in the "Wicked Good" discussion of New Media Strategies, the firm worked with the Burger King fast-food chain to get the word out about a potentially harmful toy being given to small children: "NMS' innovative one-on-one corporate communications strategy instantly reached millions of concerned parents and earned Burger King praise from both customers and the Consumer Products Safety Commission."
260. Ken Layne blog: *http://www.kenlayne.com.*
261. In 2002, an article in *The Guardian* attributed the Lane quote to Glenn Reynolds, who posted this funny but relevant item on his blog: "While I do say 'fact check your ass' from time to time, it's Ken Layne who coined the term. This article from *The Guardian* gives the impression that the term is uniquely mine, which it isn't—either by origination or by frequency of use. Hey, I just 'fact-checked the ass' of an article over the phrase 'fact-checking your ass.' I think that should get me the recursive metablogging medal of the day. Or at least a good seed in the recursive metablogging tournament."
262. For more on the Kaycee Nicole case, see the "Kaycee Nicole (Swenson) FAQ": *http://www.rootnode.org/article.php?sid=26.*
263. WordPirates: *http://www.wordpirates.com.*
264. In 1998, *The New York Times*' public site was hacked, and the front page changed, but the changes were blatantly the work of people who were

making an anti-*Times* point, not trying to pull off another, more serious kind of stunt.

CHAPTER 10, HERE COME THE JUDGES (AND LAWYERS)

265. CyberWire Dispatch archives: http://cyberwerks.com:70/1/cyberwire/.
266. Meeks told me: "There was NO requirement on me to show him anything I was going to publish prior to publishing it. That was a no brainer to accept in the settlement, as any story I would write about him he would know of well before 42 hours because I'd be calling him to ask him questions." In addition, the agreement lasted 18 months, and in any event Meeks didn't write about the company again.
267. Blogger and law professor Glenn Reynolds says: "To be libelous, a statement must be (1) a statement of fact, not opinion; (2) false; and (3) such as to materially injure someone's reputation." The standard is higher for public figures, who have to show that the writer had reckless disregard for whether the statement was true.
268. Anthony York wrote a detailed summary of the Drudge-Blumenthal case in Salon: http://dir.salon.com/politics/red/2001/05/02/blue/index.html.
269. Jack Balkin: http://balkin.blogspot.com.
270. See http://balkin.blogspot.com/2003_06_29_balkin_archive.html#105723343690170641 for Balkin's entire analysis.
271. The Stanford Cyberlaw Clinic's files in the Nymox case: http://cyberlaw.stanford.edu/about/cases/nymox.shtml.
272. See the *Economist* story on this case: http://www.economist.com/agenda/displayStory.cfm?story_id=1489053.
273. The Electronic Frontier Foundation, which helped Hamidi, archived many of the relevant documents: http://www.eff.org/Spam_cybersquatting_abuse/Spam/Intel_v_Hamidi/.
274. See Mark Glaser's Online Journalism Review coverage of plagiarism on the Net: http://www.ojr.org/ojr/glaser/1050584240.php.
275. Turnitin software: http://www.turnitin.com.
276. Chilling Effects Clearinghouse: http://www.chillingeffects.org.
277. World Intellectual Property Organization: http://www.wipo.org.
278. Consumer Project on Technology: http://www.cptech.org.
279. Full WIPO examiner's holding: http://arbiter.wipo.int/domains/decisions/html/2000/d2000-0584.html.
280. National Debate's *The New York Times* "corrections" page: http://www.thenationaldebate.com/other/NYTCorrections.htm.
281. See *The New York Times*, "The Privileges of Opinion, the Obligations of Fact," March 28, 2004.

282. For other examples of antilinking threats, visit the Chilling Effects Clearinghouse web site. You'll also find some unintentionally hilarious "linking policies" by corporate sites.
283. The EFF archived this and related cases: *http://www.eff.org/IP/Video/MPAA_DVD_cases/.*
284. Mark Lemley comment in Salon: *http://dir.salon.com/tech/log/2000/08/18/decss_trial/index.html.*
285. Appeals Court ruling in DVD-CSS case: *http://www.eff.org/IP/Video/DVDCCA_case/20011101_bunner_appellate_decision.html.*

CHAPTER 11, THE EMPIRES STRIKE BACK

286. *New Scientist* story on China's blocking of blogs: *http://www.newscientist.com/news/news.jsp?id=ns99993260.*
287. Zittrain/Edelman study of Net-filtering by nations: *http://cyber.law.harvard.edu/filtering/.*
288. Europe's data privacy laws are much stricter. Asia is relatively lax.
289. Lessig on Stanford's network police, from interview in *Reason* magazine: *http://www.findarticles.com/cf_dls/m1568/2_34/85701100/print.jhtml.*
290. Penguin Press, 2004.
291. See Siva Vaidhyanathan's blog: *http://www.nyu.edu/classes/siva/.* His 2004 book, *The Anarchist in the Library: How the Clash Between Freedom and Control is Hacking the Real World and Crashing the System* (Basic Books), is essential reading for anyone who wants to understand how the forces of central control are creating such havoc with creativity, innovation, and even freedom.
292. Supreme Court's ruling in 1984's Sony v. Universal ("Betamax") case: *http://www.eff.org/Legal/Cases/sony_v_universal_decision.php.*
293. Full text of the DMCA: *http://www.copyright.gov/legislation/dmca.pdf.*
294. Ed Felten, a Princeton University computer science professor, was threatened with legal action if he gave a talk about how easy it would be to break open an experimental music industry file format. See *http://www.cs.princeton.edu/sip/sdmi/.*
295. Russian software company acquitted (CNET): *http://news.com.com/2100-1023-978176.html.*
296. Lexmark printer company sues ink cartridge maker (CNET): *http://news.com.com/2100-1023-978176.html.*
297. FCC broadcast flag ruling: *http://hraunfoss.fcc.gov/edocs_public/attachmatch/FCC-03-273A1.pdf.*
298. The music industry's difficulties are not due to MP3 file sharing, contrary to the propaganda. It's due at least as much to a reduction in the number of

releases and the overall lower quality of music being promoted today, as well as incredibly high prices. Moreover, a deeply researched study (http://www.unc.edu/~cigar/papers/FileSharing_March2004.pd f) by professors at Harvard Business School and the University of North Carolina concluded that file sharing has no obvious impact on sales—and that it may actually help promote the music.

299. *Wired News'* coverage of Berman's legislation: *http://www.wired.com/news/politics/0,1283,54152,00.html.*
300. I recommend two superbly researched papers that explain the dangerous confluence of privacy and digital rights management: "DRM and Privacy" (*http://www.law.berkeley.edu/institutes/bclt/drm/papers/cohendrmandpriv acy-btlj2003.html*) by Julie E. Cohen, professor of law at Georgetown University Law Center; and the more recent "The New Surveillance" (*http://papers.ssrn.com/sol3/papers.cfm?abstract_id=527003*) by Sonia Katyal, associate professor at Fordham University School of Law.
301. Patricia Schroeder, a former member of Congress who went on to head the publishing industry's main lobbying organization, famously told *The Washington Post* in 2001 (*http://www.washingtonpost.com/ac2/wp-dyn/A36584-2001Feb7*), "We have a very serious issue with librarians." I've shown this quote to people on many occasions, and the universal response has been sheer disbelief at Schroeder's statement.
302. Congress is moving closer to outlawing peer-to-peer outright, and the entertainment industry keeps suing everyone in sight. In one case, a record company sued a Silicon Valley investor in Napster, alleging contributory infringement; that case has yet to go to trial.
303. Doctorow quote in full: *http://boingboing.net/2004/01/27/protect_your_investm.html*
304. And indeed, Apple has taken things away. In late April 2004, it released an iTunes "update" that, when installed, removed functionality from the software while adding new features. I fully expect that Apple will continue to do this.
305. Full Ross Anderson analysis of trusted computing: *http://www.cl.cam.ac.uk/~rja14/tcpa-faq.html.*
306. Currency, 1999.
307. See *http://www.siliconvalley.com/mld/siliconvalley/5231643.htm.*
308. See *Infoworld*'s coverage: *http://www.infoworld.com/article/04/02/02/HNchinacensor_1.html.* It's more acceptable to use the Napster defense if you're a big company, apparently.
309. *http://cyberlaw.stanford.edu/lessig/blog/archives/121002%2002-52%2000-185.pdf*

310. Throughout this section, I've used the word "content" in the broadest sense—that which is created by anyone, not just the entertainment industry. Indeed, it's crucial to recognize that the content users create is more important than what Hollywood creates, especially as we contemplate the architecture of future networks. See Andrew Odlyzko's paper, "Content is Not King," for more on this: *http://www.firstmonday.dk/issues/issue6_2/odlyzko/#o9*.
311. Electronic Frontier Foundation: *http://www.eff.org*.
312. Creative Commons: *http://www.creativecommons.org*.
313. The interstates are an intriguing mirror image of what's required with data. In the 1950s, America's state and local highways were well-developed. What we needed, and what corporate America couldn't provide, was a system of long-distance roads. Today, the reverse is true: the long-distance data highways, the "backbone" networks, exist in abundance. It's the local roads we need, right up to our homes. Big telecom carriers say they'll provide these connections only if we allow them to control the content that flows on those lines. Imagine if we'd given the interstates to corporations that could decide what kinds of vehicular traffic could use them.
314. FCC Spectrum Policy Task Force: *http://www.fcc.gov/sptf/*.
315. Full text of Powell's 2003 speech on spectrum: *http://www.fcc.gov/Speeches/Powell/2002/spmkp212.html*.
316. David Reed's home page: *http://www.reed.com/dpr.html*
317. To get a fuller understanding of Reed's "open spectrum" thinking, start with this essay: *http://www.reed.com/Papers/openspec.html*.

CHAPTER 12, MAKING OUR OWN NEWS

318. A growing body of work is now available under Creative Commons licenses. See *http://creativecommons.org* for more details. epilogue and acknowledgments
319. Elwin Jenkins' posting: *http://microdoc-news.info/home/BloggerNews/2003/04/11.html/1*.
320. Chris Gulker blog: *http://www.gulker.com*.
321. Perseus Books, 2002.
322. Microsoft Word was both useful and infuriating. The Mac version seems to have a severe bug that caused me and my editor no end of trouble. If there was a serious alternative, I'd use it. I note this because I posted a blog comment about the problems I was having, and related what Microsoft's technical support people had told me. (Amazingly, they advised against saving the files in Microsoft's own format.) My blog posting generated an email from one of the programmers at Microsoft who works on the Mac applications. He asked for samples of the corrupted files and said he'd try

to figure out what was wrong. I sent the files but didn't hear back from him. Nonetheless, his query was another example of how the new world of information works: he, at least, was paying attention to what was going on in the online world, because it affected his product. I give Microsoft an A for this, even if I give its software a C-minus for its flaws.

323. *http://redcouch.typepad.com/weblog/*

عن المؤلف

دان جيلمور

هو مؤسس مركز إعلام المواطن، وهو مشروع يهدف لتمكين الصحافة الشعبية وتوسيع نطاق وصولها. ومن عام 1994 إلى 2004 عمل جيلمور كاتب عمود في صحيفة سان جوزيه ميركوري نيوز صحيفة وادي السيليكون اليومية وكتب مدونة ويب لحساب SiliconValley.com. وقد انضم إلى الصحيفة المذكورة بعد ست سنوات من العمل في ديترويت فري بريس. وقبل ذلك عمل في صحيفة كانساس سيتي تايمز والعديد من الصحف في فيرمونت. وقد نال العديد من الجوائز الصحفية الإقليمية والقومية أو اشترك فيها مع آخرين. وقبل أن يصبح صحفيًا، امتهن عزف الموسيقي لمدة سبع سنوات.

Dan Gillmor

We the Media

رؤية مستقبلية....
في ضوء الإنترنت والويب والمدونات

هذا الكتاب:

يلقى الضوء على مستقبل الصحافة الالكترونية ويدعونا لنكون جزءا منها. فإن كنت تريد أن تفهم أهمية الكتابة على الويب وكتابة المدونات، فعليك بقراءة هذا الكتاب. فهو يبين كيف يمكن لأى شخص أن ينتج تغطية إعلامية متميزة، ويتم توزيعها عن طريق الإنترنت والمدونات، التى تؤثر فى مستقبل الاعلام، والتى أحدثت تغيير ... الأساسية للصحافة.

Bibliotheca Alexandrina
0917703



International House For Cultural Investments
Cairo - Egypt